الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي




جامعة الجيلالي ليابس - سيدي بلعباس-

كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية

قسم العلوم الإنسانية

(شعبة التاريخ)

الحضور الجزائري في إيالة تونس خلال العهد العثماني1628- 1830م

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر

إعداد الطالبة:

سحابات زهيرة

تحت إشراف الأستاذ الدكتور:

عسال نور الدين

نوقشت يوم: 20 أكتوبر2020م

أعضاء لجنة المناقشة

الأعضاء	الجامعة	الصفة
أ.د/ لونيسي ابراهيم	جامعة سيدي بلعباس	رئيسا
أ.د/ عسال نورالدين	جامعة سيدي بلعباس	مشرفا ومقررا
د/ بلجة عبد القادر	جامعة سيدي بلعباس	مناقشا
أ.د/ حجازي مصطفى	جامعة تلمسان	مناقشا
أ.د/ شرف عبد الحق	جامعة تيارت	مناقشا
د/ دوبالي خديجة	جامعة تيارت	مناقشا

السنة الجامعية: 1440هـ -1441هـ- 2019م - 2020م



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجيلالي ليابس - سيدي بلعباس-

كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية

قسم العلوم الإنسانية

(شعبة التاريخ)



الحضور الجزائري في إيالة تونس خلال العهد العثماني1628- 1830م

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر

إعداد الطالبة: تحت إشراف الأستاذ الدكتور:

سحابات زهيرة عسال نور الدين

نوقشت يوم: 20 أكتوبر2020م

أعضاء لجنة المناقشة

الأعضاء	الجامعة	الصفة
أ.د/ لونيسي ابراهيم	جامعة سيدي بلعباس	رئيسا
أ.د/ عسال نورالدين	جامعة سيدي بلعباس	مشرفا ومقررا
د/ بلجة عبد القادر	جامعة سيدي بلعباس	مناقشا
أ.د/ حجازي مصطفى	جامعة تلمسان	مناقشا
أ.د/ شرف عبد الحق	جامعة تيارت	مناقشا
د/ دوبالي خديجة	جامعة تيارت	مناقشا

السنة الجامعية: 1440هـ -1441هـ- 2019م - 2020م


بسم الله الرحمن الرحيم

قال الأوزاعي رحمه الله:

﴿تعلم الصدق قبل أن تتعلم العلم﴾

شكر وعرفان

- أشكر الله العلي العظيم الذي وفقني لإتمام هذا العمل فلك الحمد ربي كما ينبغي لجلال وجمك وعظيم سلطانك.

- جزيل الشكر عطره وأوفاه أرفعه إلى الأستاذ المشرف الأستاذ الدكتور **عسال نورالدين** والذي مهما شكرته لن يكفي فله جزيل الشكر لما بذله من جمد، حيث لم يبخل عليا بنصائحه وإرشاداته العلمية وبفضله خرجت الأطروحة إلى النور، فجزاه الله عنا كل خير.

- كما لا يفوتني أن أرفع شكري و إحترامي لأساتذتي الذين قبلوا مناقشة هذا العمل وعلى نصائحهم العلمية التي كانت لي منارا في إخراجه بشكله ومضمونه العلمي فلهم جزيل الشكر والعرفان، وثم من الله جمدهم في ميزان الحسنات.

- كما أوجه شكري و امتناني إلى كل من قدم لي يد المساعدة وأخص بالذكر الدكتور عمار غرايسة والدكتور محمد بوشنافي، كما أشكر الباحثين: عبد الله موساوي، وشتح عبد الناصر وجمال بن عثمان،جلجال فاطمة، وصغير عبلة فلهم جزيل الشكر، كما أتقدم بالشكر لأختي سعاد التي كانت أكبر عونا لي، وكذا أشكر عمال مكتبة جامعة تيارت وعمال وعاملات الأرشيف الوطني التونسي، والجميع من ساهم في تقديم يد العون والمساعدة سواء من قريب أو بعيد.

" فلهم مني جزيل الشكر و العرفان"

إهـــــــــداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى من قال فيهما الرحمن:

﴿**وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا**﴾ - سورة الإسراء الآية 22-

إلى الوالدين الكريمين حفظهما الله.....

إلى أخواتي وأبناء أختي حفظهم الله....

وإلى العائلة الكريمة والأصدقاء.....

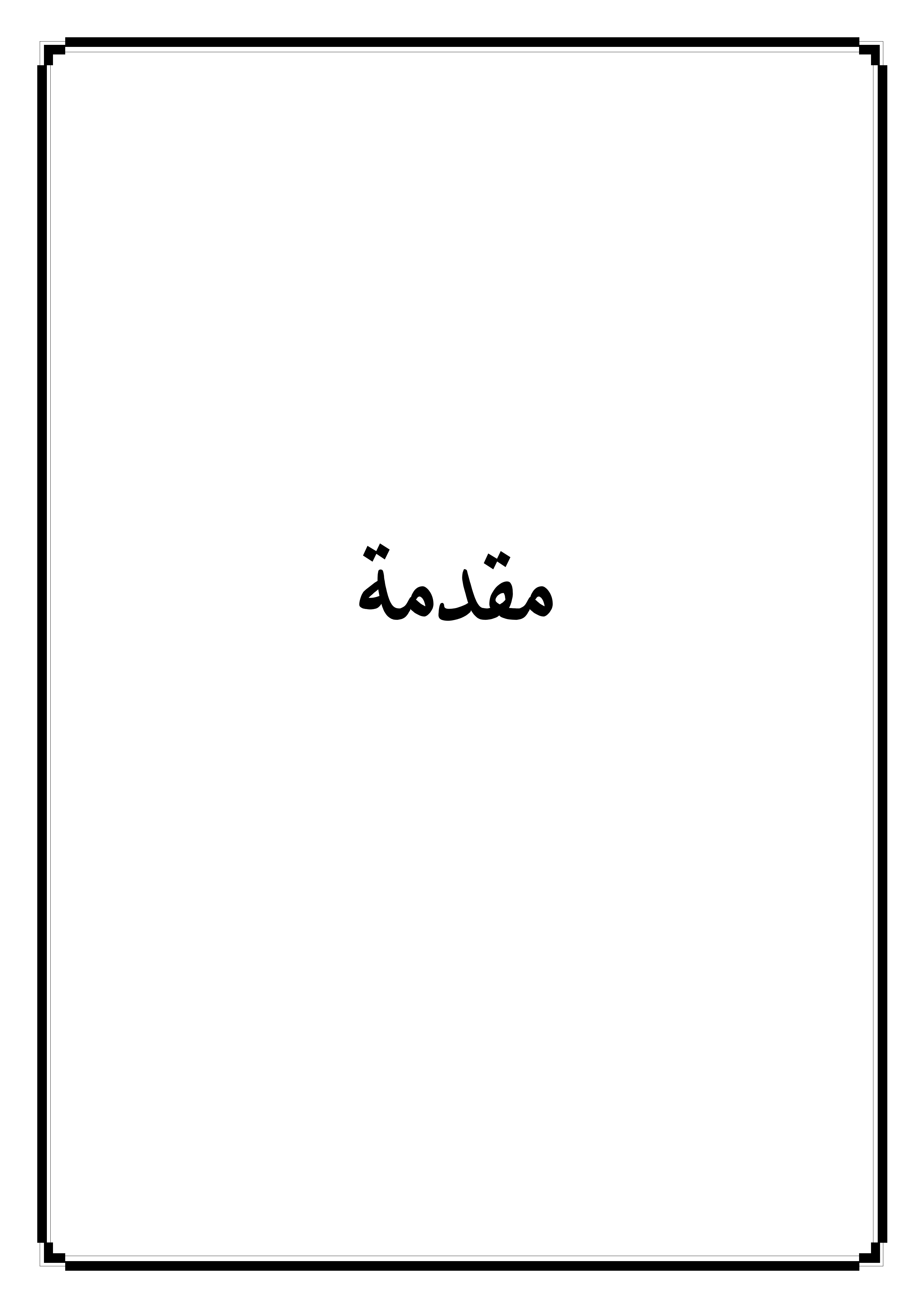
قائمة المختصرات

- المختصرات باللغة العربية:

المختصر	المعنى
م.و.ج	المكتبة الوطنية الجزائرية
أ.و.ج	الأرشيف الوطني الجزائري
أ.و.ت	الأرشيف الوطني التونسي
س.ت.ت	السلسلة التاريخية التونسية
تح	تحقيق
تع	تعليق
مج	المجلد
تق	تقديم
دط	دون طبعة
تعر	تعريب
مر	مراجعة
ط	الطبعة
ج	الجزء
ع	العدد
د.د.ن	دون دار النشر
د.ب	دون بلد النشر
د.س	دون سنة النشر

- المختصرات باللغة الأجنبية:

P	**page**
V	**Volume**
T	**Tome**
N°	**Numéro**
R.A	**Revue Africaine**



مقدمة

عرف الفضاء المتوسطي مع مطلع القرن السابع عشر ميلادية تحولات وتغييرات على مستوى العلاقات المغاربية، حيث حتمت الظروف على إعطاء هذه العلاقات عدة مسميات لإختلاف طبيعتها ونتائجها في جميع المجالات، ونخص بالذكر هنا إيالة الجزائر وإيالة تونس فتبعيتهما للدولة العثمانية مع بدايات القرن 16م وتقوية شوكتهما وبروزهما كإيالتين واضحة معالمهما مبدئيا، ما لبثت أن تغيرت علاقتهما بعد تقاطع المصالح بينهما تدريجيا بداية من المسألة الحدودية التي أصبحت تؤرق حكام الإيالتين، لأن تحديد مجالهما الجغرافي مع بداية القرن17م أصبح ضرورة ولا مجال لتأخيره، وبعد هذا التحديد عرفت تونس العديد من الأزمات السياسية بعد أن شهدت تغييرا في نظام حكمها، وهذا عندما سيطر المراديين على العرش ومحاولاتها إلغاء حكم الدايات، ما جعلها تدخل ضمن دوامة الصراع السلطوي والذي خلف ضعفا سياسيا داخل بلاطها، مما حتم عليها إدخال طرف خارجي لحل مشاكلها، وكانت الجزائر من السباقين لدخوله بعد إستنجادهم بها.

أما إذا تحدثنا عن الجزائر في هذه الفترة فإننا نرى أنها قد شكلت قوة عسكرية وسياسية لا تضاهي ببحر المتوسط، وهذا بعد إلحاقها بالدولة العثمانية سنة1520م، حيث أن المنطقة قد تعرضت فيما سبق للغزو الإسباني بكل يسر حيث احتلت كل سواحلها مع بداية القرن القرن السادس عشر ميلادية ، ما اضطر أعيان وسكان مدينة الجزائر إلى الإستنجاد بالإخوة بربروسا والذين ضاع صيتهم في منطقة المتوسط مع مطلع القرن16م، والذين لبوا النداء وحرروا المنطقة وما تبقى من سواحلها من الغزو الإسباني ووضعوا حدا لهذا التوسع الصليبي، ثم بعد ذلك انضمت الجزائر إلى الدولة العثمانية وعلى إثرها بدأ الحكم العثماني في الجزائر بداية من عهد البايلربايات، ويشهد لهم في هذا العهد أنهم عرفوا العديد من الإنجازات السياسية والعسكرية في الفضاء المغاربي والمتوسطي من خلال مشاركتهم في عدة حروب مع الدولة العثمانية، وبالتالي نستطيع القول على أنها استطاعت تشكيل قوة إقليمية مهابة، بحيث أصبحت لها المقدرة فيما بعد على إثبات ذاتها حتى في المناطق المجاورة.

أما تونس فلم تكن بمنأى من هذه التحولات الحاصلة في الحوض الغربي للبحر المتوسط فتواجد الإسبان بها وكثرة التحالفات أصبح مصيرها غير معروفا لسنوات عدة، حيث لم يرسو حكامها الحفصيين على بر خاصة مع تواجد العثمانيين والإسبانيين بها، وكلا القوتين يريدان فرض نفسيهما عليها وعلى منطقة المتوسط، ولهذا أصبحت تونس هي الأخرى حلبة صراع بين القوتين العظيمتين آنذاك، وبعد مد وجز أضحت تونس ضمن الممتلكات العثمانية، وهذا بفضل القوة العثمانية والجزائرية حيث أصبحت هذه الأخيرة تسيرها

نيابة عنها، وهذا ما استساغه حكام الجزائر ولم يستسغه حكام تونس فيما بعد، فقضية التكافؤ والموازاة أخذت مجرى آخر رغم الترابط الإقتصادي والإجتماعي والثقافي الذي يجمع البلدين.

ومن هذا المنطلق إرتأينا دراسة موضوع " **الحضور الجزائري في إيالة تونس خلال العهد العثماني 1628-1830م** " حيث سنرصد مظاهر الحضور فيها في مختلف المجالات السياسية والعسكرية والإقتصادية والإجتماعية والثقافية خلال هذه الفترة.

- الأهمية العلمية الموضوع:

تكمن أهمية هذا الموضوع في أنه مثل مرحلة انتقالية هامة في تاريخ الإيالتين حيث تميزت هذه الفترة بكثرة الأحداث والمتغيرات، خاصة بعد دخول عناصر داخلية وخارجية فعالة أثرت على نمط التواجد الجزائري في تونس خلال العهد العثماني، كما سيّرت وغيرت من مجرى الأحداث في أغلب الوقت، ولهذا فإن أهمية دراسة هذا الموضوع من أن له بعدا مغاربيا بإعتبارهما يشتركان في الدين واللغة وحتى العادات والتقاليد، فالحضور بمعانيه يحمل عدة دلالات يختلف فيها السبب والهدف، وما يزيد في أهميته الفترة المراد دراستها أن كلا الإيالتين شهدا تطورا ملحوظا في نظم الحكم، كما أن مسرح الحضور ليس الجزائر وإنما تونس وهنا تكمن صعوبته لأن النظرة ستختلف كليا على العلاقات والتي يكون مسرح صراعها مزدوج، ومع المحركات والتفاعلات الإقليمية والدولية والأحداث المتداخلة فسيكون مصير هذه المنطقة معلقا بالأخرى في أغلب الأحيان، وإنطلاقا من كل الإعتبارات المذكورة آنفا فإن هذا الموضوع المهم يعتريه الغموض ولابد من التوضيح والتبيان والكشف.

- الإطار المكاني والزماني:

يعتبر موضوع الحضور الجزائري في إيالة تونس خلال العهد العثماني 1628- 1830م من المواضيع التي تخص التاريخ المغاربي بشكل مباشر وتعطيه أبعادا كثيرة مع اختلاف أوجه النظر، ولقد رأينا من الضرورة وضع خلفية تاريخية لهذا الموضوع والتي بدأناها تقريبا مع بداية القرن 16م وهذا من أجل إستنارة الفترات القادمة وما ستخلفه أحداثها من بعد، وفيما يخص الإطار الزماني الذي حددناه للدراسة فهو مرتبط بكل من 1628م إلى غاية 1830م، ولقد وسعنا في الإطار الزماني والذي كان لابد منه لأن الأحداث متداخلة فيما بينها ويصعب فكها عن بعضها، فسنة 1628م هي السنة التي سطرت فيها الحدود بين إيالة الجزائر وإيالة تونس والتي تجسدت فيما يعرف بمعركة سطارة، فبعد هذا التاريخ وبما أن الحدود واضحة معالمها يمكننا إثبات الحضور بمختلف معانيه ورصد مظاهره في جميع المجالات مع إختلاف أثرها سواء سلبا أو إيجابا حسب طبيعة

التأثير طبعا، وحصرناها عام 1830م وهي السنة التي احتلت فيها فرنسا الجزائر، وستدخل في مرحلة جديدة من تاريخها السياسي.

أما الإطار المكاني فسيكون تونس بكل تأكيد وفي فترات متقطعة الجزائر لما تكون هناك ردات فعل معينة.

– **أسباب إختيار الموضوع:** وأسباب اختيارنا لهذا الموضوع راجع إلى عدة إعتبارات من بينها:

1. دوافع شخصية للبحث في التاريخ المغاربي وبالذات إيالتي الجزائر وتونس خلال الفترة العثمانية والذي إنبثق منه هذا الموضوع وفضولنا لمعرفة وفهم طبيعة العلاقات بينهما في مختلف المجالات، خاصة وأن الفترة كان قد شهد فيها الحوض الغربي للبحر المتوسط تطورات عدة.
2. الرغبة الملحة في تسليط الضوء على فترة هامة من التاريخ المغاربي وإعادة قراءة تاريخنا بشكل مغاير بعيدا عن الحساسية، محاولين الإسهام في كتابة تاريخ الجزائر وتونس العثماني المزدهر الذي طالما نظرت إليه نظرة فخر واعتزاز لما فيه من مميزات، خاصة أنها تعد مرحلة إثبات للذات لهما في الفضاء المتوسطي خلال العهد العثماني.
3. موضوع متعدد الأوجه يستحق الدراسة من طرف باحثين محليين ومن الوسط المغاربي أيضا، لأن تاريخنا المغاربي لطالما صوره لنا الأوربيين وجعلوه مثل الحلقة المظلمة يصعب اقتحامها لما فيه من إختلالات تاريخية وهذا ما زاد من قيمته التاريخية، محاولين بذلك إستغلال الوثائق الأرشيفية الجزائرية والتونسية، والتي تحمل العديد من الحقائق التي لطالما تعرضت للتزييف والتشويه، وعلى هذا الأساس سعينا إلى تصحيح بعض المفاهيم والمغالطات التاريخية محاولين إعطاءها صورتها الحقيقية.
4. ندرة الدراسة في هذا الموضوع بهذا الشكل فكلمة حضور بما تحمله من معاني صعب دراسته على مجال أو فضاء خاصة مثل الجزائر وتونس لأنهما يشتركان في أغلب المعطيات من دين ولغة وغيرها من الروابط، ولهذا إرتأينا دراسة هذا الموضوع لبعده المغاربي والمتوسطي ولجديته أيضا ونفض الغبار عليه، بالإعتماد على الوثائق الأرشيفية في بعض المجالات لأنها ستمكننا من دراسته بشكل دقيق.

– **إشكالية البحث:**

– عموما يمكن حصر الإشكالية الرئيسية للموضوع في الآتي: ما طبيعة الحضور الجزائري في تونس خلال العهد العثماني من 1628م إلى 1830م؟ وفيما تمثلت مجالاته وآثاره ؟

– أما الإشكاليات الجزئية فنطرحها على شكل تساؤلات وهي: ما موقف الجزائر من الصراع السلطوي داخل الإيالة التونسية وما هو الدور الذي لعبته في حل قضاياها؟ وكيف ساهمت في تسيير دواليب السلطة في تونس فيما بعد؟ وفيما تمثل نشاطها الدبلوماسي بالإيالة التونسية، وإلى أي مدى ساهمت دبلوماسيتها في نسج علاقات تونس مع الدول الأجنبية والمغاربية في تلك الفترة؟ وهل رضخت تونس لتدخلات الجزائر أم أنها شرعت في التمرد عليها مع أواخر العهد العثماني في الجزائر؟

1. كيف تشكل الحضور العسكري الجزائري في تونس، وماهي أهم الحملات الجزائرية التي تعرضت لها تونس، وماهي مآلاتها؟ وكيف كان رد فعل بايات تونس من هذه التدخلات سواء المباشرة أو الغير مباشرة؟ وما موقف الدولة العثمانية من كل هذه التطورات الحاصلة؟
2. ما طبيعة العلاقات الإقتصادية بين الجزائر وتونس، وما هي أهم المنتوجات الجزائرية التي سوقت في الأسواق التونسية، وهل كان لها تأثير سلبي أم إيجابي على التجارة التونسية، وهل تأثرت الحركية التجارية بالعامل السياسي؟ وماهي أهم الإمتيازات التي تحصلت عليها الجزائر من تونس؟ وفيما تمثلت نشاطات التجار الجزائريين في تونس، وهل استطاعوا خلق حركية تجارية بالإيالة التونسية ؟
3. فيما تمثل الحضور الاجتماعي الجزائري في تونس، وماهي أهم الهجرات الجزائرية نحوها، وفيما تمثلت آثارها؟ وكيف كانت مساهمة القبائل الجزائرية في الصراع الجزائري التونسي؟
4. إلى أي مدى ساهم علماء الجزائر بمختلف أصنافهم في تنشيط الحركية الثقافية بتونس، وفيما تمثل نشاطهم؟

– **المنهج المتبع**: وفيما يتعلق بالمنهج المتبع في الدراسة فلقد اعتمدنا على المنهج التاريخي.

– **الدراسات السابقة:**

– هناك العديد من الدراسات السابقة التي تقاطعت مع موضوع الحضور الجزائري في إيالة تونس خلال العهد العثماني1628م-1830م في عدة زوايا مختلفة، ولكن ما سنلاحظ غياب القرن السابع عشر والذي يعتبر الحلقة المفقودة بين البلدين، وسوف نستعرض في هذا المقام جملة من الدراسات التي تم الاستفادة منهم:

– كتاب **العلاقات السياسية بين حكام الجزائر وتونس في القرن18م- 12هـ**، لعمار بن خروف والذي تناول بإسهاب كبير ولم يترك أي فجوة فيه مع وضعه لأسس دقيقة لطبيعة العلاقة بين البلدين خلال الفترة المدروسة، كما وجد مقال لحصام صورية بعنوان **لجوء بايات إيالة تونس إلى الجزائر خلال القرن**

الثامن عشر من خلال وثائق أرشيفية والذي نشر في المجلة الجزائرية للمخطوطات سنة 2015 ويتناول جزئية مهمة من الموضوع.

- كما وجدت عدة رسائل جامعية تقاطعت معه نذكر منها: دراسة للباحث محمد عطية والمسماة **بالصراع بين الإيالتين الجزائرية والتونسية من خلال المصادر المحلية الجزائرية والتونسية1587–1830م**، ووجدت دراسة أخرى للسايح فيلالي والمعنونة **بالعلاقات السياسية الجزائرية التونسية1800– 1830**، ودراسة لمحيدب حبيبة عنوانها **العلاقات التجارية بين إيالتي الجزائر وتونس خلال القرن الثامن عشر** من بين الأطاريح التي استفدت منها في الجانب الإقتصادي بإعتبار هذا الجانب ناقص الدراسة، ودراسة أخرى للعايب كوثر وعنوانها **العلاقات الجزائرية التونسية خلال عهد الدايات1711– 1830م**، هذه تقريبا كل الدراسات التي تقاطعت مع موضوعي وكانت لي عونا في إنجازه، وإن كانت بعيدة عن موضوعي نوعا ما في الناتج والهدف المرجو منه إلا أنني استفدت منهم جميعا، ونتمنى أن تكون دراستنا مفتاحا لمواضيع جديدة.

- الخطة المقترحة:

بدأناه بمقدمة للموضوع وضعنا فيها كل ما تتطلبه شروطها مع وضع الإشكاليات التي سوف تسير البحث، ولقد قسمنا هذا البحث إلى فصل تمهيدي وأربعة فصول، وكل فصل إلى عدة عناصر تفصيلية، فكانت هيكلة الموضوع على الشكل التالي:

- الفصل التمهيدي والمعنون ببوادر الحضور الجزائري في تونس قبل 1628م: والذي بدوره قسم لأربع عناصر مهمة مفتاحية للولوج في الموضوع، أولها أزمة البلاط الحفصي وتحولات القرن السادس عشر وتداعياتها، ثم تطرقنا إلى دور إيالة الجزائر في إلحاق تونس بالدولة العثمانية من خلال التحدث عن جهود حاكميها خير الدين بربروس والعلج علي، وارتأينا دراسة عنصر مهم آخر والمعنون بمسألة تبعية تونس بين الجزائر والباب العالي أما العنصر الرابع فكان بعنوان فرمان 1587م وتداعياته على الإيالتين التونسية والجزائرية، ثم ارتأينا وضع إستنتاج جزئي للفصل في الأخير به جملة من الإستنتاجات.

- أما الفصل الأول والمعنون بالتدخل الجزائري في الشؤون السياسة الداخلية لتونس ما بين 1628م– 1830م والذي بدأناه بتمهيد مبسط للولوج إلى الفصل، ولقد قسمنا الفصل إلى أربعة عناصر فتناولنا في العنصر الأول المعنون بالجزائر والصراع حول السلطة في تونس خلال العهد المرادي تحدثنا فيه عن بداية الحكم المرادي ثم بدايات تشكل الأزمة السياسية أواخر القرن 17م والفتن التي بدأت تعرقل مسارها السياسي، والذي قسمناه بدوره إلى عنصرين الأول الفتنة بين الفتنة بين ورثة العرش المرادي وتدخل الجزائر

للصلح 1676م-1680م، والثاني تجدد الفتن داخل البلاط المرادي وموقف الجزائر منها والذي فضلنا تقسيمه هو الآخر إلى نقطتين منها أولها: فتنة الداي شلبي واستنجاد المراديين بأوجاق الجزائر سنة1685م والثاني: فتنة الداي ابن شكر والإستنجاد بالجزائر1686م- 1695م.

- العنصر الثاني والمعنون بـالأزمات السياسية في تونس خلال العهد الحسيني وموقف الجزائر منها 1705م- 1759م من خلال تطرقنا في العنصر الأول لبدايات العهد الحسيني مع سنة 1705م، ثم تطرقنا إلى الحرب الأهلية في تونس ولجوء علي باشا إلى الجزائر عام 1728م، والعنصر الثاني تناولنا ظاهرة لجوء حكام تونس إلى الجزائر ما بين سنتي 1746-1759م والذي ينقسم بدوره إلى عنصرين أولها لجوء أبناء الحسين إلى الجزائر 1746م، وثانيها لجوء يونس وإسماعيل بن يونس إلى قسنطينة 1752- 1759م منها لجوء يونس باي إلى قسنطينة عام 1752م ولجوء إسماعيل باي إلى قسنطينة1759م. أما العنصر الثالث فتناولنا فيه التمثيل الدبلوماسي الجزائري في تونس والذي بدوره قسم إلى نقطتين مهمتين: أولها الوكلاء الجزائريون في تونس بالتطرق إلى مفهوم الوكيل وامتيازاته ومهامه، أما العنصر الثاني والمعنون بالدبلوماسية الجزائرية ودورها في فك النزاع التونسي مع الإيالات المغاربية والدول الأجنبية والذي تطرقنا فيه إلى موقف الجزائر من إستيلاء علي برغل على طرابلس الغرب وأمر حمودة باشا بنزعها منه عام 1794م بالتطرق بالتفصيل إلى أهم المعطيات بداية من تشكل الأزمة السياسية في طرابلس الغرب، وبعدها ظهور علي برغل في مسرح الصراع ولجوء علي القرمنلي لتونس، ومن ثم تناولنا مجريات حملة حمودة باشا على طرابلس الغرب، ثم تحدثنا عن علاقتها مع الدول الأجنبية من بينها دور الجزائر في ابرام الصلح بين تونس واسبانيا 1786م- 1787م مع ذكر أهم المتغيرات التي دفعت لعقد المعاهدة منها الدولية والمحلية والإقليمية ثم تناولنا سير المفاوضات ودور الجزائر فيها بشكل مدقق، ثم تحدثنا عن دور الجزائر في إبرام الصلح بين تونس والولايات المتحدة الأمريكية1799م.

- العنصر الرابع فلقد تطرقنا إلى الأزمة الدبلوماسية بين الجزائر وتونس مابين1824م-1830م ولقد تمثلت في ثلاث قضايا جوهرية القضية الأولى دخول سيد التجاني إلى تونس ورفض تسليمه للجزائر والقضية الثانية فتمثلت في فرار جنود انكشاريين إلى تونس ما بين سنتي 1824- 1830م وإنزعاج الجزائر من إستقبالهم كما تطرقنا في القضية الثالثة لموقف بايات تونس من الحملة الفرنسية على الجزائر1827م-1830م، ثم إرتأينا وضع إستنتاج جزئي للفصل في الأخير به جملة من الإستنتاجات.

- **الفصل الثاني والمعنون بالصراع العسكري الجزائري التونسي ما بين 1628م- 1830م** والذي بدأناه بتمهيد مبسط للولوج إلى الفصل، ولقد قسمنا الفصل لثلاث عناصر أولها مسألة الحدود بين إيالة

الجزائر وتونس سنة1628م والذي تطرقنا فيه إلى المجال الجغرافي بين البلدين خلال العهد الحفصي وهذا لاستنارة وفهم العناصر اللاحقة ثم تناولنا دور القبائل الحدودية في رسم الحدود الجغرافية سنة1614م، ومن بعدها تحدثنا عن تجدد مسألة الحدود بين الإيالتين ومعاهدة 1628م

– العنصر الثاني تطرقنا إلى الحملات العسكرية الجزائرية على تونس ما بين سنتي 1695م– 1756م، ولقد خصصنا لكل حملة عنصر منفرد بداية من حملة الداي شعبان على تونس سنة 1659م وتداعياتها وتناولنا فيه مجريات الحصار وتداعياته، ثم تطرقنا إلى عودة الصراع بين الجزائر وتونس سنة1700م مجددا، حيث تناولنا فيه أسباب الحملة ومجرياتها وبالتالي إلى الوساطة العثمانية لفك الصراع بين الإيالتين سنة1700م، ثم تكلمنا عن حملة الداي مصطفى على تونس سنة 1702–1705م بداية من اعتلاء إبراهيم الشريف عرش تونس 1702م، والذي حرك الصراع وأعلن الداي مصطفى الحرب ضد الشريف عام 1705م من خلال تطرقنا مجريات الحملة ونتائجها، ثم تحدثنا عن إعتلاء الحسين عرش تونس وصراعه مع الداي مصطفى سنة 1705م بداية من التحصينات العسكرية قبل الحملة، ثم دخول الداي مصطفى في مفاوضات مع باي تونس وصولا إلى فشل المفاوضات وبداية الحصار على تونس ونتائجه، ثم تطرقنا إلى حملة الداي ابراهيم على تونس سنة1735م المجريات والتداعيات من خلال ذكر الإرهاصات والمجريات والتداعيات، ثم تطرقنا إلى حملة الداي علي بوصبع على تونس سنة1756م والوساطة العثمانية من خلال ذكر المجريات، والتدخل العثماني وفك النزاع بين تونس والجزائر بعد حملة 1756م.

–أما العنصر الثالث والمعنون بالمناوشات العسكرية بين الجزائر وتونس مع مطلع القرن 19م والذي تطرقنا فيه إلى المعارك البرية بين الإيالتين1807م– 1808م بداية من اعتلاء حمودة باشا العرش واستئنافه الصراع مع الجزائر، ثم أسباب إعلان تونس الحرب على الجزائر وبعدها تطرقنا إلى بداية الحرب بين الجزائر وتونس، والتي تمثلت في الحرب البرية الأولى1807م والحرب البرية الثانية، ثم تحدثنا عن الحروب البحرية1811م– 1813م والتي تمثلت في الحرب البحرية الأولى1811م والحرب البحرية الثانية1813م، كما تحدثنا عن المحاولات الجزائرية لردع تونس ووساطة الباب العالي وإنهاء الصراع الجزائري التونسي عام 1821م، ثم إرتأينا وضع إستنتاج جزئي للفصل في الأخير به جملة من الإستنتاجات.

– الفصل الثالث والمعنون النشاط الإقتصادي الجزائري في تونس ما بين 1628م– 1830م والذي بدأناه بتمهيد مبسط للولوج إلى الفصل، ولقد قسمنا هذا الفصل إلى أربع عناصر، العنصر الأول عنوناه بالمنتوجات الجزائرية المسوقة نحو تونس والذي تطرقنا فيه إلى تجارة الماشية الجزائرية في الأسواق التونسية

بأنواعها، ثم تطرقنا إلى سعر المواشي وقضية الدين في المعاملات التجارية، كما تناولنا فيه الأصناف الزراعية والصناعية المصدرة نحو تونس، ثم تحدثنا عن السلع التونسية المصدرة نحو الجزائر لكي يسهل لنا وضع تحليل ومقارنة بين كمية التسويق للإيالتين، وفي العنصر الثاني تطرقنا إلى سير القوافل التجارية الجزائرية نحو تونس، بداية من وضع تعريف القافلة ثم تناولنا مستلزمات القافلة بمختلف أنواعها، ثم تحدثنا عن أهم الطرق التجارية بين الجزائر وتونس، ثم تطرقنا في العنصر الثالث على الإمتيازات الجزائرية في تونس، والتي تمثلت في الهدايا والإحسانات كما تمثلت في الإمتيازات الجزائرية بجزيرة طبرقة، وفي العنصر الأخير تطرقنا إلى نشاطات التجار الجزائريين في تونس بمختلف أصنافها، ثم ارتأينا وضع إستنتاج جزئي للفصل في الأخير به جملة من الإستنتاجات.

– الفصل الرابع والمعنون بالحضور الإجتماعي والثقافي الجزائري في إيالة تونس ما بين1628م-1830م والذي بدأناه بتمهيد مبسط للولوج إلى الفصل، ولقد قسمنا الفصل إلى عنصرين مهمين، أول عنصر عنوناه بالتفاعل الإجتماعي الجزائري في إيالة تونس والذي بدوره قسمناه إلى نقطتين مهمين: أولهما ظاهرة الهجرة الجزائرية نحو تونس حيث تناولنا فيه أساسيات حول موضوع الهجرة الجزائرية نحو تونس من مفهوم ودوافع، ثم تحدثنا عن أهم الهجرات الجزائرية نحو تونس ومنها هجرات بني ميزاب وهجرات بني زواوة وهجرات قبيلة الحنانشة كما تحدثنا عن بعض الهجرات المتفرقة، ثم ارتأينا وضع آثار الهجرات الجزائرية على تونس، وثاني نقطة تطرقنا لها وهي القبائل الجزائرية في خضم الصراع الجزائري التونسي بداية من قبيلة الحنانشة ثم تحدثنا عن مساهمات الزواوة في الحروب التونسية وتجاوزات قبائل النمامشة وآخر نقطة تطرقنا لها هي أسرة إبن ناصر حكام خنقة سيدي ناجي ودورهم السياسي.

– وفي العنصر الثاني تطرقنا إلى الجزائر والحركية الثقافية في إيالة تونس 1628م- 1830م والذي قسمناه إلى أربع نقاط مهمة تحدثنا عن أهم الأمور بالتفصيل، بداية من المراكز العلمية المستقطبة للعلماء الجزائريين من خلال التطرق إلى المدن التالية القيروان وجامع الزيتونة وجربة، ثم تطرقنا إلى الرحالة الجزائريين في تونس ونشاطاتهم بداية من وضع مفهوما للرحلة ودوافعا وأهدافها وعن أهم الرحالة الذين زاروا تونس، ثم تحدثنا عن نشاط العلماء الجزائريين في تونس باختلاف أصنافهم، وآخر نقطة تحدثنا عنها هو الحضور الصوفي الجزائري في تونس من خلال التطرق إلى ماهية التصوف، ثم إلى الطرق الجزائرية التي نقلت إلى تونس أو ساعدوا في إنتشارها مثل الطريقة القادرية والطريقة الحشاشية والطريقة الرحمانية والطريقة التيجانية، ثم ارتأينا وضع إستنتاج جزئي للفصل في الأخير به جملة من الإستنتاجات، وختمناه **بخاتمة** للموضوع وجاءت على شكل استنتاج

للأطروحة ككل وإجابة مقننة للإشكاليات الموضوعة، ودعمناها بجملة من **الملاحق** ستكون دعما مساعدا وتبيانا للموضوع.

– **نقد المصادر والمراجع**: ولقد اعتمدت في إنجاز بحثي هذا على العديد من المصادر والمراجع، ويصعب ذكرهم كلهم في هذا المقام ومن بينهم ما يلي:

– **المخطوطات**: حاولنا إيجاد بعض المخطوطات التي تحاكي موضوعنا لكنها كانت قليلة، فالبعض مفقود وإن وجدت فهي محققة ولا يمكننا تعدادها ضمن المخطوطات وكان من بين المخطوطات المستعملة مخطوط لعبد الرحمن بن إدريس التنلالي التواتي مخطوط لا يحمل عنوان(مضمونه رحلة عبد الرحمن بن إدريس التنلالي التواتي من توات إلى الجزائر العاصمة سنة 1816م- 1231هـ)، والذي أفادنا في سرد حملة اللورد إكسموث.

– **الوثائق الأرشيفية**: استطعنا بفضل هذا المصدر المهم توثيق المعطيات التاريخية خاصة تلك الفرمانات الصادرة من السلطان العثماني، والمتمثلة في خط همايوني والذي أفادنا في وضع مضامين الصلح التي تمت بين تونس والجزائر، إضافة إلى دفتر مهم والذي يحتوي على معلومات قيمة حيث أفادنا كثيرا في الكشف عن المراسلات التي تمت بين السلطان العثماني وحكام إيالة الجزائر خاصة في قضية تحرير تونس، ولقد مثلت لنا دور الجزائر فيها، أما الأرشيف الوطني التونسي بنوعيه السلاسل التاريخية والدفاتر الجبائية فلقد أفادتنا في جميع الفصول لأهميتها الكبيرة في بحثنا وخاصة في الفصل الإقتصادي والتي خصت الأمور المالية والصادرات والواردات والهدايا وغيرها، كما أفادتنا فيما يخص دور الوكلاء الجزائريين في تونس بإعتبار هذا الجانب نادرة فيه المادة العلمية.

– **المصادر بالعربية**: بنوعيها الجزائري والتونسي فلا يمكن الاستغناء عنها ومن بينها:

1. كتاب **اتحاف أهل الزمان لملوك تونس وعهد الأمان** لأحمد إبن أبي الضياف بجزئيه الثاني والثالث والذي أفدني تقريبا في الفصول الثلاث الأولى سياسيا وعسكريا واقتصاديا، بإعتباره مصدرا مهما يؤرخ لتاريخ تونس خلال العهد العثماني .
2. كتاب **نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار** لمحمود مقديش وهو مصدر مهم أيضا بإعتباره عاصر الفترة المراد دراستها فلقد أفادني في التأريخ للأسرتين المرادية والحسينية، وفيما يخص الأزمات الحاصلة داخل البلاط التونسي، والحملات الجزائرية التي تعرضت لها تونس أيضا خلال تلك الفترة.

3. كتاب **صفحات من تاريخ تونس** لمحمد بن خوجة مصدر مهم أفادني في التأريخ للأسرة المرداية، ومصدر لإبن أبي الدينار الرعيني القيرواني والمعنون بـ **المؤنس في أخبار إفريقية وتونس**، والذي أفادني في الفصل التمهيدي ومشكلة تحرير تونس، كما استفدت منه في التوثيق للفتنة التي دارت داخل البلاط التونسي خلال العهد المرادي.
4. كما إستعنت بمصادر محلية جزائرية فمن المؤكد سوف تختلف النظرة في بعض المرات ومنها كتاب لحمدان خوجة والمعنون **بالمرآة** والذي استعنت به في التعريف بالوكلاء الجزائريين في تونس وطبيعة تواجدهم، وفي قضية لجوء حكام تونس إلى الجزائر خلال القرن الثامن عشر ميلادي.
5. كتاب **مذكرات** لأحمد الشريف الزهار والذي اشتغل منصب نقيب أشراف الجزائر ومن المؤكد كان مطلع على الخبايا السياسية آنذاك، واستعنت به في عدة قضايا من بينها قضية الصلح النهائي عام 1821م بين الجزائر وتونس، ودو الجزائر في الصراع القائم بين طرابلس الغرب وتونس، كما استفدت منه أثناء سرد الوقائع الحربية بين الجزائر وتونس مع بدايات القرن التاسع عشر ميلادي.
6. كتاب لمحمد صالح العنتري والمعنون **بالفريدة المنسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها أو – تاريخ قسنطينة –** وهو من المصادر المحلية التي تتبعت تاريخ الإيالتين بشكل دقيق ودور بايات قسنطينة في ذلك، حيث استفدت منه في عنصر الحدود وفي سرد الحملات العسكرية سواء على تونس أو التي شنت على قسنطينة من طرف بايات تونس، كما كنا نستعين به في أغلب الأحيان للتحدث عن الأوضاع العامة سواء في الجزائر أو في بايليك قسنطينة.

– **المراجع العربية**: لا يمكن الاستغناء عن مثل هده الدراسات الثانوية باعتبارها فرعية المواضيع، ومن بينها ما يلي:

1- كتاب **سياسة حمودة باشا في تونس 1782– 1814م** لرشاد الإمام والذي أفادني في التوثيق لحمودة باي تونس وعلاقته من جميع الجوانب مع الجزائر وخاصة في المجال العسكري، كما إستعنت به أيضا أثناء سرد الصراع بين البلدين الحروب مع مطلع القرن 19م، وكتاب بآخر لمحمد الهادي الشريف والمعنون **بتاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال** ولقد أفادني في التأريخ للتاريخ المرادي والحسيني وعلاقتهم الخارجية أيضا.

2- كما إستفدت من كتاب حسني عبد الوهاب حسن والعنون بـ **خلاصة تاريخ تونس** والذي استفدت منه كثيرا في البحث بإعتباره من المؤرخين التونسيين الذين تناول تاريخ المراديين والحسينيين بالتسلسل، وخاصة في قضية الفتنة التي درات داخل البلاط التونسي خلال العهد المرادي، وظاهرة اللجوء خلال العهد الحسيني.

3- كتاب عمار بن خروف **العلاقات السياسية بين الجزائر وتونس خلال القرن الثامن عشر** والذي تقريبا أفادني في الفصول الأربع كثيرا، ولم نستطع الإستغناء عن هذا الكتاب لما يحتويه من معلومات قيمة ونادرة في أغلب الأحيان، لأنه كان من بين المراجع التي أعطت صورا واضحة حول العلاقة بين البلدين خلال تلك الفترة وأعطى توثيق مفصل، كما إستعنت بكتاب **علاقات بايلك الشرق الجزائري بتونس أواخر العهد العثماني وبداية الإحتلال الفرنسي** لعميراوي حميدة في الفصل الأول فيما يخص قضية موقف بايات تونس من الحملة الفرنسية، كما إستعنت به في الفصل الثاني والرابع.

4- كتاب لمحمد العربي الزبيري **التجارة الخارجية للشرق الجزائري** وهو مرجع مهم جدا أفادني في الفصل الإقتصادي خاصة فيما يخص قضية الصادرات والواردات مع تونس، وعن طرق القوافل وغيرها من الأمور التي تخص هذا الجانب، وهناك كتاب لمعاشي جميلة **الأسر المحلية في بايليك الشرق الجزائري19-16 م** والذي إستفدت منه كثيرا في الفصل الرابع وبالذات في الجانب الإجتماعي خاصة فيما يخص بالقبائل الجزائرية الواقعة في الحدود.

5- كتاب **الأتراك العثمانيون في افريقيا الشمالية** لألتر عزيز سامح، ترجمة محمود علي عامر إستفدت منه في العنصر الخاص بحملة حملة شارل الخامس ومراحل تحرير تونس، كما أفادني في سرد وقائع الصراع الجزائري التونسي، إضافة لكتاب **الحوليات التونسية من الفتح العربي حتى احتلال فرنسا للجزائر** لروسو ألفونص،ترجمة وتقديم :الوافي عبد الكريم، وهو من المراجع التي يصعب الإستغناء عليها لأنه يحاكي تاريخ تونس بشكل مفصل فلقد أفادني في الفصلين الأولين بشكل كبير.

– **الدوريات بالعربية:** لا نستطيع بناء عمل دون الرجوع إلى المقالات فأغلبها دراسات حديثة ومن بين تلك المقالات:

1-مقال **وظيفة وكيل الجزائر لدى الدولة العثمانية وبعض إيالاتها من خلال بعض وثائق الرصيدين العثمانيين الموجودين في الجزائر** لبن نعماني سيدي أحمد، والذي استفدت منه كثيرا في الفصل الأول في العنصر الخاص بالوكلاء، كما إستعنت بمقال **المجال والسلطة في البلاد التونسية خلال العهد العثماني** لمنصف التايب في توضيح مسألة الحدود بين الجزائر وتونس سنة 1628م، كما استعنت بمقال **إحسانات**

بايات تونس لجماعة الحنانشة 1170هـ- 1756- 1192هـ- 1779م من خلال الدفترين 2244و2245 بالأرشيف التونسي لبن زردة توفيق وهو المرجع الوحيد الذي تكلم عن موضوع الإحسانات ولقد إستفدت منه كثيرا.

2-كما إستعنت بعدة مقالات لبكاري عبد القادر منها الإسهامات الثقافية والكتابات التاريخية لعلماء الجزائر العثمانية – أبو راس الناصري- نموذجا ومقال الرحلة ودورها في التدوين التاريخي الجزائري – رحلة أبو راس الناصري نموذجا-في التعرف بالرحلة وبالرحالة أبو راس الناصري في الفصل الرابع في العنصر الخاص بالجانب الثقافي، ومقال آخر لمحمة عائشة وبوسليم صالح والمعنون بـ **من مظاهر التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس خلال العهد العثماني 1519- 1830م هجرة العلماء والطلبة الجزائريين إلى تونس أنموذجا** والذي إستفدت منه أيضا في الفصل الرابع.

3- ومن بين الكتب التي كان لها الفضل في إنجاز هذه الأطروحة الكشاف الذي أنجزه خليفة حماش والمعنون **بـ كشاف وثائق تاريخ الجزائر في الأرشيف الوطني التونسي** والذي استعمل كدليل في البحث عن الوثائق التي تهمنا، كما كان مفتاحا لفهم أغلب الوثائق لأرشيفية.

4-أما فيما يخص الكتب الأجنبية فلقد **استعنت بالمراسلات المنشورة باللغة الأجنبية** والتي تمثلت في وثائق نشرها دوغرامون والمتمثلة في**Correspondance Des Consuls D'Alger (1690- 1742),** وأوجين بلانيت وكتابه معنون بـ **Correspondance Deys D'Alger avec La cour de La France 1579- 1833**وهي من الوثائق المنشورة والتي تعتبر مصدرا مهما وأفادنا كثيرا في التوثيق للصراع العسكري الذي دار بين الجزائر وتونس من حملات وغيرها كما صورت لنا الوثائق الوضع العام في الجزائر والحملة التي تعرضت لها الجزائر من طرف المغرب وغيرها من الأمور التوثيقية.

5-أما المصادر الأجنبية فلقد اعتمدت على كتاب **Histoire du royaume d'Alger** للوجي دوتاسي ولقد أفادني في الفصل الثاني من خلال سرد الوقائع الحربية بين الجزائر وتونس، كما إستعنت بكتاب **Histoire de Constantine** لأرنست ميرسي وهو من بين المصادر التي استفدت منها أيضا في الفصل الرابع فيما يخص القبائل الحدودية الواقعة بين الإيالتين وعن أصولها أيضا.

6-ولقد إستفدنا من بعض المقالات الفرنسية الموجودة في المجلة الإفريقية ومنها لفاييست والمنشور في المجلة الإفريقية بعنوان **Histoire des derniers beys de Constantine depuis 1793 jusqu'à**

la chute Hadj Ahmed ولقد أفادني في التعريف بثورة ابن الأحرش والتعريف ببايات قسنطينة أحيانا، وفي الحروب الدائرة بين الايالتين مع مطلع القرن 19م أحيانا أخرى.

وغيرها من المصادر والمراجع التي إعتمدت عليها والتي يصعب ذكرها هنا ولكن كان لكل كتاب إفادة.

– **الصعوبات**: من الطبيعي أن يواجه الباحث عدة صعوبات عند إعداده للبحث، خاصة إن كان صاحبه يريد الخروج بنتيجة مرضية، ومن بين الصعوبات التي واجهتنا ما يلي:

1. تتمثل أساسا في وضع هيكلة للموضوع وهذا دلالة على صعوبته وجديته، وذلك نظرا لتداخل الموضوعات مع بعضها وتنوعها وغزارتها في بعض المجالات وندرتها في بعض المجالات، ولكن بفضل دعم الأستاذ المشرف ونصائحه الدائمة استطعنا وضع الهيكلة الأخيرة ودراسته وإخراجه إلى النور.
2. لم تغطي الفترة القرن 17م ولكن حاولنا قدر المستطاع إعطاء ولو يسر قليل منه، وتعويضها بما وفر من مادة علمية خلال القرن 18م وإعطاء صورة واضحة المعالم لطبيعة الحضور الجزائري في تونس خلال تلك الفترة.
3. قلة المادة العلمية التي تخص الجانب الإقتصادي والإجتماعي الذي يربط البلدين، وهذا ما فسر لنا عدم وجود دراسات علمية في المجالين السابقين وهذا يفسر تخوف الباحثين من الغوص فيه، والذي لايزال الإقبال عليه محتشما جدا، ولهذا فدراسة هذا الجانب يحتاج نوعا من المغامرة.
4. ومن الصعوبات التي واجتنا واجهتنا لعل أهمها هو صعوبة قراءة الوثائق الأرشيفية، والتي اعتمدنا عليها تقريبا في بعض العناصر بشكل كبير ولدراسة هذا الموضوع أيضا، كما أن أغلب المخطوطات التي تتناول بحثنا محققة فجعلت موضوعنا يفتقر لمثل هذه المصادر المهمة، وما يغص في القلب أيضا بعض المخطوطات متلفة أو مفقودة ونفس الشيء للخط الهمايوني فبعضه مفقود، وحتى بعض وثائق الأرشيف الوطني التونسي المهمة جدا لم يحالفنا الحظ في وجودها بسبب فقدانها كما قيل لنا أو في الصيانة.

وعليه أتشكر أعضاء لجنة المناقشة الذين تكبدوا وتحملوا متاعب قراءة ومناقشة الأطروحة، وعليه فأنا كلي آذان صاغية لهم لتسجيل ملاحظاتهم، وفي الأخير أرجوا أن يكون هذا العمل خالصا لوجه الله تعالى ولرسوله محمد عليه أفضل الصلاة والسلام... والله ولي التوفيق.

الطالبة: زهيرة سحابات

الفصل التمهيدي

بوادر الحضور الجزائري في تونس قبل 1628م

أ . أزمة البلاط الحفصي ومتغيرات القرن السادس عشر ميلادي

ب . دور إيالة الجزائر في إلحاق تونس بالدولة العثمانية

ب. 1. جهود خير الدين باشا1534م

ب. 2. جهود العلج علي باشـــا 1568م- 1574م

ج . مسألة تبعية تونس بين الجزائر والباب العالي

د . فرمان 1587 وتداعياته على إيالة تونس والجزائر

أ. أزمة البلاط الحفصي ومتغيرات القرن السادس عشر ميلادي:

يعتبر الموقع الجغرافي والمعطيات الطبيعية من الشروط الأساسية في تكوين الدول عبر كامل العصور التاريخية، ومن المعلوم مملكة تونس[1] كانت ضمن الحكم الحفصي والتي أسسها أبو زكريا يحي بن حفص، وهذا بعد أن استقلت رسميا عن الموحدين سنة 1236م، وقد كان يتبع مؤسسها سياسة اللين وهذا ما اتبعه الملوك الحفصيين من بعده، ما جعلها عرضة للانقسامات داخل الدولة فيما بعد[2].

ينتسب الحفصيين إلى الشيخ أبي حفص يحي بن عمر الهنتاتي[3]ولقد حظيت الدولة الحفصية منذ استقلالها عن الموحدين بنفوذ واسع لم يتسنى لكثير من الدول في تلك الفترة سواء المرينيين أو الزيانيين، ولكن سوء التسيير والإدارة كان عنوان هذه الدولة فيما بعد [4]،خاصة مع بداية القرن16م حيث تخوفوا من النفوذ العثماني أو بالأحرى نفوذ الإخوة بربروسا[5]في تونس والذين مكثوا بجربة عام 1504م[6]، وهذا بعد أن تم الاتفاق بين عروج[7]وملك تونس آنذاك من أجل توسيع نشاطه التجاري في المنطقة ولكن طلب منه هذا الأخير دفع عشر الغنائم مقابل نشاطاته في مياههم الإقليمية وكان الإتفاق بين الطرفين على هذا الشأن منتهي [8].

1- للإطلاع على خريطة مملكة تونس ينظر الملحق رقم 01، ص 238.

2- محمد الهادي شريف، **تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ الى الاستقلال**، تع محمد الشاوش ومحمد عجينة، ط3، دار سراس للنشر، تونس، 1993، ص– ص 52– 66.

3- هنتانة قبيلة بربرية عظيمة تلتحق بالصامدة التي هي من أكبر القبائل بالمغرب الأقصى. ينظر: حسن حسني عبد الوهاب، **خلاصة تاريخ تونس**، ط 3، دار الكتب العربية الشرقية، تونس، 1373هـ، ص 105.

4– نفسه، ص 124.

5- أطلق الأوروبيون على الأخوين عروج و خير الدين لقب بربروس بسبب لحية عروج و خير الدين الحمراء المائلة الى الصفرة، والاخوة بربروسا هم أبناء يعقوب بن يوسف كان يقطن بجزيرة مدلي ((متيلان)) في أرخبيل اليوناني تزوج بنت من النصارى اشتهر والدهم بالفخار ثم صار جنديا في حضرة السلطان الغازي محمد خان الثاني، وله أربعة أولاد وهم عروج، خير الدين، إسحاق وإلياس .ينظر عزيز سامح التر، **الأتراك العثمانيون في افريقيا الشمالية**، تر: محمود علي عامر، دار النهضة المغربية للطباعة والنشر ببيروت، ط1، 1989، ص27، ومجهول، **الخبر عن قدوم عروج رايس إلى الجزائر و قدوم أخيه خير الدين**، م.و.ج، مصلحة المخطوطات رقمه 1623، ص 1.

6- Fray Diego de Haedo, **Histoire des rois d'Alger**, trad. : h- d . de Grammont, libraire éditeur, Alger, 1881, p08.

7- يقول هايدو في هذا الشأن أي بخصوص تسميته ببابا عروج أن هذا الاسم كان يعطي فقط للرجال المسنين كعلامة على الإحترام الودي .ينظر: Fray Diego de Haedo, op.cit, p 46.

8- Ibid, p 06.

كانت الدولة الحفصية تعاني يومئذ من الانحطاط والتخلف السياسي وهذا بعد أن تولى أمرها السلطان الحسن بن محمد الذي خلف أباه محمد بن الحسن على العرش ، ولك أن تتصور انهيار الدولة تحت هؤلاء الملوك وهي بين قوتين وهيبتين قوة الإسبان وقوة العثمانيين، وأسوق لك ما قاله الدمشقي في أخبار الدول نقلا عن أحمد توفيق المدني:«...**وكان محمد بن الحسن مشتغلا باللهو والخمر، مهملا لأمور الملك وترك خمسة وأربعين ذكرا ،خلفه منهم الحسن، فقتل إخوته**[1]**، ولم ينجح منهم إلا الرشيد وعبد المؤمن ولغيبتهما اشتغل مثل أبيه بالخمور والفجور، وجمع حوله أكثر من أربعمائة غلام فمالت عنه الأمة إلى الرشيد»**[2] .

ومهما يكن من الأسباب فالنتيجة واحدة حكم متضعضع وسكان غير راضين على ملكهم الحسن الحفصي[3]، لما يتميز به هذا الرجل من طباع سيئة وحادة وقاسية، حيث لم يسلم منه حتى إخوته ماعدا واحدا فيهم الذي استطاع الفرار وهو الرشيد الذي فر إلى الجزائر ورحب به خير الدين الذي كان مقيما بمدينة الجزائر، والذي اقتاده معه إلى القسطنطينية فيما بعد، وهناك اقترحوا على السلطان العثماني سليمان القانوني[4]بمعية رشيد الحفصي بأخذ تونس من الإسبان[5].

تقع تونس بين الحوضين الشرقي والغربي للبحر الأبيض المتوسط، ومع بداية القرن 16م ومع التحولات الجارية أصبحت لها أهمية استراتيجية كبيرة بحيث شكلت حلقة وصل بين مقر الدولة العثمانية وإيالة الجزائر [6]،وعليه أصبحت الفرصة مواتية لأتراك الجزائر للسيطرة عليها قبل أن تسقط نهائيا بيد الإسبان، ولهذا

---

[1]- يذكر أنه قام بخنقهم واحد تلو الآخر ولم ينج إلا الرشيد الذي استطاع الفرار.ينظر:

Elie De LA Primoudaie, Documents inédits sur l'histoire De l'occupation Espagnole en Afrique (1506- 1574), **R.A**, N° 19, Alger, 1875,p 344.

[2]-أحمد توفيق المدني، **حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر و اسبانيا 1492م- 1792م**، دار البعث، د.س، ص ص 229، 230.

[3]- Fray Diego de Haedo, op.cit, p46.

[4]- سليمان القانوني ولد في 1شعبان 900هـ، تولى الحكم عام 926هـ، وهو الذي عين خير الدين أميرال على البحرية العثمانية، وكان قد وسع دائرة النفوذ للدولة العثمانية. ينظر محمد فريد بك المحامي، **تاريخ الدولة العلية**، تح: إحسان حقي، ط1، دار النفائس، بيروت، 1981، ص ص 88- 95.

[5]- Louis Piesse, **Itinéraire de L'Algérie de la Tunisie et de Tanger**, Librairie Hachette, Paris, 1882, p483.

[6]- عمار بن خروف، **العلاقات بين الجزائر والمغرب 923هـ- 1069هـ - 1518م- 1659م**، رسالة ماجستير في التاريخ، قسم التاريخ، جامعة دمشق، 1983، ص 32 .

لم يتردد خير الدين في تنظيم حملة عسكرية على تونس بحيث تحمسوا للأمر خاصة بعد تدخلهم المباشر على الجزائر وضمها للعثمانيين، وهذا ما جعل الحسن الحفصي يتحالف مع الإسبان تخوفا من ضياع حكمه وعلى عرشه في السلطنة الحفصية، وإن كان مكتوب على الدول مهما عمرت وطالت فنهايتها الزوال ولكن التحالف مع الصليبيين هو أكبر خطأ اقترفه الحفصيين.

ب. دور إيالة الجزائر في إلحاق تونس بالدولة العثمانية:

إن عثمنة[1] الفضاء المغاربي قد ورد مبدئيا في إطار مبادرات شخصية، فوصول الأخوين بربروسا إلى سواحل شمال إفريقيا، كان وراء عثمنة الفضاءات المغاربية بشكل لا رجعة فيه فيما بعد، بدءا بالجزائر سنة 1520م ثم طرابلس الغرب، وأخيرا تونس والواقع أن الجزائر لم تعرف ولادتها الحقيقية ذات البعد الجغرافي والسياسي إلا بعد وصول هاتين الشخصيتين الإستثنائيتين عروج وخير الدين، اللذان سعيا قبل هذا جلب اهتمام السلطان الحفصي كما ذكرنا آنفا ثم الأهالي، وهذا بفضل نجاحاتهما وإنجازاتهما البحرية ضد سفن الأعداء[2] وبالتالي كسب ثقة الجزائريين الذين رأوا فيهم المخلص من الغزو الإسباني، وبما أنهم حققوا مبتغى هؤلاء جاء الدور على سكان تونس الذين تأملوا هم أيضا فيهم خيرا.

تظافرت الأسباب التي تدعو إلى ضرورة توجيه حملة عثمانية نحو تونس، وعلى هذا الأساس سعى السلاطين العثمانيين وحكام الجزائر الذين عانوا هم أيضا من مؤامرات السلطان الحفصي إلى عثمنة هذه المنطقة لتوسيع ممالك العثمانيين من جهة، ولحماية إيالتها في شمال أفريقيا من المد الاسباني من جهة أخرى، وتكون الإيالة [3]الجزائرية هي المسؤولة عن هذا المشروع التوسعي.

---

[1]- أي دخولهم ضمن ممتلكات الدولة العثمانية.

[2]- عبد الجليل التميمي، **دراسات في التاريخ العثماني المغاربي خلال القرن السادس عشر**، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، 2009، ص99.

[3]- الإيالة مصطلح عثماني يطلق على أكبر التقسيمات الإدارية في الدولة العثمانية، فقد كانت الدولة مقسمة إداريا إلى إيالات والإيالات إلى سناجق والسناجق الى أقضية والأقضية إلى نواح والنواحي إلى قرى ولقد أشرف على الإيالات في الدولة العثمانية أمير الأمراء ثم الوزراء بعد القرن 16م حيث كانوا يمثلون السلطان ويجمعون بين الحكم الإداري والعسكري بالإيالة، ولهم النفوذ المطلق ما عدا الحالات القضائية. سهيل صابان، **المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية**، مطبوعات الملك الفهد الوطنية، الرياض، د.س، ص45.

ب.1.جهود خير الدين باشا 1534م:

إن التوغل العثماني بالجزائر وانضواءها تحته قد يسهل وبلا شك فيما بعد تشكيل وحدة في الفضاء المغاربي، كما سيسمح بتبني أنظمة إدارية جديدة لم يعرفها هذا الفضاء فيما سبق، ولقد طلب السلطان العثماني من حاكم الجزائر رفع التحدي وضم تونس إلى الدولة العثمانية في أسرع وقت.

يجدر بنا الإشارة هنا أنه مع سنة 1531م أرسلت بعثة دبلوماسية تونسية إلى السلطان سليمان القانوني تشرح له مدى ضعف الوضعية العسكرية والسياسية للحفصيين أمام جار أثبت قوة تمركزه على الصعيد العسكري، ضف إلى ذلك استحالة التنبؤ في تلك الفترة بخططه وتحركه مستقبلا وتوسيع سلطته ونفوذه في مملكة الحفصيين المنهارة، وإن كان الهدف الجوهري من إرسال هذه البعثة الدبلوماسية التونسية إلى إسطنبول سنة 1531م المسعى منها كسب موافقة السلطة الدينية والسياسية للدولة العثمانية على هدنة مع إيالة الجزائر والتي بينت الأحداث أن لها طموحات ترابية في مملكة الحفصيين[1].

سافر خير الدين بربروس إلى اسطنبول بدعوة من السلطان سليمان القانوني سنة1533م من أجل استلام قيادة الأسطول العثماني، وفي طريق عودته إلى الجزائر لم تساعده الرياح التي ساقته إلى بنزرت من ناحية تونس فأرسى بها وكانت هناك قلعة بهذه البلدة، فلما رأى العامل على هذه القلعة خير الدين باشا فر هاربا إلى تونس حيث أخبر سلطانها الحفصي حسن بقدوم خير الدين ودخول أهل تلك الناحية في طاعته، فتحير السلطان الحفصي من ذلك واندهش وكان أهل تونس قد كرهوا من سلطانهم هذا لأنه كان ظالما عدوانيا ولما سمعوا بقدوم خير الدين إلى بنزرت كتبوا إليه يحثونه على القدوم اليهم لما سلف من إحسانه لهم [2].

وعلى هذا الأساس استلم خير الدين باشا قيادة الأسطول العثماني في سنة 1533م وابتدأ أولى أعماله البارزة في التاريخ وهو الإقدام على ضم تونس إلى السيادة العثمانية في سنة941هـ- 1534م تمهيد لبسط سيادتها على شمال افريقيا ككل[3].

خرج أسطول خير الدين باشا في 18 أوت 1534م يحمل على متنه حوالي 1800 انكشاري وحوالي 6500رجل من أصول مختلفة وحوالي 600من الأعلاج، توقف الأسطول عدة مرات في كلابريا

---

[1]- عبد الجليل التميمي، المرجع السابق، ص101.

[2]- محمد العباسي، **أعمال خير الدين بربروس العسكرية في الجزائر من خلال مخطوط خبر قدوم عروج رايس الى الجزائر وأخيه خير الدين لمؤلف مجهول من سنة 918هـ- 1512م- 953هـ- 1546م**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2005- 2006، ص ص 98، 99.

[3]- عمار بن خروف، المرجع السابق، ص 32.

(جنوب إيطاليا)لجمع الغنائم والعبيد والماء والخشب، ولما بلغ مدينة عنابة وجد في انتظاره إمدادات جاء بها حسن أغا، وسار الجيش التركي برا نحو بنزرت وبحرا نحو حلق الوادي التي اختارها خير الدين من أجل حماية جيشه[1]، في حين خرج الحسن الحفصي على رأس 4000فارس عربي[2] حيث كان خير الدين على علم بأن السلطان الحفصي مولاي حسن كان يتفاوض مع شارل الخامس[3] من أجل التدخل وتقديم المساعدة له[4]، إلا أن النصر كان من نصيب خير الدين ودخل مدينة تونس دون مقاومة، وخرج منها السلطان الحفصي حسن فارا إلى عرب البادية، واستقبل على إثرها خيرالدين استقبالا حارا من طرف سكان تونس والذين كانوا سعداء جدا بالإنضمام إليه[5].

إلا أن سكان المدينة ما لبثوا أن ثاروا على خير الدين وهذا عندما علموا أنه لم يصطحب معه الأمير الرشيد الحفصي لتنصيبه كما تم حسب اتفاقهم معه، وأنه أخذ تونس باسم السلطان العثماني سليمان القانوني، ولقد رجع السلطان الحفصي حسن وقاد ثورة ضد خير الدين إلا أن هذا الأخير تمكن من القضاء على ثورتهم بعنف، وفر حسن ثانية إلى طوائف العرب في دواخل تونس بينما قبل سكان تونس العاصمة بالأمر الواقع[6]، واستطاع خير الدين من عثمنة واحتواء تونس بعد ثلاث سنوات فقط من تاريخ البعثة المذكورة آنفا إلى إسطنبول ما يؤكد صدق مخاوف السلطان الحفصي يومئذ من جاره العثماني بالجزائر، وعليه بعد فتح خير الدين لتونس وطرد الاسبان منها، أصبحت تونس تتبع الجزائر مباشرة أي إلى بايلربايات الجزائر ومن ثم إلى الباب العالي وكل هذا سنة 1534م[7].

---

[1]- صالح عباد، **الجزائر خلال الحكم التركي 1514م – 1830م**، ط2، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ص62.

[2] - Elie De LA Primoudaie, op.cit, p346.

[3]- ولد شارلكان سنة 1500م وورث ملك اسبانيا عن والدته جان ابنة فرديناند وايزابيلا وانتخب أميرا لألمانيا بعد موت جده لأبيه الامبراطور ماكسيمليان وقضى أيامه في محاربة فرانسوا الأول، وحارب خير الدين باشا أمير البحر كشمير باربروس وقصد الاستيلاء على مدينة الجزائر، ولكن لم يفلح بذلك، تنازل ملك اسبانيا لابنه فبايب وعن ألمانيا لأخيه فرديناند، كما اعتزل في أحد الأديرة حتى توفي سنة 1658م .ينظر: ابراهيم سعيود، القرصنة المتوسطية خلال الفترة الحديثة "القرصنة الايطالية نموذجا"، **مجلة الواحات للبحوث والدراسات**، ع 11، رجب 1432هـ- جوان2011م، جامعة غرداية، ص161.

[4]- Fray Diego de Haedo, op.cit, p49.

[5]- Ibid, p 48.

[6]-عمار بن خروف، المرجع السابق، ص 32.

[7]- Henri Mager, **Atlas D'Algérie et Tunisie**, Ernest Flammarion Editeur, 1901, p82.

لم يبقى أمام حسن المخلوع سوى العمل بنصيحة أحد أعلاجه[1] الذي طلب منه أن يستعجل بالاستنجاد بشارل الخامس لاستعادة عرشه [2]، وحتى استيلاء خير الدين على تونس لم يرضي الاسبان ولا الدويلات الايطالية، ولذلك صمم شارل الخامس على قبول نجدة الحسن وإقصاء بربروسا من تونس ومن شمال افريقيا ككل، وما زاد تصميمه وعزمه هو الاستعطاف والإغراء الذي شمل الخطاب المبعوث من طرف الملك التونسي له الذي وعده بتبعية تونس لهم في حال القضاء على الحكم التركي في تونس[3].

أما قوات الأرمادة الاسبانية فلقد تكونت من :

***القوات البحرية مكونة من:**

1- الفرقة الإسبانية الجنوية وبلاد الفلاندر تتكون من 54سفينة(غالير) و70 سفينة كبيرة و24 سفينة ابريقية تحت قيادة أندري دوريا (André Doria) .

2- الفرقة البرتغالية تتكون من 27سفينة تحت قيادة أنطوان سالدانا (Antoine Saldanha) .

3- الفرقة الإيطالية المالطية تتكون من 36 سفينة حربية غالير و28 سفينة ضخمة تحت قيادة ألفار بازان (Alvar Bazan).

***القوات البرية مقسمة بدورها إلى عدة فرق وهي:**

1- الفرقة الإسبانية تتكون من 4000 رجل من قدماء المحاربين الإيطاليين تحت قيادة الجنرال ماركي دي قاست(Marquis de Guast).

2- الفرقة الإسبانية تتكون من الجنود الجدد وعددهم 8000 جندي تحت قيادة الدوق الألب فرديناند الطليطلي"(Ferdinand de Toléde).

3- الفرقة الألمانية وتتكون من 7000 رجل تحت قيادة ماكسيميليان بيادرا بونا (Buena Maximilien Piedra).

4- الفرقة الإيطالية تتكون من 4000 رجل تحت قيادة أمير سالرن.

5- الفرقة البرتغالية تتكون من 2000 رجل تحت قيادة دون لويس (Don Louis)ابن ملك البرتغال.

---

[1]- وهو من أصل جنوي، صديق حميم لحسن الحفصي اسمه إكسيما أو خيماXimea.**ينظر:** شافعي درويش، "الحملة الاسبانية على تونس سنة 1535م"، **مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية**، ع30، سبتمبر2017، ص5.

[2]- صالح عباد، المرجع السابق، ص، 62.

[3]- شافعي درويش، المرجع السابق، ص5.

6- الفرسان وهم من النبلاء من جميع أمم أوروبا وعددهم 1000 رجل 500 فارس إسباني تحت قيادة الماركيز دي مونديغار (Marquis de Mondigar)[1] .

أما استعدادات خير الدين كانت متأخرة نوعا ما، حيث حضرها وجهزها مع اقتراب الحملة على تونس، ولكنه كان قد أرسل خبرا للسلطان العثماني سليمان وأبلغه بضرورة التعجيل بالأنجاد وإلا ضاع جيش البحر وضاعت معه ولايات الترك في بلاد الغرب المتوسط، وكان قد أقام الحواجز في مضيق حلق الوادي ونصب المدافع، وتم تجهيز اثنتي عشر سفينة حربية كانت راسية في الميناء، بينما قام بإخفاء سفن أخرى عن الأنظار مع 12 ألف جندي أو 18 ألف جندي في حين قدرت القوات الإسبانية بـ 100 ألف جندي[2].

انطلق الأسطول الاسباني في 31ماي 1535م والمتكون من450قطعة بحرية تحمل30ألف رجل من برشلونة تحت قيادة شارل الخامس الذي بلغ خليج تونس يوم15جوان على الرغم من المقاومة العنيفة إلا أنه استطاع الاستيلاء على حلق الوادي، ما اضطر خير الدين إلى الانسحاب، وبعدها تدعم الصف الإسباني مجددا بعرب القيروان[3] إلى جانب مولاي حسن حليف الإسبان[4]ومعهم حوالي 10آلاف أسير مسيحي فروا من السجون، حيث حوصروا تونس فما كان على خير الدين إلا مغادرتها صحبة خمسة آلاف رجل تاركا وراءه العديد من الجنود والعتاد، وعلى إثرها حقق شارل الخامس انتصارا، حيث أعطى الضوء الأخضر لجنوده بنهب المدينة عقابا لسكانها الذين لم يحسنوا استقبال المولاي حسن بحفاوة، وعلى إثر هذا الانتصار وقع مولاي حسن معاهدة مع شارل الخامس، وإن كانت هذه المعاهدة قد وضعت مولاي حسن في أدنى مراتب الذل والإهانة وقد تضمنت المعاهدة على ما يلي:

1- اطلاق سراح جميع الأسرى المسيحيين الموجودين في تونس.

2- السماح للمسيحيين بالمتاجرة والسماح لهم بالصيد في الشواطئ التونسية، وبناء الكنائس في مدينة تونس.

3- دفع 12ألف دوقة سنويا 12حصانا للملك[5].

1- الشافعي درويش، المرجع السابق، ص 6.

2- نفسه، ص 7.

3- عرفها حسن الوزان على أنها مدينة أصيلة أسسها عقبة بن نافع رضي الله عنه على بعد 36ميلا من البحر الابيض المتوسطو100ميل من تونس .ينظر :حسن الوزان، **وصف إفريقيا**، تر :محمد حجي و محمد الأخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983، ج2، ص87.

4- صالح عباد، المرجع السابق، ص 62.

5- نفسه، ص ص 62، 63.

وتوعدت إسبانيا في المقابل بحماية تونس، حيث ترك شارل الخامس حامية تضم ألف رجل و10قاليات من أجل حمايتها[1]، أما بخصوص الشروط فإذا تخلف مولاي حسن عن أي شرط سيدفع 50ألف دوقة وفي المرة الثانية 100ألف دوقة وفي المرة الثالثة تؤخذ البلاد منه [2].

نجحت حملة شارل الخامس على تونس وأخذت مستوى كبير من الحيز الإعلامي ووصل صداها لجل الدول الأوربية، فهي تؤكد على مسيرة الصراع الحضاري بين ضفتي المتوسط إسلامي مسيحي من جهة وصراع بين الشرعية واللاشرعية حيث الشرع هو تنحية الحفصي من ملك تونس وهو حقه واللاشرعية يمثلها خيرالدين المغتصب للحكم وهذا يعد باطلا [3]، أما مصير خير الدين ومع هزيمته أمام شارل الخامس سنة 1535م غادر الجزائر ثم راح للأستانة من أجل أن يتولى قيادة الأسطول العثماني[4].

حتمت الظرفية آنذاك على تونس أن تبقى بين مد وجزر، حيث كان شارل الخامس مع أخيه ملك النمسا منشغلين في حروبهم مع الأتراك تارة ومع الفرنسيين تارة أخرى، حيث لم تبذل اسبانيا جهدا كبيرا لدعم وجودها في تونس ولمدة ربع قرن تقريبا، لأن الخلافات بين الأمراء الحفصيين المتتاليين على السلطة وصراعهم على العرش ودخولهم في سياسة التحالفات وتأرجحهم بين التحالف مع الأتراك مرة ومع الإسبان مرة أخرى جعلهم لا يضمنون لهم جانب وبقيت تونس على حالها لمدة.

ب.2. جهود العلج[5]علي[6] 1568م– 1574م:

اغتنم العلج علي بايلرباي الجزائر عام1568م الأوضاع العامة المتردية في تونس على عهد السلطان حميدة بن الحسن الحفصي والدعوة التي تلقاها آنذاك العلج من بعض الناقمين على الوضع من أعيان تونس

---

[1] - Louis piesse, op.cit, p 484.

[2]- عزيز سامح التر، المرجع السابق، ص 12.

[3]- حسام الدي شاشية، "مراجعة كتاب تونس 1535م أصوات من حملة أوربية"، **الكراسات التونسية**، ع 218 -219، تونس، 2014، ص ص92، 93.

[4]- Defontin Maxange, **Alger avant La conquête - Eulg Ali-** , A.Pedone Editeur, Paris, 1930,p48.

[5]– إسم يطلق على المسيحي الذي يعتنق الإسلام.

[6]- علج علي أصله من كلابريا أسر وعمره عشرون سنة، لقب بالفرطاس، اعتنق الاسلام وعمل بحارا ثم انظم إلى درغوث في طرابلس، من أهم إنجازاته مشاركته في حرب مالطة وليبانت ومساندته لمسلمي الأندلس وتحريره لتونس، ولقد عين بايلربايا للجزائر عام 1568م.ينظر: صالح عباد، المرجع السابق، ص 90.

ورجالاتها ومنهم الطيب الخضار، وانشغال الإسبان بقضية الأندلسيين في جانفي 1569م[1]، وراح يحمل على عاتقه قضية تحرير تونس نهائيا منها، والتخلص من السلاطين الحفصيين الذي طالما رضخ جلهم للإسبان متناسيين لما يحصل لبلدهم بسبب تصرفاهم وتحالفاتهم.

غادر العلج علي مع محلته التي جهزها تجهيزا كاملا متوجها نحو تونس من أجل تحريرها وهذا في شهر سبتمبر 1569م [2]، وكان قد وصلها في أكتوبر1569م وكانت معه قوة تتألف من خمسة ألاف رجل، وفي سيره انظمت إليه قوات من قسنطينة وتونس وانضمت على إثره قوات أخرى من المتطوعين من قبائل عمراوة وقرفة وسويد قدرت بنحو سبعة(7)ألاف رجل[3].

استطاع العلج علي مع قوته العسكرية الكبيرة من تحرير تونس وتحقيق الإنتصار على السلطان الحفصي، وفي هاته الأثناء أرسل العلج علي في طلب الأسطول العثماني من أجل القضاء على الحصن الإسباني القوي نهائيا في حلق الوادي إذ بدون القضاء على هذا الحصن تبقى تونس معرضة للخطر من طرف الإسبان في كل لحظة، أما السلطان العثماني فلقد كان بحاجة إلى الأسطول لفتح قبرص، فلم يجبه هذا الأخير بطلبه وعاد إلى الجزائر تاركا حلق الوادي المحتل على حاله[4]، وعلى هذا الأساس ربطت تونس مع بعض المناطق الداخلية إداريا بالجزائر ما عدا حلق الوادي مع سنة 1570م- 978هـ وهذا بعدما كلف رمضان باشا بحمايتها [5].

هذه المعطيات التاريخية هي التي شجعت الجزائر على ممارسة نفوذها على تونس خاصة بعد الإلحاق الجزئي بها وعليه ألحقت بالجزائر رسميا وأصبحت تابعة لها وتمارس نفوذها عليها، وهذا بعدما سعت طرابلس الغرب إلى ضم بعض المناطق التونسية إلى أراضيها، وكان هذا على إثر إرسال أمير أمراء طرابلس في هذا الشأن يتضرع إلى السلطان العثماني بضرورة إلحاقهم بها، مدعيا أن هذه النواحي كانت تابعة لها، إلا أن رد السلطان العثماني تجاهل هذا الطلب وأمرهم بالتشاور مع العلج علي فيما يخص شأن تونس، وأكد على ضرورة إعلامه

---

[1]- عمار بن خروف، المرجع السابق، ص 50.

[2]- Adrien Berbrugger, **Geronimo le martyr du fort des Vingt Quatre Heures**, Bastide Libraire Editeur, Paris, 1859, p104.

[3]- ابن أبي الدينار الرعيني القيرواني، **المؤنس في تاريخ افريقيا وتونس**، ط1، مطبعة دولة تونس، تونس، 1869، ص 163.

[4]- عمار بن خروف، المرجع السابق، ص 50.

[5]- عزيز سامح ألتر، المرجع السابق، ص 238.

بما يجري في الجهة الغربية للدولة العثمانية، وهذا ما تؤكده لنا الرسالة المؤرخة في 17محرم 979هـ والتي تضمن محتواها ما يلي: «**جاء بنية إعلام الباب العالي[1]بكل أخبار العدو وماهي الإستعدادات بشأن الهجوم على أسطول وجزر الكفار، كما تم تفويض هذا الأخير بتسيير أمور الأسطول الهمايوني وتدبير شؤونه وترتيبه ومن جهة أخرى استفسار ومناقشة مع علي أمراء الجزائر الغرب الذي أعرب عنه جعفر باشا أمير طرابلس الغرب حول وجوب فصل كل القيروان والمنستير وسوسة عن تونس والحاقهم بطرابلس الغرب وعليكم الأخذ برأي علي بايلرباي الجزائر بشأن تونس وماصلتها بطرابلس الغرب [2]**».

بقي الأمر في تونس متأرجحا ومتوترا لحد كبير فمناطقها الداخلية ليست في مأمن، فمنها ما هو تابع للجزائر ومنها ما هو تحت وطأة الاحتلال الإسباني، ومنها القيروان التي شدد في أمرها السلطان العثماني وطلب من بايلرباي الجزائر إلحاقها إلى باقي المناطق المحمية[3]، وهذه المستجدات الجديدة جعلت طرابلس الغرب تسعى جاهدة لضم المناطق الآنفة الذكر، وهذا ما أزعج أعيان تونس الذين راسلوا السلطان العثماني يخبروه فيه على عدم رضاهم إلى الانضمام لطرابلس الغرب بسبب المعاملة السيئة وأنهم يفضلون تبعيتهم للجزائر عليها وهذا ما تؤكده الرسالة المؤرخة في 18محرم 979- 1571م حيث تضمنت ما يلي: «**وعليه طالب أعيان وعلماء تونس ومن طرابلس أيضا بعدم رضاهم بانضمامهم إلى تلك النواحي [يقصد طرابلس الغرب] وأنهم يفضلون الانضمام إلى الجزائر لما يلقوه من حسن معاملة وحتى أن بعض رجالكم ويقصد طرابلسيين بإلحاق الضرر والتعدي عليهم، وعليه أمرنا بالإبقاء على تلك المناطق أن تتبع الإيالة الجزائرية وعليك بعدم التدخل في شؤونهم وإن حصل العكس فعليك تحمل العواقب وعليك تنفيذ الأوامر ولا تضيع ولا دقيقة واحدة[4]**» ويؤكد فيها أيضا بصريح العبارة تبعية تونس للجزائر، وعليه ألحقت المناطق الآنفة الذكر إلى إيالة الجزائر بطلب من السلطان العثماني ومن العلج علي باشا.

بالرغم من أن الدولة العثمانية كانت في صراع مع البندقية التي كانت تعترض طريق بحارتها، إلا أن اهتمامات السلطان بإيالاته كانت إحدى أولوياته، ولهذا كتب السلطان العثماني آنذاك للعلج علي يطالبه

[1]- مقر الصدر الأعظم الذي يضم مستشاره ورئيس الشورى ووزيري الداخلية. ينظر: محمود عامر، "المصطلحات المتداولة في الدولة العثمانية"، **مجلة دراسات تاريخية**، ع:117- 118، دمشق، 2012، ص366.

[2]- أ.و.ج. مهمة دفتري 12حكم518صحيفة249 تاريخ979هـ.

[3]- أ.و.ج. مهمة دفتري 10 حكم10صحيفة1 تاريخ 02- 01- 979هـ .

[4]- أ.و.ج. مهمة دفتري14 حكم 1597صحيفة 1087 تاريخ 18- 01- .979هـ.

بحماية المناطق المغاربية من التهديدات الإسبانية خاصة من دون خوان[1]، وخاصة أن هذه الأخيرة على علم بانشغال إيالاتها بحروبها، وخافت من أن تغتنم الفرصة وتقوم بشن حملة ضد إيالاتها بشمال إفريقيا وخاصة تونس والجزائر.

وعلى هذا الأساس حذر السلطان العثماني ولاة إيالاته من الخطر الإسباني وأمرهم بأخذ الحيطة والحذر لأن هناك احتمالية مهاجمة الاسبان للسواحل الجزائرية والتونسية وخاصة وأن الأسطول الجزائري منظم للأسطول الهمايوني خلال هذه الفترة[2]، بحيث أنه مشارك في الحرب العثمانية "**معركة ليبانت**"[3] إلى جانب الأسطول التونسي أيضا، وهذا بطلب من السلطان العثماني والذي أمرهم بتجهيز العساكر الإسلامية بكامل أسلحتها للمشاركة فيها سنة1571م [4]،ولهذا شدد على ضرورة التعاون وأخذ الحيطة الشديدة من أجل الحفاظ على الإيالتين معا .

خلال هذه الفترة انتهت ولاية رمضان باشا ولكن لقربه من الأهالي ومعاملتهم معاملة حسنة، جعل السلطان العثماني يعيد تعيينه على رأس الإيالة التونسية لما شهده منه من حسن أخلاق وكفاءة، وهذا ما توضحه الرسالة المؤرخة عام 1571م تقضي بإعادة تعيينه على إيالة تونس بعدما شهد له أعيان ولاية تونس ومنهم أبو الطيب الخضار إلى حسن استقامته ومعاشرته لأهالي الولاية الذين شهدوا له بالكفاءة، وعلى هذا الأساس تم تعيينه باشا على تونس وسوسة والقيروان والمنستير وجربة وبنزرت، كما طلب منهم تحقيق الأمن وحراسة المناطق المشار إليها ومجابهة الإسبان الذين يترصدون بهم في كل لحظة، كما أكد على ضرورة توحيد الصفوف، ولا يجب إضاعة ولا دقيقة واحدة في سبيل كافة الأمور المتعلقة بالدين المبين والدولة الأبدية وعليهم إبلاغ السلطان العثماني دائما بما يجري هناك، وتم على هذا الأساس إسناد إيالة تونس لرمضان باشا[5].

---

[1]- Defontin Maxange, op.cit, p115.

[2]- أ.و.ج. مهمة دفتري10حكم 14صحيفة 12- 13تاريخ 2- 1- 979هـ- 1571م.

[3]- معركة ليبانت والتي جرت أحداثها سنة 1571م بين العثمانيين والمسيحيين المتحالفين الذين خرجوا منتصرين من هاته الحرب حيث غنموا غنائم كبيرة، على عكس العثمانيين الذين خسروا الكثير من الأرواح والعتاد وعلى إثرها قرر العلج علي تنظيم البحرية من جديد، ولمتابعة التفاصيل والإحصائيات ينظر:

Defontin Maxange, op.cit, p154 .

[4]- أ.و.ج. مهمة دفتري21 حكم540 صحيفة 226 تاريخ 21- 02- 980هـ.

[5]- أ.و.ج. مهمة دفتري 12 حكم1037 صحيفة 541- 543 تاريخ 25- 10- 1571م الموافق ل 28 شوال979هـ.أنظر المراسلة في الملحق رقم02، ص 239.

وأمام هذه المستجدات ومع تفاقم الأزمة في تونس واشتداد الخطر في الحوض الغربي للمتوسط، راسل السلطان العثماني حاكم الجزائر وطلب منه التعاون مع باشا تونس وحماية الإيالتين الجزائرية والتونسية مع بعض، كما شدد على ملاحقة الإسبان أينما حلوا وعدم التراخي في هذا الشأن حيث قال: «... **ملاحقة الكفار وإلحاق الهزيمة به والحفاظ على سلامة الإيالتين الجزائرية والتونسية ويجب إلحاق الضرر بأسطول الكفار وعليك أمير أمراء الجزائر لحماية الجزائر وتونس...**" »[1]، وكانت الرسالة موجهة لبايلرباي الجزائر باعتباره المكلف الأول بهذه المهمة، ولتكون الوجه المنافس للإمبراطورية الإسبانية في منطقة المتوسط، كما أوصاه بضرورة حفظ النظام والأمن بالجزائر وتونس معا، وعدم التواني والتراخي والتساهل في حال إلحاق الضرر بهما.

أما العلج علي فلقد تحصل على ترقية عليا من طرف السلطان العثماني، ولا شك أن العلاقات الجيدة التي أقامها العلج علي باشا بالباب العالي والإحترام الذي كسبه نتيجة نجاحاته العسكرية التي حققها لصالح العثمانيين، هذا فضلا عن طبيعة النصائح التي كان يقدمها إلى رجال الدولة بخصوص العديد من الملفات المتعلقة بإسبانيا والبحر الأبيض المتوسط الغربي، كانت كلها عناصر حاسمة جدا في تبني رأي العلج علي باشا في الملف التونسي، وهذا ما جعل السلطان العثماني يدعوه لإسطنبول وتعيينه أميرالا للأسطول العثماني، والتي كانت تعتبر يومئذ السلطة العليا المشرفة على كل الشؤون الوزارة البحرية[2].

بدأت عملية إخضاع الدواخل التونسية من طرف حكام الجزائر تدريجيا تشكل لإسبانيا تهديدا كبيرا، ولكل فعل ردة فعل حيث سعى صناع القرار في اسبانيا وأوروبا في هذه الفترة الزمنية إلى العمل على مجابهة العثمانيين في الفضاءات المغاربية، حيث كان لإسبانيا حضور عسكري هام وثابت بقلعة حلق الوادي، وعليه تقرر شن حملة ضد تونس بقيادة دون خوان دوريتش(Don Juan D'Autriche) ولقد كان متوقعا لهذه الحملة لأن السلطان العثماني قد راسل من قبل الإيالات المغاربية وحذرهم من هذا القائد[3]، وبالرغم من هذا استطاع دون خوان من أن يحقق في تونس انتصارا سهلا، دون مقاومة تذكر وبدون أي خسارة، ليس فقط على تونس وضواحيها المباشرة، وإنما أيضا على بنزرت، أما حيدر باشا الذي كلف بإدارة تونس كبيلرباي لها بعد رمضان باشا منذ 15 محرم981هـ- 18ماي1573م فقد التجأ إلى القيروان، وكتب إلى الباب العالي

1- أ.و.ج. مهمة دفتري 14 حكم 49 صحيفة 41 تاريخ 979هـ.

2- عبد الجليل التميمي، المرجع السابق، ص107.

3- أ.و.ج. مهمة دفتري 16حكم40صحيفة24تاريخ جمادى الأولى 979هـ- 12نوفمبر 1571م.

مخبرا إياه بالوضعية الإدارية والعسكرية الجديدة والخطيرة ومدى ضرورة التدخل لإعادة احتواء تونس وحلق الوادي.[1].

تمكن دون خوان من الاستيلاء على تونس وحلق الوادي معا في شهر أكتوبر 1573م وضمها إلى التاج الاسباني وإن كان هذا النصر قد سبب حزنا كبيرا لعلي باشا[2]، ولم تكن عملية استعادة تونس مهمة إيالة الجزائر فحسب بل كانت مهمة الدولة العثمانية بكاملها لما تكتسيه هذه المنطقة من أهمية استراتيجية كبيرة في الصراع العثماني الإسباني، ولهذا تحركت هذه الأخيرة بسرعة لاستعادة تونس وحلق الوادي معا[3].

في ظل هذه الظروف المستجدة لم يبق أمام السلطان سليم إلا رفع التحدي من جديد وتبليغ إيالاته المغاربية بضرورة التجهيز من أجل تحرير تونس[4] وتعززت تجهيزاتهم العسكرية بشأن هذا الأمر من عدة وعتاد، لأن الانتصار الذي حققوه الصليبيين في المعركة السابقة، جعلتهم يشدون همتهم ويعولون على إنهاء الوجود العثماني بشمال افريقيا بداية من تونس، وهذا ما جعل السلاطين العثمانيين يحرسون هم أيضا على إنهاء هذا الاحتلال بأسرع وقت.

اقترب الموعد الموعود لفتح تونس ولهذا أرسل السلطان العثماني أمرا لبيلرباي الجزائر يأمره فيها بتهيئة الوضع سواء مع السكان أو حتى مع القيادات لأن موعد الفتح قد اقترب والتجهيزات قد استكملت، كما أمر بإرسال الجند إلى تونس بسبب وضعها السياسي المتردي، كما أمره بعدم التواني عن ذلك وبإرسال القدر الكافي من العساكر، إما بقيادته شخصيا أو بقيادة أحد جنوده الأكفاء حسب الظروف، كما حذره من إهمال الموضوع[5].

أرسلت السلطة العثمانية المركزية بإسطنبول لبيلرباي تونس جوابا على شكايتهم حول استيلاء الإسبان على تونس كليا وهذا الذي أثار استياء الأهالي، ورد عليهم بأنه تم إعداد 300 سفينة لأجل فتح حلق الوادي التونسية ولقد ألحق بتلك المراكب بعساكر على رأسها سنان باشا قائدا عليها، كما صدر أمر إلى القبودان وأمراء الولايات والعساكر الانكشارية بالتوجه إلى محاصرة تونس أو بنزرت، كما شدد على عدم

---

[1]- عبد الجليل التميمي، المرجع السابق، ص107.

[2] - Fray Diego de Haedo, op.cit, p145.

[3]- صالح عباد، المرجع السابق، ص 96.

[4]- عزيز سامح ألتر، المرجع السابق، ص 246.

[5]- أ.و.ج. مهمة دفتري 21 حكم 779صحيفة 331 تاريخ 981هـ.

التأخير أو الإهمال، مع مشاورة الأمراء عن اختيار المكان المناسب للهجوم إما بنزرت أو تونس حتى يصل الأسطول الهمايوني [1].

إن قراءتنا المتأنية للفرمانات التي بحوزتنا دلت على الإهتمام الكبير التي حظيت به إيالة تونس وسلامتها سواء من طرف السلطان العثماني أو حتى من بايلرباي الجزائر، ولا يهم الهدف الخفي وراء ذلك ولكن المهم كان الهدف الأسمى هو تحريرها من الاسبان نهائيا وفي أسرع وقت ممكن، كما أرسل السلطان العثماني في هاته الفترة رسالة إلى أمير كوكو يطلب المساعدة منه وتأمين ما يمكن من الذخيرة والالتحاق بالأسطول العثماني من أجل تحرير تونس وكان نصها ما يلي: « **أمر إلى أمير كوكو في إيالة الجزائر، سبق وأصدرنا أمرنا الشريف لك فيما يخص مساندتك ومعاونتك لأمير أمراء الجزائر من أجل الحفاظ على الإيالة، وكذلك في أمور الدين وعليك بذل المقدور فيما يتعلق بالمحافظة على البلاد ونظرا لاستيلاء والكفار على تونس، فقد تقرر إرسال أسطولا همايونيا في الربيع القادم، وعليه فإنه يجب تأمين القدر الكافي من الذخيرة من أجل إتمام الأمر وعليك إعداد ما يمكن قدره من العساكر والالتحاق بالأسطول الهمايوني وعليك إظهار مساعيك الجميلة حيال هذا الأمر**»[2]، وهكذا غادر الأسطول العثماني في15ماي 1574م حاملا معه العدة والعتاد وحتى المواد الغذائية متوجها نحو حلق الوادي التونسية[3]، ولقد وصلت في الأيام الأخيرة من شهر جوان حيث قدمت من طرابلس أيضا قوات تتكون من أربعة (4) ألاف رجل كما جاءت من جربة والقيروان قوة تتكون من ستة (6) ألاف فارس وجاءت من قسنطينة ومن عنابة قوات تتكون من ألفين رجل، وانضمت إلى هذه القوات أعداد غفيرة من الأهالي حيث ضرب الجميع خيامهم بالقرب من مدينة تونس في 1جويلية، أما العلج علي فتكونت قواته من 280 قطعة بحرية بقيادته وساعده حسن باشا، ولقد أرسى الأسطول العثماني يوم 13جويلية بالقرب من رأس قرطاجة قبالة حلق الوادي، وأمر قائد الجيش البري بضرب الحصار على تونس تحت قيادة حيدر شيخ القيروان ودعمها أربعة (4) ألاف تركي من جنود الأسطول وثمانية (8) مدافع كبيرة وصغيرة، وفي يوم 17جويلية شرع في قصف حصن حلق الوادي من جهتين، وفي 10أوت 1574م وصل القائد رمضان إلى تونس مع خمسة (5) آلاف تركي من الجزائر

---

[1]- أ.و.ج. مهمة دفتري 24حكم166صحيفة59 تاريخ 5ذي الحجة 981هـ- 28مارس 1574م.

[2]- أ.و.ج. مهمة دفتري 23 حكم 783صحيفة 349 تاريخ 18- 12- 981هـ.

[3]- Defontin Maxange, op.cit, p157.

وعدد كبير من الأهالي[1]، ولقد علم الإسبان بقدوم القوات العثمانية والجزائرية ولكن الأوان للتجهيز قد فات، وفي إطار جهود الحكام الأتراك وبمساعدة سليم الأول والعلج علي دمرت أحلام شارل الخامس نهائيا في 13سبتمبر 1574م وهذا بعد إلحاق تونس نهائيا بالدولة العثمانية[2]، وبسقوط الحصن سقطت الدولة الحفصية وانتهت مرحلة الاحتلال الاسباني على تونس، وأصبحت هذه الأخيرة إحدى إيالات الدولة العثمانية، وعين حيدر باشا واليا عليها وكلفه بوضع نظام مشابه للنظام العثماني السائد في الجزائر[3].

ج. مسألة تبعية تونس بين الجزائر والباب العالي:

مما سبق يلزم علينا طرح عدة نقاط ووضع تفاسير لها لتبيان تبعية تونس للجزائر قبل 1574م، والتي تعد من معضلات العلاقة بين الإيالتين خلال القرن 16م، فبعدما قضى العلج علي على حكم مولاي حميدة وحرر تونس من الإسبان والتي ألحقها بالجزائر وأصبحت جزء من ولاية عثمانية، عين نائبا عنه هو رمضان والذي أقرته السلطنة وخلعت عليه لقب قائم مقام، وأعلنت في مرسوم تعيينه أنها فعلت ذلك استجابة منها لطلب السكان بتقليده الولاية لحسن سيرته، كما تؤكد الوثائق العثمانية تبعية تونس للجزائر في هذا التاريخ بالذات [4].

وفي نفس هذا السياق أثار بايلرباي الجزائر مسألة تبعية الجنوب التونسي إلى الإدارة العثمانية بالجزائر، كما كان يذهب إليه أهالي أعيان تونس من أجل إلحاقهم به، إلا أن تدخل حاكم طرابلس الغرب السريع لدى رجال الدولة العثمانية ومطالبته بتبعية تونس وضواحيها لإدارة طرابلس الغرب، جعل الباب العالي يعمل للمحافظة على الوضع الإداري القائم، والذي تمت صياغته على المسرح السياسي منذ سنة 1557م مع العلم أن الأعيان وأشراف مدينة تونس كانوا قد وجهوا إلى الباب العالي عريضة نوهوا فيه بخصال رمضان باشا واقترحوا تعيينه باشا على تونس، وهذا ما يعبر عن عدم رضاهم لربط بلادهم بالإدارة العثمانية بالجزائر، وتمنوا أن يتم ذلك مباشرة مع السلطة العثمانية بالمركز، إلا أن الفرمان الصادر عن الباب العالي بهذا الشأن يعتبر حاسما للمحافظة على ربط تونس بالإدارة العثمانية بالجزائر ودليل ذلك :"**لقد فوضت ولاية إيالة تونس إلى**

---

[1]- صالح عباد، المرجع السابق، ص 96 .

[2]- M. Alfred Nettement, **Histoire de la conquête d'Alger**, Libraire jacques Le coffre, p51.

[3]- ابن أبي الدينار، المصدر السابق، ص 189.

[4]- أحمد قاسم، **إيالة تونس العثمانية على ضوء فتاوى إبن عظوم (1574– 1600)**، تق: عبد الجليل التميمي، منشورات التميمي للبحث العلمي والمطبوعات، تونس، 2004، ص ص 76، 77.

الجزائر" [1]، غير أنه وبعد وقت قصير صدر فرمان جديد مؤرخ في أواخر محرم 979- ما بين 18و28 جوان 1571م يقضي فيه بربط القيروان وضواحيها إلى إدارة تونس مباشرة والتي كانت مرتبطة إداريا بإيالة الجزائر، ونلاحظ إذن كيف أن الإدارة العثمانية المركزية باستانبول كانت تجهل تماما الحقائق الجغرافية والتاريخية لهذه الفضاءات الترابية، وهو ما يفسر وقوعها في أخطاء باتخاذها قرارات غير ملائمة للانتماءات الإدارية للإيالات المغاربية العثمانية الثلاث، وهي القرارات التي كانت تتخذ عادة وفقا لعديد الولاءات أو التدخلات الشخصية البحتة [2]، وليكن في العلم فإنه في وقت سابق كتب أعيان وأشراف تونس مذكرة إلى السلطان عام 1571م يعترضون فيه عدم رغبتهم بالانضمام إلى طرابلس الغرب وأنهم يرغبون بالبقاء تابعين لإيالة الجزائر وهذا في شهر محرم 979هـ- 1571م[3].

من خلال ما تم عرضه من معطيات تاريخية نرى إيالة تونس تشكلت رسميا بقرار عثماني وإيالة مستقلة عن الجزائر ولكنها طبعا تابعة للدولة العثمانية [4]، والدليل أن حيدر باشا قد أطلق عليه في أحد الفرمانات العثمانية بيلرباي تونس وليس باي سنجق [5] تونس، وهو ما يفرض حتما وتلقائيا أنه ابتداء من هذا التاريخ تحولت تونس من سنجق مرتبط إداريا بالجزائر إلى إيالة عثمانية مستقلة، وأن لها قانون أساسا بما يجعلها تشبه كلا من الجزائر وطرابلس الغرب، مع الملاحظة أن تحديد الفضاء الترابي بقي غامضا وغير محدود، إلى زمن عثمنتها نهائيا أثناء الحملة العثمانية في صيف1574م، وعلى هذا الأساس صدرت عن السلطة المركزية عدة فرمانات أخرى تؤكد على أن تونس تتمتع بنظام إداري مستقل في إطار إيالة عثمانية، وهو الأمر الذي سوف يتأكد ويقبل به الجميع على إثر الحملة العثمانية سنة1574م، عليه فإن نجاح هذه الحملة العثمانية العسكرية الحاسمة والأخيرة في التاريخ البحري العثماني على قلعة حلق الوادي واسترجاع تونس كليا جعل سنان باشا والعلج علي باشا يؤكدان في نفس الوقت على استقلالية إيالة تونس وتأكيد مكانة الباشا حيدر عليها حتى سنة 1576م، ليتم تعويضه فيما بعد برجب باشا الذي سيشرف على الإيالة، كما أمر

1- عزيز سامح التر، المرجع السابق، ص 238.

2- عبد الجليل التميمي، المرجع السابق، ص105.

3- أ.و.ج. مهمة دفتري14 حكم 1597صحيفة 1087 تاريخ 18- 01- .979هـ.

4- محمد صلاح حقي، أي دور للعثمانيين والجغرافيا والقبائل في رسم الحدود بين ايالتي تونس والجزائر عبر اتفاقيتي 1614- 1628م، <u>**المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية**</u>، ع53- 54، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات تونس، أكتوبر 2016، ص47.

5- معناه لغويا العلم واللواء، ثم تطورت دلالته فأصبحت تعني قسما إداريا ينظر: سهيل صابان، المرجع السابق، ص 36.

سنان باشا المنتصر على تونس وحلق الوادي بربط مجالها الترابي والذي يضم مدنا أخرى مثل سوسة والمنستير والقيروان بإيالة تونس رسميا، وعليه فإن التشكل الإداري والجغرافي والسياسي لإيالة تونس العثمانية قد تحدد تماما، وهذا على الرغم من أن تبعية قفصة وفضاءها الترابي بقي غامضا وغير محدد[1].

د. فرمان 1587 وتداعياته على إيالة تونس والجزائر:

تتوسط الجزائر المغرب الإسلامي كما أنها أولى الإيالات التي انضوت تحت لواء الدولة العثمانية وعليه ولابد من أن يكون المركز هو الجزائر ضف إلى ذلك فإن إسناد منصب القيادة العامة للأسطول إلى شخص يكون قد عاين هذه المشاكل وعاشها ودافع عنها، والشخص الذي تتوفر فيه هذه الشروط أكثر من غيره هو طبعا باشا الجزائر.

خفت العداوة بين إسبانيا المسيحية والسلطنة العثمانية الإسلامية بعد موت العلج علي عام 1587م وفي نفس الوقت بدأت العلاقات بين فرنسا والدولة العثمانية تصاب بنوع من الفتور، وإن كانت هذه التغيرات قد أرعبت الباب العالي خاصة بعد ظهور بوادر انفصال الجزائر عنها وهي تعد عصبها في منطقة المتوسط، كما أظهرت هذه الأخيرة قوتها السياسية والعسكرية والتي أرعبت بها حتى الدول الأوربية، وبهذا الشكل أصبح توحيد كل من تونس وطرابلس والجزائر تحت إمرة واحدة أمرا يسيرا، وهذا الأمر بحد ذاته بعث بالخوف في نفس السلطان العثماني بعد أن كان مرغوبا فيه بوصفه أحسن طريقة لمواجهة الدول الأوروبية العدوة، لذلك قرر السلطان العثماني وضع حواجز بين الجزائر وتونس وطرابلس الغرب، وتسير كل واحدة منها بواسطة باشا يعين من العاصمة العثمانية[2].

وعلى هذا الأساس أصدر فرمانا يقضي بإلغاء نظام البايلربايات، وإحداث نظام جديد عرف بنظام الباشاوات عام 1587م، وهذا الإحداث ليس اعتباطيا وإنما كان له خلفية سياسية حيث كان ولاة الجزائر أقوياء وأصحاب نفوذ واسع، حيث تخطت سلطتهم إلى تونس وطرابلس الغرب، باعتبارهما فتحا من طرف بايلربايات الجزائر وإلحاقهما ضمن أملاك الدولة العثمانية، والتي كافأتهم على هذا بإعطائهم امتيازات واسعة من بينها تعيين باشاوات تونس وطرابلس، واختيار من يخلفهم في منصب البايلرباي عندما يتقرر رحيلهم أو تعيينهم في منصب ما، وإن كانت فترة حكمهم غير محدودة ولكن كانوا أصحاب مركز قوي ونفوذ واسع

---

[1]- عبد الجليل التميمي، المرجع السابق، ص107.

[2]- محمد بن مبارك الميلي، <u>**تاريخ الجزائر في القديم والحديث**</u>، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، 1964، ج3، ص ص 135، 136.

لدرجة أن الدولة العثمانية بدأت تشم رائحة التمرد ومحاولة الانفصال عنها والإستقلال لهذه البلاد خاصة وأن الشقة بعيدة بين مركز الخلافة والجزائر [1]،ضف إلى ذلك فإن بعض حكام الجزائر كخير الدين وابنه حسن والعلج علي الذي كانت لهم آفاق سياسية واسعة [2]، ولهذا أقرت مدة حكم الباشا في الإيالات المغاربية ثلاث سنوات، وهو وقت قصير كي لا تكون أية رغبة للانفصال، حتى أنه يصعب على الباشا النظر في أمور الدولة والسكان [3]، وعليه فإن قضية التبعية خلال هذه الفترة كانت منسية نوعا ما بسبب تفرغ الإيالتين لأمورهما الداخلية.

كان التخوف الأكبر للعثمانيين من أن تستولي الجزائر على تونس بعدما كانت إقليما تابعا لها في وقت سابق، وحتى أن الجزائر كانت تحاول باستمرار أن تجعل هذه التبعية حقيقة ملموسة بحكم أنها هي التي طردت منه الإسبان وضمته للدولة العثمانية التي جعلت تعيين باشواتها من اختصاص بايلربايات الجزائر، ولكن تونس كانت ترفض ذلك وترى أنها مثل الجزائر تتبع رأسا للباب العالي ولهذا قام ديوان الأوجاق فيها منذ عام1590م بالتمرد على الجزائر وأصبحت البلاد التونسية بعد هذا التمرد تتبع الباب العالي مباشرة [4].

لم تهدأ الأوضاع في تونس حيث ظهرت ثورة ضد الديوان عام1591م بسبب تجبرهم وظلمهم للانكشارية، فقام هؤلاء بقتل أعضاء الديوان، ما اضطر تدخل الأعيان والباشا المعين من طرف السلطان العثماني وقرروا إجراء تعديل جديد في نظام الحكم، منها تعيين الداي رئيسا للإيالة وإبقاء الباشا الذي يلبسه السلطان الخلعة السلطانية يمثل مصالح الباب العالي[5]، وعليه فإن النظام الإداري للإيالتين العثمانيتين الجزائر وتونس قد عرف بشكل نهائي.

إستنتاج جزئي:

– فتح الصراع الداخلي حول السلطة داخل العرش الحفصي في تونس باب التحالفات مما شكل خطرا على الحكم الحفصي بها، إضافة إلى موقعها الاستراتيجي الذي ملكته جعلها محط أنظار العثمانيين والإسبانيين معا،

---

[1]- يحي بوعزيز، **الموجز في تاريخ الجزائر**، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2002، ج2، ص ص 33، 34.

[2]- عبد القادر نور الدين، **صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها الى نهاية العهد التركي**، دار الحضارة، الجزائر، 2006، ص 112.

[3]- حسين خوجة، **ذيل البشائر أهل الإيمان بفتوحات آل عثمان**، تح وتق: الطاهر المعموري، الدار العربية للكتاب، 1900، ص23.

[4]- يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص ص 50، 51.

[5]- نفسه، ص 22 .

وبالتالي فتح باب التحالفات للأطراف الأجنبية في شؤونها الداخلية، وهذا أكبر خطأ اقترفه الحفصيين مما سارع في زوالهم.

– تولت الإيالة الجزائرية بعد انضمامها للدولة العثمانية مهمة الدفاع عن باقي دول المغرب الإسلامي وتونس من بينهم هذا من جهة ومن جهة أخرى لتأمين الحدود الشرقية للإيالة، ولهذا كثفت الجهود والمراسلات بين الجزائر والسلطان العثماني من أجل تعجيل فتح المنطقة والذي تم نهائيا بفضل العلج علي سنة 1574م.

– إن المكافأة التي حصلت عليها الجزائر جراء تفوقها في تحرير تونس وضمها للعثمانيين هي أن تسير الإيالة التونسية نيابة عن الدولة العثمانية ما جعلها تمارس نفوذها عليها بشكل كبير، ما أثار تخوف السلطان العثماني الذي فضل فصل الإيالات عن بعضها سنة 1587م، وهذا ما لم يستسغه حكام الجزائر الذين استلذوا فكرة تبعية تونس لهم.

– محاولة حكام تونس الإنفصال عن الجزائر، لأنهم رأوا موازاة الإيالتين وليس من الضرورة أن تكون العلاقة مبنية على أساس التابع والمتبوع، وهذا ما أحدثه الدايات خلال تمردهم عليها سنة 1590م وأصبحت بذلك تتبع الدولة العثمانية مباشرة.

الفصل الأول:

التدخل الجزائري في الشؤون السياسة الداخلية لتونس ما بين 1628م- 1830م

أ. الجزائر والصراع حول السلطة في تونس خلال العهد المرادي

أ.1. بدايات الحكم المرادي بتونس

أ.2. تشكل الأزمة السياسية بتونس أواخر القرن 17م

أ.1.2. الفتنة بين ورثة العرش المرادي وتدخل الجزائر للصلح 1676م - 1680م

أ.2.2 . تجدد الفتن داخل البلاط المرادي وموقف الجزائر منها

أ.1.2.2 . فتنة الداي شلبي واستنجاد المراديين بأوجاق الجزائر سنة1685م

أ.2.2.2. فتنة الداي ابن شكر والاستنجاد بالجزائر1686م. 1695

ب. الأزمات السياسية في تونس خلال العهد الحسيني وموقف الجزائر منها 1705م-1759م

ب.1. بدايات العهد الحسيني في تونس1705م

ب.2. الحرب الأهلية في تونس ولجوء علي باشا إلى الجزائر عام 1728م

ب.3. لجوء حكام تونس إلى الجزائر مابين سنتي 1746-1759م

ب.1.3. لجوء أبناء الحسين إلى الجزائر 1746م

ب.2.3. لجوء يونس وإسماعيل بن يونس إلى قسنطينة 1752. 1759م

ب. 3 . 2. 1 . لجوء يونس باي إلى قسنطينة1752م

ب. 3 .2. 2. لجوء إسماعيل باي إلى قسنطينة1759م

ج. التمثيل الدبلوماسي الجزائري في تونس

ج.1. الوكلاء الجزائريون في تونس

ج.1.1. مفهوم الوكيل لغة واصطلاحا

ج.1. 2. إمتيازات الوكلاء

لم يكن الفضاء التونسي مع بداية القرن السابع عشر ميلادية بأحسن حال فالأوضاع السياسية كانت تميل للأسوأ نتيجة ظهور المراديين على الساحة السياسية لتونس سنة1631م، حيث دخل المراديون في مرحلة إثبات الذات وفرض سلطتهم على الدايات، ومن هنا بدأت الأزمة السياسية بتونس تتشكل تدريجيا ما جعلها تدخل في دوامة من الصراع صعب الخروج منها خاصة بعد نشوب حروب أهلية داخل البلاط ومما زاد الطين بلة هو تكالب الدايات الذين أصروا على استرجاع العرش المسلوب من طرف خصومهم، وفي خضم هذه الأحداث وجد دايات الجزائر الفرصة لشق الصراع بين الطرفين والتدخل في مجريات أحداثه وفك النزاع بعد إستنجاد حكام تونس بهم، ولقد فتح التدخل الأول الباب للجزائر أيضا لفك الصراع السلطوي الذي أصبح قائما خلال العهد الحسيني، لأننا سنرى للجزائر حضورا بارزا من خلال مواقفها الصارمة، خاصة بعد ظهور ما يعرف بظاهرة اللجوء للحكام التونسيين للجزائر من أجل تولي العرش التونسي، كما سنشهد حضورا دبلوماسيا جزائريا مكثفا خلال هذه الفترة.

أ. الجزائر والصراع حول السلطة في تونس خلال العهد المرادي:

أ.1. بدايات الحكم المرادي بتونس:

يذكر صاحب نزهة الأنظار في هذا الشأن بأن أول من سمي بإسم الباي هو القائد رمضان الذي قدم من الجزائر بعدما خدم بها مناصب عديدة، وانتقل فيما بعد إلى تونس وبها تحصل على رتبة الباي، وقد تمتع هذا الرجل بحنكة سياسة وتدبير حسن حتى علت رتبته، وتخرج من مماليكه عدة رجال أخذوا المناصب في حياته وسموا بهذا الاسم حتى قبل مماته ومنهم مراد باي ورمضان باي وغيرهم، وقد كان مراد باي من أشهرهم وأعلاهم همة وأبعدهم صيتا، فكان فيه زيادة حذق وقوة علم بسياسة الرعية وتدبيرها، وحتى جباية الأموال وتخليصها، فاستولى من بعده على ولاية تونس[1]، ولقد كانوا يزاحمون الدايات على الحكم ومن بينهم الداي يوسف عام 1610م[2] وقبله الداي عثمان الذي أولى اهتماما كبيرا بالأندلسيين وأحوالهم[3].

سمحت الأجواء لمراد باي بتأسيس دولته بالرغم من أنه كورسيكي الأصل أسّر صغيرا وأوتي به إلى تونس فاشتراه رمضان باي ورباه ودربه على قيادة المحلة[4]، حيث كان يجوب الأرياف في مواعيد منتظمة ليستخلص الضرائب، وبعد موت سيده رمضان حوالي 1613م وبعد أن تخلص من منافسيه وجد نفسه متقلدا وظيفة الباي، التي كانت تجعل تحت تصرفه قوات عسكرية من أجل تحصيل الضرائب من المقاطعات، ولكن يبقي رغم ذلك تحت إمرة الداي صاحب الأمر والنهي على الصعيد المركزي، ثم إن الغزوات الخاطفة التي كانت تقوم بها العساكر التركية التابعة لصاحب الجزائر غدت بالنسبة إلى قسم كبير من القبائل فرصة كبيرة

1- محمود مقديش، **نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار**، تح: علي الزواوي، محمد محفوظ، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988، مج 2، ص 98.

2- Paul Sebag ,**Tunis au XVIIème siècle une cité au Temps de la course**, Edition le harmattan, Paris,1989,p51

3– يذكر أن هذان الحاكمان أي عثمان داي ويوسف داي كان لهم فضل كبير في استقرار الأندلسيين في تونس حيث شجعوا الهجرة الأندلسية إلى المنطقة وسهلوا لهم أمورهم وقاموا باستقبالهم وبتسوية أوضاعهم داخل الإيالة وكانوا قد تمركزا في شمال وشرق الإيالة .ينظر:

Ahmed Saadaoui, Urbanisme et Architecture Des Morisque De Tunisie, les Morisque et la Tunis, **Abril**, Tunis, 2009, p177.

4- المحلة لغة من المحل وهو نقيض المرتحل تعني بالتالي مكان حلول القوم أو نزولهم، أما الحركة فهي نقيض الثبات والجمود وتعني التجوال والترحال، أما اصطلاحا فهي تطلق على الجهاز السياسي –العسكري الذي اشتهرت بلاد المغرب العربي به خلال العهد الموحدي واتفقت المصادر على إبراز الجهاز كمؤسسة عسكرية جبائية سلطوية متجولة. ينظر: دلندة الأرقش وآخرون، **المغرب العربي الحديث من خلال المصادر**، د.ط، مركز النشر الجامعي ، تونس ، 2003، ص130.

لزحزحة نير حكام تونس فعمد هؤلاء بعد حرب سنة 1628 إلى إعادة إخضاع داخل البلاد بصفة محكمة وذلك بإشراف مراد باي حتى سنة1631م [1].

نجح مراد باي في أن يسيطر على شؤون تونس، وأن يظفر من الخلافة العثمانية بلقب الباشا فتحول النفوذ من يد الداي إلى الباي، والنجاح الأكبر هو تمكنه من أن جعل حكمه وراثيا، فأسس أسرة حاكمة في تونس تدعى بالأسرة المرادية [2]، وعليه بنى دار الباي المعروفة بسراية المملكة بتونس والتي بنى بالقرب منها ابنه حمودة باشا الذي خلفه في الحكم فيما بعد حماما "حمام نهج دار الجلد" وداربن واحدة لولده محمد الحفصي صاحب سوق الشواشية "سوق الحفصي المعروف " وواحدة لولده مراد باي الوسط "يعني مراد الثاني"[3].

سعى مراد باي على قتال القبائل المتمردة ومنها أولاد سعيد والتي سعى بتمزيق شملهم لقوتهم وتأثيرهم السياسي، ولحسن الحظ كانت للباي القدرة عليهم، وآخر غزواته ضدهم كان قد أجلاهم فيها نهائيا وأخرجهم من تونس إلى بلاد طرابلس ولكنهم لم يستقروا فيها، وفي هذا الوقت جاءه خبر الباشوية وحيازة منصبها وهو على صفاقس فتسمى باسم الباشا وتخلي لولده حمودة باي عن المحال فباشر منصب البايلك ولكن وافته المنية في نفس السنة التي بايع فيها ابنه ودفن [4] بجوار سيدي أحمد بن عروس رحمة الله عليه[5].

بناءا على ما تقدم فإن أمرين مهمين قد حصلا مع بداية العهد المرادي أولها حصول مراد على فرمان سلطاني يأذن له بتولي منصب الباشا وإلغاء تقريبا نظام الدايات، وثانيا إحرازه على إذن يسمح له بحق توريث السلطة، ومنذ ذلك الوقت تأكدت سلطتهم التي أصبحت وراثية في ذرية مراد باي.

خلف مراد باي ابنه حمودة باي (1631-1659) والذي نال شهرة بوضعه حدا للرعب المتواصل الذي كانت تحدثه القبائل داخل البلاد التونسية، حيث باشر أمور منصب الباشا بعد وفاة أبيه مباشرة، وزاد فطلب اللقب رسميا من الدولة العثمانية فقلدته إياه وخوطب في الفرمان بـالباشا ابن الباشا، أما بالنسبة

1- محمد الهادي شريف، المرجع السابق، ص ص77، 78.

2- شوقي عطا الله الجمل، **المغرب العربي الكبير(ليبيا- تونس- الجزائر- المغرب)**، ط1، مكتبة الانجلومصرية، القاهرة، 1977، ص109.

3- محمد بن خوجة، **صفحات من تاريخ تونس**، تق وتح: حمادي الساحلي، الجيلالي بن الحاج يحيى، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986، ص 52.

4- محمود مقديش، المصدر السابق، ص98.

5- سيدي أحمد بن عروس من أولياء تونس الصالحين متوفى في 868هـ- 1463م.ينظر: الصغير بن يوسف، **المشرع الملكي في سلطنة أولاد علي تركي**، تق وتح: أحمد الطويلي، د. د.ن، د.ب، د. س، مج 2، ص27.

لمعاملته للدايات فقد اقتدى حمودة بأبيه وحصر سلطتهم في الشؤون العسكرية وأمن العاصمة، ثم زاد فانتهج سياسة تضعيفهم والاستبداد عليهم بالنفي والاغتيال[1]، ولكن في عهد إبنه مراد ستختلف السياسة كليا حيث ستخلف صراعات داخل البلاط التونسي وخاصة ما بين الداي والباي من جهة وما بين الإخوة المتنازعين على الحكم من جهة أخرى.

أ.2. تشكل الأزمة السياسية بتونس أواخر القرن 17م:

في الجهة الغربية للإيالة التونسية الأوضاع السياسة تتغير رأسا على عقب وهذا بعد سيطرة رياس البحر على الحكم في الجزائر وتنحية الانكشارية بعدما كانوا مسيطرين على الحكم طيلة الفترة الممتدة من 1659إلى غاية سنة1671م والمعروف بعهد الآغاوات، لتدخل الإيالة الجزائرية في منعرج آخر من تاريخها السياسي والمعروفة بعهد الدايات والذي يبدأ من سنة1671م والتي ستشهد فيها الإيالة العديد من التغيرات من جميع النواحي وتتوتر فيها علاقاتها خاصة مع الباب العالي حيث ما سيميز هذه الفترة أن داي الجزائر سيتمتع باستقلالية في القرارات دون استشارة السلطان العثماني وفي نفس الوقت لم يتنكروا لولائه مادامت التبعية ستبقى اسمية فقط[2]، وعليه سنلاحظ فيما بعد غياب شبه كلي للسلطة العثمانية وسيغيب موقفها في بعض الأحيان من التدخل الجزائري في الشؤون السياسية الداخلية للإيالة التونسية، حيث ساهمت الإستقلالية والمكانة التي شغلها أوجاق الجزائر في الفضاء المغاربي والمتوسطي، من جعل البايات المراديين يطلبون الإحتماء بالداي الجزائري فيما بعد.

أما في تونس وبعد وفاة حمودة بـــاي خلفـــه ابنه مـــراد بـــاي الثاني(1659م- 1675م) وهـــو الباي الذي استجمع قواه وزج بالداي في ظـلام السجـن سنة 1671م كي لا يشـاركه في الحكم مثلـما حصل في حياة والده [3]، ومـآثر هذا البـاي عـلى الإيالـة التونسيـــة كثـيرة وغنيـة ومنها: المدرسة المـرادية المعروفة وجامع حمودة باشا[4]، وقنطرة وادي مجردة وجامع الحنفية بباجة وجامع بقابس

[1]- رشاد الإمام، **سياسة حمودة باشا في تونس1782م- 1814م**، منشورات الجامعة التونسية، تونس، 1980، ص52.

[2]- محمد خير فارس، **تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الإحتلال الفرنسي**، ط1، د. د. ن، دمشق، 1969، ص72.

[3]- رشاد الإمام، المرجع السابق، ص53.

[4]- جامع حمودة باشا أنشأ بالقرب من جامع الزيتونة سنة1066هـ- 1655، قال عنه أبن أبي الدينار "في غاية الحسن والضخامة بحيث لم يوفي المغرب أسر منه" حيث استخدم فيه الرخام بكميات كبيرة فمنه صنعت التيجان والأعمدة والأبواب=

وغيرها[1]، وما بين سنتي 1672و1673م خرج الباي مراد إلى بلاد الجريد [2]وفي طريقه جاءته أخبار أن عثمان باشا والي طرابلس ثار عليه جند الانكشارية وقتلوه، فأسرع مراد باي بالسير إليه واستطاع القضاء على المتمردين وعين أحد أبناء الوالي المقتول على طرابلس وقفل هو رجعا إلى تونس[3]، ولكن في غيبته حصل ما لم يكن في الحسبان في الحاضرة تونس حيث اتفق جماعة من العسكر على المكر بمراد باي الذي كان غائبا على الحاضرة فدخلوها وعينوا الحاج علي لاز دايا وتحالفوا على إنهاء عهد البايات، فما كان على أخيه محمد إلا اللحاق بأخيه مراد باي، فأمر الداي الحاج علي لاز أن تنهب ديارهم ومنازلهم وأخذوا من متاعهم ما قدروا عليه، وهذه التصرفات جعلت سكان تونس يمقتونه ويكرهونه[4].

قرر الداي المعين الحاج علي لاز الخروج بمحلته لمهاجمة مراد باي للتخلص منه، حيث نزل بالملاسين وهو مكان في طريق سيجوم فبعث إليهم الباي مراد يحذرهم عاقبة تصرفاتهم، فأبوا التراجع لأن هؤلاء الخارجين كانوا رؤوس العسكر، فكرر عليهم الإنذار فأبوا مرة أخرى، فلم تمضي أيام إلاّ وقد طلع الباي عليهم بمحلته [5]، ولقد التقى الجمعان عند عقبة الجزار على بعد ستة أميال من مدينة تونس، حيث وقع بين الطرفين قتالا شديدا انتصرت على إثرها قوات مراد باي وانهزمت محلة علي لاز ولاذت بالفرار، التي ردت على أعقابها إلى مدينة تونس، والجدير بالذكر هنا فإن هذه المناوشات العسكرية بين الدايات والبايات قد جعلت الباي مراد يفرض سلطته على الدايات والديوان وعلى العسكر معا ما جعل البلاد تدخل في حالة استقرار وأمن بعد أن طمأنهم الباي مراد[6].

=والنوافذ كما استعمل لكسو مساحات كبيرة من جدران الجامع والتربة وأرضيات الصحون. ينظر: أحمد العداوين، **تونس عبر التاريخ من العهد العربي الإسلامي إلى حركات الإصلاح**، د.ب، د.د.ن، د. س، ج2، ص245.

1- محمد بن خوجة، المصدر السابق، ص55.

2- يمتد هذا الإقليم من تخوم بسكرة إلى تخوم جربة، ويبعد جزء منه كثيرا عن البحر المتوسط كقفصة وتوزر الواقعين علة مسافة ثلاثمائة ميل بالداخل، ويواصل الوزان وهذه البلاد شديدة الحرارة كثيرة الجفاف، لا تنبت فيها الحبوب، وإنما تنتج كمية وافرة من التمر الجيد الممتاز وهو يشمل عدة مناطق أهمها توزر وقفصة. ينظر: الحسن الوزان، المرجع السابق، ص 142.

3- حسن حسني عبد الوهاب، **خلاصة تاريخ تونس**، ط 3، دار الكتب العربية الشرقية، تونس، 1373هـ، ص140.

4- محمود مقديش، المصدر السابق، ص 104.

5- نفسه، ص105.

6- ألفونص روسو، **الحوليات التونسية من الفتح العربي حتى احتلال فرنسا للجزائر**، تر وتق :الوافي عبد الكريم، ط1، منشورات جامعة قاريونس، ليبيا، 1992، ص126.

إن مشروع بناء دولة متماسكة لا يتم في غالب الأحيان إلا بالقضاء على المتمردين، وهذه من أبرز المعيقات التي لقيها المراديين أثناء بناء دولتهم ومن بينهم مراد باي، حيث في عهده تمرد أيضا أهل وسلات وعصوا أمره، وكان قد التجأ إليهم المتمرد على الحكم أبو القاسم الشوك ولخوفه من سطوة مراد باي اعتصم بالجبل مع أبناء جنسه ودخل في حالة تمرد وعصيان، فكاتب الباي مراد المتمرد المدعو الشوك وحذره لكنه أبى فما كان وراء هذه التعصبات سوى تجهيز حملة ضده وهذا في سنة 1085هـ/1674م حيث خرج إليه بمحلتين وخرج أخوه بمحلة مع صبايحيته، ونزلوا الجبل وداروا به من كل فج فما كان على المتمرد أبو القاسم سوى قتل نفسه بيده، والذي جيء برأسه إلى مراد الذي رجع بمحلته مؤيدا منصورا فقسم المحال إلى قسمين، ودخل تونس مع ولده الأكبر محمد باي محلة ومع ولده الأصغر علي باي محلة وهذه كانت آخر سفراته، حيث توفي بعدها بمنزله بباردو في العشر الأواخر من جمادى الأولى سنة 1086هـ- 1675م ودفن بتربة أبائه[1]، وبعد هذه الحادثة سيشهد التاريخ السياسي لتونسي بداية لعدة أزمات سياسية.

أ.1.2 . الفتنة بين ورثة العرش المرادي وتدخل الجزائر للصلح 1676م – 1680م:

خلف مراد باي في الحكم ولديه محمد وعلي وحسب ما يرويه القيرواني التونسي أن باب الفتنة بينهما كان مفتوح بسبب دخول المكرهين بينهما بالنميمة، حيث أظهروا لكل واحد منهما النصيحة وأغروا بعضهما على بعض حتى جرت مخاصمات بينهما في السر والعلن وكل منهما يدعي أنه المنعى عليه[2]، وعليه تم تشكيل حزبين وهذا أمر طبيعي لأن مراد باي لم يختر أي من أبناءه خليفة له[3]، لكن محمد بن مراد الذي كان يقود البلاد في حياة والده أراد أن يستلم جميع شؤون الإيالة لكن أخاه عليا رفض ذلك لأنه رأى أنه له الأحقية أيضا في الملك وجرت مناوشات ومناقشات حادة بينهما فإحتكما الأمر إلى الديوان وهو الذي سيفصل في الأمر والصراع القائم[4].

1- محمود مقديش، المصدر السابق، ص ص 105، 106.

2- ابن أبي الدينار، المصدر السابق، ص 235.

3- Charles Feraud , Les Harar Seigneurs des Hanancha Etudes Historiques sur la province de Constantine, **R.A**, N°18, Alger, 1874, p203.

4- Ibid, p204.

جمع الديوان أعضاءه في 26رجب 1086هـ/1675م بحضور الأخوين وعمهما[1] الذي لقن علي على أن يقول«الحق لعمنا» لكبر سنه ووعده أن يحول الأمر إليه بعد التمكن، فاغتر علي بوصلة التبني وقال في وسط الديوان«الحق لعمنا»المقولة التي رضي الديوان بها لحاجة في نفوسهم وخلعوا محمد باي ونصبوا عمه مكانه [2]، ولقد رحب محمد باي بالأمر الصادر ظاهريا فقط وكتم رفضه في سره حيث راح إلى الكاف ليلتقي بأنصاره وكان من ضمن أنصاره شيخ قبيلة الحنانشة [3] الحاج المرداسي من فرع ناصر بن خالد الذي وقف إلى جانب محمد باي وقويت شوكته واعترفوا بسلطته، وما كان على عمهما الحفصي إلا التحرك بسرعة لترك المجال لابن أخيه[4]، ومنذ ذلك الحين طرق الخلل الدولة المرادية ودخلها مرض الإنقسام الذي هو علامة الهرم.

حسب ابن الضياف فإن محمد الحفصي قد ندم على فعلته وقرر ترك المجال لأبناء أخيه لخلافة أبيهم، فأشهد على نفسه بالخلع وكاتب ابن أخيه محمد باي، يخبره بأنه خلع نفسه وسلم الأمر إليه ،وبعث له الديوان أعيانا من العلماء والصلحاء والجند يرغبونه في الرجوع ،ولما أتوه حلف أن لا يدخل الحاضرة إلا إذا خرج منها عمه ،ولما بلغه ذلك خرج إلى بستانه بمرناق صلح شعبان عام 1086هـ- 1675م فقام سبعة أيام لتحله القسم، وخرج إليه الباشا وأتى به رجاء أن يرجع محمد باي عن اصراره، وبعث له مفتي الحاضرة وإمام جامع

---

[1]- محمد الحفصي هو عم الأخوين محمد وعلي ابني مراد باي، والذي تولى حكم تونس يوم السبت 13 شعبان1086هـ-1675م، وهنا ابتدأ الخلل في الجدولة المرادية حسب صاحب الإتحاف. ينظر: أحمد ابن أبي الضياف، **إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، الدولة للشؤون الثقافية والأخبار، تونس، 1963، ج 2، ص48.

[2]-نفسه، ص47.

[3]- هي قبيلة عربية كبيرة تقطن نواحي الأوراس وتبسة وسوق اهراس من الجزائر وشمال عرب تونس وكانت ذات نفوذ كبير على قبائل أخرى، يقول ابن خلدون في كتابه العبر : « **فأما المرتفع فثلاثة بطون :أولاد تبان ورياستهم في أولاد محمد بن موسى وأولاد حناش ورياستهم في بني عبد السلام وأولاد عبدوس ورياستهم في بني صالح ويدعى أولاد حناش وأولاد تبان جميعا أولاد حناش**»، ويقول عنهم فيرود أنهم الحنانشة الأحرار صاحبة النفوذ القوي والواسع على الحدود التونسية ومن أبرز العائلات أولاد خليفة وأولاد ناصر واولاد السلطان واولاد بوعزيز الذين سيكون لهم شأن كبير فيما بعد ويأثرون على الحياة السياسية في تونس، واولاد ابراهيم، ومنذ ذلك التاريخ حلت محل الحرار عائلة الرزقي على رأس الحنانشة، وقد اعتبر حاكم مدينة عنابة الإسباني ألفار قوميت الخصال في رسالته المؤرخة في 943هـ- 1536م أن لقبيلة الحنانشة شيخان يقودان ألفا وخمسمائة من الرماة الأول يسمى المسعدي بن ناصر بن أحمد مرداس أولاد مرداس بن رباح رئيس الف منهم وخيامهم منسوبة بتبسة بمنأى عن عنابة بمسافة يومين والقائد الثاني هو الشيخ عبد الله بن صولة (أولاد صولة بن محمد بن مسعود بن سلطان) ويقود خمسمائة. وسيكون لنا حديث مطول عن هذه القبيلة في الفصول القادمة. ينظر: محمد صلاح حقي، المرجع السابق، ص51.

[4]- Charles Feraud, op.cit, p205.

الزيتونة وأعيان من الديوان والبلاد ورغبوا منه أن يعود معهم ويصفح عن عمه، فأبى إلا خروجه من المملكة ولما يأس الحفصي خرج منها ثامن عشر رمضان 1086هـ- 1675 م وركب البحر وأقلع من حلق الوادي [1].

بمجرد خروج الحفصي دخل محمد باي العاصمة وانتصب لحكم البلاد فبادر بأخيه علي أولا وسجنه في القصر وحاول التضيق عليه، ولكن بعد مدة قصيرة تمكن علي من الفرار والتجأ بقسنطينة التي قضى بها وقتا لا بأس به وربط علاقة مع سلطان ابن منصر حيث زوجه بإبنته [2] وهو من قبيلة الحنانشة، وإستعان علي بصهره لطلب الولاية من أخيه ولقد التفتت حوله كثير من القبائل العرب التابعة للحنانشة، حيث زحف بهم إلى القطر التونسي ونزل بجبل وسلات، ولما بلغ الخبر إلى محمد باي نهض مسرعا لقتال أخيه فحاصره بالجبل إلى أن نزلت إليه رجال علي فأوقعوه في هزيمة شنعاء سنة 1087هـ/1676م، لكن الباي محمد نجا بعد مشاق، حيث راح إلى الكاف مع نفر من أنصاره، أما علي فإنه جد السير إلى مدينة تونس وأخذ البيعة عن أهلها، وبعد توطيد أمره خرج بمحلته لجباية الأموال فما بلغ القيروان حتى فاجأه الخبر بأن أخاه استولى على بلاد الجريد فأقلع في أثره، ولما شارف قفصة راح محمد باي إلى الحاضرة بمغيبة أخيه عليا ودخلها مع جيشه واستقر بها قليلا ريثما علم بقدوم أخيه علي فتلقاه محمد مع جموعه بفحص سمنجة ودخلا في قتال شديد، وهكذا بقي الحال إلى أن تجرع سكان القطر في تلك المدة المرارة بسبب تنازعهما وعضض الشدائد لجور أنصار الجانبين وفقدان الأمن، ولما اتسع الخرق وآل التشاحن إلى حرب داخلية، وهي أضر الحروب حاولت طائفة من العلماء والفضلاء إصلاح ذات البين، فترددوا بين الفريقين لكن مع الأسف لم ينجح مسعاهم واستمر الخلاف والحرب الأهلية على ساق بين الاخوين إلى أن قدم عمهما محمد الحفصي متقلدا منصب الباشا من الباب العالي وانتهز فرصة تشاغبهما للاستلاء عليها سنة 1089هـ ولم تزد الحالة بذلك إلاّ تحرجا ارتباكا، ولما تحقق محمد باي ضعف أنصاره بالقطر التفت إلى الجزائريين من أجل طلب النجدة [3].

طالت الحروب بين الأخوين واضطربت الأوضاع بسرعة في كل أرجاء الإيالة التونسية، فأقبل صاحب الجزائر بمحلته بتونس، ولما بلغ ذلك لعلي باي نهض لملاقاة الجزائريين فبان أن قدومهم لأجل الصلح وليس من أجل الوقوف مع أي طرف والهدف منها إقرار الإصلاح بين طائفتين من المؤمنين اقتتلوا ومازالوا، فما كان عليهم إلا جمع الأخوين مع عمهما وانعقد الصلح على أن يكون الملك بالحاضرة لعلي باي لأن الشوط له

1- أحمد ابن أبي الضياف، المصدر السابق، ص48.

2- Charles Feraud, op.cit, p205.

3- حسن حسني عبد الوهاب، المرجع السابق، ص ص 142، 143.

وقتئذ ويكون محمد الحفصي باشا بالحاضرة أدبا مع ظاهر الأمر السلطاني، أما محمد باي يبقى بالقيروان والساحل ويجعل ابنه أحمد تحت يد أخيه في محلته، ولقد أخذوا عليهم الإيمان والمواثيق في ذلك ورجعوا إلى بلادهم ،وقدم علي باي ومعه محمد الحفصي وابن أخيه أحمد إلى الحاضرة بعد الحرب [1].

عادت الأمور إلى مجاريها داخل البلاط التونسي بفضل مساعي الإيالة الجزائرية، ولكن الوضع في الجزائر ليس بأفضل حالاته لأن الإيالة ستتعرض مع سنة1682م إلى حملة عنيفة في صيف هذه السنة المذكورة بقيادة الأميرال دوكين[2] التي ستبوء بالفشل الذريع بعدما قضى عليها داي الجزائر حسن [3]، وفي هذه الأثناء حاول باي تونس استغلال ما يحصل داخل الإيالة الجزائرية والمصاعب التي يواجهها الداي الجزائري حسن فعمل على إثارة القلائل، ولما علم الداي أن لباي تونس يد في ذلك وجه حملة ضده بإمرة ابراهيم خوجة الذي سيتوجه نحو تونس [4] ، وسيكون لنا حديث مفصل حول هذه الحملة في العناصر اللاحقة.

هذه السمة التي ستغطي الوضع السياسي في تونس حيث كان الصراع بين الأفراد الأسرة الحاكمة التونسية يخلق مناخا مناسبا للتدخل الجزائري حيث كان المتنافسون يلتمسون مساعدة حكام الجزائر ضد خصومهم من أفراد أسرتهم وهذا ما سنراه يتجسد فيما بعد [5].

أ.2.2. تجدد الفتن داخل البلاط المرادي وموقف الجزائر منها 1685م– 1695م:

أ.1.2.2. فتنة الداي شلبي واستنجاد المراديين بأوجاق الجزائر سنة1685م :

مع إندلا ع الحرب السلالية المرادية في تونس سعى الدايات إلى استغلال الفرصة، حيث راح الداي محمد طباق مستغلا النزاع القائم وسيطر على العاصمة التونسية، في حين كان المراديون يتصارعون في الآفاق وباشر في تطبيق الأحكام في الحاضرة، وهذا ما أغضب علي باي الذي طلب إزاحته ثم أمر بقتله وعوضه

---

[1]- أحمد ابن أبي الضياف، المصدر السابق، ص ص 54، 55.

[2]-Arsène Berteuil, **L'Algérie Française(Histoire Mœurs, coutumes Industrie, Agriculture),** Dentu Libraire, Paris, 1856, T1, p75.

[3]- تقلد هذا الداي منصبين مجتمعين بين يديه منصب الداي ومنصب الباشا سنة 1096 هـ (1684م) ثم تخلى عن منصبه وهرب بفرقاطة ركب البحر إلى شرشال وأبحر إلى بر الترك سنة 1689م ورفع في القسطنطينية وأقلع مع جفن حربي وانتزع شيو (وهي جزيرة يونانية تقع في بحر ايجا) من النصارى وعين على إثرها قبطان باشا إلى أن توفي بها ودفن بها. ينظر: شاوش ابن المفتي حسين بن رجب، **تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشاوات الجزائر وعلماءها**، تح: فارس كعوان، ط1، بيت الحكمة، الجزائر، 2009، ص 56.

[4]– محمد مبارك الميلي، المرجع السابق، ص ص 189، 190 .

[5]- محمد خير فارس، المرجع السابق، ص109.

بأحمد شلبي في 5 أكتوبر 1682 [1]، هذا الأخير الذي سيستفيد من الصراع القائم ومن نقمته وكرهه لعلي باي من أجل إلغاء الاتفاق الهش، الذي سطره أوجاق الجزائر سنة1679م والذي ألغى الدايات تقريبا من حكم تونس [2].

حسب صاحب اتحاف الزمان فإن الداي أحمد شلبي كان ناقما على علي باي بسبب ما حصل لمحمد طباق الذي أمر هذا الأخير بقتله بعدما تم نقله إلى غار الملح، حيث تخوف هذا الأخير أي شلبي من علي باي وخاف أن يلقى مصير الداي السابق، ومع العلم أيضا فإن التونسيين نفروا من علي باي لعدم الشعور بالأمن معه، حيث كان لخدام علي باي استطالة على الناس وإسراف في الظلم وفعل التابع مضاف على المتبوع وهذا ما ناله علي دون قصد منه، وهناك قصة دارت حول نوع الإسراف والظلم الذي كان قائما يرويها لنا صاحب الإتحاف أيضا ويقول:«... **فصدرت من ولد خليفة بن زايد الورشفاني فعلة منكرة شنعاء تدور أحداثها حول عروس كانت تزف إلى زوجها فاغتصبها من أيدي أهلها وقضى منها وطردوها إليهم، فشكوا إلى الداي أحمد شلبي فأرسل إلى الجاني وسجنه فأتاه أبوه وكلمه في سراحه فلم يجبه فأغلظ له في القول وقال له: أنا وابني لسنا تحت نظرك ولا لحكمك، نظرنا لسيدنا صاحب البلاد علي باي**...»[3] فغضب أحمد شلبي وأمر بقتل الإبن فازداد الأب في غلطته بالقول فأمر بقتله أيضا، وكل هذا في غيبة علي، ولما علم هذا الأخير بما جرى من طرف كاهيته مصطفى اسبنيولي الذي أخبره بالأمر عظم الأمر عنده الأمر وقرر الزحف إلى الحاضرة بـ 25 ألف مقاتل كما قيل ونزل علي باي بجنوده على الحريرية وحاصره بالحاضرة ووقع القتال بين الفريقين، ولما رأى أحمد شلبي كثرة جنود علي باي أرسل لأخيه محمد باي بمكانه في القيروان يحرضه من أجل أخذ ملك البلاد عن أخيه عليا فأسرع لذلك، وارتحل علي باي بعد محاصرة الحاضرة تسعة أيام ونزل على أريانة وأمر بحرق الزيتون وشن الغارات، ولما وصل محمد باي إلى القيروان عقد له الداي أحمد شلبي ديوانا لم يعترض عنه أحد وبايعوه شريطة أن يباشر الحرب ضد أخيه من جديد[4].

تمكن محمد باي من دخول المدينة وإستلام مقاليد الحكم، حيث نراه بعد فترة قصيرة يباشر في اتخاذ جملة من القرارات والإتفاقيات مع الداي محمد شلبي من شأنها أن تقضي على علي باي وأنصاره من أهمها

---

[1]- التوفيق البشروش، **جمهورية الدايات في تونس 1591– 1675م**، شركة أوريس للطباعة، تونس، 1992، ص68.

[2]–A.Guellouz, & al, **Histoire général de la Tunisie** , Sud Edition, Tunis, 2010,T3, p75.

[3]- أحمد بن أبي الضياف، المصدر السابق، ص57.

[4]- نفسه، ص57.

تقوية الجيش، ولما علم هذا الأخير بهذه التدابير وأدرك صعوبة التقارب مع أخيه مجددا راح يهدد بقتل ابن اخيه المرهون عنده إن لم يغادر محمد باي الحاضرة على الفور وعلى أن يكف تماما عن التدخل في النزاع القائم بينه وبين الداي وعندما رفض محمد باي شروط أخيه فما كان لعلي إلا أن ينفذ تهديده[1].

في هذه الأثناء أتاه خبر بأن أوجاق الجزائر قادمين مع محلة من أجل نجدة أخيه محمد والداي شلبي، وأمام هذه المستجدات ما كان على عليا إلا الارتحال من الحاضرة متجها نحو الكاف ولكن لحقه أخوه إليها وجرى قتال بينهما فكانت النتيجة هزيمته وهذا مع أواخر جمادى الثانية من سنة 1095هـ- 1684م، ففر علي إلى قفصة ولكن منعه أهلها من الدخول إليها فقرر النزول بسوسة والاستقرار بها، وأما محمد باي فإنه لما ظفر بمحلة أخيه علي حكم السيف في أعيانها، ولما نزل بالكاف مع محلة الجزائر تلقاه أهلها بالطاعة والولاء إلا أصحاب علي الذين حاصرهم بالقلعة، ولما اشتد عليهم الخناق نزل على حكمه جماعة منهم فقبلهم أولا ثم جرهم في ذيول الخيل، وبها استولى محمد باي على القلعة بما فيها وضم عليه أخاه رمضان باي وابن أخيه مراد وجمع حرم أخيه وارتحل بمحليه ومحلة الجزائر إلى الحريرية، ثم ارتحلت محلة الجزائر أما محمد باي فلقد استقر بالمملكة[2] حيث اشتغل هذا الأخير مع سنة1685م على تنظيم أمور مملكته ومحاربة بعض القبائل الغير خاضعة من أجل الضريبة وتنظيم الجباية التي سيستغلها في العمران والتشييد وأهمها المساجد[3].

إلا أن كثرة الفتن الداخلية بين الأخوين وتوالي الانتصارات والهزائم بينهما دون تسجيل أي فوز حاسم لأي طرف منها إضافة إلى الجزائر هي الأخرى التي لعبت دورا في هذه الاضطرابات الداخلية جعلت القطيعة تكبر شيئا فشيئا خاصة بين الداي والباي وهذا جراء كثرة الدسائس والمؤامرات بينهما، خاصة بعد تمرد الداي شلبي عليه الذي رفض إرسال جيش لسوسة لملاقاة علي بل تعدى الأمر وراح يسجن كل من كاهية شعبان ومحمد بن شكر خليفة محمد باي[4] ما جعل محمد باي يسعى للتصالح مع أخيه عليا أحسن من التحالف مع الداي الذي أصبح يتمرد عليه ويشك في تصرفاته، حيث قبل هذا الأخير أي علي العرض وعقد الصلح مع أخيه وتكاتف الأخوين ضد الداي شلبي وبالتالي الوقوف في وجه تسلط الأتراك على البلاد كما

1- ألفونص روسو، المرجع السابق، ص135.

2- أحمد بن أبي الضياف، المصدر السابق، ص ص 57- 59.

3-Ahmed Saadaoui, Une Architecture Turque en Tunisie La mosquée Mohammad Bey (1676- 1696), **Ibla**,N°185, 2000,p4.

4- محمود مقديش، المصدر السابق، ص126.

تبادلوا الأسرى والذي كان بينهم رمضان باي الأخ الثالث لهما والذي انحاز منذ البداية لأخيه عليا[1]، وعزما على قتال الداي الثائر وبالفعل جمع الأخوان قوتيهما والتقيا بالطائفة المتعصبة فكانت الدائرة على الجيش المرادي، وقوي حينئذ شأن الداي شلبي [2].

إن الهزائم المتكررة للجيش المرادي جعلت شوكة الداي شلبي تتقوى تدريجيا، فنصب على الفور بايا جديدا على تونس وهو محمد منيوط، وليس هذا فقط وإنما استطاع تثبيت منصبه رسميا من طرف السلطان العثماني باعتباره صاحب الأمر في تونس، حيث أرسل مندوب يطلب منه تسليم السلطة للداي شلبي وبالتالي إلغاء المراديين من الحكم[3]، وأمام كل هذه الإختلالات داخل العرش التونسي ومحاولة تنحية بني مراد من السلطة، أدرك الأخوين خطورة الأمر وسارعوا إلى الإستنجاد بالجزائر من أجل نصرتهم وخاصة أن بيعة الداي جاءت من الأعتاب العثمانية[4].

بدأت المرحلة الحاسمة بعد مراسلة الإخوان لمتولي الجزائر الداي ابراهيم خوجة[5] هذا الأخير الذي وعدهم باسترداد عرشهم المسلوب، مقابل شروط والتزامات [6] ولم يكن أمامهما إلا القبول، وعلى إثر الموافقة دخل الجزائريون للقطر التونسي للمرة الثانية واجتمعوا بالأخوين، ثم قصدوا الحاضرة تونس فحاصروها حصارا شديدا[7]، وقد راسلهم الداي شلبي بالكف عما يصدر منهم من تجاوزات وأرسل لهم القرار العثماني لكنهم أرجعوه من الطريق، وبقى المدد يأتي من الجزائر برا وبحرا مخالفا بذلك الأمر العثماني ومساندا بذلك بني مراد على استرجاع عرشهم وهذا بحد ذاته خروج عن الطاعة العثمانية بالنسبة للجزائر وتونس معا، إلا أن تمكنوا من الداي الذي وقع أسيرا في يد الأخوين ويد عساكر الجزائر، وعليه جددت البيعة للأخوين مجددا وعلى قاعدة القسمة السابقة[8].

---

[1]- ألفونص روسو، المرجع السابق، ص135.

[2]- حسن حسني عبد الوهاب، المرجع السابق، ص143.

[3]- ألفونص روسو، المرجع السابق، ص136.

[4]– التوفيق البشروش، المرجع السابق، ص69.

[5]– يذكر أن داي الجزائر ابراهيم خوجة هو من وعد محمد باي الحفصي على استرداد عرشه ولقد راسله بهذا الشأن سرا .ينظر

Thomas Shaw, **Voyage dans la régence d'Alger**, Marlin Editeur, Paris, 1830, p37.

[6] - Ibid.

[7]- حسن حسني عبد الوهاب، المرجع السابق، ص143.

[8]- محمود مقديش، المصدر السابق، ص ص131، 132.

غير أن المقاسمة التي تعاهد عليها الإخوان لم تكن بطبيعة الأمر أن تستمر، فلم يمض إلاّ أشهر حتى قتل بعض الجنود الباي علي سنة 1096هـ/1685م وصفا بها الجو نهائيا لمحمد باي، وبعد أيام قليلة فقط ارتحل الجزائريون يجرون ورائهم غنائم الشروط التي اشترطوها وانفرد محمد بولاية البلاد[1]، وهو أول من تمتع بالسلطة السيادية في تونس[2]، وكان قد انتهز عسكر الجزائر حضورهم المؤقت بها تلك الفترة حيث رتبوا أمور وشؤون الإيالة التونسية وفي نفس الوقت مهدوا طريقهم وعبدوه جيدا لتكون لهم عودة أخرى، فالبوادر الأولى للخلاف بين الداي والباي وإضرام نار الحرب سيستلزم تدخلا جديدا من جانب الجزائر.

أ.2.2.2. فتنة الداي ابن شكر والاستنجاد بالجزائر1686م– 1695م:

وعند صفو الليالي يحدث الكدر هذا ما يمكن وصف به الحالة التونسية في هذه الفترة، فمع استتباب الأمن في تونس وانفراد محمد باي بالولاية على تونس، حتى ظهرت فتنة أخرى وترت الأوضاع وأرجعت تونس إلى ما كانت عليه من قبل، حيث وقعت خلافات بين محمد باي وصهره محمد بن شكر هذا الأخير الذي اختفى أياما ثم طلب الإجازة للحج، لكنه انقلب إلى الجزائر يتقلب بين أعتاب أرباب الدولة ساعيا إلى شن حملة على تونس لمقاتلة محمد باي[3].

أقام ابن شكر فترة لابأس بها في الجزائر وتقرب من حكامها ليأخذ بعدها في مشاغبة محمد باي تونس، وإيقاد فتنة بينه وبين صاحب الجزائر حسين ميزومورتو[4]، ولحسن الحظ نجح قصده عنده فعزم داي الجزائر على تلبية طلب ابن شكر، وقرر تجهيز حملة من أجل تمليكه العرش التونسي ولكن قبل هذا وجب عليه أخذ رأي الديوان، إلا أن الديوان والجند رفضوا ذلك وثاروا عليه وخلعوه، فركب الداي حسين ميزومورتو البحر ناجيا بنفسه [5]، ولما بلغ ذلك محمد باي وجه مركبا حربيا للتعرض له، ومن سعادته أن المركب صادفته وأتت به إليه فقابل إساءته بالإحسان وأكرم نزله، وهاداه وأركبه البحر إلى اسطنبول، حيث اتصل بخدمة الدولة العلية العثمانية وترقى إلى أنصار قبطان باشا، أما محمد بن شكر فلا يزال مقيما بالجزائر يتطارح على أبواب أعيانها

1- حسن حسني عبد الوهاب، المرجع السابق، ص ص143، 144.

2-Thomas Maggill, **Nouveau Voyage à Tunis Publie en 1811**, Editeur du Dictionnaire Des Science Médicales, Paris, 1815, p3.

3– محمود مقديش، المصدر السابق، ص134.

4– ميزومرتو معناه بالطلياني نصف ميت. ينظر: أحمد توفيق المدني، **محمد عثمان باشا داي الجزائر1766–1791م)سيرته، حروبه، أعماله نظام الدولة والحياة العامة في عهده**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص43.

5- أحمد ابن ابي الضياف، المصدر السابق، ص63.

ويحرض على باي تونس إلى أن أجابه إلى ذلك شعبان خوجة حاكم الجزائر آنذاك [1] على مال اشترطه عليه، ضف إلى ذلك هناك سبب آخر لشن حملة وهو مخالفات قامت بها تونس في المنطقة الشرقية للإيالة الجزائرية[2]، فجهز محلة خرج فيها بنفسه ومعه ابن شكر [3].

سارع داي الجزائر إلى ترضية أعضاء الديوان الناقمين على سلفه وحاول التخفيف من غضبهم، وبالتالي الخروج من الموقف المحرج الذي كان فيه حكام الجزائر نتيجة تراجع عائدات النشاط البحري[4]، ومن المرجح ذكره هنا فإن داي الجزائر كان يخوض حربا ضد ملك المغرب آنذاك المولى اسماعيل الذي رفض تسديد مستحقات تدينها الجزائر لها، حيث أن هذه الأخيرة قامت ببيع 300أسير فرنسي للسلطان المغربي وكان المتفق 150دولار اسباني على كل رأس وتمت البيعة، إلا أن السلطان لم يدفع ثمن البيعة رغم إرسال بعثة جزائرية بشأن هذا الإتفاق، لكن السلطان المغربي هدد بقتلهم فما كان على الحرب إلا القيام[5].

ذهب الداي شعبان شخصيا للإنتقام من ملك المغرب، وغادر مع جيش قوامه ستون ألف (60.000) ودخل مملكة فاس، ولقد قاوموا ببسالة وهذا ما أخاف المولى اسماعيل فاضطر هذا الأخير إلى سحب قواته وطلب السلام مع الداي شعبان[6]، ولقد وافق داي الجزائر على التراجع شريطة أن يقوم بالإنسحاب أولا، وأن يرسل مولى اسماعيل إبنه الأكبر إلى الجزائر مع الهدايا من أجل تقديم المقترحات للديوان، مع أنه هو الآخر مال للسلام من أجل التفرغ لشؤون تونس، وما قدمه ابن شكر هو الآخر من مقترحات للداي وللديوان من أجل الظفر بإيالة تونس[7].

---

[1]- يذكر ديفولوكس أنه مع بداية سنة 1694م استدعى داي الجزائر شعبان الديوان من أجل ابداء الرأي فيما يخص أمور وشؤون تونس ومن أجل الضريبة أيضا والتي رفضت الإيالة التونسية دفعا في تلك الفترة وأصبحت تتماطل عليها، وعلى هذا الاساس قرر غزو تونس ضف الى ذلك فان الداي شعبان كان متحمسا لمقاتلة محمد باي. ينظر:

Albert Devoulx, **Tachrifat recueil de notes historiques sur l'administration de l'ancienne régence d'Alger**, bibliothèque national Alger, Alger, 1852, p p11 ,12.

[2]- H.D. De Grammont, **Histoire d'Alger sous la domination turque (1515- 1830)**, Ernest Leroux, Paris, 1887, p261.

[3]– أحمد ابن أبي الضياف، المصدر السابق، ص63.

[4]– صحراوي عبد القادر ومحمد عطية، "مشروع توحيد الإيالات المغاربية في عهد الداي شعبان 1688– 1695م"، **الحوار المتوسطي**، ع15– 16، مارس2017، جامعة سيدي بلعباس، ص 552.

[5]- قرباش بلقاسم، "الهجوم الجزائري على المغرب1688م من خلال وثيقة أصلية انجليزية"، **المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية**، مج 09، ع 1، جامعة سيدي بلعباس، جوان 2018، ص ص33، 34.

[6]– Lougier De Tassy , **Histoire du royaume d'Alger**, Edition loysel , Paris,1992, p301

[7]- Ibid, p302.

جهز الداي شعبان الحملة بمشاركة بعض القبائل الحدودية من بينها قبيلة الحنانشة، حيث استطاعوا حصار تونس وغزوها بسهولة [1]، ما اضطر محمد باي على الفرار، وتعين ابن شكر من بعده بايا عليها، هذا الأخير الذي عاث فسادا وقام بعزل كل من كان له صله بمحمد باي، فذهب جماعة ممن كانوا سندا للباي محمد إلى جبل زوارة الذي كان هذا الأخير معزولا فيه وأخبروه عن ما يجري داخل الإيالة من تعسفات ومخالفات، فقرر محمد باي على إثرها العودة وتجهيز جيشا من أجل استرجاع حكمه وبفضل مسانديه الكثر استطاع هزم ابن شكر وأرغمه على العزل من منصبه[2].(**راجع تفاصيل هاته المعركة في الفصل الثاني)**

انفراد محمد باي بالحكم وانتصاره على ابن شكر لم يكن يعني أبدا استرجاع البيت المرادي لنفوذه نهائيا، حيث فشل آخر البايات المراديين أي رمضان باي المرادي وهو أخ الباي المذكور سابقا في استرجاع نفوذهم، لأنه كان خمولا وكسولا محبا للبطالة حيث أوكل مهمة تدبير شؤون الإيالة التونسية لأحد أصدقاءه المغنين ما جعل ابن أخيه مراد المعروف ببوبالة[3] يستغل الوضع وينقلب على عمه ويأمر بقتله وأخذ مكانه[4]، ولكن هو الآخر فشل في إعادة الاستقرار الإقتصادي والإجتماعي من أجل معالجة الأزمة الشاملة للبلاد، وهذا لأن الطابع الدموي ميز فترة حكمه[5] .

أما الجزائر فليست هي الأخرى بأحسن حال فلقد اجتاحها الطاعون والمجاعة وتردت بها الأوضاع نتيجة ذلك، وهذا ما استغله مراد باي وراح يغزو مدينة قسنطينة حيث قام بمحاصرتها، ولكن لحسن الحظ وبعد انتخاب الداي مصطفى على رأس الإيالة الجزائرية سارع هذا الأخير لمجابهته إلى غاية الحدود، بالرغم من أن الجزائر كانت تشهد اضطرابا كبيرا من الناحية الغربية حيث حاول المغرب الاستيلاء على مدينة الجزائر [6] والذي تقدم بجيشه المقدر بخمسين ألف رجلا بمسيرة ثلاثة أيام متوالية نحو مدينة الجزائر، بالرغم من أن داي الجزائر كان لا يملك آنذاك سوى ستة آلاف من المشاة وألف فارس تركي فقط، إلا أن الداي مصطفى وجيشه استطاع هزيمته ودحره وجعله يعود أدراجه[7].

---

[1]- Albert Devoulx, op.cit, p12.

[2]- Lougier De Tassy, op.cit, p320.

[3]- البالة لفظ تركي لنوع من السيوف الحادة الشفرتين. ينظر: حسن حسني عبد الوهاب، المرجع السابق، ص 145.

[4] - Thomas Maggill, op.cit , p4.

[5]- دلندة الأرقش وآخرون، المرجع السابق، ص61.

[6]- H.D. De Grammont, **Correspondance Des Consuls D'Alger (1690- 1742)**, Adolph Jourdan Libraire Editeur, Alger, 1890, p 50.

[7]- Eugéne Plantet, **Correspondance Deys D'Alger avec La cour de La France 1579-1833**, Paris, 1889, T2, p10.

أما في تونس فإن كثرة الهزائم التي كان يتلقاها الباي وفشله في تثبيت الوضع السياسي في تونس، جعل البلاد تدخل في حالة من الفراغ السياسي، ما مكن ثائر آخر يدعي إبراهيم الشريف من الإستيلاء على العرش التونسي سنة1702م، حيث سيقضي على مراد بن علي كما سيقضي على ما يطلق عليه بالأسرة المرداية، ولكن لن يتمكن أي حاكم من وقف التدخل الجزائري في الشؤون السياسية الداخلية لمملكة تونس. (**وسيكون لنا حديث مطول حول هذا الثائر وحروبه في الفصل الثاني**).

ب. الأزمات السياسية في تونس خلال العهد الحسيني وموقف الجزائر منها 1705م–1759م:

ب.1. بدايات العهد الحسيني في تونس1705م:

في ظروف عصيبة وغير مستقرة من صيف 1705م تولى الحسين بن علي مقاليد الحكم، الذي قوم الوضع وأسس في الوقت ذاته حكما ملكيا، أي وراثية يتداولها الأكبر فالأكبر من ذريته، وبهذا الشكل يكون قد خيب آمال الطامعين في الحكم، ولقد تمت البيعة للحسين بن علي بديوان المدفعية أمام باب القصبة بتاريخ 20ربيع الأول1117هـ13جويلية1705م [1].

تقلد الحسين بن علي منصب الباشوية من قبل العلماء والأعيان والعسكر، وليس عن طريق الثورة والتسلط كما حدث في فترة البايات المراديين ولم يعينه حكام الجزائر، ولهذا أعلن الحرب على الإيالة الجزائرية من أجل التخلص منها ومن تبعيتها[2]، ولم يبق أمام حسين بن علي من يعيق طريقه حيث سيتخلص من الثائر إبراهيم الشريف الذي ذكرناه آنفا والذي أخذ الحكم من المراديين وأصبح هو بايها. (**راجع التفاصيل في الفصل الثاني**.)

جمع الباي حسين السلطة في يده، فالعسكر التركي قد تضاءل عدده ومازجته عناصر من الكوارغلية وانحصر دوره في أن أصبح قوة تسهر على النظام العام فتخلى مرغما عنه عن كل مطامحه السياسية[3]، حيث كان هدفه منذ البداية أن يجعل نظام الحكم وراثيا ولكن بسبب عدم إنجابه للأولاد جعله يتبنى ابن أخيه عليا الذي عهد إليه فترة من الوقت قائدا لقواته[4]، ولكن مع وفاة مؤسس الدولة سنشهد ظهور أزمات داخل البلاط الحسيني تمثل في تنازع أولاده وابن أخيه على عرش الإيالة، ولكن هاته المرة ستظهر ظاهرة ليست

---

[1]- حسن حسني عبد الوهاب، المرجع السابق، ص150.

[2]- Henri Mager, **Atlas D'Algérie et Tunisie**, Ernest Flammarion Editeur, Paris, p28.

[3]- محمد الهادي الشريف، المرجع السابق، ص82.

[4]- Thomas Maggill, op.cit, p5.

بالجديدة على المسرح السياسي التونسي، وهي ظاهرة لجوء حكام تونس للجزائر من أجل طلب المساعدة وإسترجاع حكمهم المسلوب.

ب.2. الحرب الأهلية في تونس ولجوء علي باشا إلى الجزائر عام 1728:

قبل الحديث عن سيرة علي باشا وحربه ضد عمه، لا بد من ذكر نقطة مهمة وهي أن كلا الإيالتين الجزائرية والتونسية كان مقيمين بها ناقمين على الحكم، وهناك من كان يستغل التشاحن والتضارب الذي كان بينهما، أما قضية علي باشا الذي سنأتي على ذكره فهو سيستغل حكام الجزائر من أجل إمتلاك العرش التونسي مقابل التبعية والضريبة السنوية وهذا بالنسبة للجزائر ليس إستغلال وإنما تراه من حقها، كما أنها سعت دائما للتدخل في شؤونها السياسية.

تربى علي في حضن عمه الحسين بن علي والذي تبناه عندما كان صغيرا وأحسن تربيته، ولما كبر علي استعان به في أمور الدولة وولاه السفر بالأعمال، حينها رزق حسين باي بالذرية وهم أولاده الثلاث محمد وعلي ومحمود من جارية نصرانية أصلها من جنوة[1]، وبعد أن كبر أولاده قرر الحسين توليتهم على حساب ابن أخيه علي الذي كان قد رجاه كولد له، فأزاحه عن مسؤولياته بتمكينه من وظيفة الباشا في أواخر سنة1725م، ثم شدد الباي من رقابته على الباشا الجديد لما أحس منه حقد وعداوة[2].

إن لقب الباشا الذي حصل عليه علي لم يكن كافيا ولم يرضي شخصه بإعتباره حمل مسؤولية الإيالة مع عمه منذ البداية، فهو كان يطمع فيه ويتحمس لحمل العرش التونسي ولا يرى لأبناء عمومته أية أحقية عليه، وهذا ما جعله يرفع راية التمرد والعصيان، لكنه تعرض للأذية جراء قراره، ولهذا رأى من الضرورة الخروج من مدينة تونس كأفضل حل له[3].

أسفرت الديناميكية السياسية التي حصلت مع الحسينيين مع ربيع1727م العديد من المشاحنات بين العم وابن أخيه[4]، وعليه اندلعت الأزمة السلالية داخل البيت الحسيني وأبعد علي باشا من سدة الحكم، والذي رفض هذا القرار ورآه مجحفا في حقه ولم يستطع السكوت عنه، فلم يتوانى هذا الأخير من التخطيط للتمرد والعصيان والفرار من أجل إعلان الثورة على عمه وهذا بعد أن تحصن بجبل وسلات في شهر فيفري

---

[1]- حسن حسني عبد الوهاب، المرجع السابق، ص150.

[2]- محمد الهادي الشريف، المرجع السابق، ص82.

[3]- Armand De Flaux, **Régence de Tunis au 19éme**, Libraire Badiste, Alger, 1865, p208.

[4]–Thomas Shaw, op.cit, p141.

1728م[1]، حيث لقي مساندة سكانه والذين عرفوا بمناهضتهم للسلطة أيضا فضلا عن مساندة مجموعات أخرى مثل أولاد عيار وماجر، واندلعت الحرب بعد أن صدت أبواب الصلح وانقسمت البلاد إلى صفين، الصف الباشي حول جبل وسلات والعروش المحاربة وبعض قرى الساحل، يقابله الصف الحسيني حول المدن والقبائل المخزنية مثل دريد وجلاص وأولاد عون[2].

أما الأسباب العميقة التي تكمن وراء هذه الحرب الأهلية فتتمثل أولا في الظرفية المحلية والإقليمية الغير ملائمة، وثانيا في العلاقات الإستغلالية التي فرضتها الدولة على المجموعات الداخلية قبيل الأحداث، وهناك سبب آخر ساعد على إنتشار الحرب الأهلية وجعلها تشمل تقريبا كل المجموعات الداخلية ويتمثل أساسا في البنية القبلية والتي تقوم عليها التركيبات الاجتماعية وما تخلفه من عداوة أحيانا وتحالف بينهما أحيانا أخرى[3].

ستندلع الحرب بين العم وابن أخيه هي حرب تخص البيت الحسيني لا غير، ففي الأشهر الثلاثة الأولى من سنة1728م احتل خلالها جيش الباي حسين عددا من المواقع سواء عند سفح جبل وسلات نفسه أو بين شعابه وأوعاره، حيث نراه يخوض خمس أو ست معارك ضد أنصار علي باشا الذي كان النصر حليفهم في أغلب الأحيان، ولا شك في أن حسين باي استطاع تضييق الخناق على أهل ذلك الجبل إلى درجة أنه نجح في منعهم من أي اتصال مع بقية دواخل البلاد، كما استطاع أن يمحق التمرد في جميع ربوع الإيالة التونسية، وأجفل علي باشا فارا إلى الجزائر مع إبنه يونس، وبعدها مباشرة رجع الباي حسين إلى العاصمة التونسية، بعدما غاب عنها في حروبه ضد ابن أخيه، طيلة ثمانية عشر شهرا وكانت عودته إليها في شهر محرم 1142هـ الموافق لشهر أوت سنة 1729م. [4]

---

[1]- Charles Feraud, op.cit, p223.

[2]– دلندة الأرقش وآخرون، المرجع السابق، ص 64.

[3]– عبد الحميد هنية، **تونس العثمانية بناء الدولة والمجال**، منشورات أوتار تبر زمان، تونس، 2016، ص ص 171، 172.

[4]– ألفونص روسو، المرجع السابق، ص177.

اتصل الحسين بعبدي باشا بشأن إبن أخيه وحاول إستمالته[1] وحثه على قتل علي باشا، مع العلم من أن عبدي باشا كان مقربا للحسين، فمع دخول علي باشا الجزائر اعتقله عبدي باشا وسجنه، ولكن داي الجزائر لم يكن صاحب قرار وإنما كان ألعوبة بيد أعضاء الديوان فضل مترددا في قضية قتله، وتذرع للباي التونسي بما تفرضه عليه دواعي الإنسانية تارة، وبأصول الضيافة والمستجير تارة أخرى[2]، مكتفيا بوعده له بأنه سيبقى على علي باشا سجينا، مشترطا مقابل ذلك أن يدفع له الباي حسين مبلغ عشرة ألاف ريال بندقي[3]، واضطر هذا الأخير بالفعل إلى دفعها للخزينة الجزائرية سنويا، المهم أن لا يطلق سراح علي باشا، وأن لا يزاحمه في الحكم، ولقد صارت هذه الإتاوة تدفع للجزائر في مواسمها خلال بضع سنوات.

مع حلول سنة 1147هـ- 1735م نرى باي تونس يتوقف عن دفع الإتاوة باعتبار الداي قد تغير وأصبح إبراهيم باشا خلفا لعبدي باشا، فسارع هذا الأخير إلى تشديد اللهجة من أجل الالتزام بالاتفاق المالي ولكن لم يجد آذان صاغية في الإيالة التونسية[4]، إلا أن علي باشا سعى لإستمالة الداي الجديد مستغلا الموقف الحاصل بين البلدين من خلال تقديم امتيازات له مقابل الوقوف بجانبه ونجح هذا الأخير في مسعاه، حيث شن حملة عسكرية ضد تونس مع سنة1735م مرافقا في ذلك علي باشا المتمرد على عمه[5]، وانقسمت البلاد بسببهما إلى قسمين: الحسينية تابعة للحسين بن علي والباشية تابعة لعلي باشا وهي ما تعرف في تاريخ تونس الحديث بالفتنة الحسينية الباشية. (**هنا ستنشب حرب كبيرة بين الإيالتين معروفة بمعركة سمنجة راجع تفاصيلها في الفصل الثاني**).

ب.3. لجوء حكام تونس إلى الجزائر مابين سنتي 1746–1759م

ب.1.3. لجوء أبناء الحسين إلى الجزائر 1746م:

إثر وفاة الباي حسين اضطر أبناءه للإستنجاد بالحكام الجزائريين من أجل استرجاع عرشهم المسلوب والثأر لأبيهم المقتول، مع العلم من أن حكام الجزائر ربطتهم فيما بعد علاقة جد متوترة مع علي الباشا هذا

---

[1]- عبدي باشا كان آغا الصبايحية العرب وحكم بايلك التيطري، وكانت توليته في 20 جمادى الثانية 1136هـ- 1724م، وفي ولايته احتل الإسبان مدينة وهران مرة أخرى ، وافته المنية فييوم الجمعة 11محرم 1145هـ- 1732م.ينظر:ابن المفتي، المصدر السابق، ص ص61، 62.

[2]- ألفونص روسو، المرجع السابق، ص161.

[3]- Armand De Flaux, op.cit, p 208.

[4]- ألفونص روسو، المرجع السابق، ص161.

[5] - Thomas Maggill, op.cit, p 7.

الأخير الذي سيرفض تقديم الإلتزام المادي للإيالة الجزائرية والذي كان قد وعدهم به، حيث كان وصوله لسدة الحكم بفضل الجزائر وتخليه عن دفع الإتاوة السنوية لها لن يمر مرور الكرام.

يذكر صاحب الإتحاف أنه في شهر محرم 1159هـ- جانفي فيفري 1746م أتى الخبر بأن صاحب الجزائر إبراهيم خوجة أنجد أولاد الباي حسين بن علي بجيش لإسترجاع ملك أبيهم، ولقد خرجت المحال في الربيع الأول من نفس السنة شهري مارس وأفريل ومعهم أخلاط العربان النازعين إلى أولاد الباي حسين والترك الذين هربوا من تونس مع علي بهلوان لما لم تتم لهم الثورة من قبل، كما استعد علي باشا في المقابل لمدافعتهم حيثشحن قلعة الكاف بالعدة والرجال والذخائر الخيل حتى قيل له : « **قد جعلت معظم قوتك في الكاف، فإذا أخذه العدو ولم يبق عندك ما تدافع به عند الحاضرة**» [1]، ولقد بلغت القوات التي أودعها علي باشا في الكاف نحو 600مقاتل من خيرة عسكر الترك تحت قيادة حيدر خوجة، ونحو ألف من خيرة عسكر الزواوة تحت قيادة رئيسهم علي التميمي ومن أوجاق الصبايحية تحت آغاهم حسين كرباصة، وأمد علي باشا عسكره في الكاف جميع ما يحتاجون إليه من الآلات والأسلحة [2] هاته هي التحضيرات التونسية.

أما التحضيرات أو الإستعدادات الجزائرية فلقد تمثلت بداية في موافقته لمساعدة أبناء الحسين في استرجاع عرشهم، ثم سعى بعدها للحصول على المال من القنصل الفرنسي لكنه فشل في ذلك، كما دعا أتباعه الموجودين في الجزائر إلى الاستعداد للحملة وإعادة العرش لأبناء الحسين، وفي نفس الوقت كتب الداي إلى حسن باي قسنطينة وإلى علي بن الحسين فيها، وحتى قبيلة الحنانشة الحدودية كانت معنية بالمشاركة في الحملة، ولقد خرجت الحملة بعد التجهيز في شهر ربيع الأول 1159هـ- أفريل1746م وعند الوصول إلى قسنطينة انضمت لها قوات حسن باي ولكن الحنانشة تثاقلوا في الانضمام خوفا من مكر علي باي التونسي، لكن صهره علي بن الحسين طمأنه ونجح في إقناعه[3].

لكن الغريب في هذا الأمر وأمام كل هاته التحضيرات التي جهزها علي باي تونس والسؤال الذي يطرح نفسه في الوقت ذاته: **كيف علم باي تونس بالحملة الجزائرية الموجهة ضده؟**

---

[1]- أحمد ابن أبي الضياف، المصدر السابق، ص ص128، 129.

[2]- عمار بن خروف، **العلاقات السياسية بين حكام الجزائر وتونس في القرن18م- 12هـ**، دار الأمل للنشر والتوزيع، الجزائر، 2017، ص ص 129، 128.

[3]- نفسه، ص ص 128- 132 .

إن النشاط الإستخباري أو الجوسسة كانت ظاهرة سارية المفعول في أطر العلاقات الجزائرية التونسية، نظر لقلة الثقة بين الإيالتين، الأمر الذي فتح مجالا واسعا لمعارضي الطرفين قصد المناورة والتحرك خاصة على الأراضي الجزائرية[1]، وكما ذكرنا سابقا فإن علي باشا كان قد اعتلى عرش تونس بفضل الجزائر مقابل الالتزام المالي والتبعية التامة، وكان هذا الأخير قد عاش فترة لا بأس بها بالإيالة الجزائرية، وهنا سارع إلى وضع جواسيسه بالمنطقة ليكون على دراية بما يحصل في الإيالة ولهذا فإن الحملة 1746 قد علم بها باي تونس من طرف جواسيسه، ولهذا استعد للحملة استعداد كبيرا وخاصة مدينة الكاف والتي دعمها بتحصين عسكري قوي، كما اتصل ببعض الدول الأوروبية من أجل مساعدته بالمعدات والذخائر، ومن بين الدول الأوروبية التي استجابت له هولندا، حيث أرسلت لها سفينة محملة بالذخيرة الحربية، لكنها وقعت في أيدي الجزائريين الذين كانوا يتجسسون على تحركاته أيضا على مقربة من مرسى غار الملح التونسي مطلع شهر ماي 1746م، كما بث عيونه هو الآخر في صفوف الجزائريين، مما مكنه من تتبع كل الخطوات والتطورات والخطط التي ترسم لضرب تحصينات الكاف التي تمت محاصرتها، وبذلك أفشلت محاولات تلغيم سور المدينة، وشرع على إثرها استمالة الجزائريين وثنيهم عن مواصلة حصار المدينة، وذلك عن طريق وعدهم بدفع أموال طائلة لهم، الأمر الذي مكنه في الأخير في إقناعهم، فانسحبت الحملة على إثرها [2].

وحسب ألتر عزيز سامح فإن السبب الوجيه في انسحاب الجزائريين من الحملة هو الوباء الذي هاجم الجيش الجزائري، ومنه أجبر الداي إبراهيم على فك الحصار في نهاية ديسمبر من عام1746 [3] كما تخوف باي تونس من محاولة الداي إبراهيم من مهاجمته ثانية فقدم له بعض الهدايا وعرض عليه الطاعة، فقبل إبراهيم عقد صلح معه، لأن الأوضــاع داخل الإيالة الجزائرية تستدعي الحل السريع وهنا نتكلم عن الأوضاع السياسية

1- شوقي عبد الكريم، **الإستخبارات في العصر الحديث897هـ- 1246هـ- 1492م- 1830**، ط1، دار هومة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2017، ص 289.

2- نفسه، ص ص 294، 295.

3- عزيز سامح ألتر، المرجع السابق، ص 508.

في مدينة وهران والاحتلال الإسباني بها والتي تتطلب إرسال عدد كبير من جيشه لمحاصرتها ضف إلى ذلك تمرد الكراغلة [1]في تلمسان[2] .

وعلى هذا الأساس انسحب الجزائريون من تونس بعدما أبدوا موافقتهم على مساعدة أبناء الحسين على استرجاع العرش التونسي، لكن الأوضاع الداخلية بالإيالة الجزائرية والوباء الذي حل بالجيش الجزائري من جهة أخرى حال دون ذلك وفشلت الحملة الأولى سريعا، ولكن الأوضاع في تونس بعد رحيل الجيش الجزائري لم تهدأ والحكام الطالبين للعرش قد استساغوا فكرة اللجوء وطلب المساندة، وأصبح تدخل الجزائر هو الحل الوحيد لتحسين الوضع السياسي بها، حيث ستكون هناك فتنة أخرى في تونس وصراع على العرش من جديد وسيكون هناك لاجئ تونسي آخر غير أبناء الحسين سيلجأ إلى الجزائر لطلب العون منها.

ب.2.3.لجوء يونس وإسماعيل بن يونس إلى قسنطينة 1752– 1759م:

ب.1.2.3. لجوء يونس باي إلى قسنطينة1752م:

تمكن علي باشا وابنه يونس باي من القضاء على كل التمردات الداخلية التي كانت جارية بتونس، كما قاموا بقتل كل من تجرأ على إرجاع الحكم إلى أبناء الحسين بن علي المستأجرين بالجزائر، وعليه فإن علي باشا وابنه وبعد أن تم الصلح بينهم وبين الفرنسيين، وبعدما آلت إليهما الأموال الطائلة التي تركها ورائهم آل حسين بن علي في البلاد التونسية قبل فرارهم إلى الجزائر، زيادة على الأموال التي سلبوها من الأهالي التونسيين، أصبح بعد كل هذا شغلهم الشاغل هو تثبيت حكمهم على الإيالة، وذلك باستغلال الأموال السنوية في شراء ذمم أنصارهما زيادة على هذا فإن يونس باي كان يحرص في كل مرة على تحويل جانب كبير من تلك الأموال إلى خزائنه الخاصة، وأصبح على إثرها يونس باي شديد النفوذ ويحوز على ثقة والده لدرجة أن الوالد لم يكن يسأل عما يفعل، بحيث صار ليونس سيطرة على القوات المسلحة داخل العاصمة التونسية وحتى أفراد حاشية القصر، ولقد أثار هذا الوضع غيرة وحسد ابن الباشا الثاني محمد الذي كان هو الآخر أميرا طموحا، وماكرا بحيث خشي عواقب الأمر على مركزه مستقبلا، فأخذ يعمل بكل الوسائل على وضع حد

[1]- تعريفها اللغوي قول– أوغلو أي إبن العبد، اصطلاحا هي التسمية التي أطلقت على أبناء الإنكشاريين من النساء المحليات "الجزائريات" .ينظر حسن أميلي، **النظام العسكري في الولايات المغاربية العثمانية من خلال المؤرخين الفرنسيين نيكولا دي نيكولاي والراهب بيير دان " العثمانيون في المغارب من خلال الأرشيفات المحلية والمتوسطية"**، ط1، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 2005، ص 192.

[2]- عزيز سامح ألتر، المرجع السابق، ص 509.

لنفوذ أخيه الأكبر ويعمد في إبعاده أو على الأقل تقاسم النفوذ معه [1]، ولكن علي باشا كان يعطي مسؤوليات لأبنائه الآخرين محبة فيهم وأثناء سفر ابنه يونس في مهمة ما كان يخرج مع إبنه محمد بمحلة سواء صيفا أو شتاء بالرغم من معارضة يونس باي لهذا الأمر[2].

كانت الفتنة تشتعل يوما بعد يوم بين الإخوة على المنصب الرفيع الذي يشغله يونس، وكان أخواه يغيظانه على تلك المكانة أو المنزلة التي خصها بها أبيهم واهتمامه بأموره كلها، فسعيا به لدى والدهما حتى أوغرا عليه صدره ومن ذلك الحين دبت عقارب الشقاق بين الأب وابنه[3]، ولهذا اغتنم محمد باي الفرصة في إسقاط أخيه سواء من ناحية تقربه لوالده أو حتى من الحاشية التي كان يونس باي يستصغرها دائما، فاستحكمت الوحشة بين الباشا وابنه يونس فما كان عليه إلا مباشرة أحوال الإيالة بنفسه وحاول إرساله للمشرق رغبة لأبنائه الذين حرضوه ضده [4].

رفض يونس باي في بداية الأمر ورآه أمرا مستحيلا لكنه وافق فيما بعد على أمر والده ظاهريا فقط وبعده 8 أيام من ذلك أي في 9شهر جمادى الثاني 1165هـ 24 أفريل 1752م غادر قصر باردو صحبة ستة من حراسه و12 أسير يحملون أسلحته ومتاعه ولكن في طريقه توارى متوغلا بين أشجار الزيتون حتى دخل قصبة المدينة وجمع عسكرها الذين بايعوه بايا، وبفضل الأموال التي كان يملكها استطاع تدبير أموره، ورغم المناوشات مع أخيه ووالده إلا أن نفاذ الذخيرة أفشل كل مخططاته فيما بعد، ولم يعد في وسعه التصدي لها خاصة بعد مهاجمة إخوته له فجأة، فما كان عليه إلا إمتطاء فرسه مع بعض من أصحابه ودخل مدينة تبسة الجزائرية فمع دخوله الأراضي الجزائرية لن يكون بمقدرتهم دخولها، أما هو فدخل لاجئا لها[5].

واصل يونس باي طريقه ودخل قسنطينة حيث أكرمه صاحبها الباي حسين عشي وأحسن نزله ولكن مع تعيين أرزق عينو بايا على قسنطينة خلفا لحسن عشي اختلف التعامل تماما حيث ضيق عليه عيشه وزاد في التضييق عليه وسجنه في بيت داخل داره[6]، بالرغم من أن يونس كان يأمل في مساعدة الجزائريين له ويمدو له يد العون في إعتلاء العرش التونسي وانتزاع الملك من أبيه، ولكن مساعي يونس باي للحصول على

---

[1]- ألفونص روسو، المرجع السابق، ص ص 200، 201.

[2]- أحمد ابن أبي الضياف، المصدر السابق، ص ص 134- 137.

[3]- حسن حسني عبد الوهاب، المرجع السابق، ص ص 152، 153.

[4]- أحمد ابن أبي الضياف، المصدر السابق، ص ص 134- 137.

[5]- ألفونص روسو، المرجع السابق، ص 204.

[6]- أحمد ابن أبي الضياف، المصدر السابق، ص141.

المساعدة من الجزائر باءت بالفشل، لأن والده بادر إلى تطويق مساعيه، بإرسال مبعوث إلى داي الجزائر محمل بالهدايا، وقد حظي مبعوثه بإستقبال جيد في الإيالة الجزائرية، ثم عاد إلى تونس على جناح السرعة ما يعني أنه نجح في إقناع الجزائريين بعدم مساعدة يونس[1].

مما يجدر ذكره هنا ومما لوحظ فيما سبق أيضا أن الجزائر وحكامها لم يكن يهمهم من يعتلي عرش تونس بقدر ما يهمهم ما يكتسبوه مقابل المساعدة العسكرية، والإلتزام المالي الذي تفرضه هي يعني بلغة أخرى من يدفع أكثر يكن له المراد وتقدم له المساعدة التي يحتاجها شريطة الإلتزام المالي، وعليه كانت هناك حملة أخرى مع سنة1756م استجابة لطلب أبناء الحسين الذين أغروا دايات الجزائر مرة أخرى، حيث تمكنت هذه الحملة من إقتحام مدينة الكاف وتونس وقلب الطاولة على علي باشا.(**راجع تفاصيل الحملة في الفصل الثاني)** .

وعليه استرجع أبناء الحسين بن علي عرشهم في تونس، وفي المقابل اعترفوا بسيادة الجزائر عليهم مستأنفين دفع الإتاوة التي كان علي باي قد قطعها، إضافة إلى متابعة البيع القسري لقطعان الأغنام والبقر الكثيرة التي تبعث سنويا إلى النواحي الغربية من الإيالة التونسية لكي تباع هناك تحت إشراف مبعوث الباي[2].

ب.2.2.3.لجوء إسماعيل باي إلى قسنطينة1759م:

الظاهر هنا أن ظاهرة اللجوء أصبحت السمة البارزة في تسيير نظام الحكم داخل البلاط الحسيني حيث ومع وصول أبناء الحسين لعرشهم، وتعيين محمد ابنه الأكبر بايا على تونس كان لزاما عليهم ترتيب الأوضاع السياسية وتهدئتها وطرح نفوذهم في كل أرجاء الإيالة من جديد، بالرغم أن مهمتهم كانت صعبة في البادئ لأن وصولهم إلى سدة الحكم لم تكن مشرفة جدا، فقد كان وصولهم إلى الحكم مقابل الغنائم الكبرى التي حصل عليها الجيش الجزائري التركي من الأهالي بعدما استباحوا مدينة تونس[3]، وعليه فإن مهمة أبناء الحسين كانت صعبة جدا، فهناك ضريبة سنوية تدفع لإيالة الجزائرية، وهناك مناوئين ورافضين لحكم أبناء الحسين بن علي، وهناك من يرغب في استرداد الحكم، وهنا يأتي الذكر على إسماعيل بن يونس بن علي الحسيني هذا الأخير الذي لحق بأبيه يونس لأسباب عدة.

1- عمار بن خروف، العلاقات السياسية...، المرجع السابق، ص 143.

2- عبد الحميد هنية، المرجع السابق، ص 174.

3- نفسه، ص175.

بعد فرار يونس باي إلى قسنطينة سجن اسماعيل مع أخويه(**أحمد ومصطفى**) بدرا سكناهم ومنعوا من الخروج والتصرف، إلا أن جرت حملة1756م وهزم فيها جدهم علي على يد الجزائريين حيث تم القبض على علي وقتل ابنه محمد، وتفرق إخوته وأولاده وكان اسماعيل ممن فر إلى طرابلس[1]، وهناك استقبله علي بن محمد القرمنلي صاحب طرابلس فأكرم هذا الأخير نزله ورتب له ما يحتاجه بموجب ما تقتضيه صفوف السلطنة، ولما سمع بموت محمد باي سنة1759م وتولية أخيه علي، قصد نحو تونس مطالبا ملك جده، فسار من طرابلس خفية من الباشا الجديد، وصار كلما مر بطائفة من الأعراب تبعه منهم جماعة فانتهى بها إلى قابس ومعه جمع كبير، ولم يزل سائرا داخل أرجاء الإيالة التونسية حتى سمع علي باشا به، جهز له هذا الأخير عسكره والتقى الجمعان للقتال، إلا أن الهزيمة كانت من نصيب إسماعيل، والتي ارتحل على إثرها إلى جبل وسلات، لكنه علم أنه لن يحصل على شيء هناك فقرر المغادرة إلى قسنطينة[2].

لجأ إسماعيل هو الآخر إلى قسنطينة لكن الباي سجنه، مع العلم أن والده يونس كان متواجدا هو الآخر بالجزائر في الفترة الممتدة من 1759- 1762م بالرغم من أنه كان محبوسا وظهرت فيما بعد إشاعة موته، مع أن باي قسنطينة كان قد أرسل مبعوثه لتهنئة باي تونس بهروب خصيمه، فازداد قلق الباي التونسي حيال هذا الخبر وهو عالم بأن إسماعيل بقسنطينة، لأن ذلك المبعوث قد جاء ليبحث معه أيضا في المقابل الذي يمكن أن يقدمه لقاء الإبقاء على منافسه إسماعيل سجينا بقسنطينة، وقد طلب المبعوث لقاء هذه الخدمة 100.000 بياستر، كما أرسل لوكيل الحرج بالجزائر[3]الذي جاء إلى تونس 9000 ريال وأتحفه هو ومن جاء معه بهدايا، وأرسل هدايا للداي ومساعديه ولباي قسنطينة[4].

مع العلم أن باي تونس لم يخلف عن دفع الضريبة السنوية، ولكنه تخوف من وجود يونس وابنه إسماعيل في الجزائر، ولهذا سارع إلى توطيد علاقاته مع سلطان المغرب محمد بن عبد الله العلوي والسماح

1- ابن عبد العزيز حمودة بن محمد، **الكتاب الباشي**، تح: ماضور محمد، الدار التونسية للنشر، تونس، 1970، ج1، ص47.

2- محمود مقديش، المصدر السابق، ص 167.

3- وكيل الحرج هو موظف سامي في الإيالة الجزائرية يهتم في بعض الأحيان بالشؤون الخارجية والعلاقات الدولية، مهمته الأولى مراقبة النشاط البحري وأعمال الترسانة البحرية، ويشرف على تهيئة عتاد الحرب وتوزيع الغنائم البحرية ينظر: حنيفي هلايلي، **أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، ط1، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2008، ص 141.

4 ـ عمار بن خروف، العلاقات السياسية...، المرجع السابق، ص 225.

لتجارتهم بالنشاط في شواطئهم، كما حاول توطيد علاقته مع فرنسا سرا التي عرضت عليه المساعدة في حال كان لها حربا مع الجزائر وكل هذا سنة1763م، فكانت ردة فعل الجزائر أن أطلقت سراح إسماعيل من السجن ونقله إلى العاصمة بطلب من داي الجزائر، حيث استقبله بمودة واحترام وسرحه ومكنه من وسائل الإقامة بما يليق به[1]، كما أنه تزوج من بنت الخزناجي[2]، ولقد كان وجوده بالإيالة الجزائرية مقلقا إلى أن وافته المنية، ومن المؤكد أن بقاءه بها تصرف أزعج باي تونس ولكنه لم يبدي أية ردة فعل مضادة، كما لم يعلن القطيعة مع الجزائر لأنه كان يقدر العواقب جيدا.

ج. التمثيل الدبلوماسي الجزائري في تونس :

ج.1. الوكلاء الجزائريون في تونس:

ج.1.1. مفهوم الوكيل لغة واصطلاحا:

* **لغويا**: جمع مفرده وكيل بفتح الواو وكسرها وكسر الكاف ممدودة ويطلق على الجمع وعلى المؤنث، والمصدر الوكالة – **من وكلته لكذا إذ فوض إليه ذلك–** وهو من تستكفيه أمرك وتتركه له وتسلمه إياه ثقة بكفايته فهو حفيظ ورقيب ومعين، أو عجزا منك عن القيام بأمرك[3]، والوكيل بمعنى أدق هو الذي يقوم بأمره سمي وكيلا لأن موكله قد أوكل إليه القيام بأمره فهو موكول إليه الأمر [4].

* **إصطلاحا**: الوكيل والتوكيل في اصطلاح الفقهاء هو إقامة الإنسان غيره مقيم نفسه في تصرف شرعي معلوم مورث لحكم شرعي[5].

أما تاريخيا فلقد ارتبط تطور النظام القنصلي بتطور العلاقات التجارية بين الدول والذي كان سابقا مرتبط بالعلاقات السياسية والعسكرية فقط[6]، ولهذا وجد الوكيل الجزائري في تونس أيضا لتكون له تقريبا نفس مهام بما يسمى بالقنصل، فالوكيل هو موظف تعينه حكومة الجزائر في العهد العثماني ليكون نائبا عنها

1- عمار بن خروف، العلاقات السياسية...، المرجع السابق، ص ص 226، 227.

2- أحمد ابن أبي الضياف، المصدر السابق، ص142.

3- محمد عمارة، **قاموس المصطلحات الإقتصادية في الحضارة الإسلامية**، ط1، دار الشروق، بيروت، 1993، ص628.

4- ابن منظور، **لسان العرب**، دار المعارف، القاهرة، د.س، ص4910.

5- محمد عمارة، المرجع السابق، ص628.

6- درعي فاطمة، "أعضاء البعثات الدبلوماسية الأوربية في الجزائر خلال العهد العثماني وحصاناتهم"، **المجلة الناصرية للدراسات الإجتماعية والتاريخية**، مج9، ع1، جامعة معسكر، جوان2016، ص441.

في إحدى الإيالات العثمانية أو المدن الأوربية، ليسهر على خدمة مصالحها السياسية والاقتصادية والاجتماعية ويسلم له من طرف الحكومة وثيقة بمثابة توكيل رسمي، يذكر فيه تفاصيل الصلاحيات الموكلة إليه وتعتبر تلك الوثيقة بمثابة اعتماد رسمي للوكيل لدى سلطات البلد الموجود فيه[1].

لم يكن باي تونس إلا شبه ملك وكان باشا الجزائر هو الذي يحكم البلاد والشعب حسب رغبته وكما يحلو له ولذلك فإن وكيل الجزائر أو القائم بأعمالها ووكيل قسنطينة التي هي أقرب محطة لإيالة تونس وحتى البحارة منهم كانوا يقومون بتجاوزات خطيرة دون أن يعاقبوا عليها، وإن كل من يريد التخلي عن سمعته ليجمع المال ويلعب الأدوار ما عليه إلا أن يقدم الهدايا لأهم الشخصيات في بلاط الجزائر ليعين وكيلا في تونس وبأبسط الأسباب[2].

إن الوكيل الذي يختاره حاكم الجزائر يشعر في كل لحظة بأن مصيره مرتبط ببقاء هذا الحاكم، وبما أن الإيالة الجزائرية كانت معرضة بشكل دائم للتقلبات والتحويرات السياسية والعسكرية، فإننا نرى ممثل الباشا يعيش في قلق وحذر، أو توتر يعيق ويعرقل عمله اليومي ويربك تفكيره ويجرده من كل رغبة في الإبداع والمبادرة وعليه فإن الدبلوماسية الجزائرية تمثل بارتباط ممثليها بشخص الحاكم أكثر من ارتباطهم بسيادة الدولة ووظائف الوكيل مازالت وقفا على إرادة الحاكم ومشيئته وبعيدا على ان تشكل مهنة مستقلة قائمة بذاتها، وعليه فمركز الوكيل يمكن القول عنه أنه مركز للتجسس يقوم على الحذر والريبة، إضافة إلى ذلك فإن أغلب أصول الوكلاء من طبقة أعيان الجزائر سواء من حيث أصولهم أو وظائف أسلافهم أو ثرواتهم فمعظم الوكلاء ينتمون لعائلات لها تقاليد في ممارساتها للتجارة ونذكر سبيل المثال محمود أمين السكة نموذج حي عن ذلك فجده محمد كان من كبار تجار الجزائر وشغل لعدة سنوات وظيفة أمين السكة بدار السلطان وهو خال حمدان بن عثمان خوجة[3].

---

[1]_ سيدي أحمد بن نعماني، "وظيفة وكيل الجزائر لدى الدولة العثمانية وبعض إيالاتها من خلال بعض وثائق الرصيدين العثمانيين الموجودين في الجزائر"، **مجلة الحكمة للدراسات التاريخية**، مج1، ع1، جامعة الجزائر، جانفي 2013، ص 199.

[2]_ حمدان خوجة، **المرآة**، تق وتع وتح: محمد العربي الزبيري، منشورات ANEP، الجزائر، د.س، ص126

[3]_ سيدي أحمد بن نعماني، المرجع السابق، ص206.

ج.2.1. إمتيازات الوكلاء :

1. الإعفاء لسلع الوكلاء الخاصة من دفع رسوم نقلها على متن السفن الجزائرية.
2. حصول الوكيل على نسبة عادة ما تكون 10% من عوائد بيع البضائع والسلع الجزائرية كالغنائم التي يغتنمها البحارة الجزائريين في طريقهم[1].
3. يتلقون شهريا مؤونة من عند الباي التونسي سواء لوكيل الداي الجزائري أو لوكيل باي قسنطينة، وهذا ما رصدناه في البيان الخارج من مصروف الإيالة التونسية وتتكون المؤونة من جميع الضروريات والكماليات، ومثال ذلك فقط ذكر في الوثيقة رقم 64 بيان به مجموع المؤونة التي خرجت لوكيل قسنطينة وبها 26رطل لحم و4أرطال سمن ورطلين ونص أرز وغيرها من المواد[2].

يذكر حمدان خوجة في كتابة المرآة حول الوكيل الجزائري في تونس: «... **أما وكيل الجزائر أو المكلف بشؤونها ووكيل باي قسنطينة فإنهما يحترمان كما يحترم سفراء البلاطات الأولية**»[3] إذ تفحصنا قليلا في كلام حمدان بن خوجة فإن وكيل الجزائر أو القائم مقام فكلاهما نفس الرتبة والمهمة فهو بمثابة قنصل جزائري في تونس مدام له صلاحيات مثل السفير أو القنصل الأوروبي وممكن أكثر، حيث كانت مهمة هؤلاء الممثلان أي ممثل داي الجزائر وممثل باي قسنطينة تتمثل في الإشراف وتسيير شؤون الجزائر في مختلف المجالات وخاصة السياسية والإقتصادية في تونس، وهكذا فإن المنصب كان منصبا دبلوماسيا دون شك[4]، على هذا الأساس كان لتونس وكلاء بالجزائر ولكن السؤال المطروح هنا هو:

– هل كان لتونس وكلاء في الجزائر؟

إن تدخل الجزائر المستمر في الشؤون السياسية الداخلية للإيالة التونسية هو من فوض لها بضرورة إيجاد هذا المنصب داخلها، ليكون لها عينا ساهرة على شؤونها من جهة وحفاظا على مكانتها بها من جهة أخرى، ودليل هذا ما ذكره عميراوي حميدة حين قال:« **أنه كان للجزائر وكيل في تونس وأن الجزائريين بعد هذا**

1- سيدي أحمد بن نعماني، المرجع السابق، ص206.

2- أ.و.ت، س.ت.ت، الصندوق223الملف384 الوثيقة رقم64.

3- حمدان خوجة، المصدر السابق، ص 125.

4- فيلالي السايح، **العلاقات السياسية الجزائرية التونسية1800– 1830**، بحث دراسات معمقة في التاريخ الحديث، جامعة قسنطينة، 1982– 1983، ص 53.

التدخل صار لهم أدلاء»[1]، وعليه فإن سلطة تونس كانت تحت يد داي الجزائر وباي قسنطينة باعتبار ولاية سلطان تونس كان بفضل سلطان الجزائر[2]، وضروري يكن لهم في تونس وكيلا لكي يسير أمورهم وهذا المنصب المحذور على تونس.

اعتمد بايات تونس على وكلاء الجزائر بها من خلال إستمالتهم بالمال والنفوذ مقابل اطلاعهم بمعلومات تخص الجزائر، مثلما فعل حمودة باشا حيث استمالهم بالمال مقابل الجوسسة على الإيالة الجزائرية وعلى مراسلاتها ومثال ذلك لما أهدى لأحدهم" **لم تذكر المصادر والمراجع إسمه**" جارية حسناء تبين بعد مدة أنها كانت جاسوسة أرسلها حمودة باشا وكانت تقوم بمهمة دقيقة في إختلاس مراسلات حكومة الجزائر من بيت الوكيل ومدها من ثقبة لرجل يجلس في غرفة مجاورة لها فينسخها في الحين ويردها للجارية وهي بدورها تردها في محلها، وبهذه الطريقة كان حمودة باشا الحسيني يطلع على أسرار الإيالة دون دراية منها مثلما استمال الوكيل محمد البرادعي إلى أن صار نظيرا لتونس لا يخفي شيئا عن الباي من مراسلات وتعليمات داي الجزائر سنين طويلة[3].

ج.3.1. مهام الوكلاء الجزائريين في تونس:

اختلفت مهام الوكلاء الجزائريين في تونس وتنوعت ويمكننا رصدها في النقاط التالية:

1. الإشراف على الشؤون العامة المتعلقة بالجزائريين المقيمين في المدن التونسية
2. الإلتزام بإرسال التقارير إلى باشا الجزائر يعرضون فيها القضايا المتعلقة بمهامهم، والأخبار التي تصل إليهم حول الأحداث في الدولة العثمانية والتي كان الباشوات يولونها عناية واهتمام كبير.
3. إدارة مصالح الإيالة التجارية وحمايتها.
4. لهم دور حيوي مهم في إنعاش حركية التجارة داخل الإيالة التونسية، فوجود سلعة معينة في مكان ما مطلوبة بسوق آخر فمهمة الوكيل هنا هي توفيرها وأرسالها في مدة وجيزة[4].

---

[1]- حميدة عميراوي، **علاقات بايلك الشرق الجزائري بتونس أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي**، دار البعث، قسنطينة، 2012، ص 111.

[2]- A.Dournon, Kitab Tarikh Qosantina El Hadj Ahmed El Moubarak, **R.A**, N° 57, Alger, 1913,p280.

[3]- رشاد الإمام، المرجع السابق، ص 384.

[4]- محيدب حبيبة، **العلاقات التجارية بين إيالتي الجزائر وتونس خلال القرن الثامن عشر**، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ الجزائر الحديث، جامعة قسنطينة، 2015- 2016، ص ص 53، 54.

– نماذج عن مهامهم ودورهم رصدناها من بعض الوثائق الأرشيفية التونسية:

1. كان بمثابة الوسيط بين داي الجزائر وباي تونس حيث كان يستعين به من أجل الاقتراض أحيانا، وهذا ما تشير إليه الوثيقة رقم04 وهي مراسلة من عثمان باي إلى وكيل الجزائر بتونس سي الحاج يطلب منه الذهاب إلى باي تونس ويطلب منه اقتراض مبلغ مالي قدره عشرة آلاف ريـال دورو وارسالها له. [1]

2. لا يخف عنكم أن للوكلاء دور اقتصادي مهم جدا، حيث ساهموا بدرجة كبيرة في إنعاش الجانب التجاري، وتشير إحدى التقييدات عن دورهم وهو تقييد خاص ببيع البقر تم جلبه من الجزائر من طرف محمد البرادعي سنة 1796م وهو وكيل جزائري بتونس وهذا على عهد حمودة باشا، وبهذه التقييدات حددت إسم جالبها مع عدد الرؤوس المجلوبة وتحديد ثمنها لكي تباع بتونس، وسيكون لنا حديث مطول حول هذا الموضوع[2].

خلاصة القول هو أن الجزائر لما كانت تفرض سلطانها على تونس كانت تضمن به قضاء حوائجها داخل إيالة تونس ولهذا كان لها وكلاء بها، على عكس إيالة تونس لم يكن لها وكلاء بالجزائر، ولم يضع أي داي أو باي أي أحدا في الجزائر في هذا المنصب ليسير لهم أمورهم داخل إيالة الجزائر أو أن يكون على الأقل العين الساهرة لها أيضا مثلما كان للجزائر بها.

ج.2. الدبلوماسية الجزائرية ودورها في فك النزاع التونسي مع الإيالات المغاربية والدول الأجنبية:

ج.1.2. موقف الجزائر من استيلاء على برغل على طرابلس الغرب وأمر حمودة باشا بنزعها منه عام 1794م:

إن الفتن والأزمات والصراعات داخل الأسر الحاكمة ليست وليدة اللحظة وإنما ظاهرة تعاقبت عليها كل الأسر عبر العصور، وهذا ما لاحظناه في الإيالة التونسية سواء خلال العهد المرادي أو حتى الحسيني، ولقد انتقلت هذه العدوى إلى طرابلس الغرب خلال الحكم القرمنلي[3] **وفيما يلي الملابسات التي تم فيها ذلك:**

---

[1]- أ.و.ت، س.ت.ت، الصندوق 223الملف384وثيقة رقم03. أنظر المراسلة في الملحق رقم 03، ص 242.

[2]- أ.و.ت، الدفتر الجبائي رقم 291 وثيقة رقم 04.

[3]-أصل القرمنليين من قرمانيا وهي مقاطعة تركية في آسيا الصغرى تطابق كابادوتشيا القديمة وكان جدهم مصطفى أحد ضباط الانكشارية وهو اول من سكن طرابلس الغرب حيث امتلك بعض المزارع في حي المنشية ونشأت ذريته بين سكان المنطقة=

ج.1.1.2. تشكل الأزمة السياسية في طرابلس الغرب:

دخل علي باشا القرمنلي في صراع مع ولده الذي انعزل بالمنشية، ولقد دارت عدة حروب بينهما ما دهور الأوضاع العامة داخل الإيالة الطرابلسية في تلك الفترة، حيث رفض علي هذا تسليم الحكم لإبنه رغم أن حالته سيئة وأصبح عجوزا هرما[1].

كان لعلي القرمنلي ثلاثة أبناء أكبرهم حسن ثم أحمد ثم يوسف، ومع كبر سنه ازداد كسلا وتراخيا ولم يعد قادرا على تسيير شؤون الإيالة، وبعد التذمر الشعبي الذي ضغط عليه على التنازل عن الحكم قرر مشاركة إبنه حسن لما يتمتع به من شخصية طيبة ومحبوبة شعبيا في النهوض بأعباء الولاية، لكن علاقة الأخوين أحمد ويوسف لم تكن ودية بسبب الطباع العنيفة التي ورثها هذا الأخير عن جده الأكبر أحمد القرمنلي، أما الولد الثالث أحمد فكان مقيما بالزاوية التي كان يتولى أمرها الإداري وكان يراقب ما يحصل بين إخوته من مشاحنات دون أن يتدخل في فك النزاع ولم يقف مع أي أحد منهما، ولقد بدأت المرحلة الحاسمة في أفريل 1790م حيث انفجرت الحرب الأهلية بينهم، وهذا حين أقدم يوسف على قتل أخيه حسن ثم غادر المدينة وأقام في ضواحيها، فانشق سكان طرابلس إلى شقين شق انحاز للفقيد وحزنوا عليه، وشق انحاز للقاتل يوسف الذي رفع راية الثورة ضد والده وضد أخيه احمد الذي عاد من الزاوية لخلافة أخيه المقتول[2].

عم الإضطراب والقلق معظم أرجاء الإيالة الطرابلسية وخاصة مدينة طرابلس التي بقيت تتخبط في المشاكل وقلة الأمن لأكثر من شهر، لكن حنكة علي القرمنلي جعلته يقضي على هذا الإضطراب من خلال أمر مؤيديه بالكف عن ملاحقة يوسف المنشق عن طاعته، وطلب من إبنه أحمد ملاقاة أخيه من أجل حقن الدماء وإنهاء الفتنة المشتعلة فرضي هذا الأخير واجتمع بأخيه الذي وافق ظاهريا فقط على أن يتولى أخيه أمور الإيالة، وهدأت المدينة قليلا بعد هذا الإجتماع[3].

=وأصهروا فيها، واستطاع حفيدهم أحمد باشا أن يكون لنفسه ولأسرته ملكا وراثيا بداية من سنة1711م إلى سنة1835م.ينظر: كوستانزيو برينا، **طرابلس من 1510م إلى 1850م**، تع: خليفة محمد التليسي،ط1،الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، ليبيا، 1965، ص 216. والطرابلسي أبي عبد الله محمد بن خليل غلبون، **التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان عليها بها من الأخبار**، تع: طاهر احمد الزاوي الطرابلسي، ط1، دار المدار الإسلامي، لبنان، 2004، ص241.

[1] أحمد ابن أبي الضياف، المصدر السابق، ص 29.

[2] كوستانزيو برنيا، المرجع السابق، ص ص 231، 232 .

[3] محمود علي عامر ومحمد خير فارس، المرجع السابق، ص216.

أسفر الاجتماع المنعقد على أن يتولى أحمد شؤون الإيالة الطرابلسية، حيث قدمت له أغلب قناصل الدول الأوربية التهنئة، واعتقد سكان الولاية أن الأوضاع قد هدأت وعاد الاستقرار، ولكن رفض سكان مدينة مصراته أن يتولى يوسف أمرهم لأنه ارتكب جريمة قتل في حق أخيه، إلا أن هذا الرفض لم يستسغه يوسف بك وانزعج من الأمر وراح يطلب من والده التدخل وإرسال حملة تأديبية بقيادة البك الجديد والقصد من وراء هذا الطلب هو خلق فتنة من جديد لأن سكان مصراته راسلوا أحمد وأخبروه في حال قبول طلب أخيه فإنهم سيهاجمون مدينة طرابلس وسيأتون بمصطفى القرمنلي المطالب بالعرش والمقيم في تونس أو سيسلمون الحكم لأحد أمراء مصر، وهذا التخوف والتهديد جعل أحمد بك يرفض طلب أخيه فإشتعلت الفتنة من جديد، وبدأت الأوضاع تتأزم شيئا فشيئا ما استدعي ضرورة تدخل السلطان العثماني باعتبارها إحدى إيالاته، فقرر السلطان العثماني سليم الثالث [(1)] إصدار فرمانا يقضي بتعيين علي برغل [(2)] واليا على طرابلس الغرب وانهاء الصراع السلطوي القائم بها نهائيا [(3)]، ولعل تصرف السلطان العثماني واضح باعتبار أن الحكام القرمنليين استقلوا نوعا ما عن الدولة العثمانية حيث راحوا يعقدون معاهدات مع بعض الدول الأوربية دون الرجوع إليها، وكانت تبعيتهم تقريبا لها إسمية لاغير وأتت الفرصة للسلطان لردعهم وارجاع إيالة طرابلس الغرب لهم من جديد. **فما سيكون موقف القرمنليين من هذا الفرمان؟**

---

[1]- ولد سنة 1175هـ- 1762م هو ابن السلطان مصطفى الثالث، اهتم بتقوية الجيش وأولاه عناية كبيرة، عرف عهده العديد من الأحداث أبرزها التحالف الروسي النمساوي والذي شكل خطرا كبيرا عليه، ولكنه حاول عقد معاهدات معهم لكي يتجنب شرهم ومع بعض الدول الاوربية منها فرنسا وهذا لكي يتفرغ للإصلاحات الداخلية التي أقرها والتي ستكون سبب عزله فيما بعد، وفي عهده كانت حملة نابليون على مصر سنة 1798م، بقي في الحكم 19سنة ولكنه عزل من الحكم بعدها على أساس انه أراد تبني نظام الإفرنج وهذا مالم يستسيغوه، توفي وعمره 48سنة فقط وهذا يوم 4جمادي الاولى 1223هـ- 28جوان 1808م. ينظر: محمد فريد بك المحامي، المصدر السابق، ص- ص 363- 393.

[2]- علي برغل أصله من جورجيا وكان يلقب بعلي الجزائري أو علي الأفندي بسبب إقامته في الجزائر، حيث تعاطى القرصنة وهذا حسب الحوليات الليبية لشارل فيروا أوبالأحرى أمتهن المجرية بمعنى أصح، وكان قد صاهر داي الجزائر وتزوج من أسرته وقد يسرت له هذه المراسلة أو المصاهرة الترقي في مناصب، حتى وصل إلى منصب وكيل الحرج بمدينة الجزائر، ولكن صفة الجشع تغلب عليه ما اقتضى عزله سريعا، أما تسمية برغل فهو نوع من الطعام المعمول من القمح المجروش، حيث يتم طبخه في الزبدة أو الزيت وكان علي الجزائري يقدمه لأعوانه أثناء غزواتهم البحرية .ينظر: شارل فيرو، **الحوليات الليبية منذ الفتح العثماني حتى الغزو الإيطالي**، تر وتح وتق :محمد عبد الكريم الوافي، ط3، مشورات جامعة قايونس، ليبيا، 1994، ص 353.

[3]- محمود علي عامر ومحمد خير فارس، المرجع السابق، ص217.

ج.2.1.2– ظهور علي برغل في مسرح الصراع ولجوء علي القرمنلي لتونس:

في هذه الأثناء ظهر على الساحة البحارة علي برغل الذي فر من الإيالة الجزائرية خشية اعتقاله بسبب جشعه وكره البحارة له، فإضطر إلى الهروب ليلا على ظهر سفينة إسبانية توجهت به إلى الأستانة للإلتجاء لدى أخيه فيها، والذي كان يشغل عندئذ منصب نائب أميرال الأسطول العثماني، وكان ذلك الأخ قبل بضع سنوات خلت قد أوفد من طرف السلطان العثماني في مهمة إلى طرابلس الغرب لتقديم القفطان الفخري للباشا رسميا ومن ثم الحصول منه على بعض الهدايا للأستانة، فاستطاع أن يلمس عن كثب مدى تقلص وانحصار سلطة الباشا القرمنلي وأن يتعرف على المستائين من حكمه وعند عودته إلى الأستانة قام بسبر نوايا الباب العالي تجاه تلك الإيالة المستقلة وحينما أصبح أميرالا للأسطول العثماني تناسى أمرها، ولكن مع مجيء أخيه علي برغل لديه أيقظت فيه صفة الطمع وراح يتحالف مع أخيه ضدها [1] .

لم يعد بوسع القرمنليين توحيد جهودهم واسترجاع ملكهم الذي استولى عليه علي برغل وإزاء هذه الأوضاع لم يبق أمام علي القرمنلي سوى مغادرة البلاد بإتجاه تونس ولقد اختارها لأنها أقرب مكان آمن إلى طرابلس يمكن من خلالها الاتصال بسهولة ويسر بأعوان الأسرة القرمنلية ومن ناحية أخرى رابط المودة والاحترام الذي يجمعهم مع الأسرة الحسينية الحاكمة في تونس[2].

إن معرفة حمودة باشا لشخص علي برغل ولطموحاته التي ليس لها حدود، وأن جاره لا يؤتمن جانبه أبدا، فإننا نرى الباي التونسي يبالغ في إرسال الهدايا للسلطان العثماني سليم الثالث والتي حرص يوسف صاحب الطابع على انتقاءها بدقة لكي يكون لها وقع خاص في نفسه، ضف إلى ذلك قام حمودة بإرسال خطاب مطول شرح فيه مدى التسامح الذي تحلى به اتجاه علي برغل الذي قام بعدة تجاوزات في حق الإيالة التونسية ابتداء من طلبه بعض المراكب اليونانية بالتموين مخالفا بذلك أوامر الباب العالي، كما استولى على مركب تونسي وأخيرا استلائه على جربة وهذا ما لم يستسغه الباي التونسي وقرر التدخل فورا، ومما ساعد أيضا حمودة باشا في تبرير غزوه على طرابلس هو مساعدة سفيري انجلترا وفرنسا في الأستانة اللذان كان يدركان

---

[1]- شارل فيرو، المصدر السابق، ص 353.

[2]- أحمد سعيد الطويل، **البحرية الطرابلسية في عهد يوسف باشا القرامانلي**، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2002، ص 109.

مدى كره علي برغل للمسيحيين وقد سنحت الفرصة لردعه ولهذا ساهما لحد كبير في إنجاح مهمة الوفد التونسي[1].

سمع داي الجزائر حسن باشا بما فعله علي برغل والإنجاز السريع والمخيف الذي حققه في طرابلس الغرب والشرعية السريعة التي تقلدها من السلطان العثماني ولقد تملكه الرعب، ولهذا راسل حمودة باشا وطلب منه مساعدة القرمنليين في استرجاع حكمهم وهو بدوره سيقدم لهم الدعم الكامل[2]، ويمكننا تلخيص دوافع شن حملة على طرابلس الغرب في عدة نقاط هي كالآتي:

1. استلاءه على طرابلس الغرب والشرعية السريعة المخيفة التي اكتسبها من السلطان العثماني.
2. شخصية علي برغل الشجاعة والحنكة السياسية والعسكرية التي يمتلكها ضف إلى ذلك امتلاكه النزعة التوسعية .
3. إستيلاءه على جربة التونسية وهذا ما لم يتقبله حمودة باشا واعتبره تعدي للحدود.
4. رغبة الداي الجزائري الذي طلب من حمودة ضرورة وقف علي برغل وإمداده بالمساعدة إن احتاج ذلك.
5. لجوء علي باشا القرمنلي لتونس وطلبه الدعم من حمودة لاسترجاع حكمه المسلوب من طرف علي برغل.

ج.3.1.2. مجريات حملة حمودة باشا على طرابلس الغرب:

اجتمعت الأسباب واختلفت الظروف فإصرار حمودة باشا على شن الحملة كان ضرورة حتمية وخاصة أن هذا الأخير كان في مهمة صعبة وهي إنهاء الهيمنة الجزائرية على تونس هذا من جهة، ومن جهة أخرى محاولة علي برغل الإستيلاء على جربة والذي اعتبره الباي التونسي تعدي غير مقبول، وهنا نهاية على برغل قد قربت لأن حمودة باشا لن يسكت على هذا التصرف، وما زاد إصراره هو نجدة علي القرمنلي به والذي كانت تجمعه معه علاقة طيبة، وعليه جهز الباي التونسي محلته والتي تشكلت من العناصر التالية:

1- أحمد سعيد الطويل، المرجع السابق، ص ص 105- 110.

2- أحمد الشريف الزهار، **مذكرات أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر**، تح: أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، 1980، ص ص62، 63.

الجدول رقم01:تشكيلة الجيش التونسي تجهيزا لحربه ضد طرابلس الغرب [1]:

القيادات		عناصر الجيش	
القائد	العدد	الوحدة	العدد
آغا	1	عساكر	1513
نائب آغا محلة	1	أتراك	40
دمالج	2	مدفعية أتراك	32
باش جاويش	1	فرسان أتراك	143
جاويش	1	مماليك	24
المجموع	6	خويجية وبيرقدارات الديوان	37
خوجا	1	مدفعية	133
وكيل خوجا	2	مرشدو دواب	55
آغا سنجق	10	شباب ملحقون بالقصر	؟
نواب سناجق	10	الأهالي	796
حاملو رايات	10	المجموع	2812
المجموع	39	/	/

الملاحظ أن حمودة باشا لم يدخر أي جهد لإنجاح الحملة الموجهة نحو طرابلس حيث أشرك فيها تسعة وثلاثين قائدا عسكريا منها الآغوات والباشاوات ووكيل خوجة وغيرهم، أما بخصوص الجنود فأشرك فيهم الجنسين التركي وفيهم أربعين جنديا تركيا بمشاركة مائة وثلاثة وأربعين فارسا مع اثنين وثلاثين مدفعا تركيا، أما العنصر المحلي فتكون من سبعمائة وستة وتسعين عنصرا ضف إلى العدة والعتاد وحتى شباب ملحقون بالقصر أشركهم في الحملة، والواضح من كل هاته التجهيزات أن حمودة باشا كان مدركا لخطورة المواجهة مع علي برغل الذي كان يهابه حتى الأوربيين.

اجتمعت وحدات الجيش التونسي في منطقة الملايسة في ضواحي تونس العاصمة حيث تحركت صوب طرابلس في 8ربيع الثاني 1209هـ– 2نوفمبر 1794م تحت إمرة الحاج مصطفى خوجة وفي طريقها

[1]- أحمد سعيد الطويل، المرجع السابق، ص 112.

أخذت قسطا من الراحة في مدينة صفاقس [1]، ومع وجود الجيش التونسي في صفاقس أرسل قائد الجش مصطفى خوجة إنذارا لقارة محمد الذي كان معسكرا في جربة بضرورة الإستسلام وأعطاه 24ساعة للإستسلام والخضوع، ولكنه رفض فما كان على مصطفى خوجة إلا التدخل المباشر وتمت السيطرة على الجزيرة في ظرف وجيز، ولكن القائد قارة محمد تمكن من الهروب والنتيجة المهمة هي استرداد الجزيرة وبالتالي تمت المهمة الأولى بنجاح، والتي جاءت بعدها دور المهمة الصعبة وهي استرجاع طرابلس للقرمنليين، ولضمان نجاحها راح يوسف القرمنلي يرسل الرسائل إلى رؤساء القبائل والزعماء في طرابلس يخبرهم فيها بعودة الحكم للقرمنليين قريبا ويحذرهم من التعاون مع علي برغل، ومع اقتراب الجيش التونسي من أسوار طرابلس وانضمام أغلب القبائل التي راسلها يوسف فيما سبق، وأصبح الجيش التونسي يتعاظم تدريجيا ما جعل مخاوف علي برغل يتخوف من هذا التحالف خاصة بعد تطويقه من جميع الجهات وأركبه الرعب، فأنزل انتقامه الدامي في 22 من المساجين الذين كان من بينهم أطفال، ثم أمر بتحطيم كل من شأنه أن يكون ذا نفع للعدو، والمعروف عن علي برغل كرهه الشديد للمسيحيين حيث أمر في الليلة التي كان مغادرا فيها طرابلس بقطع رأس 30 شخصا كان العدد الأكبر منهم من الأرقاء المسيحيين، وفي الساعة الثالثة بعد منتصف الليل ركب سفينة فرنسية كانت قد وصلت مساءا من ازمير وأخذ معه عددا من أعيان طرابلس كرهينة [2]، وبذلك استعادت الأسرة القرمنلية ملكها بفضل جهود حمودة باي الذي أصبح له الفضل لا على القرمنليين فقط وإنما حتى على داي الجزائر الذي تخلص من غوغاء علي برغل ولقد شكره على عمله هذا بالرغم أن داي الجزائر لم يقدم أية مساعدة.

أما مصير علي برغل فإنه اتجه نحو جزيرة خانية باليونان ثم اتجه نحو الاسكندرية التي وصلها بعد سبعة وثلاثين يوما من خروجه من مدينة طرابلس، ثم استدعاه مراد بك المملوكي باشا مصر وأعطاه دارا بالجيزة ليستقر بها [3]، وعليه فإن تحرك الباي التونسي لم يكن فقط استجابة لداي الجزائر وإنما أيضا تلبية لرغبة علي القرمنلي، ورغبة حمودة في استرجاع جربة بشكل خاص، كما لا تهم الأسباب التي دفعت وراء ذلك بقدر ما يهم استجابة حمودة باشا لأمر الداي الجزائري وإن كان تدخلا غير مباشرا، لم ينزعج منه حمودة ولم يتعالى الداي الجزائري عليه والدليل شكره في الأخير.

1- أحمد سعيد الطويل، المرجع السابق، ص 110.

2- نيكولاي ايليتش بروشين، المرجع السابق، ص ص 148، 149.

3- أحمد سعيد الطويل، المرجع السابق، ص ص 113، 114.

ج2.2. دور الجزائر في إبرام الصلح بين تونس واسبانيا1786– 1787م:

ج.1.2.2. المتغيرات التي دفعت لعقد المعاهدة من كلتا الطرفين:

– المتغير الدولي:

إسبانيا أو الامبراطورية الإسبانية التي جابهت الدولة العثمانية طيلة فترة وجودها بشمال إفريقيا، فمع بداية القرن18 أصبحت تعاني من مشاكل وصعوبات في حوض البحر المتوسط ومياه المحيط الاطلسي، وذلك من طرف القراصنة الأوروبيين من جنسيات تختلف إنجليز وسويديين، هولنديين، ايطاليين وحتى الأمريكيين، ومن طرف البحرية الجزائرية أيضا، فتعرضت تجارتها إلى كساد وتدهور [1]، ما اضطرها إلى عقد معاهدات مع الإيالات المغاربية رغم العداء الشديد الذي كان بينهم، وهذا بإعتبار أن إسبانيا ومع بداية القرن السادس عشر ميلادية غزت تقريبا كل السواحل المغاربية ما خلق عداء بين الضفتين، ورغم تحرير أغلب الثغور إلا أن العداء بقي مستمرا، ولكن الظرفية الدولية مع أواسط القرن الثامن عشر ميلادية حتمت عليها أن تتخذ سياسية مغايرة تماما جعلتها ترضخ نوعا ما، حيث ستحاول التقرب من الإيالات المغاربية العثمانية والمغرب الأقصى.

كانت سياسة الوزير الأول الإسباني الكوندي دي أراندا (El- conde de Aranda) تنبني على ضرورة الإعتماد على القوة لمواجهة البلدان المغاربية التي كان لها نوع من التفوق البحري في هذه الفترة، ولكن خلفه في المنصب خوسي رودريغز مونينو دي فلوريدا بلانكا(José Rodriguez Monino El Conde de Florida Blanca) والذي تولى منصب الوزير الأول ووزير الخارجية من عام 1777إلى عام 1792م والذي سلك سياسة أخرى مغايرة لسياسة سلفه، وهو محامي قانوني وسياسي حاذق، تولى منصبا ديبلوماسيا في إيطاليا قبل أن يصبح وزيرا، وقد اشتد حرصه كثيرا على القضاء أو الحد على الأقل من القرصنة البحرية التي عطلت مصالح اسبانيا التجارية ووضعت أمامها عراقيل كثيرة سياسية وعسكرية واقتصادية في حوض المتوسط شرقا وغربا، ولهذا رأى ضرورة عقد سلم مع الدولة العثمانية، وعليه سعى المفاوض الإسباني بوليني (Bouligny)إلى عقد معاهدة معها سنة 1782م لحمل السلطان العثماني على الضغط على الولايات المغاربية من أجل قبول الصلح معها[2].

---

[1]– يحي بوعزيز، "إسبانيا تتوسط الجزائر لإبرام صلح مع تونس"، **مجلة الدراسات التاريخية**، ع 4، 1988، جامعة الجزائر، ص53.

[2]– نفسه، ص ص53- 55.

الواضح أن هذا التقارب العثماني الإسباني سيشكل لتونس دافعا لقبول مفاوضات الصلح معها، بإعتبارها جزءا من الإيالات المغاربية العثمانية، وهذا بالضبط ما خططت له إسبانيا حين استعملت ذكاءها السياسي، وأدركت ضرورة البدء بالدولة العثمانية هذا من جهة، ومن جهة أخرى للضغط على الإيالات المغاربية لقبول التعامل السلمي معها.

- المتغير المحلي:

من أهم الخطوط العامة لسياسة حمودة باشا الخارجية هو محاولته الجادة على حفظ العلاقات الطيبة مع حكام الدول الأوربية مع سعي حثيث ومستمر لتوطيد صداقته معهم، وذلك سواء بواسطة قناصلهم المعتمدين لديه أو بعض سفرائه ومبعوثيه[1].

سعى الباي التونس إلى إقامة علاقات متوازنة مع الدول الأوربية بدون استثناء مع محاولة عدم الارتباط بأحد هذه الأطراف أكثر من الآخر حفاظا على الاستقلالية في نظام الحكم، وعليه فإن سياسة الباي سارت على نهج واحد مع كل الدول الأوربية وهو ضرورة العمل على توطيد العلاقات السلمية معها، واضعا بذلك مصلحة الإيالة التونسية فوق كل إعتبار، إضافة لذلك لجأ الباي لسياسة الشدة والقسوة أحيانا وهذا إن اقتضت الضرورة خاصة عندما يتعلق الأمر بسيادة الإيالة سواء بنقض المعاهدة أو إلغائها تماما ويطالب بتجديدها وفق ما يخدم مصالحه[2].

- المتغير الإقليمي:

1. **الجزائر**: أما الجزائر وهي أقوى دول المغرب بحكم موقعها الجغرافي الممتاز وكثافة سكانها وغناها الاقتصادي وتفوق بحريتها عدة وعتاد واستقرار نظام حكامها فيها خاصة خلال عهد الداي عثمان باشا الذي دام حكمه ربع قرن بكامله من عام 1766 إلى 1791م فقد كانت ترفض السلام والصلح مه اسبانيا التي كانت تحتل ووهران والمرسى الكبير ولذلك جربت اسبانيا ضدها القوة وشنت عليها ثلاثة حروب وغارات كبرى في ظرف عشر سنوات وهذا على عهد فلوريدا بلانكا ولكنها فشلت واضطر إلى التراجع وأخذ أسلوب الحوار مع الجزائر[3]، ولقد تم الصلح بن البلدين بعد مد

1- رشاد الإمام، المرجع السابق، ص344.

2- كمال مايدي وصالح بوسليم، " جوانب من العلاقات الخارجية لإيالة تونس مع فرنسا والدويلات الإيطالية في عهد حمودة باشا الحسيني (1782- 1814م)"، **مجلة عصور**، مج17، ع2، جامعة وهران، ديسمبر2018، ص ص 171، 172.

3- يحي بوعزيز، إسبانيا...، المرجع السابق، ص55.

وجزر ورفض وقبول حول الشروط اللازمة والتي من شأنها أن ترضي الطرفين، وفي الأخير تم بصيغة نهائية ورسمية مكونة من خمسة وعشرين بندا وهذا يوم17 شعبان 1200هـ- الموافق لـ14جوان 1786م[1].

2. **المغرب الأقصى**: إرتكزت العلاقات المغربية الإسبانية على قضية إفتداء الأسرى، والذين يؤسرون في عمليات اعتراض السفن التي تقع في عرض البحر المتوسط من الجانب المسيحي والإسلامي، وكان المغرب يعمل على فداء أسرى الشعوب الإسلامية دون تمييز بين أقطارها، ولكن الظرفية الدولية حتمت على سلطان المغرب محمد بن عبد الله [2]إلى تغيير سياسته الخارجية مع الدول الأوربية خاصة حيث بدأ في عهد هذا الشاب مرحلة التقارب السلمي وعقد المعاهدات ومنح الامتيازات للأجانب[3]، ولهذا بعث سفارة برئاسة الكاتب أحمد الغزال سنة1756م إلى مدريد فعمل على افتداء حوالي 300أسير، وتكررت السفارات وعمليات الافتداء مع اسبانيا خلال عهد هذا السلطان كان أهمها عقد معاهدة بينهما وهي معاهدة صداقة وتجارة في 30ماي 1780م، وبموجبه تمكنت شركة كامبانارسيو الاسبانية من تنشيط التجارة والتبادل مع المغرب عن طريق الدار البيضاء[4].

3. **طرابلس الغرب**: كان المميز لسياسة القرمنليين في طرابلس الغرب منذ توليهم الحكم بها مع سنة1711م سواء نحو الدول الأجنبية أو حتى الدولة العثمانية سياسة اللاتوازن، حتى أنها لم ترسخ

---

[1]- يحي بوعزيز، **موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب**، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ج1، ص321.

[2]- ولد الأمير سيدي محمد بن عبد الله بمكناس سنة 1722م أي قبل وفاة جده مولاي اسماعيل بخمسة أعوام، وقبل ان يكتمل عقده الأول حج إلى البقاع المقدسة، مع جدته خناثة بنت بكار في وفد ضم مجموعة من الفقهاء كالقاضي العميري والكاتب الإسحاقي الذي دون رحلة الأمير وجدته، ومع سنة 1744م عين كخليفة لمراكش، حاول السلطان منذ تعيينه تقوية الأسطول المغربي لتهيئة المراكب الجهادية البحرية فضلا عن تحرير الثغور المغربية ومن بين من قدر الله له فتحها بحريه لبريجة لكن لقي ردة فعل قوية من طرف الاوربيين حيث لبادرت فرنسا واسبانيا بشن هجومات على القواعد الجهادية المغربية مثل سلا والمهدية والعرايش، ما جعل السلطان يغير سياسته الخارجية مع الدول الاوربية وهي سياسية التقارب السلمي، فعقد بداية معاهدة مع فرنسا في 28ماي 1767م. ينظر: ابراهيم حركات، **المغرب عبر التاريخ من نشأة الدولة العلوية إلى إقرار الحماية**، ط2، دار الرشاد الحديثة، المغرب، 1994، ج3، ص ص 84، 85. ودلندة الأرقش وآخرون، المرجع السابق، ص316.

[3]- دلندة الأرقش وآخرون، المرجع السابق، ص316.

[4]- إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص115.

علاقتها مع السلطان العثماني وبالأخص في عهد علي القرمنلي[1]الذي كان يعقد معاهدات دون الرجوع له، وفي عهده عقد معاهدة مع إسبانيا في 10 سبتمبر 1784م وهي اتفاقية صداقة وتجارة[2]، كما فتحت اسبانيا أول قنصلية لها في طرابلس الغرب في تلك الفترة[3].

ج.2.2.2. سير المفاوضات ودور الجزائر فيها:

سعت إسبانيا مثلها مثل الدول الأوروبية إلى عقد اتفاقيات سلم خاصة مع البلدان المغاربية، فبعد ما عقدت صلحا مع إيالة الجزائر سنة1786 بعد عدة مراسلات بين داي الجزائر وملك اسبانيا وبشروط استفادت منها الجزائر، حيث استمرت المفاوضات مدة سنة توصل الطرفان الجزائري والاسباني في17شعبان 1200- هـ- 14جوان1786م إلى إبرام معاهدة تألفت من 25مادة تناولت جوانب سياسية واقتصادية وأمنية، ولهذا رأت من الضرورة عقد صلحا مع تونس أيضا ولقد ألحوا على الداي محمد عثمان باشا وعلى بعض وزراءه مثل وكيل الحرج حن والخزندار علي برغل وغيرهم لكي يتوسطوا لدي بايات تونس من أجل ابرام الصلح معهم[4].

وفيما يلي ذكر لمحتويات الرسائل المتعلقة بشأن الوساطة الجزائرية الرامية إلى عقد الصلح بين الطرفين التونسي والإسباني:

1- هو ابن محمد باشا القرمنلي أسندت إليه الولاية يوم وفاة والده سنة1167هـ- جويلية 1754م، وفي عهده نشطت العمليات البحرية ضد انجلترا وفرنسا وغيرهم، ولكن في نفس الوقت عاني البلد في عهده من مصاعب اقتصادية بسبب توالي الجفاف والطاعون. ينظر: الطاهر أحمد الزاوي، **ولاة طرابلس من بداية الفتح العربي إلى نهاية العهد التركي**، ط1، دار الفتح للطباعة والنشر، بيروت، 1970م، ص112. و1 - نيكولاي إيليتش بروشين، **تاريخ ليبيا من منتصف القرن السادس عشر حتى مطلع القرن العشرين**، تر وتق: عماد حاتم، ط2، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان، 2001، ص131.

2- إتوري روسي، المرجع السابق، ص 130.

3- ألفونص روسو، المرجع السابق، ص258.

4- عبد القادر فكاير، "معاهدتا الجزائر مع اسبانيا 1786- 1791م ظروفهما وانعكاساتهما على العلاقات بين البلدين"، **مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية**، ع10، جامعة الوادي، 2018م، ص401.

تخللت بعض الرسائل المتواترة بين البلدين أي اسبانيا والجزائر قضية الصلح مع تونس، حيث ألح الساسة الإسبان على الداي محمد عثمان باشا وعلى بعض وزراءه خاصة [1]وكيل الحرج حسن والخزندار علي برغل كي يبذلوا جهودهم ويتدخلوا لدى باي تونس لإبرام الصلح معها، وأول رسالة تضمنت هذا الشأن وعلى الأرجح تحمل تاريخ 17 سبتمبر1785 ذكر له فيها الكوندي دي فلوريدا بلانكا إلى شخص غير معروف ويبدو أنه وكيل الحرج بالجزائر حسن قائلا له فيها :"**إن الملك الاسباني يرجو منك أن تبذل جهدك، وتتصل بباي تونس وتحثه على ابرام صلح بين تونس واسبانيا، وعندما يحضر إليكم الكوندي دي سيبي سيحدثكم بالتفصيل عن كل ما نريد**" [2]، وحسب الرسالة الواضح أن وكيل الحرج قد راسل الباي التونسي وأخبره برغبة الكوندي الإسباني حيث راسل الوزير الأول التونسي مصطفى خوجة وكيل الحرج الجزائر حسن وأعرب عن سعادة الباي التونسي حمودة باشا بشأن عقد الصلح مع تونس، وهذا ما توضحه الرسالة الأتية وهي من الوزير الأول التونسي مصطفى خوجة إلى حسن وكيل الحرج في 20جانفي 1786م تشير بأن الباي حمودة باشا قد أعلن هدنة لمدة 3أشهر مع إسبانيا ابتداء من أول مارس 1786م وأنه انتزع من البحارة التونسيين جوازات السفر حتى لا يقوموا بمهاجمة السفن الإسبانية في البحر[3]، والرد هنا يدل على قبول تونس الصلح مع إسبانيا مبدئيا.

في ظل هذه الظروف المستجدة راسل حسن وكيل الحرج إلى الكوندي دي فلوريدا وهذا بتاريخ26مارس1786: «**... وأجابه عنها في الحين ليعلمه بأمر الصلح مع تونس وهو أنه كتب إلى مصطفى خوجة وزير الباشي رسالة حملها إليه خادمه ومحبه وعوض ابنه سليمان بن جلون والقبطان ألكسندر بازيليني وأكد له بأن صلح تونس مع اسبانيا يجب أن يتم على يد الجزائر مع وكيل اسبانيا...»** [4]، وعلى هذا الأساس تحملت الإيالة الجزائرية سبل هذا الصلح وتواصلت المراسلات – **بين البلدين الجزائر وإسبانيا–** مع حسن وكيل حرج باعتباره وسيط بينهم وبين تونس، وخاصة أن للجزائر تأثير خاص على تونس، وهذا واضح في الرسالة المؤرخة بتاريخ25أفريل1786 مرسلة من طرف الكوندي دي

1- للمزيد من التفاصيل حول مراحل عقد الصلح بين الجزائر وتونس ينظر: يحي بوعزيز، **المراسلات الجزائرية الإسبانية في أرشيف التاريخ الوطني لمدريد 1780– 1798**، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.

2- نفسه، ص ص 66، 67.

3- عبد القادر فكاير، المرجع السابق، ص408.

4- يحي بوعزيز، المراسلات...، المرجع السابق، ص ص78، 79.

فلوريدا بلانكا إلى الحسن وكيل الحرج حدثه فيها عن مهمة الكوندي دي سيبي في تونس عندما يذهب إليها للتفاوض من أجل إبرام الصلح وقال له بأنه يعتمد على تأثيره في تحقيق ذلك، وذكر له بأن ملك إسبانيا قبل الهدنة لمدة ثلاث أشهر مع تونس تمهيدا للصلح[1].

ومن هذا المنطلق أرسلت رسالة أخرى لفلوريدا بلانكا إلى شخص غير مذكور و المرجح هو حسن وكيل الحرج أو علي خزندار وتاريخها 1786م وقد ذكر فيها أن الكوندي دي سيبي في طريقة إلى الجزائر حاملا معه شروط الصلح التي قبلها الملك وأمضاها لفائدة البلدين، وطلب من هذا الشخص الذي وجه إليه هذه الرسالة أن يبذل جهوده ويستعمل نفوذه حتى يبرم الصلح مع تونس، والملك الإسباني يعول عليه لتحقيق هذا الصلح [2].

شرع بلاط إسبانيا في تكثيف مراسلاته مع وكيل حرج الجزائر، إلا أن هذه المفاوضات لم تؤت ثمارها إلا في سنة1791، وهنا نلاحظ تأخر في الصلح بالرغم أن المفاوضات ابتدأت منذ سنوات لأن الظرفية المناخية لم تكن بأحسن حالها في تونس باعتبارها قد شهدت ظهور وباء1784- 1785م[3]، كما كانت منشغلة في حرب مع البنادقة[4].

سعت اسبانيا إلى عقد الصلح مع تونس وسخرت كل الوسائل لأجل ذلك، فمع سنة1787م وصلت إلى تونس سفينة شراعية حربية اسبانية قادمة من الجزائر وعلى متنها الدون بيدرو سوخوتيا الذي أوفده الكونت اكسبللي مجددا إلى حمودة باشا للتفاوض حول الصلح بين بلديهما[5]، ولكن المفاوضات قد طال أمدهما والواضح أن المصالح قد تضاربت، وفي هذه الفترة استيقظت هواجس حمودة باشا حول إمكانية وقوع قطيعة بينه وبين الجزائر، ولعل هاته الهواجس من مفسراتها أن مفاوضات الصلح قد طالت مع الإسبان، وأن الجزائر تسعى بأن تحقق هذا الصلح بين البلدين في أقرب فرصة.

نعود للحديث عن المفاوض الإسباني الدون بيدرو سوخوتيا الذي أتى إلى تونس وما إن وصلها حتى نراه يأمر البارجة التي جاءت به بالعودة إلى إسبانيا لإخبار حكومته على آخر مقترحات الباي التونسي والتي من بينها دفع مبلغ مائتين وخمسين ألف قرش اسباني، زيادة عن ثلاثين ألف قرش أخرى في صورة هدايا

1- يحي بوعزيز، المراسلات...، المرجع السابق، ص86.

2- يحي بوعزيز، اسبانيا...، المرجع السابق، ص59.

3- هنية عبد الحميد، المرجع السابق، ص186.

4- عمار بن خروف، العلاقات السياسية...، المرجع السابق، ص255.

5- ألفونص روسو، المرجع السابق، ص259.

وأتعاب الحرب، إلا أن الحكومة أو البلاط الاسباني رأى أن الحرب على أوتارها بين الإيالتين الجزائرية والتونسية لهذا رأى من الضرورة عدم الموافقة أو الرفض على مقترحات الباي التونسي، وهكذا بقيت المفاوضات بينهما بين مد وجز، ففي شهر جويلية1789م قدمت فرقاطة اسبانية إلى مرسى تونس وعلى متنها المفاوض الدون بيدرو سوخوتيا، غير أن إبرام الصلح تأخر مرة أخرى بسبب بعض الاستضاحات التي طالب بها بلاط مدريد الذي وعد بأن يبعث بعد بضعة أشهر، بتصديقاتها على المعاهدة التي ظل التفاوض حولها جاريا أمد طويلا، وكان يبدو أن مصطفى خوجة لم يكن ينظر سوى هذه اللحظة للانسحاب تماما من مسرح السياسة[1]،لأنه كان حريصا على ارتباط اسمه بإبرام الصلح مع اسبانيا بعدما ثبت الحضور الفرنسي بالإيالة التونسية لتكون مسك الختام لحياته السياسية.

في آخر المطاف تم إبرام الصلح في شهر جانفي1791م بين اسبانيا والإيالة التونسية بقصر باردو[2]، كما تم في نفس الوقت تعيين بيدرو سوخوتيا قنصلا عاما لإسبانيا في تونس، مع تكليف البلاط الاسباني بدفع 100 ألف قرش سددت للباي و8ألاف خص بها الوزير الأول مصطفى خوجة و2000 إلى صاحب الطابع" أي رئاسة الوزارة" وحامل أختام الايالة وهو الوزير الثاني بتونس، هذا بالإضافة إلى دفع حوالي20 ألف قرش أخرى على شكل هدايا تم توزيعها على بطاقة بلاط باردو وكانت تتمثل في بنادق وغدارات وساعات وخواتم...إلخ[3].

عقدت البلاط الاسباني الصلح مع البلاط التونسي بعد وساطة ومجهودات جزائرية ومجهودات حسن وكيل الحرج خاصة، لأنه اهتم بهذه المراسلات وحاول إيصال حيثيات الصلح بينهما، وإن طالت هذه المفاوضات، إلا أن الظرفية المناخية وحتى المحلية والدولية كانت السبب في ذلك ولا ننكر أن تذبذب العلاقات بين تونس والجزائر أخرها نوعا ما، ولكن في الأخير نجحت الوساطة الجزائرية في تثبيت الصلح مع إسبانيا مع عدم رفض حمودة باشا لطلب الحكومة الجزائرية.

1- ألفونص روسو، المرجع السابق، ص ص260، 261.

2- هو المقر الرسمي للحاكم يقع على بعد خمس كيلو مترات من مدينة تونس يعبره وادي، يقيم به حاكم تونس اثناء النهار حيث يستقبل فيه الوفود والوزراء .ينظر: Armand De Flaux, op.cit, p187.

3- ألفونص روسو، المرجع السابق، ص262.

ج.3.2. دور الجزائر في إبرام الصلح بين تونس والولايات المتحدة الأمريكية1799م:

سعت الولايات المتحدة الأمريكية مثلها مثل الدول الأوروبية مع آواخر القرن18م إلى عقد اتفاقيات سلم وصداقة مع دول شمال افريقيا، وللتوضيح فقط سنذكر هاته المعطيات التاريخية المهمة لعل سبب هذه المعاهدات هو حصول خلل في التوران الدولي بين ضفتي المتوسط الشمالي والجنوبي، بحيث ومع بروز الإيالات بشكل غير معهود مع سنة1711م أي أقصد هنا الجزائر وتونس وطرابلس الغرب منها: الحسينيون في تونس، القرمنليون في طرابلس الغرب، وعهد الدايات الثاني في الجزائر ، وهي الفترة التي لمعت فيها الإيالات في الفضاء المتوسطي، بحيث أصبحت تعقد معاهدات في أغلب الأحيان مع الدول الأوربية دون الرجوع إلى الباب العالي.

ظهرت الولايات المتحدة الأمريكية كأمة مستقلة جديدة وذات تطلعات استراتيجية قد دخلت كعنصر جديد في إطار التنافس والصراع مع دول أوربا على الحوض الغربي للبحر المتوسط[1]، حيث كانت تريد انشاء حلف أمريكي أوروبي ضد دول المغرب قبل ذلك لكنها فشلت، فأرادت في البداية إقامة علاقة صداقة مع الجزائر لأن هذه الأخيرة بدأت تقوم بنشاطها البحري إلى المحيط الأطلسي وهذا بعد أن عقدت صلحا مع اسبانيا، وكان تاريخ هذه المعاهدة عام1792م وهكذا دخلت أمريكا حلبة الصراع في الفضاء المتوسطي وكل هذا في عهد رئاسة جورج واشنطون(1789- 1797) وعهد الداي حسن باشا ولقد اشترت السلام والأمن لسفنها بالمال[2]، وظلت تدفع الضرائب والإتاوات المالية لدايات الجزائر بحكم المعاهدة المشروطة بين البلدين[3].

سعت الولايات المتحدة الأمريكية إلى عقد صلح مع تونس مثلما عقدته مع الجزائر، وإن كانت علاقتها مع تونس متوترة نوعا ما بسبب غزاة البحر التونسيين الذين كانوا يلحقون بالتجارة وبالملاحة الأمريكية في البحر المتوسط خسائر فادحة وبشكل مستمر، وقررت حكومة واشنطن وضع حد لذلك عن طريق التفاوض مع الإيالة حول إبرام الصلح، ولقد أوكلت هذه المهمة إلى السيد جويل بارلو قنصل أمريكا العام في الجزائر الذي كلف تاجرا فرنسيا يقيم في تونس يدعى إتين فامان بالشروع في المفاوضات في هذا الشأن مع

[1]- قشوان عبد الرزاق، "تأصيل العلاقات الجزائرية الأمريكية مطلع القرن 19م"، **مجلة الحكمة للدراسات التاريخية**، مج2، ع4، جامعة الجزائر، جانفي 2014، ص127.

[2]- يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص59.

[3]- محمد عطية، "محن الجزائر في عهد الداي عمر 1815- 1817م ومواقفه منها"، **مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية**، ع13، جامعة الوادي، 2017م، ص312.

حمودة باشا ولقد بادر هذا التاجر الذي كان يحظى ببعض التقدير لدى الباي التونسي على الفور في تنفيذ ما طلب منه [1] .

من جهة أخرى يذكر الأسير الأمريكي في الجزائر كاثكارت بأن داي الجزائر هو من أملى الشروط التي يعقد السلام على أساسها بين الولايات المتحدة الأمريكية والإيالة التونسية، وأن وكيل الداي حسين لدى الباي حمودة قد وعده قبل التوصل إلى الهدنة بين البلدين بأن يستعمل نفوذه لدى باي تونس لكي يطلق سراح أي سفينة أمريكية تقع في أسر القراصنة التونسيين ويعيدها إلى أمريكا، ويفهم من ذلك أن كلمته كانت نافذة لدى باي تونس وحكومته، وهذا ما أكده دوفواز القنصل الفرنسي السابق بتونس حيث قال في إحدى رسائله " **إن وكيل الجزائر في تونس يمكنه تنفيذ أوامر الداي فيها**"[2]، ففي **28** أكتوبر **1795**م نصح سكجولد براند وكوهين بكري والمستر دونالد صون بأن يقدم هدية للحاج علي وكيل الجزائر في تونس الذي وصل إلى الجزائر "حيث أن لهذه الشخصية نفوذ كبير في البلاط التونسي وسوف يتبنى قضيتنا مع تونس حينما تبدأ المفاوضات بين البلدين:، مع العلم فإن الحاج علي كان وكيلا للجزائر في تونس خلال هذه الفترة والذي حضر هذه المرة إلى الجزائر كمبعوث من الباي التونسي ليحمل الضريبة السنوية التي تدفعها تونس إلى الجزائر سنة 1795م[3]، وبعد عدة جولات ومباحثات تمكنوا من اقناع الباي حمودة بقبول مشروع المعاهدة مع الولايات المتحدة الأمريكية حيث تمت المعاهدة بينهما سنة 1799م[4].

من خلال هاته المعطيات يلاحظ أن الباي حمودة قد اقتنع أخيرا بضرورة الصلح وتوقيع الهدنة مع الولايات المتحدة الأمريكية، تجنبا أية مناوشات مع الجزائر، لأن الظرفية الدولية لم تكن بأحسن حال ونشاط البحرية التونسية كان مهددا من طرف الدول الأوروبية وحتى من أمريكا، ضف إلى ذلك فإنها لم تعقد مع الولايات المتحدة الأمريكية معاهدة حتى عقدت الجزائر معها، ولما عقدت المعاهدة كان استجابة لطلب الداي الجزائري والشروط كانت من وضع الداي الجزائري أيضا.

---

[1]– ألفونص روسو، المرجع السابق، ص ص266، 267.

[2]- عمار بن خروف، العلاقات السياسية...، المرجع السابق، ص262.

[3]- كاثكارت، **مذكرات أسير الداي كاثكارت قنصل أمريكا في المغرب**، تر: اسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ص 221.

[4] –ألفونص روسو، المرجع السابق، ص 267.

د. الأزمة الدبلوماسية بين الجزائر وتونس مابين 1824م– 1830:

رغم الصلح المنعقد بين الجزائر وتونس سنة 1821 برعاية السلطان العثماني، إلا أن هذا لم يمنع من حصول بعض الأزمات السياسية التي تخللت العلاقات بين البلدين ومن بين القضايا التي حصلت ما يلي:

د.1. القضية الأولى: دخول سيد التجاني إلى تونس ورفض تسليمه للجزائر:

قدم مع سنة 1825م أبو عبد الله محمد ابن الولي العارف بالله صاحب الطريقة المسلوكة أبي العباس سيدي أحمد التيجاني إلى تونس[1]، والذي كان معاديا للعثمانيين وللحكم العثماني في الجزائر مجتازا إلى الحج، وكان نزوله بدار العلامة أبي اسحاق ابراهيم الرياحي مكان تقدمه في الطريقة، حيث عظم الباي مقدمه بالرغم من عدم التقاءه به وسافر بعدها إلى الحج وعند أداء الفريضة رجع إلى تونس، وحين سمع داي الجزائر بما حصل طلب من الباي التونسي اعتقاله أو إرساله إليه لكنه رفض وهذا ما أثار حفيظة الداي الجزائري، وأرسل الباي التونسي خبرا إلى ابن الشيخ التجاني مع خاصته عبد الوهاب باش حانبه وقال له: « **لا بأس عليك، امكث بتونس ما شئت ومهما أردت السفر فعلي أن نبلغك إلى مأمنك محروسا معظما مكرما.**»[2] الواضح من هذا التصرف أن باي تونس أصبح لا يهيب داي الجزائر، والدليل أنه لما أراد التجاني تعجيل السفر نراه يرسل معه جمعا من الخيل وكاتب كل أعيان المناطق التي سيمر من خلالها مثل همامة وقفصة والجريد وغيرهم بإجلاله وإكرامه إن نزل بهم إلى أن وصل لزاويته بعين ماضي بتماسين وذلك في أواسط سنة 1240هـ-أوائل سنة1825م [3].

د.2– القضية الثانية: فرار جنود انكشاريين من الجزائر إلى تونس ما بين سنتي 1824– 1830م:

ساهمت الظرفية المتوسطية والاقليمية مع مطلع القرن التاسع عشر ميلادية في تعجيل سقوط المؤسسة العسكرية الجزائرية، كان بدايتها بالبحرية الجزائرية التي تعرضت للانهيار في حملة اللورد إكسموث، مرورا بالجيش البري هو الآخر الذي عرف تدهورا خلال عهد الداي حسين[4]، وهذا بعد أن شهد تراجع كبير في عدد المجندين المستقدمين من مختلف جهات الدولة العثمانية، حيث ما بين عامي 1820– 1830م لم يصل إلى

---

[1]- سيكون لنا حديث عن هذه الشخصية في الفصول القادمة .

[2]- أحمد ابن أبي الضياف، المصدر السابق، ص199.

[3]- نفسه.

[4]- الداي حسين1818- 1830م من أصل تركي عريق وشريف، كان يشغل منصب خوجة الخيل في إيالة الجزائر قبل أن يصبح دايا عليها خلفا لعلي خوجة، قال عنه الزهار:" كان رجلا عاقلا متدينا محبا للعلماء والأشراف والصالحين"، خدم الإيالة لأكثر من ثلاثين سنة، اهتم الداي بالمشاريع ذات المنفعة العامة، فأتم بناء مقر الحكم الجديد بالقصبة في أعالي مدينة=

الإيالة الجزائرية سوى 4154 جنديا انكشاريا أي بمعدل 415 جندي في كل سنة، وهذا يعد مؤشر خطر جدا بحكم البلاد كانت مستهدفة من عدة جها، حيث انتشرت في الجزائر مع بداية القرن التاسع عشر ميلادية ظاهرة خطيرة بين جيش الإيالة الجزائرية ساهمت لحد كبير في تراجع معنوياته وعجزه عن أدائه مهمته، وهي ظاهرة الهـروب من الخدمة العسكرية حيث كان الجنود لا يلتحقون بوحداتهم مفضلين البقاء في مدينة الجزائر بسبب الظروف السيئة التي كانوا يعيشونها في محلتهم، ولهذا كانوا يفضلون البقاء في المدينة لرعاية مصالحهم وتجارتهم أو الرجوع إلى بلدانهم الأصلية [1]، وكثيرا ما كانت مشكلة الهروب عبر الأراضي التونسية سببا في توتر العلاقات بين البلدين، حيث تمكنت الاستخبارات الجزائرية في تلك الأثناء أيضا من تتبع الفارين من عساكر الجزائر إلى تونس وذلك ابتداء من عام 1824م حيث طالب الداي حسين باي تونس بردهم غير أن الباي رفض ذلك مما وتر العلاقات بينهما، وحسب التقارير الواردة إلى صالح آغا الجزائر فإن تونس قد استعدت للحرب لما علمت بتحرك بعض المحلات الجزائرية نحو الشرق ولكن وضع الجزائر حتم عليها التراجع ومالت إلى السلم فما كان على تونس إلا أن تميل هي الأخرى للسلم وقامت بتسريح بعض الجنود[2].

تخوفا من أي انزلاق في مجرى العلاقات الجزائرية التونسية اضطر السلطان العثماني للتدخل من أجل التخفيف من حدة التوتر وهذا في شهر أكتوبر 1826م، حيث أرسل فرمانا مضمونه منع الجنود الهاربين من الإيالة الجزائرية من العبور أو الإقامة في تونس مع ضرورة القبض عليهم فورا وتسليمهم إلى وكيل الجزائر ليعيدهم إلى وحداتهم العسكرية التي فروا منها[3]، لأن الدولة العثمانية كانت تصر على فرض الإستقرار في ولاياتها في شمال إفريقيا، وهي أيضا بحاجة لهم بسبب حربها القائمة، ولهذا نراها ترسل فرمانا إلى الإيالات تطلب منهم تجهيز أسطولهم من أجل المشاركة في ثورة اليونان سنة1826م، وضرورة الإلتحاق بالأسطول

=الجزائر، وهذا من أجل أن يكون بعيدا عن ثكنات الانكشارية، عرف عهده الكثير من التحديات الداخلية والخارجية، فداخليا تمثلت في تعرضه للاغتيال لأكثر من مرة، ضف إلى ذلك ثورة التيجانية، أما خارجيا فتوقيعه للصلح مع تونس سنة1821م، ولكن تأزمت علاقاتها الدبلوماسية فيما بعد، كما كانت نهاية الإيالة الجزائرية في عهده وهذا حين احتلتها فرنسا سنة1830م.ينظر: أحمد شريف الزهار، المصدر السابق، ص141. و محمد بوشنافي، "الداي حسين وسقوط الإيالة الجزائرية1818- 1830م"، **مجلة عصور**، ع6- 7، جامعة وهران، جوان – ديسمبر2005، ص ص 98- 101.

1- نفسه، ص102.

2- شوقي عبد الكريم، المرجع السابق، ص ص 333، 334.

3- محمد بوشنافي، المرجع السابق، ص103.

العثماني[1]،ولهذا نرى حسين داي الجزائر يرسل رسالة إلى حسين باي تونس في تاريخ 23جمادي أولى 1243هـ- 1827م يطلب منه ألا يسمح بمرور الجنود الجزائريين الفارين وضرورة تسليمهم إلى وكلائها بتونس [2]، لأن الوضع السياسي في الإيالة الجزائرية غير مستقر، خاصة مع توالي المحن عليها وتوتر علاقاتها مع فرنسا بالذات التي أعلنت عليها العداوة علنيا، وحتى تونس كانت تتحاشى النزاع مع الجزائر وخاصة في هذه القضية بالذات.

د.3– القضية الثالثة: موقف بايات تونس من الحملة الفرنسية على الجزائر1827م

مع مطلع القرن التاسع عشر ميلادية انشقت أجهزة الحكم في الجزائر، ودخلت في دوامة التناحر والصراع على السلطة، خاصة مع ظهور ظاهرة اغتيال الدايات الظاهرة التي عجلت بسقوط ما يعرف بالإيالة الجزائرية سيدة البحر المتوسط طيلة ثلاثة قرون خلت، وإن ساهمت الظرفية الداخلية والمتوسطية وحتى الإقليمية ونخص بالذكر تونس التي دخلت معها في حرب قبل سنين، إضافة لحملة اللورد اكسموث التي إنهكتها عسكريا، والمعلوم أن فرنسا هي الأخرى كانت من بين المتربصين بالجزائر والذين اتخذوا من ذرائع واهية سببا للدخول معها في صراع وبالتالي إلى الإحتلال، وعليه السؤال المطروح هنا هو: **ما موقف بايات تونس من الحملة الفرنسية على الجزائر سنة 1827؟**

وصل الأسطول البحري الفرنسي بعد وقوع (**حادثة المروحة الشهيرة أفريل1827م**) سواحل مدينة الجزائر التي رفضت الاعتذار للقنصل الفرنسي ورفضت شروط فرنسا المهينة، فما كان عليها إلا التصدي لفرنسا التي أعلنت عليها الحرب في الثاني عشر من شهر جوان 1827م، وقد دام الحصار ثلاث سنوات وكان حصارا طويلا وصعبا جدا على الجزائر وحتى فرنسا[3]، وكانت فرنسا قد هددت تونس إن تجرأت على مساندة الجزائر فسوف تلقى نفس المصير، والواضح أن فرنسا لم تتخوف من حكام تونس وإنما من الأهالي التونسيين الذين تجمعهم علاقة طيبة مع الأهالي الجزائريين، والذين يرفضون الإعتداء الفرنسي على الجزائر خلال هذه الفترة .

أمام تفاقم الأزمة في الجزائر لم يعد بوسع باي تونس الذي وصلته أخبار الحرب بين الجزائر وفرنسا إلا تأمين حدوده الغربية التي أصبحت في خطر شديد، حيث أضحى مرسى حلق الوادي في حالة استنفار كما

---

[1]- أ.و.ج، خط همايوني 28077 تاريخ1241 هـ.

[2]- أ.و.ت، س.ت.ت، الصندوق223ملف384، وثيقة رقم 55. أنظر محتوى الرسالة في الملحق رقم04، ص 243.

[3]- عزيز سامح ألتر، المرجع السابق، ص632.

عزز الباي التونسي الحامية بثلاثمائة جندي لتشغيل بطاريات دفاعها إذا ما دعت الحاجة، كما زاد في عدد قواته على الحدود مع الجزائر، وليس هذا فقط وإنما تأكد أيضا أن حسين باي تونس كان منحازا في تلك الفترة لفرنسا، حيث سمح بإرسال الأغذية للفرنسيين وتسهيل شراء ما يلزمهم منها في سرية حتى لا يثور الأهالي الذين يرفضون التعامل مع الأعداء المسيحيين، على عكس الحكام التي تشغلهم المصلحة والحقد الدفين ضد الجزائر، كما غض الطرف عما كان يجريه الفرنسيون من اتصالات مع رعاياه فيما يعود بالفائدة للحملة الفرنسية على الجزائر كإستقاء المعلومات والأخبار عن الوضع الداخلي في الجزائر وتوزيع منشورات الحملة وتوظيف بعض المترجمين كما زود فرنسا بمعلومات عن إمكانيات الجزائر وظروفها بعد اطلاعه عليها عن طريق رسائل المناوئين لحكم الداي حسين، كما وجد موقف آخر شاهد على مساهمة الباي حسين مع فرنسا ضد الجزائر هو تسهيله لكل المهام التجسسية للفرنسيين على الجزائر، وفي المقابل منع كل شيء عن جارته مسهما في تشديد الحصار عليها خاصة فيما يتعلق بالأسلحة والذخيرة والبارود[1].

كما أشيع مع مطلع عام 1828م بأن باي تونس غير موقفه واستجاب لنداءات داي الجزائر وقرر الوقوف بجانبها قبل الهجوم عليها، ما حير القنصل الفرنسي ماتيو دي ليسيس الذي أصبح تواقا لمعرفة المسلك الفعلي الذي يزمع الباي التونسي اتخاذه حيال المسألة الجزائرية، فإجتمع مع الباي التونسي وطلب منه توضيحا حول الإشاعة التي أصدرت، فأخبره أنه سيتخذ موقف محايد، بل إنه أسر للقنصل الفرنسي بأنه يتمنى في قرارة نفسه انتصار الجيوش الفرنسية على الجزائر[2]، فموقف الباي التونسي واضحا لا غبار عليه فهو كان قد بين نيته قبل معركة نافارين وهذا حين شدد الحراسة على الحدود ولم يبدي أي استعداد لمساندة إخوانه في الإسلام، ونراه يتخذ قرار التحيز، ولكن الباي التونسي تناسى شيئا مهما وهو أن التاريخ لن ينسى موقفه ومساندته، ومن الصعب التعاطف مع العدو المشترك والذي تجمعه به مصالح ضيقة ووقتية على الجارة الجزائر التي تجمعه معها الدين والجوار والتاريخ المشترك.

لم يتخذ السلطان العثماني دور المتفرج فيما يحصل بالتراب العثماني وعصبه في شمال افريقيا، فنراه يرسل مبعوثا ليحل أزمة الجزائر، ولكن هذا مبعوث السلطان العثماني طاهر باشا [3]منع من الوصول إلى الجزائر برا، هذا الأخير الذي أتى قاصدا الجزائر ولكنه بقي في سفينته، لأن باي تونس اجتمع مع ديوانه بشأن

1- شوقي عبد الكريم، المرجع السابق، ص ص334، 335.

2- ألفونص روسو، المرجع السابق، ص 352.

3- كان يتقلد منصب الخوجة في الجزائر قبل أن يترقى فيما بعد ويصبح أميرالا في الأسطول العثماني.

نزوله، ولكن اختلفت الآراء حول عواقب استقباله حيث تخوفوا من ردة فعل فرنسا والتي ستعتبره تحايل عليها إن مر عبر تونس وتوجه برا نحو الجزائر وهو على رأس محلة صغيرة وغيرها من الأسباب الواهية، ولكن القبطان حسونة المورالي هو الوحيد من بينهم من قبل نزوله وإكرامه حيث قال:« ... **هذه الأسباب معقولة[يقصد هنا الأسباب التي ذكرها أعضاء الديوان] والمناسب الإذن له في النزول إلى البر، وإكرامه والاحتفال لضيافته والاعتذار له بما ظهر لكم من الأسباب، ولا ينقص من مقام سيدنا إن قام وتعرض للقائه إكراما لشيبته وهو ضيف وعن قريب سيكون قبطان باشا، واصطناع الرجال مما لا غنى للملوك عنه، فرجع قافلا وحاول دخول الجزائر بحرا لكنه فشل في مسعاه، ولقد بقي هذا التصرف الغير مقبول من طرف باي تونس للقبطان طاهر باشا حسرة في قلبه ولقد أفصح عن ذلك وهو قبطان باشا قائلا: ما يكون جوابكم لله عن تعطيلي الذي عطلتم به مصلحة جمهور من المسلمين؟ لكن المقدر كائن.** »[(1)]، وبناءا على ما تقدم فإن هدف الباي التونسي وحتى أعضاء ديوانه واضح، والذين قصدوا عرقلة مسيرة المبعوث العثماني الذي عزم على عزل الداي حسين، وضرورة إيجاد مخرج للأزمة الجزائرية قبل وقوع المحظور والذي وقع بالفعل، حيث اختفت الجزائر العثمانية بسرعة وشمولية كما ظهرت قبل ثلاثة قرون خلت، وهذا مع إحتلالها نهائيا في 05جويلية 1830م.

قال الله في كتابه العزيز: ﴿ **وَلَن تَرضَى عَنكَ اليَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ**﴾ [(2)] فإننا نرى في نفس السنة وبالضبط في شهر أوت1830م قدوم مراكب حربية فرنسية نحو تونس بشأن ربط معها معاهدة تجارية بين الباي التونسي وملك فرانسا كارلوس العاشر، لكنها معاهدة مهينة لتونس، لدرجة أنها ستفرض عليهم معاملة التاجر الفرنسي مثل معاملة الأهالي، وبطلان افتداء الأسرى وتقديم الهدايا التي كانت سائرة قبل ذلك وغيرها من الشروط المذلة، والتي عقدت يوم 27صفر1246هـ- الثلاثاء 17أوت 1830م[(3)].

فتحت المعاهدة على البلاد التونسية باب التوغل الأوربي نحوها فبدأت في المجال التجاري لتتطور الأمور ويصبح التدخل في الشؤون السياسية لها، ثم تقيد بعدها حرية الحاكم التونسي ليصبح في تبعية للغرب، والذي لن يستطيع الخروج من الأزمات التي تلحقه دون الرجوع للغرب، وفور تمكن فرنسا من إحتلال الجزائر العاصمة استقبل دي بورمون وفدا مبعوثا من طرف الباي التونسي حسين وتكون الوفد من مصطفى صاحب

---

[1]- أحمد ابن الضياف، المصدر السابق، ص215.

[2]- سورة البقرة، الآية 119.

[3]- أحمد ابن الضياف، المصدر السابق، ص ص 218، 219.

الطابع والكاتب أبي ربيع سليمان وهذا يوم 21نوفمبر 1830م، فاستغل القائد العام كلوزيل هذا الموقف وعرض على الوفد مشروعا ومحتواه أن تتولى تونس إدارة إقليمي قسنطينة ووهران تحت نظر فرنسا مقابل مبلغ مالي تمهيدا لتتولى هي أمر الجزائر كلها، ومن المؤسف قبلت الحكومة التونسية هذا المشروع [1].

أرسل حاكم تونس الآغا خير الدين على رأس ثلاثمائة من عسكر زواوة والمخازنية مع محمد شولاق من أعيان المنطقة، ومع وصوله انحصر في قصر الإمارة في وهران من أجل جباية الضريبة، ولكن رفض سكان المنطقة وجوده والذين استحلوا دمه، ما جعله يتأخر في إرسال المال للوزير التونسي شاكير صاحب الطابع الذي وجه له الملام على عدم إرساله خشية أن يلحق وقت الدفع، ولكن ضاق ذرع الآغا خير الدين الذي صعب عليه إكمال مهمته، فكاتب الباي بأمر رجوعه إلى تونس ولقد وافق الباي التونسي على ذلك في شهر أكتوبر عام 1831م[2].

خلاصة القول فإن حاكم تونس لم يعر آنذاك أي اعتبار لأي رابط ديني أو عرقي أو حسن الجوار حتى يجمعهم بالجزائر وإن كان ولابد يكون انتقامه فسيكون للحاكم وليس للشعب الذي سيعاني ويلات الاحتلال، وأي شرارة تمس الجزائر فلابد أن يكون لها نصيب من ذلك، ولكن الحقد والضغينة التي حملها هذا الحاكم جعله يهيئ الجو لفرنسا لاحتلال الجزائر، وإن كان المشروع الفرنسي لهذا الإحتلال سيفلح دون مساندته.

إستنتاج جزئي:

– نستنتج في الأخير أن التدخل الجزائري في خضم الصراع التونسي لم يكن مدبر له وإنما كان بعد استنجاد بايات تونس بهم، وهذا بعد أن تأزمت الأوضاع السياسية بها نتيجة تقاتل ورثة العرش المرادي على العرش، ضف إلى ذلك الصراع الذي قاده الدايات ضدهم والذي احتدم مع أواخر القرن السابع عشر، حيث حتم على حكامها الاستنجاد بالجزائر لفك النزاع السلطوي تارة من طرف البايات والذي انتهى بإقرار الصلح سنة 1675م وتارة أخرى من طرف الدايات وهذا سنة 1695م والذي تدخلت فيه الجزائر تدخلا مباشرا، وكان تدخل الجزائر خلال تلك الفترة لصالح من يستنجد بها أولا مع إلزامية دفع أموال لإنعاش خزينتها، وبهذا الشكل استطاعت الجزائر أن تفرض حضورها على تونس من جديد خلال هذه الفترة.

---

[1]– عميرواي حميدة، المرجع السابق، ص67.

[2]– أحمد ابن أبي الضياف، المصدر السابق، ج3، ص229.

– استغلت الجزائر لجوء الحكام التونسيين لكي تفرض شروطها عليهم مقابل التعاون العسكري وهذا ما رأيناه خلال العهد الحسيني ولقد بدأت هذه الظاهرة مع ثلاثينات القرن الثامن عشر ميلادي، واستطاعت أن تبرز حضورها مجددا داخل الإيالة التونسية.

– سعت الجزائر أن تثمن حضورها في تونس من خلال وضع وكيلا لها داخل الإيالة التونسية لكي يتابع أمورها نيابة عن الداي الجزائري وباي قسنطينة، وفي نفس الوقت لم يكن لتونس وكيلا بالجزائر، كما قامت بتكثيف نشاطها الدبلوماسي بالمنطقة من خلال توسطها المقام بين تونس والدول الأجنبية، وبرزت مساعيها في عقد الصلح بين تونس واسبانيا سنة 1786م/1787م ومع الولايات المتحدة الأمريكية سنة 1799م.

– غياب شبه كلي للسلطة العثمانية في فك النزاع سواء داخل البلاط التونسي أو حتى في صراعهم مع الجزائر إلا في فترات متقطعة، وعليه فإن أكبر خطأ اقترفه حكام تونس هو استدعائهم لحكام الجزائر في فك نزاعاتهم السلطوية، حيث أصبح أي تغيير في هرم السلطة التونسية دون الرجوع إلى حكام الجزائر سينذر بغضب جزائري وبالتالي دخول في حرب وصراع معها لأن التدخل بالنسبة لها فيما بعد أصبح ضرورة حتمية.

– رغم الصلح بين الإيالتين عام1821م والمقرر برعاية السلطان العثماني من أجل إنهاء الصراع القائم ومنع التدخل الجزائري في الشؤون السياسية للإيالة التونسية، إلا أن تونس سعت هي الأخرى لتأجيج الوضع مع الجزائر ولقد ساقتها أكثر من مرة لتجديد الصراع بينهما، وخاصة موقفها السلبي من الحملة الفرنسية على الجزائر سنة 1827م وبعدها الإحتلال الفرنسي لها، والذي ثمنه باي تونس ورآه شأنا جزائريا ولم يحرك فيه ساكنا خوفا من المصير المشترك.

الفصل الثاني

الصراع العسكري الجزائري التونسي

ما بين 1628م- 1830م

أ. مسألة الحدود بين إيالة الجزائر وتونس سنة1628م

أ.1. المجال الجغرافي بين البلدين خلال العهد الحفصي

أ.2. دور القبائل الحدودية في رسم الحدود الجغرافية سنة1614م

أ.3. تجدد مسألة الحدود بين الإيالتين ومعاهدة 1628م

ب. الحملات العسكرية الجزائرية على تونس ما بين سنتي 1695م- 1756م

ب.1. حملة الداي شعبان على تونس سنة 1659م وتداعياتها

ب.1.1. مجريات الحصار

ب.2.1. تداعيات الحملة

ب.2. عودة الصراع بين الجزائر وتونس سنة1700م

ب.1.2. أسباب الحملة

ب.2.2. مجريات المعركة

ب.3.2. الوساطة العثمانية لفك الصراع بين الإيالتين سنة1700م

ب. 3. حملة الداي مصطفى على تونس سنة 1702. 1705م

ب.1.3. إعتلاء ابراهيم الشريف عرش تونس 1702م

ب.2.3. إعلان الداي مصطفى الحرب ضد الشريف عام 1705م

ب.1.2.3. مجريات الحملة

ب.2.2.3. نتائج الحملة

ب.3.3. إعتلاء الحسين عرش تونس وصراعه مع الداي مصطفى سنة 1705م

ب.1.3.3. التحصينات العسكرية قبل الحملة

عرفت تونس مع بداية القرن السابع عشر ميلادية عدة تحولات سياسية أثرت عليها داخليا وخارجيا، وأجبرتها على حل عدة قضايا مصيرية من بينها قضية الحدود مع الجزائر التي استلزم حلها نهائيا لأنها أصبحت تؤرق حكام الإيالتين، لأن بها يبنى مجال كل دولة سواء من الناحية الطبيعية أو حتى من ناحية ضبط الجباية والتي كانت إحدى موارد الدول آنذاك، ولكن الظروف العامة حتمت عليهما تحديدها بشكل محتدم، وما زاد الطين بلة هو ظهور عدة أزمات سياسية عصفت بأمواج الإيالة التونسية خلال هاته الفترة، حيث فرضت عليهم إستدعاء أطراف أجنبية لفك هذا النزاع، وكان أوجاق الجزائر السباقين في الدخول كطرف ثالث لفك النزاع السلطوي وهذا بعد إلتجاء حكام تونس بهم "سواء مناوئين للحكم ولا أصحاب العرش المسلوب منهم" طالبين الدعم العسكري وبالتالي يكون التدخل عسكري ومباشر، ولكن الظرفية الإقليمية والدولية فرضت على تونس مع أواخر القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر ميلادية أن تتخذ موقفا حازما من التدخلات الجزائرية العسكرية الغير مبررة أحيانا.

أ. مسألة الحدود بين إيالة الجزائر وتونس سنة1628م:

يعتبر تحديد المجال الجغرافي بين الدول شرطا من شروط سيادة كل واحدة منها، لكي لا يختلطا ولا يتعدى أحدهم على الآخر، لكن هناك من تتحكم فيه عوامل إجتماعية وسياسية خاصة بين الإيالتين الجزائرية والتونسية[1]، والتي يصعب تحديدها في أغلب الأحيان، والإشكال المطروح هنا: **كيف كانت الحدود قبل هذا التاريخ وهل شكل الإرث التاريخي الحدودي ونفوذ القبائل الحدودية فارق فيه؟**

أ.1. المجال الجغرافي بين البلدين خلال العهد الحفصي:

تمثل الإرث التاريخي الحفصي في وجود مجال تطابق لحد ما مع المجال الذي حدده الباب العالي للإيالة التونسية فيما بعد، حيث كان هذا الأخير يتمدد في فترة قوة الدولة الحفصية إلى حدود قسنطينة وبجاية وينحصر في فترات الضعف فكاد ينحصر في الشمال الخصب والشريط الساحلي، وقد رافقت نهاية الدولة الحفصية أزمة عميقة وطويلة أدت إلى تشتت المجال إلى وحدات عديدة أهمها بقايا الملك الحفصي في الشمال الشرقي للبلاد حيث الحاضرة، والمملكة القبلية الطرقية التي كونها سيدي عرفة الشابي وعرفت بالطريقة الشابية[2]في وسط البلاد وفي جزء هام من الشمال الغربي، أما الأتراك فقد انتصبوا بالجنوب وببعض المدن الساحلية مثل قابس وصفاقس والمهدية وسوسة، أما باقي المناطق الساحلية فقلد كانت تحت وطأة الاحتلال الاسباني آنذاك[3].

هذه المعطيات التاريخية هي التي جعلت التخوم والأطراف الغربية للبلاد التونسية تشكل هاجسا سياسيا وعسكريا خاصة في العصر الحديث بالنسبة للفئة الحاكمة بتونس آنذاك، نظرا لامتداد تلك التخوم على نحو 600كم يمكن عبورها في أكثر من نقطة رغم وجود السلاسل التلية والظهرية لأن هذه الجبال

1- خريطة للإيالتين الجزائرية والتونسية خلال القرن 17م. أنظر الملحق رقم 05، ص 244.

2– هي طريقة متفرعة عن الشاذلية شأنها في ذلك شأن الكثير من الطرق الصوفية الأخرى، وقد شتها الأتراك لوقوفها منذ البداية ضد التدخل العثماني ولم تبرز للوجود من جديد إلا بعد مدة في بلاد الجريد مع العلم أنها أنشأت في الساحل الشرقي لتونسي وبالرغم أنها طريقة دينية إلا أنها لم تتحاش أن تحالف الإسبان أواخر القرن السادس عشر ميلادية ولقد كان لها أتباع كثر في مدينة نفطة وتوزر خاصة. ينظر: التليلي العجيلي، **الطرق الصوفية والإستعمار الفرنسي بالبلاد التونسية 1881–1939**، منشورات كلية الآداب، تونس، 1992، ص49. وأحمد عبد السلام وعبد الرزاق الحليوي، **المؤرخون التونسيون في القرون 17و18و19م**، المجتمع التونسي للعلوم والآداب والفنون ببيت الحكمة، تونس، 1993، ص20.

3- المنصف التايب، " المجال والسلطة في البلاد التونسية خلال العهد العثماني"، **مجلة روافد**، ع4، جامعة تونس، 2018، ص11.

محدودة في الإمتداد والإرتفاع وتحتوي على العديد من الممرات الطبيعية ولذلك انحصرت المواجهة العسكرية تقريبا مع الحدود الغربية الذين كانوا يتمتعون بإمكانيات عسكرية وبشرية لا يستهان بها(1).

أ.2. دور القبائل الحدودية في رسم الحدود الجغرافية سنة1614م:

يعتبر النصف الأول من القرن السابع عشر قرنا حاسما في رسم العلاقات بين البلدين وخاصة في ما يخص رسم الحدود الجغرافية بينهما، وهذه العلاقة ستلعب فيها المدن الحدودية دورا جوهريا وخاصة مدينتي الكاف التونسية، هاته الأخيرة التي تحولت خلال العهد العثماني إلى أهم المدن الحدودية لأهميتها الاستراتيجية الاقتصادية من جهة، ولحجمها العسكري والدفاعي من جهة أخرى، وقسنطينة الجزائرية عاصمة بايليك الشرق والواقعتين على خط الحدود من ناحية وادي سراط (2)، الذي ارتبط إسمه بسيادة البايات الترابية من ناحية أخرى لعب دورا فعالا في الأحداث، إضافة للمدن الآنفة الذكر.

أتت عملية تحديد التخوم كشكل من أشكال تحييز المجال في إطار تأمين استخلاص الجباية من طرف الماسكين بالحكم في كلا البلدين، هذه العملية التي كانت تعسر كلما تم الإقتراب من الحدود، حيث كانت توجد بعض القبائل التي أهم ما كان يربطها بالأرض هو الماء والمرعى، ولم يكن للحدود بين الإيالتين وجود كبير في ذهنية هذه القبائل بما أن هذا المجال لم يكن ملجأ للهاربين فقط، بل كان أيضا مجالا لحركة تبادل تجاري وجدت منذ زمن بين التجار الجزائريين والتونسيين والتي لم يتوقف نشاطها حتى أيام الحرب الدائرة بين الإيالتين(3)، ولعل من أسباب تأخر ظهور الحدود وإبرازها خلال العهود السابقة هو غياب المركز المتحكم في المجال والمجتمع وهذا ما أتاح للقبائل بأن تأخذ دورا في أغلب المرات وتتحكم في المجالين في أغلب أوقاته، وعليه فإن مسألة تخصيص الأراضي ذات الملكية الكاملة أهم من مسألة تحديد المناطق في تلك الفترة والتي ستحاول الإيالتين على ضمها لمجالها الجغرافي من أجل ضمان الضريبة(4).

1- منصف التايب، المرجع السابق، ص15.

2- وادي سراط أو وادي سرت يقع شمال الكاف وهي تبعد عنها قرابة 2.5كم .ينظر: عزيز سامح التر، المرجع السابق، ص591.

3- نرجس دبش، " سكان الحدود الغربية التونسية قبيل الاستعمار من الإغارة الى التعاون مع المقاومة الجزائرية"، **المجلة التاريخية المغاربية**، ع137، فيفري 2010، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات تونس، تونس، ص28.

4- Charles Monchicourt, La frontière Algéro- Tunisienne dans le Tell et dans la steppe, **R.A**, N°82, Alger, 1938, p33.

فصلت الإيالات المغاربية عن بعضها سنة 1587م فأصبح من السهل رسم الحدود بينهما، وعليه فلقد أدت الضرورة لتحديد الحيز الجبائي في عهد رمضان باي تونس سنة1612م وهو أحد قواد المحلة الذي هجم على قبيلة بن شنوف الغير ثابتة الولاء [1]، والذين كانوا يحتلون مناطق التخوم في جوار الكاف كما كانوا يتلاعبون بولائهم حسب ما يتحصلون عليه من منافع، ولقد بدأت التحركات العسكرية في 1612م ولم يكن على الجزائر إلا الرد عليها في رجب 1022 هـ(17 أوت – 15 سبتمبر 1613م)، وكاد الجيشان أن يلتحما لو لم تقم بعض الجهات الدينية بوساطتها والذي عجل بالاتفاق المبرم في الثلث الأخير من شهر صفر 1023هـ 23 مارس– 2 أفريل 1614م) والقاضي بأن يكون الخط التضاريسي لوادي سراط الحد الطبيعي الفاصل بين السيادتين فما هو شرقية فهو لتونس وما هو غربية فهو للجزائر[2]، إضافة إلى هذا فلقد سيطرت قبائل الحنانشة وحلفاءهم من الشابية على المجال التخومي الواقع بين الكاف وقسنطينة، وعليه ستكون هذه القبائل فاعلة سواء في العلاقات المجالية أو العسكرية فيما بعد[3]، **ولكن السؤال المطروح هنا لماذا تم الاختيار على وادي سراط؟**

لوادي سراط خلفية استراتيجية من حيث الموقع والطبيعة الجغرافية والتاريخية، وتتمثل خلفيته الاستراتيجية والطبيعية في كون الواد يستمد أهميته من انتماءه إلى منطقة ظلت محط أنظار الغزاة علاوة على ذلك فهو يوجد بين منطقة جبلية وعرة في الشمال تمتد بين منطقة سوق أهراس الجزائرية وجبال خمير التونسية حتى إن بعض المؤرخين شبهوه بسور كبير بينما تمتد المنطقة التي تليه من الجنوب بين قسنطينة وتبسة وسراط وملاق والكاف من أراضي منبسطة يسهل اختراقها، أما الخلفية التاريخية فتتمثل في كون هذا الواد كان قد لعب في الفترة الوسيطة حيث كان ممرا لجيوش أبي عبيد الله الشيعي سنة 909م على افريقية وهزم الجيش

---

[1]– اختلفت الآراء وتنوعت عن أصل هاته الأسرة فهناك من يرجعها للفرس وهناك من يرجعها إلى ولاد صولة من عرب بني سليم، استطاعت هاته الأسرة أن تفرض نفسها ونفوذها على حنكة الكاف التونسية حيث كانت تتمتع بنفوذ قوي بين قبائل المنطقة وتجبي الضرائب منها وبعد وصول العثمانيين إلى المنطقة بدأت النزاعات تبين اتجاه الأسرة، وكان أحرار الحنانشة يؤيدون بايات تونس في حين كان أولاد سعيد والأولاد صولة من بني سليم يدعمون أسرة إبن شنوف، ولقد استمرت هاته النزاعات بين الأسرة والحكام العثمانيين حتى بداية القرن 17م، مع العلم فإن هذه الأسرة كانت تعمل دائما لصالح الإيالة الجزائرية هجومها على تونس وتسبب في هزيمتها. ينظر: جميلة معاشي، **الأسر المحلية في بايليك الشرق الجزائري، (من القرن 10هـ(16م) إلى 13هـ(19م)**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2015، ص ص 99، 100 .

[2]- التوفيق البشروش، المرجع السابق، ص32.

[3]- نفسه، ص51.

الأغلبي، وهو موقع ليس بالبعيد عن الكاف حاليا كما لعب الواد دور الحد الذي كان يمتد إليه نفوذ السلطان الحفصي والمجموعات الواقعة تحت سيطرته. [1]

يكمن أهمية هذا الحدث في كونه أفضى إلى أول اتفاق حدودي بين الطرفين وحسب وجهة نظرنا فهي حدود طبيعية لا بشرية وهذا ما سيوقع البلدين في إشكال آخر، حيث قام التونسيون بخرق معاهدة ضبط الحدود التي أبرمت عام 1614 وهذا ما حتم الجزائر إلى توجيه حملة عسكرية ضدها[2]، وهذا بسبب تعرض أملاك عرش أولاد سعيد وأولاد رقانة التابعتين لقبيلة الحنانشة إلى النهب من قبل محلة تونس، فهدد حاكم الجزائر آنذاك باجتياح تونس إن لم تقدم التعويضات لهؤلاء المتضررين واستعد الطرفان للقتال لعدم استجابة تونس للشروط الجزائرية، ولكن المصادمات لم تحصل بسبب تدخل أهل العلم وإحلال الصلح بينهما مؤقتا. [3]

أ.3. تجدد مسألة الحدود بين الإيالتين ومعاهدة 1628م:

في هذه الظروف المستجدة ومع سنة 1628م وعلى إثر استيلاء الباي مراد كورسو على موقع عسكري يدعى أرقو وهو مركز أمامي بالنسبة للكاف تجاه الغرب، تأهب الطرفان إلى الحرب إلى حد أن الوساطة العثمانية لم تجد نفعا، وطلب الجانب الجزائري بإجلاء حصن أرقو وبتسليم الكاف لفائدته وبمعاقبة الباي المعتدي، كما استمال الجانب التونسي قبائل الحنانشة المقيمين في المناطق المتنازع عليها من أجل مساندتهم، وقام سكان العاصمة فجندوا ما لا يقل عن خمسة عشر ألف مقاتل، وانضم إليهم مثلهم من الفرسان علاوة على من التحق بهم من العربان، وغادر الجيش التونسي العاصمة على مرات بين 9 من أفريل و25 منه، تحت قيادة أمير البحر القابودان أسطا مراد الجنوي وما أن وصل إلى ميدان العمليات حتى توغل في التراب الجزائري مدة سبعة أيام من السير على الأقدام، وأفضى الالتحام الأول إلى إنهزام الجيش الجزائري، مما فرض على قواده طلب المهادنة يوم 25 ماي 1628م بعد أن أضاعوا من الأودات ثلاثمائة قطعة، وجنح مراد كرسو إلى السلم حتى لا تؤول العملية إلى الإستيلاء على قسنطينة وعنابة[4]، ولكن عادت المعارك يوم 27 ماي 1628م وتألق فرسان وهران فيها، حيث تكبد الجانب التونسي خسارته الأولى إذ أنه أضاع في الواقعة 25 صنجقا و 425 أودة و54 مدفعا، دون الأسلحة والعتاد والمواد الغذائية، إضافة إلى الضباط الذين نفذ فيهم حكم

1- محمد صلاح حقي، المرجع السابق، ص60.

2- محمد الصالح العنتري، **فريدة المنسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة و استيلائهم على أوطانها أو تاريخ قسنطينة**، مر وتق وتع :يحي بوعزيز، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.س، ص34.

3 - محمد صلاح حقي، المرجع السابق، ص52.

4- التوفيق البشروش، المرجع السابق، ص33 .

الإعدام من بين الأسرى، أما الجيش الجزائري فتقدم نحو العاصمة تونس وقام بمحاصرتها، وبعد عيد الفطر أعلن قائده عن شروطه في 9 جوان 1628م وهي:

1. إجلاء الكاف وإعادة أرقو.
2. تسليم منطقة الجريد.
3. دفع تعويض مالي قدره سبعمائة ألف قطعة من العملة الذهبية[1].

من الواضح أن هذه الشروط المجحفة لن يقبل باي تونس بها، وهذا ما تأكد منه باشا الجزائر وأيقن أنه لن يتحصل على طلبه ولن تلبى شروطه المبالغ فيها نوعا ما، وعلى هذا الأساس انسحب قائد أوجاق الجزائر يوم 20 جوان 1628م عائدا إلى الجزائر وتاركا الكلمة الأخيرة للمفاوضات[2]، ومع تدارك يوسف داي للأمر وحقنا للدماء وافق على الصلح معهم[3].

وفي هذه الأثناء جرى اتفاق بين ولاة الجزائر وولاة الإيالة التونسية وهو اتفاق مؤرخ في 4 ذي القعدة 1078هـ- 6جويلية1628م في شأن حدود المملكتين مبني على رسم الحدود حيث اتفقوا على أن يكون الحد الفاصل بين الإيالتين وادي سراط[4]، واقتضت المعاهدة على أن تكون الحدود بهذا الشكل: «...**على أنه من دخل عمالة الجزائر وحل في غرب واد سراط يكون خراجه لقسنطينة ولا يطالبه أهل مدينة تونس وكل فرد دخل حدادة تونس من الرعايا واجتاز الوادي وكان شرقيه فهو لهم ولا يطالبه أهل الجزائر**. »[5]، ولكن الحدود لم تكن مرسومة من ناحية الشمال باعتبار أن الجزائر كانت مسيطرة نوعا ما على جزيرة طبرقة التونسية وهي من كانت تسير شؤونها[6]،وعليه فإن الأمور لهذا الحد واضحة من ناحية الجنوب والمرسومة نهائيا أما من ناحية الشمال فتبقى منطقة متنازع عليها.

1- التوفيق البشروش، المرجع السابق، ص33.

2 - حسن حسني عبد الوهاب، المرجع السابق، ص136.

3 - التوفيق البشروش، المرجع السابق، ص ص33، 34.

4- محمد صلاح حقي، المرجع السابق، ص56.

5- أ.و.ت دفتر رقم 2847 وثيقة 02. أنظر وثيقة الصلح في الملحق رقم06، ص 245.

6- Arvieux chevalier, **Mémoires du chevalier d'arvieux**, Jean Baptiste Delphine, Paris, s.d, p33

بقيت هذه الحوادث راسخة في الذاكرة الجماعية للسكان في تونس، والدليل على ذلك نعتها بوصف يجعلها واقعة ذات دلالة حيث سميت بواقعة سطارة باعتبارها ارتبطت بعملية تسطير الحدود بين البلدين بعد معارك دامية وهزيمة محلية، ولكن الحدود هذه المرة ليست طبيعية فقط وإنما ذات دلالة جبائية أيضا، وبالتالي يصبح حد السيادة هو حد الجباية، ولكن بما أن القبائل الحدودية وهي أصل المشكل حرة في اجتيازها لهذا الحد الطبيعي فإنها سوف تستغل هذه الثغرة للتهرب قدر الإمكان من دفع الجباية، وهكذا نستشعر محدودية ونسبية هذا التطور في تصور مسألة الحدود، مع العلم أن حركية المجموعات البشرية والقبلية تفسد إلى درجة ما هذا التصور الطبيعي أو الترابي الحدودي [1] .

رغم الحوادث المستجدة إلا أن قضية الحدود لم تقبر في تلك اللحظة، وإنما أثيرت مع بداية عهد البايات المراديين، وهذا حين قدم حمودة باي ابن مراد باي (1631- 1659م) بكسر شوكة القبائل التخومية المحاربة الكبرى، وخاصة منها أولاد شنوف في اتجاه الغرب وأولاد سعيد في اتجاه الجنوب[2]، حيث وبعد أن سيطر على دواخل البلاد وسعى إلى تنظيما سياسيا وعسكريا وحتى في الجانب الإقتصادي وقضية الضرائب بالأخص، نراه يسعى لكسرة شوكة القبائل التي لم ترسي بعد على من تتبع إما مملكته أو مملكة الجزائر، ولهذا أنشأ جيشا متركبا من الأهالي من زواوة [3] وصبايحية [4]ومن بعض القبائل المخزنية أيضا[5].

توجه حمودة باي منذ توليه العرش إلى محاربة العصاة أمثال الشيخ خالد بن نصر الحناشي وكان أشهر قياد القبائل تأثيرا في المناطق الحدودية وله عدة وقائع مع عسكر الجزائر، ورغم قوته إلا أنه انهزم على يد حمودة باي سنة 1644م، وصار بعدها أولاده خداما له والعديد من القياد الذي أخضعهم الباي التونسي، إلا أن المناوشات ومحاولات إخضاع القبائل أنهكته فنراه ما بين سنتي ذلك 1662م و1663م يراسل الباب العالي يطلب الاستعفاء من المنصب[6].

ومهما يكن من محاولة لتحيين الحدود إلا أنها لم تعرف الثبات والاستقرار، فالعامل البشري أثر على العامل السياسي الذي يفرض وجود حدود مرسومة ومعلومة، وهذا ما تؤكده هذه المراسلة التي كانت بمثابة رد

---

[1]- منصف التايب، المرجع السابق، ص ص15، 16.

[2]- محمد الهادي شريف، المرجع السابق، ص76.

[3]- وهم من زواوة الجزائر وهم المشاة كانوا يستجلبون من المناطق البربرية وينظمون على النمط التركي ينظر: نفسه، ص78.

[4]- وهم فيلق من الفرسان بمثابة الجندرمة. ينظر: نفسه.

[5]- نفسه.

[6]- محمود مقديش، المصدر السابق، ص ص 101، 102.

على مراسلة للحاج أحمد باي قسنطينة بخصوص قبيلة ورغة التي تجاوزت الحد وهذا عام 1827م- شهر رجب 1243هـ، حيث قال أحمد باي: « **إن ورغة قد تعدى الحد الفاصل بينها وبين الحنانشة وهذا السبب يوقع بينهم الفساد وإن شئت فابعث من يقف على الحد المعروف والرسم الفاصل المألوف**»[1]، وجاء الرد في مراسلة من مصطفى باي لأخيه سي حسين باي بشأن هذا الأمر حيث يقول:« **...إن وجقنا ووجقكم في غاية الإستوا والصفاء والحمد لله ...كما لا يخفاكم وقوله أن ورغة قد تجاوزوا الحد فإنا ما وجدنا عليه من قبلنا لم نتجاوزه ولا زلنا باقين على حده وها نحن موجهون من له الخبرة والبصارة بأرضهم وبحدودها فإذا وجدهم من تجاوزا حدهم ولو قدر شبر فإننا نرجعه ونحكم فيهم** ... »[2]، ما توضحه الوثيقة الصرامة والحدة في التعامل على من يتجاوز حد البلد المجاور، مع الأخذ بعين الاعتبار الحدود المرسومة والحفاظ على الجوار وهذا ما أصر عليه باي تونس الذي شدد على ضرورة فك النزاع بينهما في أقرب وقت.

تبقى قضية الحدود من بين القضايا الجوهرية التي تتعب الحكام أيا كان الموقع وخاصة فيما يخص البلدين تونس والجزائر والذي تحكمت فيه عوامل إجتماعية وسياسية، وخاصة القبائل الحدودية التي لم تلبث على رأي واحد إن كانت تابعة للملكة تونس أم مملكة الجزائر، الأمر الذي أرهق وأتعب حكام الإيالتين، وصعب قضية ضبط المجال الجغرافي بينهما، وحسب المعطيات السابقة فإن القضية بقيت مشتعلة إلى غاية إحتلال فرنسا للجزائر سنة1830م.

ب. الحملات العسكرية الجزائرية على تونس ما بين سنتي 1695م– 1756م:

عرفت البلاد التونسية مع مطلع القرن السابع عشر ميلادية تحولات وتغييرات سياسية أدى إلى ظهور أزمات سياسية، حيث حتمت عليهم استدعاء أطراف خارجية لفك نزاعاتهم، وكان أوجاق الجزائر السباقين في الدخول كطرف ثالث وهذا بعد التجاء حكام تونس بهم طالبين منهم الدعم العسكري ، **وعليه فالسؤال المطروح هنا هو: ماهي أهم الحملات العسكرية الجزائرية على تونس؟ ماهي أسبابها ومجرياتها وتداعياتها؟**

---

[1]- عميراوي حميدة، المرجع السابق، ص102.

[2]- أ.و.ت، س.ت.ت، الصندوق223 الملف 384وثيقة رقم57.

ب.1. حملة الداي شعبان على تونس سنة 1695م وتداعياتها:

تكلمنا في سبق أن الداي ابن شكر كان قد استنجد بالحكام الجزائريين آنذاك لكي يستفرد بالحكم في الإيالة التونسية وكان داي الجزائر في تلك الفترة الداي شعبان، حيث وبعد أن أقام الداي ابن شكر فترة لابأس بها في الإيالة الجزائرية، حاول خلالها جاهد تحريض الداي الجزائري على محمد باي وأخبره بأن هذا الأخير له رغبة في الإستيلاء على الإيالتين الجزائرية والطرابلسية، وهذا ما لم يستسغه الداي شعبان وحضر على إثرها محلة، بحيث ستكون أول حرب في الفضاء المغاربي تشمل الإيالات الثلاث(الجزائر وطرابلس الغرب وبالطبع ستكون الإيالة التونسية مسرحا لهاته الحرب).

على هذا الأساس اجتمع الديوان الجزائري في شهر رجب1694م تحت رئاسة الداي شعبان ليأخذ رأيهم في طلب ابن شكر، بالإضافة إلى المخالفات التي يقوم بها محمد باي وتماطله عن دفع الضرائب اللازمة عليهم، وفي الأخير وافق الديوان على طلبه[1]، كما طلبوا من فرحات باي قسنطينة مساندته والذي وافق على تقديم المساعدة[2]، وبعد شهرا كاملا أعد الجيش ومعه عشر سفن لنقل المعدات العسكرية من مدافع وبارود وقذائف ومائتين خيمة اضافة إلى مائة خيمة من بايلك الشرق وفي اليوم الثاني ارتحلوا إلى عنابة[3].

ب.1.1. مجريات الحصار:

كان الداي شعبان قد كاتب صاحب طرابلس الغرب واستماله أيضا، وأخبره أن محمد باي يريد الاستلاء على الجزائر وطرابلس، والذي أجابهما في الطلب بالإيجاب، ومع وصولهم إلى بونة التي اتخذوها مركزا لراحتهم قبل الولوج إلى تونس وقاموا بالمبيت بها ثلاثة أيام حيث أقيمت الحفلات، وانطلقوا بعد أن قدمت قوات طرابلس التي أجابتهم في طلبهم وحتى بعض القبائل التخومية كانت لها مشاركة في هذه الحملة منها قبائل بني مسير وبني عامر وسلطان الحنانشة المنتصر[4].

نظرا للمخاطر التي حاصرت محمد باي والتي علم بها لا محالة لأن الجموع كانت كبيرة، نراه على وجه السرعة يجهز جيشا هو الآخر والذي بلغت قواته حوالي 14000 جندي مقسمين على سبعمائة خيمة نصاب كل واحدة منها عشرين رجلا والتقى الجيشان في مدينة الكاف[5]، وكان وأول من انهزم من جنده

1- Albert Devoulx, op.cit, p11.
2- H.D. De Grammont, op.cit, p75.
3- Albert Devoulx , op.cit, p11.
4 - Ibid, p12.

5- ألفونص روسو، المرجع السابق، ص141.

القائد فرحات، أما الداي شعبان فلقد استولى على محال محمد باي بما فيها، ونجا هذا الأخير بنفسه إلى الحاضرة تونس، فوجد أخاه رمضان باي وكان يومئذ في مكان الباشا والداي على رايس قد ركبا البحر إلى بلاد الإفرنج ناجين بأنفسهما [1]، فأولى الداي ابراهيم خوجة دايا على تونس ثم أخذ محمد باي في تحصين حصونه وعسكر وحفر خندقا محيطا وأجراه من البحر إلى البحر، إلا أن عساكر الجزائر تتابعت عليه بحرا وبرا مع أهل طرابلس، وتزايد مدد الجزائر رجالا وعدة من المدافع والبونبات "مصطلح بمعنى القنبلة" ونزلوا بقرب تونس أوائل ذي الحجة وعقدوا ديوانا على أن يعين ابن شكر بايا على تونس ومحمود دايا عليها، وبعد نزولهم وقعت معركة بين الفريقين كاد يفنى بعضهم بعضا، حيث بقوا على تلك الحالة ثلاثة أشهر ونصف مع توارد المدد من الجزائر وتراكم العربان وليس مع محمد باي إلا العسكر الذي معه لكن الحال سرعان ما ضيق عليه هو الآخر [2].

دام حصار تونس مدة خمسة أشهر كاملة ما اضطر الباي محمد إلى الفرار تاركا وراءه زوجته وعبيده لأن الوضع لا يسمح له بتضبييع الوقت أكثر [3]، ويقال أنه فر إلى الصحراء ليكون في مأمن أكثر[4]، أما الداي شعبان فإنه عاد إلى بلاده وهذا في شهر فيفري1695م الموافق لشهر رجب 1107هـ محملا بالغنائم التي كانت عبارة عن مائة وعشرين من البغال المحملة بالذهب والفضة وكمية من المدافع[5]، إضافة إلى 200ألف بياستر وعدد كبير من العبيد المسيحيين[6]، ورجع للحاضرة تونس مظهرها المألوف تاركا وراءه نوابه[7]، **حق لنا الآن أن نتساءل عن مصير الداي شعبان بعد عودته لبلاده، والإيالة التونسية بعد هذا الحصار؟**

ب.2.1. تداعيات الحملة:

إثر عودة الداي شعبان إلى الجزائر في 16فبراير 1695م وهذا بعد أن عين ابن شكر بايا على تونس[8]، حاول مجهول اغتياله أثناء تأديته الصلاة في المسجد، لكن المحاولة فشلت وألقي القبض على المجرم

1- أحمد ابن أبي الضياف، المصدر السابق، ص63.

2- محمود مقديش، المصدر السابق، ص ص 136، 137.

3- Lougier De Tassy, op.cit, p300.

4- A.Guellouz, & al, op.cit, p77.

5- محمد مبارك الميلي، المرجع السابق، ص197.

6 - Lougier De Tassy, op.cit,303.

7- شاوش ابن المفتي حسين بن رجب، المصدر السابق، ص 71.

8 - Eugéne Plantet, op.cit, p491.

الذي اعترف برفاقه فأعدمهم جميعا، لكن الانتصار الذي أحرزه الداي شعبان في تونس كان قصير المدى فقد تمكن محمد باي بعد ذلك بقليل ففي أول ماي 1695م منتصف رمضان 1106هـ قام بطرد ابن شكر والإنتصاب من جديد على عرش تونس، ولما سمع الداي شعبان لما جرى في تونس فقرر تنظيم حملة أخرى ضد باي تونس، لكن الضباط الأتراك كانوا قد تعبوا من ثلاث سنوات متوالية قضوها في الحروب، فعارضوه في الحملة الجديدة ولكن الداي واجه هذه المعارضة بإعدام بعض الضباط الأتراك نتيجة تمردهم، مما أدى إلى انتشار السخط لدى بعض الجنود الأتراك وسرعان ما تحول السخط إلى تمرد علني، فهاجموا الجنود القصر يوم 5أوت 1695م_ذو الحجة 1106 هـ ووضعوا شعبان في السجن وكُتب عليه أن تذهب ثمرة انتصاره بهذه السرعة، وعينوا بعده جنديا تركيا اسمه أحمد باشا والذي عقد صلحا مع تونس لكن هذا السلم لم يستمر طويلا[1].

من حيثيات هذا الصلح أن محمد باي بعد عزله لمحمد بن شكر هذا الأخير الذي فر إلى فاس وكان سلطانها يومئذ مولاي اسماعيل الشريف فأهمله وقال: «**من يفعل هذا الفعل مع ولي نعمته لا يكون محلا للصيغة ،ومن كفر النعمة استوجب النقمة وبقي بفاس طريدا إلى أن هلك بها وقدم على ما قدم**» [2] وعليه فإن تصرفاته الغير المسؤولة اتجاه بلده هي سبب إهمال سلطان المغرب له، أما محمد باي وبعد انتصاره في المعركة التي وقعت في 8رمضان 1694م خاف من غضب الجزائر خاصة وأنها هي من ساعدته يوما للظفر بإيالة تونس وهي من عينت ابن شكر على تونس فيما بعد، ولهذا أرسل وفدا ترأسه أبي الغيث البكري إمام جامع الزيتونة والمفتي محمد فتاتة وكاتب الديوان محمد خوجة طالبا منه عقد الصلح، ولكن الداي رفض ذلك وطرد الوفد، حيث استقل مركبا وهم بالعودة إلى تونس ولكن عاصفة هبت فرجع الوفد إلى الميناء، وفي هذه الأثناء علم أفراده أن انقلابا حدث على الداي شعبان كما ذكرنا آنفا، ولذلك رأوا من الضرورة طلب الصلح من الداي الجديد أي أحمد باشا والذي قبل الصلح بيسر لأنه كان شخصية ميالة للسلم[3].

ب.2. عودة الصراع بين الجزائر وتونس عام 1705م:

لم يدم مر السلام طويلا بين الإيالتين، حيث ومع وفاة الداي أحمد سنة1698م خلفه في الحكم حسن شاوش (1698م-1700) الذي قضى عهده في مواجهة التونسيين على عكس الداي السابق المحب

1- محمد مبارك الميلي، المرجع السابق، ص ص 197، 198.

2- أحمد ابن أبي الضياف، المصدر السابق، ص 66.

3- الفونص روسو، المرجع السابق، ص 145.

للسلام[1]، أما في تونس فلقد تولى الحكم من بعد محمد باي أخيه الباي رمضان الذي كان ضعيف العزيمة خمولا ميالا للبطالة ومحبا للموسيقى، ولقلة مسؤوليته أعطى أمور تولية شؤون تونس لأحد أصدقاءه المغنيين[2] ، ولهذا فإن حكمه يكاد لا يذكر فيه شيئا حيث وبعد عامين من انتصابه ثار عليه ابن أخيه مراد بن علي وقتله سنة 1110هـ-1698م وتولى مكانه[3]، وإن كان الباي الجديد الملقب ببوبالة سفاحا لا يكاد يمر عليه يوم دون أن يسفك دماء ويعبث في الأرض فسادا[4].

ب.1.2. أسباب الحملة:

مع سنة1700م وجه مراد بوبالة الباي التونسي الجديد رسلا إلى الجزائر يحملون هدية لمتوليها، لكن داي الجزائر رفضها وهذا ما أثار حفيظة الباي الذي أظهر عليه العداوة فيما بعد[5]، ومن المرجح أن تصرف مراد كان هدفه كسب الجزائر لحسابه باعتبارها ذات تأثير على السلطة التونسية، حيث استشاط غضبا وعزم على حرب الجزائريين، ولعل رد الهدية لم تكن الدافع الوحيد لتوجيه حملة ضد مدينة قسنطينة وإنما رغبته الجامحة في الإنتقام لمقتل أبيه الذي اغتيل أثناء مؤامرة كان للجزائر يد فيها، ومنذ ذلك الوقت سيطرت عليه فكرة الإنتقام والأخذ بالثأر، ولكل فعل ردة فعل هذا ما يمكن وصفه به الحالة بين البلدين آنذاك، لأن ضرورة رد الصاع أصبح حتميا.

وعليه يمكن تلخيص أسباب الحملة على قسنطينة في ما يلي:

1. رد الهدية التي بعث بها مراد بوبالة لإيالة الجزائر من طرف دايها آنذاك.
2. رغبته في الإنتقام لمقتل أبيه.
3. رغبته في التخلص من الهيمنة الجزائرية على تونس.

1- صالح عباد، المرجع السابق، ص 147

2 - A.Guellouz, & al, op.cit, p 78.

3- حسن حسني عبد الوهاب، المرجع السابق، ص 145.

4- غلاب عبد الكريم، **قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي عصر الامبراطورية العهد التركي في تونس والجزائر**، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2005، ج2، ص 350.

5 - Charles Feraud, op.cit, p207.

ب.2.2. مجريات المعركة:

قرر الباي التونسي مراد بوبالة إعلان الحرب على الجزائر وهذا بعد أن نسق مع الديوان التونسي وأخبر الميليشيات العسكرية بخطته الهجومية، فكان يعد العدة والعتاد ويحضر الجنود والمال، ثم راح يطلب من خليل باي طرابلس الغرب المساعدة والذي وافقه في الأمر[1].

دارت رحى هذه المعركة مع بداية حكمه عام 1700م حيث جمع قواته التي زاد عددها بمنخرطين جدد، وسار نحو الجزائر يحمل معه 25 مدفعا[2]، فخرج إليه علي خوجة باي قسنطينة وكان قد جرى بينهما قتال عنيف ،حيث كانت الغلبة في بداية الأمر لمراد بوبالة والذي استولى على معسكره[3]، وفي معركة ثانية ألقى باي تونس القبض على أحد أبناء الباي وزوجته، ثم حاصر على إثرها قسنطينة التي جابهته بقوة، بعد محاولات لإقتحامها فمنيت كلها بالفشل، فاستولى بعدها على حصن فذبح كل من وجده فيه وخربه تخريبا كاملا، وفي هذه الأثناء وصلت نجدة باي طرابلس وشارك إلى جانبه في حصار قسنطينة خمسة أشهر [4]، تمكن من خلالها افتكاك قلعة قسنطينة المعروفة التي بناها الأتراك على هضبة المنصورة[5]، كما قام بسجن البعض ممن كانوا يجابهونه[6]، وأخذ ستة مدافع نحاسية ونقلها إلى تونس، ولقد تعسرت أمور مدينة قسنطينة وتعرض أهلها للغبن بسبب تصرفات الباي مراد ما جعلهم يرفعون حالهم لعسكر الجزائر [7].

ولقد تعطلت نجدة الجزائر لسببن:

1. أن داي الجزائر لم يكن يتوقع أبدا أن يتجرأ مراد بوبالة على مهاجمتهم ولا لمحاصرتهم [8].
2. استقالة حسن شاوش وانسحابه إلى طرابلس وتعيين مصطفى داي مكانه.

قرر الداي الجديد الانتقام من مراد بوبالة الذي تجرأ على تعديه حرمة التراب الجزائري، ولهذا نراه يشكل جيشا كبيرا في إرسال قوات لنجدة قسنطينة المحاصرة، وعندما علم باي تونس بدنو الجيش الجزائري الذي

1- Charles Feraud, op.cit, p207

2- صالح عباد، المرجع السابق، ص148.

3 - A.Dournon, op.cit, p 276.

4- صالح عباد، المرجع السابق، ص148.

5 - A.Dournon, op.cit, p276.

6 - Eugéne Plantet, op.cit, p9.

7- محمود مقديش، المصدر السابق، ص 145.

8 - A.Guellouz, & al, op.cit, p83.

سارع إلى رفع الغبن والحصار على أهلها ثم توجه بقواته لملاقاة الجيش التونسي القادم نحوه[1]، ولقد التقى الجمعان في جوامع العلمة الواقعة قرب سطيف، وبمجرد ما اشتبك الجيشان فر خليل باي بفرسانه [2]، وكان النصر في البداية حليف مراد بوبالة حيث استطاع جيشه تشتيت فلول جيش الداي مصطفى غير أن هؤلاء سرعان ما نهضوا من نكستهم استجابة لطلب قائدهم، حيث هوجموا بكل ما لديهم من قوة وهزموا الجيش التونسي في النهاية[3].

يرجح سبب هزيمة مراد بوبالة هو تعب عساكره من المشي الذي استمر لثلاثة أيام متوالية من الشروق للغروب حيث رفض مراد باي أخذ استراحة[4]، ضف إلى ذلك نقص الإمكانيات الحربية وهذا ما جعلته يتراجع تدريجيا ولهذا كانت الهزيمة من نصيبهم [5]، وبعد أن تأكد مراد من الهزيمة ومقتل العديد من جنوده ووقوع آخرين في قبضة الجزائر فر مع جيشه المتبقي[6]،أما الحاج مصطفى فرجع إلى قسنطينة لينصب عليها أحمد فرحات خلفا لعلي خوجة الذي توفي أثناء الحملة[7].

ب.3.2. الوساطة العثمانية لفك الصراع بين الإيالتين سنة1700م:

بعد لجوء مراد بوبالة للكاف راح يفكر في معاودة الكرة على الجزائريين لكن أتاه خبر برجوع الجيش الجزائري إلى بلاده، ولما ثبت عنده ذلك كافأ خليل باي صاحب طرابلس بأن أباح له مدينة القيروان وأطلق يده في نهبها، فتوجه لها بعسكره ودخلها ونهبها هو وارتحل لبلاده، ثم أمر مراد باي أهل القيروان بهدمها وتخريبها فصاروا يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين، فلم يترك بها بناءا قائما إلا الجوامع والزوايا[8].

لعل من أسباب تصرفات مراد بوبالة الغير مسؤولة والمتهورة هو صغر سنه فلقد كان عمره آنذاك 18سنة[9]، حيث راح بعد ذلك يخطط لشن حملة أخرى ضد الجزائر، فنراه يجهز ثلاثة مراكب ليأتوه بالعسكر من بر الترك وأمر عليهم إبراهيم الشريف الذي كان آغا صبايحية الترك، إلا أنه التقى هناك مع مراكب الجزائر واجتمعوا لدى الحضرة الخاقانية في حضرة السلطان مصطفى خان، وعرض كل من الفريقين أحوالهم واشتكوا

1- الفونص روسو، المرجع السابق، ص149.

2 - Charles Feraud, op.cit, p209.

3- الفونص روسو، المرجع السابق، ص149.

4- محمود مقديش، المصدر السابق، ص146.

5- A.Guellouz, & al, op.cit, p83.

6- Charles Feraud, op.cit, p209.

7- صالح عباد، المرجع السابق، ص148.

8- أحمد ابن الضياف، المصدر السابق، ص 76.

9 - A.Guellouz, & al, op.cit, p78.

من الآخرين، فخرج التوقيع على إيجاب الصلح بينهم فافترقوا على ذلك، ولما قدموا على الباي التونسي بأمر السلطان القاضي بالصلح، لكنه أبى قبوله وقويت عزيمته على تحريك الفتنة معهم[1].

عزم مراد بوبالة على حرب الجزائر، وكل هذا من أجل إضعافها والإنقاص من هيبتها ومكانتها هذا من جهة، ومن جهة أخرى الحد من الحضور الجزائري في الإيالة التونسية، حيث خرج بمحلة الصيف مع جيش كبير عازما على حرب الجزائر وكان خروجه أوائل المحرم 1114هـ- أو أخر ماي1702م، وحسب رواية ابن الضياف فإنه وفي مغيبته ذهب إبراهيم الشريف إلى إسطنبول، وإن لم يذكره بعض المؤرخين لسبب سياسي أن السلطان لما بلغه من الجزائريين إسراف مراد بوبالة في القتل والتمثيل بالأبدان المكرمة، وأنواع الجور استبعد أن يصدر ذلك من إنسان فقالوا له: «**سل الداي إبراهيم الشريف رسوله، وحلفه على صدق جوابه، فإنه لا يحلف على باطل فبعث إليه يسأله، فطأطأ رأسه وأنكر ذلك فقال له: تحلف بالله ويدك على المصحف الشريف؟، فامتنع من اليمين، فقال السلطان: يجب إنقاذ هؤلاء المسلمين بهذه المملكة فإن تغيير المنكر واجب على القادر، وإن لم يقع مني رفع الضرر عن هؤلاء المسلمين فأني شريك هذا الظالم وأفتاه العلماء بأن ذلك أفضل من الجهاد، بناء على أن درء المفسدة مقدم على جلب المصلحة، لا سيما وقد عصى السلطان في واجب أمره به، وهو الصلح بين طائفتين من المؤمنين اقتتلوا**» [2]، فخاف إبراهيم الشريف من وقوع حرب بين تونس وعسكر السلطان، فتزيد البلاد ضعفا على ضعف، فقال: «**إن الضرر من رجل واحد فإن أمرني السلطان أكفه أمره، وذلك خير من إراقة دماء بين المسلمين، وإن لم ينجح المقصد على يدي فالسلطان أن يفعل ما يظهر له فاستحسن رأيه وأمره بالفتك به وكتب له عهد الولاية عوضه سرا**» [3]، وعلى إثرها رجع الشريف لتونس متوليا أمرها بصيغة شرعية، والتقى بالباي مراد وأخبره بقرار السلطان العثماني الذي حذره من السير نحو الحدود الجزائرية وأن التصرفات التي يفعلها ليست في صالحه لكنه أصر السير وعزم على أمره، فقتل في نهاية المطاف على يد أنصاره في 8جوان 1702م [4].

إن الباب العالي بتعيينه لإبراهيم الشريف بايا ودايا على تونس، أراد أن يبرهن على حقه في التدخل في الشؤون الداخلية للإيالة التونسية وأنه مزال يملك كامل الصلاحيات عليها، بعدما لاحظ عليها بعض

1- محمود مقديش، المصدر السابق، ص ص 146، 147.

2- أحمد ابن أبي الضياف، المصدر السابق، ص76.

3- نفسه، ص ص 76، 77.

4 - Charles Feraud, op.cit, p210.

التطلعات الإستقلالية والتدخل المفرط للجزائر أيضا، والتي ألغت نوعا ما السيطرة العثمانية عليها، وزادت فيما بعد ومنحته لقب الباشا وأصبح يلقب بإبراهيم باشا باي داي[1]، وبقتل مراد بوبالة وقطع رؤوس من تبقى من أبناءه وأبناء أخيه محمد انتهت الدولة المرادية بتونس على يد إبراهيم الشريف[2]، حيث وضع حدا للقوة الوراثية وأصبح من الاستحالة استرجاع العرش نهائيا أو حتى الدفاع عنه[3]، ومن أهم النتائج التي حققت في هذه الحملة بإختصار ما يلي:

1. تدخل الباب العالي في فك النزاع الحاصل بين الإيالتين.
2. توقف الحملة التي شنها الباي مراد على الجزائر في وادي الزرقاء.
3. مقتل الباي مراد على يد إبراهيم الشريف الذي كان طامعا في العرش التونسي.
4. نهاية الدولة المرادية حيث لم يتبقى أي أحد منهم يورث العرش عن سلفه بعد حز رؤوسهم.

ب.3. حملة الداي مصطفى سنة 1702م– 1705م :

ب.1.3. إعتلاء إبراهيم الشريف عرش تونس 1702م:

استطاع ابراهيم الشريف الجمع بين المناصب الثلاث الباي والداي والباشا بتقليد من السلطان العثماني، حيث خالف من سبقه في الحكم وتخلى على العيش في باردو، واستقر في القصبة مخالفا كل التقاليد الجديدة التي أتى بها المراديون وأحيى التقاليد القديمة أي الديمقراطية العسكرية كما كانت في عهد الدايات، كما قام في عهده بدعم العنصر التركي على حساب العنصر العربي وهذا من أجل رد الجميل لأوجاق الجزائر والسلطان العثماني لأنه تقلد المنصب بفضلهم[4].

أدرك الباي الجديد منذ بداية عهده أن استقرار حكمه وسلامة مملكته من التدخلات الجزائرية على الخصوص متوقف على مسالمته لهم، ولهذا نراه يبعث ببعثة إلى الجزائر لإعلام ديوانها بمقتل مراد بوبالة وتعيينه بدلا عنه مطالبا السلم بينهما، وقبل داي الجزائر بدوره هذا السلم وهو ما بعث الفرحة في المملكتين وعبر عنها بطلقات المدافع وبكل علامات الابتهاج[5]، وهكذا ضمن الباي ابراهيم الشريف حدوده الغربية لكن حدوده الشرقية لم تكن بأحسن حال حيث جرت في هاته الفترة مناوشات بين الإيالتين التونسية والطرابلسية، وسبب

1- الفونص روسو، المرجع السابق، ص152.

2- محمود مقديش، المصدر السابق، ص 148.

3 - A.Guellouz, & al, op.cit, p79.

4- A.Guellouz, & al, op.cit, p80.

5- عمار بن خروف، العلاقات السياسية...، المرجع السابق، ص ص 38، 39.

ذلك أن خليل باي صاحب طرابلس كان قد استولى على هدية تحوي على مجموعة من الخيول النادرة أرسلت من مصر إلى تونس وعلى سفينة تونسية [1].

رفض خليل باي ردها إلى الباي التونسي الذي طلب منه استردادها ورفض رفضا قاطعا وبأسلوب جارح أيضا، وليس هذا السبب الوحيد الذي أراد منه الشريف إعلان الحرب على طرابلس بل هناك حادثة أخرى مفادها أن سفينة تجارية تونسية محملة ببضائع ثمينة كان قد استولى عليها الطرابلسيون في عرض البحر وأجبروها على دخول مرسى طرابلس رغم إنذارات القبطان التونسي وطاقمه فإن خليل الأرناؤوطي استولى بالقوة على حمولة السفينة التجارية، ولما علم الشريف بكل هاته المخالفات الغير مرغوبة استشاط غضبا وأعلن الحرب على طرابلس[2]، وكان قد أعلن داي الجزائر مساندته له[3]، كما أعلن مساعدته لباي طرابلس خليل الأرناؤوطي في نفس الوقت، وعليه فإن الجزائر كانت تلعب على الحبلين ولم تحاول اصلاح ذات البين لأن النزاع بينهما فيه فائدة لها [4].

جرت المعركة في الجنوب الغربي من طرابلس في موقع يعرف بـ"طرة" هزم فيها الشريف في البداية خليل بك وأغلق على نفسه المدينة، وأصبحت محاصرة واكتسحت على إثرها الجيوش التونسية مدينة المنشية ولقد استمر الحصار مدة شهر مع القصف لكن دون أن يفلحوا في ضرب السور، فما كان على خليل بك إلا الخروج مع جنوده من باب البحر وباغتوا التونسيين وضربوهم من الخلف وألحقوا بجيش الشريف خسائر كبيرة حيث انسحب هذا الأخير مع جنده قافلا إلى بلاده جارا معه خيبته في 19جانفي1705م[5].

وللعلم فإن الجزائر لم ترسل مساعدة لتونس في حربها ضد طرابلس بالرغم من أنها كانت قد وعدتها بذلك حيث كان الوعد بالمساندة مقابل سماح تونس لها باستيراد القمح التونسي لأن المحصول الجزائري في تلك السنة كان سيئا للغاية، إلا أن ابراهيم الشريف لم يبعث للجزائر سوى شحنات زهيدة من القمح فهيأ بذلك الجو لجارته الخطيرة للتكشير عن أنيابها وتوجيه أسلحتها إلى صدره، فما كان على داي الجزائر إلا عقد

1- ألفونص روسو، المرجع السابق، ص ص 152، 153.

2- شارل فيرو، المصدر السابق، ص246.

3- محمود مقديش، المصدر السابق، ص 151.

4- عمار بن خروف، العلاقات السياسية...، المرجع السابق، ص 42.

5- إتوري روسي، **ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911**، تر وتق: خليفة محمد التليسي، ط2، الدار العربية للكتاب، القاهرة، 1991، ص315.

مجلسا مع ديوانه من أجل إعلان الحرب على الشريف، حيث حاول تحريض الديوان عليه الذي أصدر بدوره قرارات عدائية ضد تونس كلها [1]وما زاد الطين بلة هو عدم دفع الشريف للضريبة التي عليه [2].

ب.2.3. إعلان الداي مصطفى الحرب ضد الشريف عام 1705م:

حسب دوغرامون فإن قضية الضريبة هي السبب الوجيه الذي حرك الداي مصطفى في توجيه حملة ضد تونس باعتبارها رمزا من رموز التبعية ما اضطره لمعاقبة الشريف [3]، بحيث أن الإيالة الجزائرية كانت تشهد عجزا ماليا بسبب انقطاع الإمدادات التي كانت تدر عليها من الداخل والخارج [4]، وعليه يمكن تلخيص أسباب قيام الحملة على تونس في النقاط التالية:

1. عدم دفع الشريف للضريبة المترتبة عليه وخاصة أن خزينة الإيالة فارغة.
2. استكثاره في إرسال القمح المطلوب لتمويل الإيالة الجزائرية.
1. طموحات الداي مصطفى في جعل تونس تابعة للجزائر.
2. كثرة الحاقدين على ابراهيم الشريف ومنهم الحنانشة وهم أخوال مراد الباي الثالث.
3. التجهيزات العسكرية من جند وعدة وعتاد التي كان يقوم بها ابراهيم الشريف، جعلت الداي مصطفى يقلق منها وقد تشكل خطرا على إيالة الجزائر[5].
4. حاجة الداي مصطفى للمال من أجل اسكات جيشه المتهيج لأجرته ولهذا فكرة غزو تونس جاءت في وقتها[6].

ب.1.2.3. مجريات الحملة:

بعد عودة ابراهيم الشريف إلى بلاده علم أن داي الجزائر مصطفى عشي عازما على حربه وأنه يتهيأ له، ففي شهر أفريل 1705م خرج الداي من بلاده متجها نحو تونس، فراح الشريف يحصن قلعة الكاف وسورها وزودها بآلات حرب وبما يلزمها من التموين كما أرسل إليها التعزيزات لحمايتها التي جعلت تحت نظر

1- الفونص روسو، المرجع السابق، ص153.

2- محمود مقديش، المصدر السابق، ص 151.

3- H.D. De Grammont, op.cit, p51

4- محمد بن ميمون الجزائري، **التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية**، تق وتح: محمد بن عبد الكريم، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص 28.

5- عمار بن خروف، العلاقات السياسية...، المرجع السابق، ص 43.

6- Eugéne Plantet , op.cit, p20.

أخيه محمد، أما في تونس الحاضرة فلقد شرع في بناء البرج الكبير بالجبل الأخضر ليمنع به إلحاق الضرر بمدينة تونس ثم أمر ببناء برجين أخرين بنفس الجبل[1]، ولسوء حظ المدينة فقد استفحل فيها في تلك الفترة وباء الطاعون الذي كان يقتل يوميا حوالي سبعمائة شخص، حيث أحصي من مات بسببها في ستة أشهر حوالي أربعين ألفا، فما خف الطاعون إلا وعساكر الجزائر قد اقتربت شيئا فشيئا من الكاف [2].

في هذه الأثناء شاع الخبر أن الجيش الجزائري بقيادة الداي عشي مصطفى قد أخذ يقترب من مدينة الكاف التونسية، فراح إبراهيم الشريف يضاعف من سرعة زحفه نحوهم ويقوم بتعزيز القوات المرابطة في تلك المدينة، حيث حط رحاله في الحد الفاصل بين البلدين منتظرا اللحظة للاشتباك مع عدوه، ولكن ولسوء حظ الشريف فمع اقتراب القوات الجزائرية وتراءى الجيشان خذلتهم قبيلة أولاد سعيد التونسية وبعض القبائل الأخرى مثل قبيلة دريد الجبارة وانضمت للجزائريين، وازداد حظه سوءا عندما خذلته بعض القوات النظامية التي كانت تحت قيادة وزيره محمد بن مصطفى، ورغم الخيانات المتوالية إلا أن الشريف لم يستسلم حتى أتاه وفدا من محلة الجزائر التي نصبت أخبيتها على ضفاف وادي التين قرب الكاف[3]، ومن جملة ما طلبه الداي مصطفى عشي من ابراهيم الشريف ما يلي:

1. دفع مقدار من المال(من المتوقع أن تكون مصاريف الحملة).
2. إرسال ألف بعير.
3. تقديم أولاده كرهينة حتى يتم دفع المشروط[4]

إلا أن إبراهيم الشريف عظم عليه الأمر واستصعبه ورفض إرسال أولاده ولو قطع إربا، فقرر كاهيته آنذاك حسين بن علي أن يكون هو الرهينة بدلا عن أولاده كي يطفئ نار الفتنة وحتى يتحقق المطلب المشروط للداي مصطفى، ولكن إبراهيم الشريف لم ينتظر حتى يبلغ الرسل قرار مجلسه وراح يعطي قرارا لجنده بالتأهب لمحاربة عسكر الجزائر وهذا ما استنكره خليفته الذي اعتبره نقضا للعهد[5].

أخذ إبراهيم الشريف موقعا مرتفعا يشرف على محلة الجزائريين، وهو موقع لا يمكن الدفاع عنه بواسطة الخيالة، ومن ذلك الموقع أمر فرسانه بالهجوم على الجزائريين الذين رآهم قد عاثوا فسادا وقد أهلكوا الزرع

---

[1]- عمار بن خروف، العلاقات السياسية...، المرجع السابق، ص44.

[2]- محمود مقديش، المصدر السابق، ص 152.

[3]- الفونص روسو، المرجع السابق، ص156.

[4]- أحمد ابن أبي الضياف، المصدر السابق، ص53.

[5]- محمود مقديش، المصدر السابق، ص 153

بدوابهم فهجموا عليهم وهزموهم، لكن القوات الجزائرية باغتتهم وتمكنت من هزمهم وأرتهم قوتها، ما أثار تخوف الشريف وحاول تغيير خطته الحربية، لكنه لم يوفق واشتد القتال بينهما، وتمكن الجزائريون من هزيمته حيث أخذته أسيرا إلى محلتهم، أما عسكره فلقد رجعوا إلى الحاضرة تونس مهزومين تاركين محلتهم للجزائريين الذين لم يلاحقوهم بعد فرارهم[1]، ثم لم يلبث شقيقه محمد الشريف الذي لم يعد بإمكانه الصمود في قلعة الكاف، خاصة بعد سقوط أخيه في الأسر، حيث أجبر هو الآخر على الإستسلام مع حاميته[2].

ب.2.2.3. نتائج الحملة :

ومع أواسط ربيع الأول 1117هـ- أوائل شهر جويلية1705م انتهت ولاية الشريف على تونس وكانت مدتها ثلاث سنوات وشهران وبضعة أيام[3]، ويمكننا رصد نتائج هذه الحملة في النقاط التالية:

1. انهزام الجيش التونسي في هذه الحملة ووقوع قائدها في الأسر.
2. استحواذ الجزائر على محلة الباي التي تركها جنده وغنم فيها 100000بياستر كانت موجودة في المحلة[4].
3. مصادرة أملاك ابراهيم الشريف، كما استولوا على كل المؤونة الغذائية الموجودة عنده، كما استولوا على مدينة الكاف[5].

ب.3.3. إعتلاء الحسين عرش تونس وصراعه مع الداي مصطفى:

مع انتهاء ولاية ابراهيم الشريف أصبح الطريق نحو الحاضرة تونس مفتوحا للداي مصطفى وعسكره المعسكر في الكاف، مما سبب الخوف والجزع لدى سكانها وخاصة وأنهم دون ولي يحرصهم مما اضطرهم إلى التفاوض في هذا الأمر مع استخدام الشرع والعقل معا وهو البيعة لإمام متفق عليه، واتفق أهل الحل والعقد من العلماء والأكابر الجند ووجوه الحاضرة على مبايعة الحسين بن علي لما يعلمون من حميد خصاله وحزمه، وطلبوا منه قبول بيعتهم وجمع كلمتهم في متسع مصرا على عدم القبول فقال له العلماء : **« يجب عليك**

1- عمار بن خروف، العلاقات السياسية...، المرجع السابق، ص ص 45، 46.

2- الباجي المسعودي، **الخلاصة النقية في أمراء إفريقية**، تق وتح وتع: محمد زينهم محمد عزب، ط1، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2013، ص 240.

3- أحمد ابن أبي الضياف، المصدر السابق، ص54.

4 - Eugéne Plantet, op.cit, p20.

5- عزيز سامح ألتر، المرجع السابق، ص 454 .

القبول لا سيما والحالة هذه، فأجاب دعوتهم ودخل معهم الحاضرة لقبول البيعة» [1]، وأمام كل هاته المستجدات الحاصلة ومع إعتلاء الحسين بن علي عرش تونس الذي أنهى الأوليغارشية العسكرية التي فرضها إبراهيم الشريف[2]، والداي مصطفى الذي لا يزال مقيما ومعسكرا ببلدة الكاف. وعليه وجب علينا طرح التساؤل التالي: **كيف سيتعامل الطرفان مع الوضع الراهن؟ وهل سيقبل الحسين بن علي تمركز الداي مصطفى في الكاف؟ وهل سيرضى بتدخلات الداي الجزائري في شؤون تونس السياسية؟**

ب.1.3.3. التحصينات العسكرية قبل الحملة:

بعد فناء الدولة المرادية التي حتمتها الظرفية الداخلية والخارجية على الزوال، كانت قد خلفتهم في الحكم السلالة الحسينية وهي آخر السلالات التي ستعمر في الإيالة التونسية خلال الفترة الحديثة، وهذا مع بداية إعتلاء الحسين بن علي عرش تونس، ويجدر بنا الإشارة هنا إلى أن محلة الجزائر كانت معسكرة عند مدينة الكاف التونسية عندما اعتلى الحسين عرش تونس، ولهذا سارع الحسين بإصدار أوامره بالشروع في تحصين عاصمته كي يدرأ عنها حصار الجزائريين الذي كانت جميع الدلائل تشير إلى أنه سيكون شديدا وقاسيا[3]، ولهذا قام على جناح السرعة بالقيام بعدة تجهيزات أهمها:

1. الشروع فورا وبحماس في الدفاع عن مدينة تونس.
2. الدخول في مفاوضات مع الداي مصطفى من أجل إقناعه على الانسحاب من البلاد التونسية، وكذا كسب بعض الوقت لاستكمال الإعداد للدفاع عن العاصمة وفي أثناء المفاوضات قام بما يلي:

1. تركيب المدافع على أبواب المدينة وترتيب الحرس عليها.
2. حشد العساكر والمتطوعين لنجدة المدينة وتكليف العلماء والاتصال بهم لتحريضهم على القتال، وتذكيرهم بوجوبه عليهم دفاعا عن الأنفس والحرم والأموال.
3. إصدار الأمر إلى أهالي القرى التي بين الكاف وتونس بالرحيل عنها، خوفا عليهم من عساكر الجزائر.
4. حفر خندق محيط بالمدينة وإنجازه في وقت قصير.

1- أحمد ابن أبي الضياف، المصدر السابق، ص 84.

2 - A.Guellouz, & al, op.cit, p81.

3- الفونص روسو، المرجع السابق، ص163.

5. إستكمال إنجاز البرج الكبير الذي شرع إبراهيم الشريف في إنجازه بالجبل الأخضر، وإنجازه في وقت قصير وتجهيزه وغيرها من الحصون التي تستلزم تجهيزا[1].

ب.2.3.3. دخول الداي مصطفى في مفاوضات مع باي تونس:

دخل الداي مصطفى في مفاوضات مع باي تونس الجديد، حيث أرسل وفدا مكونا من ثلاثة رسل وخمسين فارسا مرافقين له، من أجل استطلاع شعور التونسيين بعد الأحداث الأخيرة التي جرت بالإيالة التونسية والبحث معهم في الوسائل الممكنة لوقف الحرب، فإقترح التونسيون عليهم دفع 200000بياستر تعويضا عن تكاليف الحملة وهدايا أخرى بشرط خروجهم من تونس نهائيا، حيث أرسل التونسيون بدورهم أيضا رسلا للداي مصطفى والذي استقبلهم استقبالا حسنا فقاموا بحثه على الخروج من تونس حقنا للدماء[2]، مع العلم أن الوفد التونسي حاول إقناع الداي بأن يغادر البلاد مقابل دفع أتعاب الحرب إلا أنه رفض لأنه كان له طلبا آخرا، وغادر الوفد خائبا لفشل المفاوضات وطلب منهم التفاوض مع رسل غيره، فأرسل الداي حسين بن علي وفدا آخر ومعه الهدايا[3].

عاد المبعوثين التونسيين إلى عاصمتهم وهذا في 24جويلية 1705م ومعهم رسل من عند الداي مصطفى حملوا معهم طلب هذا الأخير وهو قدوم باي تونس الحسين بن علي ومن دايها إليه لاستلام قفطان التولية، وشرط الداي مصطفى القبول بطلبه المذكور قبل أي اتفاق آخر، باعتبار أنه أصبح سيد البلاد ومن واجبها أن يأتيا إلى حضرته لتقديم عروض الطاعة والخضوع[4].

الواضح أن سياسة حكام الإيالة الجزائرية اتجاه تونس لم تتغير فهم مازالوا يعتبرون تونس تابعة لهم لحد الساعة بالرغم من تغيير نظام الحكم في تونس وتغير الأسرة الحاكمة أيضا، فبعد ما كان المراديون أتباع الإيالة الجزائرية والتي كانت لهاته الأخيرة صلاحية العزل والتنصيب، سنرى مع بداية العهد الحسيني غير هذا لأن الحسين كان قد تولى العرش عن طريق أعيان تونس، وأن هذا الأخير سيسعى ليحافظ على جو السلام بين الإيالتين بشرط أن يكونا بنفس الزاوية مع الجزائر.

---

[1]- عمار بن خروف، العلاقات السياسية...، المرجع السابق، ص50.

[2]- نفسه، ص ص 50، 51.

[3]- ألفونص روسو، المرجع السابق ص 164.

[4]-عمار بن خروف، المرجع السابق، ص ص 51، 52.

إلاّ أن الديوان التونسي وخاصة الأعيان كان قد ملوا وقاحة الداي مصطفى وتعجرفه، لأن الداي قد أرسل في 29جويلية مبعوثون جزائريون إلى تونس محملين من قبله بقفطانين أحدهما للباي وآخر للداي وأمرهما بتقديم 500.000 بياستر تعويضا له عن مصاريف الحرب كما أمرهما بتخصيص ميناء غار الملح لإركاب الجند الجزائري منه إلى الجزائر، فعقد الديوان مجلس عام حضره كل سكان المدينة في 30جويلية1705م أمام باب البرج وأخبرهم بطلب الجزائر، حيث اتفقوا في الأخير على أن يقولوا لمبعوثي الداي أنهم لا يريدون أن يسمعوا بالصلح وأنهم سيحاربون حتى الموت بدل أن يستجيبوا لما طلب منهم، وأن كلا من المملكتين يقصد الإيالتين التونسية والجزائرية لهما سيد واحد وهو السلطان العثماني، ولهذا فهم يرفضون أن يستلموا القفطانين من رجل هو نفسه من رعايا السلطان[1].

قدم إلى الحاضرة تونس في 12 من ربيع الثاني 1117هـ- الموافق ل10أوت1705م رسلا من المحلة الجزائرية الموجودة بالكاف يحملون رسائل صيغت في أسلوب ينم عن الرغبة في عقد الصلح، حيث أبدى داي الجزائر عشي مصطفى في تلك الرسائل المقترحات السلمية مع إبداء رغبته بالذهاب إلى مدينة تونس من أجل الصلح، ولكن في الوقت ذاته كانت قد وصلت الرسائل واجتمع الديوان حولها، وكان قد حضر فيها الداي وأعضاءه الرسميين وممثلون عن رجالات القضاء الدين والأهالي، وبعدما تليت مقترحات الداي على مسامع الحاضرين جاء جوابهم جميعا بضرورة منع الداي الجزائري من دخول مدينة تونس وعليه مغادرة الكاف، باعتبار أن المهمة التي جاء من أجلها قد انتهت وهي كما ذكرنا آنفا أنهم أرادوا تنحية إبراهيم الشريف على العرش التونسي وكان لهم ذلك، وبعدما نصبت أهالي تونس من ترضاه دايا عليهم فعليهم المغادرة[2].

نقل هذا الرد مباشرة إلى محلة الجزائر مع وفد تونسي يتألف من بعض أعضاء الديوان وعدد من الأعيان، نذكر منهم: الولي علي عزوز ورئيس الفتوى الشيخ عبد الكريم درغوث والشيخ المفتي أبو الحسن علي الصوفي والقاضي أبو العباس أحمد الرصاع، واستقبل الداي مصطفى عشي الوفد التونسي بكل ترحاب لكنه رد على اعتراضاتهم على بقائه على رأس المحلة، قائلا:" **إن مبتغاه هو الصلح وطمأنينة الجميع وبأنه ما فكر في التوجه إلى مدينة تونس سوى للتأكيد ذلك**" [3].

1- عمار بن خروف، العلاقات السياسية...، المرجع السابق، ص 52.

2- الفونص روسو، المرجع السابق، ص ص 163، 164.

3 - نفسه.

الملاحظ أن الجانبين فشلا في إرساء السلام والصلح، والواضح أن كلا الحاكمين كانت لهما رغبة دفينة، فالداي الجزائري يرفض أن يضيع تونس وخاصة فيما يخص الضريبة والتي تعتبر أحد رموز التبعية ومن الصعب التخلي عنها لأنها تشكل كمنفس لخزينة الإيالة الجزائرية، وفي نفس الوقت على التونسيين وحتى بايها الحسين بن علي يجب أن يدرك أن لولا الجزائر التي خلصتهم من إبراهيم الشريف لما اعتلى هو العرش، ولهذا رأى ضرورة القدوم إليه من أجل تسليم قفطان التولية، وهذا ما رآه الباي التونسي كإهانة له لأنه يعتبر تونس مثل الجزائر وكلاهما يتبعان الدولة العثمانية، وعليه فإن هذا الأخير كان على علم بنوايا الداي الجزائري الخفية، وسواء كانت نية الداي الجزائري سليمة وهذا بقوله أنه يريد فرض الأمان فقط أو كانت نيته غير ذلك سنلاحظ هذا في التالي.

ب.3.3.3. فشل المفاوضات وبداية الحصار على تونس:

تجدد العداء والصراع بين الجزائر وتونس بسبب السلوك السيء لعسكر الجزائر وقائده الذين يصطادون دائما في المياه العكرة، وإن كانت ذرائع التدخل هذه المرة مضللة ومجحفة في حق التونسيين [1]، حيث ومع فشل هاته المفاوضات ارتحلت المحلة الجزائرية نحو طبرية والتي بقي بها أياما يخرب وينهب، ثم ارتحل إلى تونس وخيم بمكان يقال بومجوس بجيش قوامه أربعين ألف مقاتل ما بين راجل وراكب، ومع العلم أيضا فإن أكثر فرسانه من عربان المملكة التونسية حسبما ذكر في إتحاف أهل الزمان، أما جند تونس آنذاك فكان ثمانية عشر ألف مقاتل، وفي يوم السبت 9جمادى الأولى 1117هـ- 29أوت1705م جرت المعركة بين الإيالتين وأبلى فيها الباي الحسيني بلاءا حسنا وهربت طائفة منهم إلى تونس حنينا للوطن[2].

فعلة الداي مصطفى تؤكد نواياه ومخططاته فهو بذلك أراد إخضاع تونس وإعلان تبعيتها بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ولقد لقوا الرد المناسب من الباي التونسي وبأن تونس تتبع مباشرة الأستانة وليس للجزائر حق في فرض سلطانها عليها، ولكن من ناحية أخرى لولا تدخل الجزائر وتنحية إبراهيم الشريف من العرش لما وصل الحسينيون للحكم ولعل هذا ما ركز عليه الداي مصطفى على أساس رد الجميل، لأن الداي كانت له رغبتين على الأقل وهما:

1- إخضاع تونس إلى تبعية الجزائر من خلال تنصيب داي الجزائر لباي تونس ودايها.

1- A.Guellouz, & al, op.cit, p85.

2- أحمد ابن أبي الضياف، المصدر السابق، ج 2، ص 88.

2- إلزامها بدفع 500 ألف بياستر تعويض لمصاريف الجزائريين على حملتهم فلم ينته الطرفان إلى اتفاق يبعد شبح الحرب بينهما مرة أخرى[1].

انقضى شهر كامل على محاصرة الجزائريين لتونس وبعد عدة جولات من الاشتباكات يلاحظ أن الجزائريين قد اندهشوا من مقاومة التونسيين لهم، وخاصة بعدما كبدوهم خسائر فادحة جعلوهم يندمون على عدم قبول الصلح، وهذا ما جعل التوانسة يرفضون الدخول في مفاوضات أخرى غير أنهم طلبوا منهم إعادة كل ما سلبوه في الكاف وطبرية، كما اشترط عليهم أن يفكوا الحصار كليا ويغادروا التراب التونسي نهائيا قبل الخوض معهم في تسوية أو مفاوضات، وهذا القرار المتعصب أزعج الداي مصطفى ما جعله يصر على إحكام الحصار حول الحاضرة التونسية، إلا أن التخلي من طرف بعض القبائل التونسية التي كانت موالية له أجبرته على تخلي هو الآخر عن عناده، كما تخوف من إقدام حلفاءه من الأعراب التوانسة الآخرين على خذلانه بدورهم، ولهذا قرر الداي الإنسحاب وهذا بتاريخ 18جمادى الثانية بالإسراع تحت جنح الظلام يطوي خيام معسكرهم تاركين وراءهم مدافعهم وآلاتهم الحربية وأكثر أخبيتهم، ومع طلوع الفجر انطلق فرسان حسين بن علي في إثرهم يتعقبونهم، وفي طريقهم التقوا بتعزيزات جزائرية قوامها خمسمائة بعير وستين بغلا موسوقة بالبارود، كان قد وجهها عامل عنابة لنجدة الداي عشي مصطفى، إلا أنها كانت من نصيب التونسيين والباي حسين حيث استولوا عليها، ولكن تمت مطاردتهم من طرف الباي حسين وجيشه النظامي إلى غاية عبورهم الطريق المؤدي إلى إيالتهم [2].

ب.4.3.3. نتائج الحملة:

كان هذا الإنتصار بمثابة ضربة موجعة للجزائر والتي خسرت ثمانمائة شخص، وليس هذا فقط فلقد هاجمه التونسيون وبعض القبائل أثناء انسحابه من الخلف فقرر مهاجمتهم ولكن ولسوء حظه تعرض لخسارة كبيرة فقد فيها أكثر من خمسمائة شخص ووصل الداي مصطفى إلى مدينة الجزائر في حين كان نصف جيشه لايزال في الطريق[3]، والأسوأ من هذا فإن نهاية هذا الداي كانت الخنق بسبب مؤامرة أحكيت ضده حيث لم يتمكن من دخول المدينة[4]، ويذكر أنه قد أهين شر إهانة قبل خنقه حيث تجولوا به في شوارع المدينة وهو

1- عمار بن خروف، العلاقات السياسية...، المرجع السابق، 53.

2- الفونص روسو، المرجع السابق، ص 165.

3- عزيز سامح ألتر، المرجع السابق، ص 454.

4 - H.D. De Grammont, op.cit, p51

على ظهر حمار[1]، ولعل السبب وراء هذا التصرف الغير إنساني هو الخيبة التي جرها معه وتضييعه لتونس، وخلفه الداي حسين خوجة هذا الأخير سيحاول جاهدا استغلال الأوضاع السياسية المتردية بإعتبار أن الحسين بن علي لم يستقر جيدا في حكمه، وخاصة أن الداي محمد خوجة الأصغر هذا الذي سيحاول استرداد هيبة ومكانة الدايات في الإيالة التونسية لكنه سيقع في مجادلات مع الحسين، وهذا ما سيفتح الطريق أمام الداي الجزائري الجديد بالتحكم بالأوضاع بها حيث سيطلق سراح إبراهيم الشريف واعدا إياه باسترداد الملك له مقابل التبعية للإيالة الجزائرية.

وفى داي الجزائر بوعده وسرح إبراهيم الشريف في أول شهر نوفمبر عام 1705م ليقوم باسترجاع الملك في تونس بعد أن قبل بالشروط التي شرطها عليه والتي تمثلت في:

1- دفع مبلغ 200.000 بياستر بعد استرداد الملك في تونس.

2- القبول بدفع ضريبة سنوية.

3- إبقاء أسرته في الجزائر لضمان الوفاء بما التزم به له[2].

مع عودة إبراهيم الشريف إلى تونس تمكن الباي الحسين من القضاء عليه بسهولة بواسطة رجاله وهو عائد إلى تونس حيث ثارت عليه الرعية التونسية وقتلته[3]، وبعد كل هذه الأحداث والمجريات كانت قد أرسلت الدولة العثمانية مبعوثا إلى البلدين حمل أوامر السلطان العثماني بوجوب إقامة السلام بينهما فوافق الطرفين على الفرمان المبعوث، ولكن كان سلام حذر بينهما لأن كلاهما كانا يبحثان عن المناوئين للحكم في الإيالتين، مما جعل الثقة بينهما غير تامة[4].

ويمكن رصدها في مجموعة نقاط:

1. فشل المفاوضات بين الداي مصطفى والحسين بن علي.
2. فشل الحصار المتشدد الذي فرضه الداي مصطفى على تونس بسبب مقاومة التوانسة العنيفة له.
3. انسحاب الداي مصطفى بسبب تخوفه من خذلان القبائل وبسبب مهاجمة الفرنسيين لمدينة الجزائر.
4. النهاية السيئة للداي مصطفى حيث مات خنقا في 5نوفمبر 1705م[5].

---

1 – Eugéne Plantet, op.cit, p169.

2- عمار بن خروف، العلاقات السياسية...، المرجع السابق، ص ص 66، 67.

3- محمد بن ميمون الجزائري، المصدر السابق، ص29.

4- عمار بن خروف، المرجع السابق، ص ص 66- 71.

5- H.D. De Grammont, op.cit., p51.

5. نهاية إبراهيم الشريف على يد رعية تونسيين وبالتالي انتهت أمالي الجزائريين والداي حسين خوجة في استمرار تدخلاتهم على تونس.
6. فرض التدخل العثماني الصلح بعد احتدام الصراع بين الإيالتين، حيث فرض عليهم إقرار التعايش والسلام.

مما سبق نستنتج أن الحسين قد قضى على آمال الحكام الجزائريين كما ضيع المكسب المالي عليهم الذي كان من المفروض لإبراهيم دفعه في حال تمكن من حكم البلاد التونسية، كما فوت عليهم فرصة التواجد بتونس وامتداد نفوذهم عليها من جديد، ورغم هذه الإختلالات الحاصلة إلاّ أن رشادة العقل لحكام الإيالتين كانت أقوى من تلك النزاعات الداخلية، ولعل الظروف الداخلية لهما كانت بحاجة إلى إلتفاتة أكثر من التناحر ولهذا نرى نوعا من السلام وحسن الجوار بين الإيالتين.

ب.4. حملة الداي ابراهيم على تونس سنة1735م المجريات والتداعيات:

ب .1.4. إرهاصات الحملة:

انصرف حكام الإيالتين بعد فرض الصلح من طرف السلطان العثماني بينهما لتسيير شؤون بلادهما الداخلية، ولم نر أي صراع محتدم بينهما بعد الحملة السابقة الذكر، لأن الحسين داوم على دفع الضريبة الملقاة على عاتقه وبقي بينهما سلام حذر لمدة ولم نشهد أي دخول عسكري عليها، كما أننا نرى الحسين بن علي يسعى لجعل الحكم في دولته أكثر ترتيبا، فبعد أن كانت الإيالة التونسية قبل القرن الثامن عشر ميلادية دولة قراصنة من جند الترك المغامرين إلى دولة أكثر تنظيما وترتيبا وهذا يعد إنجازا عظيما يحسب للحسينيين(1)، كما أخضع كل القبائل الداخلية المحاربة وستصبح تدريجيا قبائل مخزنية، كما دعم علاقاته مع الأعيان من خلال عرض التحالف والتكاتف من كل الأصناف الاجتماعية الأهلية، وخاصة التجار الذي أشركهم في استغلال موارد البلاد وحتى العلماء الذين كانوا يؤمنون دورا فقهيا تشريعيا وتبريريا لكل تصرفات الحسين(2).

المعلوم أن الحسين بن علي كان قد اعتبر ابن أخيه علي كولد له لأنه لم ينجب أولادا مبكرا، وكلفه بعدة مهام حيث تقلد منصب الباشا، ولكن مع سنة 1726م قام بتغيير قراره وتعيين إبنه الأكبر محمد الرشيد مكانه وبدءا من هذه اللحظة قرر إبن أخيه التمرد عليه، حيث انتقل إلى جبل وسلات بمجرد أن تأكد أنه ضمن ملجأ وحلفاء بها فقرر مغادرة تونس، ولقد خاض حربا مع عمه دامت ثمانية عشر شهرا تمكن علي

1- رشاد الإمام، المرجع السابق، ص ص 58، 59.

2- هنية عبد الحميد، المرجع السابق، ص160.

على إثرها من الوقوف في وجه النظام، حيث أجبره الباي إلى اللجوء إلى القبائل المتاخمة ثم إلى مدينة الجزائر، ولقد ذهب وراءه وحاول القبض عليه لكنه تمكن من دخول الأراضي الجزائرية آنذاك (1)، وبموجب الحدود المرسومة والمعاهدة الممضية فإنه يمنع على العسكر التونسي الدخول إلى الأراضي الجزائرية وإلا سيكون نقضا للمعاهدة وسيجبر الجزائر على إتخاذ موقف أو حتى حربا عليها.

إلتجأ علي باشا إلى داي الجزائر عبدي خوجة بعدما أخفق في ثورته على عمه، فإستغل داي الجزائر لجوؤه وراح يساوم عمه على اعتقاله في الجزائر مقابل دفع التزام مالي لمدة ست سنوات(2)، ولحسن حظ علي باشا امتنع الباي حسين على دفع الضريبة السنوية المفروضة عليه للجزائر سنة1735(3).

لا نريد الخوض في غمار الحرب الأهلية من جديد ولكن أسباب امتناع الباي حسين على دفع الضريبة راجع إلى الظرفية العامة التي عاشتها البلاد التونسية ما بين 1720و1727م، حيث بدأت سنوات الجدب وقل على إثرها الإنتاج وتقلصت الصادرات من الحبوب والزيوت إلى الدول الأوربية، ضف إلى ذلك نقصت المداخيل الداخلية التي يحصل عليها البايلك من التجارة، كما عرفت القرصنة هي الأخرى ركودا في نشاطها بسبب المعاهدات التي عقدها الباي حسين مع الدول الأوربية مع بدايات حكمه، ما جعله يلجأ إلى اتباع سياسة جبائية حازمة (4).

وفي نفس السياق فإن الإيالة الجزائرية لم تكن هي الأخرى في أحسن أحوالها حيث تعرضت البلاد إلى الإفلاس إضافة إلى تعرضها للقحط والمجاعة، ما جعل البلاد تدخل في حالة فوضى وتمرد خاصة من طرف بعض القبائل الذين أعلنوا تمردهم وعصيانهم من خلال نصب كمائن على الطرق المؤدية إلى المدينة، وبدأوا بنهب وسلب الأرزاق المتجهة نحو مدينة الجزائر، فحرمت المدينة من المؤونة ما جعلها تتعرض للمجاعة الشديدة(5)، ضف إلى ذلك صراعها مع الإسبان حول استرجاع مدينة وهران التي احتلت مجددا سنة1732م حيث زحفوا لها بقوة كبيرة، والتي عجز الباي أبو الشلاغم عن الدفاع عنها والذي إلتجأ إلى مستغانم،

1- A.Guellouz, & al, op.cit, p p 216,217.

2- ابن عبد العزيز حمودة بن محمد، المصدر السابق، ص 9.

3- صالح عباد، المرجع السابق، ص158.

4- هنية عبد الحميد، المرجع السابق، ص 172.

5- عزيز سامح ألتر، المرجع السابق، ص486.

فإستطاع الإسبان إحتلال وهران مرة أخرى[1]، وبالرغم من أن داي الجزائر طلب المساعدة من الباي حسين بن علي هذا الأخير الذي تظاهر بالرغبة في مساعدته وتقديم الوعد بذلك دون التنفيذ إذ احتفظ بكل قواته بالقرب منه، ولم يرسل منها أحدا إلى وهران بدعوى الحاجة إليها [2].

ولكن هناك رأي آخر يذكر أن الحسين بن علي كان قد قام بدعم اسبانيا على أخذ وهران وأمدهم بالذخيرة فحفظها له إبراهيم الخزناجي [3]الذي كان مستشار عبدي باشا آنذاك، والذي أفضى إليه أمر الجزائر فيما بعد[4]، وهو من قرر مساندة علي باي التونسي وجهز على إثر ذلك حملة ضده، وعليه ومما سبق ذكره يمكننا رصد أسباب الحملة في مجموعة نقاط سطرت كالآتي:

1. مساندة الباي حسين بن علي تونس للإسبان وتماطله في مد يد المساعدة للجزائر.
2. رفضه لدفع الضريبة السنوية وهي إحدى الإلتزامات المفروضة على تونس.
3. إلحاح علي باشا بالزحف نحو تونس ووضعه على عرشها مقابل أن يتعهد بتبعيته للجزائر.

أمام تفاقم الأزمة مع الجزائر وتأكد الباي التونسي من خبر التجهيزات إستعد هو الآخر عسكريا وعرض على الباي بوكمية وهو باي قسنطينة مبلغ 50 ألف قرش ضريبة سنوية مقابل الكف عن الزحف على بلاده، فلم يفلح العرض، فراح يكاتب السلطان العثماني حول تصرفات داي الجزائر ويطالب بإيقاف الجزائريين عن

1- مسلم بن عبد القادر، **أنيس الغريب والمسافر**، تح وتق :رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974، ص ص36، 37.

2- عمار بن خروف، العلاقات السياسية...، المرجع السابق، ص 87.

3- الخزناجي وظيفته في الإيالة الجزائرية الإشراف على الخزينة، فقد أوكل إليه أمر حراستها وإيداع مصادر دخل الدولة بها الإشراف على وجوه المختلفة كدفع أجور الجند ويباشر هذا الأخير مهامه المالية بوجود الداي وأعضاء الديوان، ولأهمية منصبه أصبح منصب الخزناجي هو الشخصية الثانية المؤهلة لشغل منصب الداي حال شغوره، وقد ظل ها الاختيار المتعارف عليه معمولا منذ موت الداي علي شاوش (1710- 1718) في أفريل 1718م وحتى سنة 1805م، ولم يعد منصب الخزناجي ذا طابع مالي فقط بل أصبح له صبغة عسكرية، حيث قاد بعض ممن تولى هذا المنصب حملات عسكرية مثل ابراهيم الخزناجي المذكور الذي قاد حملة عسكرية ضد الثائرين في وهران ما بين سنتي 1734- 1736م. ينظر: حنيفي هلايلي، المرجع السابق، ص139.

4- عبد القادر الجزائري، **تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر**، المطبعة التجارية، القاهرة، 1903، ص 71.

ممارسة هذه الأعمال التي تسيئ إلى العلاقات بينهما، فأرسل الديوان الهمايوني أمرا إلى أمير أمراء الجزائر وتونس من أجل إرسال علي باشا وابنه إلى استنبول[1].

كان الغرض من استدعاء علي باشا هو أن يسند له أحد الأولوية وبإنذار الباغين المناصرين له وهذا من أجل سفك الدماء[2]، وباعتبار الإيالتين الجزائرية والتونسية إحدى ممتلكات الدولة العثمانية فلا يحق لهما أن يستحوذا عن بعضهما[3]، ولهذا كان قد أرسل السلطان العثماني في نفس الوقت أمرا حازما مع مبعوثه إلى الجزائر مراده تحريم أي حرب مع تونس، لكن داي الجزائر تظاهر بالإمتثال لأوامر السلطان وأصدر أمرا في الظاهر بوقف الحملة وفي الباطن أمر قائدها بمتابعة السير[4]، لأن إبراهيم باشا كان ناقما على الباب العالي إذ وعده بإرسال نجدة لتحرير وهران من الإسبان ولم ينفذ وعده لأنه كان مشغولا بحربه مع روسيا[5].

إن تجاهل داي الجزائر لأوامر السلطان ليست المرة الأولى فلقد كان هناك انصياع وتمرد لأوامر الأستانة من قبل نذكر على سبيل المثال لما رفض عبدي باشا استقبال مبعوث السلطان العثماني وهو علي درناوي الباشا المعين من طرفها، وإن كان الإرتباط شرفي ولكن هذا ليس تصرفا صائبا من طرف داي الجزائر، والواضح السلطات العثمانية قد تجاهلت هاته التصرفات عمدا لأنها كانت بغنى عن خلق مشاكل مع إيالاتها، لأن وضعها الداخلي والخارجي لم يكن بأحسن حال.

ب. 2.4. مجريات الحملة:

تابعت المحلة العسكرية الجزائرية سيرها باتجاه الإيالة التونسية لنصرة علي باشا متجاهلة بذلك أمر السلطان العثماني، حيث أمر داي الجزائر باي قسنطينة بتجهيز جيشه المؤلف من ألف رجل تحت قيادته وألف رجل تحت قيادة علي باشا، كما أرسل مع خزندار الجزائر ألفين إنكشاري وانضم بوعزيز الحنانشة أيضا[6]، وكان قد وعدهم علي باشا إن سقطت مدينة تونس في يديه، فإنه سيلحقها بحكومة الجزائر أبد

1- عزيز سامح ألتر، المرجع السابق، ص487.

2- عمار بن خروف، العلاقات السياسية...، المرجع السابق، ص94.

3- الفونص روسو، المرجع السابق، ص 177.

4- عمار بن خروف، المرجع السابق، ص95.

5- محمد مبارك الميلي، المرجع السابق، ص 219 .

6- Charles Feraud, op.cit, p232.

الدهر[1]وهذه كانت رغبة الجزائر منذ وقت فارط[2].

حاول الباي حسين تصليح الأمر وأرسل عرضا قدره 500ألف بياستر لكن داي الجزائر رفض التفاوض[3]، ولهذا سارع الحسين بن علي بتجهيز قواته التي قسمها إلى محلتين وضعت إحداهما تحت إمرته المباشرة، فيما وضعت المحلة الثانية تحت إمرة ابنه محمد باي، ثم لم تلبث أن انضمت إلى هذه القوات قوات أخرى من فرسان صبايحية الترك وبعض القبائل نذكر منها: قبائل دريد والسواسي وأولاد سعيد والمزارقية وعرش الطرابلسية وغيرهم[4].

تواجها الطرفين في نهاية ربيع الأول 1148هـ- أوت 1735في واد سليان(في بعض الكتب تجدها واد مليان وواد مجردة) وعرفت تاريخيا بمعركة سمنجة[5]، وجرت بينهما عدة مناوشات لمدة 16يوما[6]، ويعلق ابن العطار حول هذه الفترة التي أقامها الجيش الجزائري والتونسي في طرفي الوادي أنه لم يقم بينهما قتال إلا النزر القليل كان يقع بين جماعة من الخيالة إذا تلاقوا وينحجزون، وفي كل هذه الأيام كان عناصر من عسكر تونس ينخذلون وينظمون للجيش الجزائري[7]، حيث خذلته في البداية قبيلة دريد في الخفاء ثم لحقتها قبيلة أولاد سعيد التي انحازت إلى علي باشا، فعجلت هذه الردة في صفوفه باندلاع المعركة الحاسمة[8]، ولكنها أدخلت الرعب في صفوف الجيش التونسي والذي تخوف من الهزيمة وهذا الإحساس ساعد الباي حسين بوكمية في استغلال الفرصة وانتقل بجيشه إلى الضفة الأخرى من الوادي الذي يتواجد فيه الجيش التونسي وكان ذلك ليلا [9]، وعبر مجرى الوادي في صمت ملتفا حول خنادق التونسيين، بحيث حصرهم بين نارين، وعندما وصل الخبر للحسين بن علي عن طريق جواسيسه بهذه الالتفاتة نراه يعزم على التحرك فأسند في الحال إلى إبنه

1- الفونص روسو، المرجع السابق، ص 161.

2- احمد ابن أبي الضياف، المصدر السابق، ص 111.

3- Charles Feraud, op.cit, p 232.

4- الفونص روسو، المرجع السابق، ص178.

5- تقع سمنجة قرب وادي مجردة. ينظر: الفونص روسو، المرجع السابق، ص98.

6- محمد الصالح العنتري، المصدر السابق، ص55.

7- الحاج أحمد بن المبارك بن العطار، **تاريخ بلد قسنطينة**، تح وتع وتق: عبد الله حمادي، دار الفائز للطباعة والنشر والتوزيع، قسنطينة- الجزائر، 2011، ص127.

8- الفونص روسو، المرجع السابق، ص178.

9- حصام صورية، "لجوء بايات إيالة تونس إلى الجزائر خلال القرن الثامن عشر من خلال وثائق أرشيفية"، **المجلة الجزائرية للمخطوطات**، ع12، جامعة الجزائر، جانفي2015، ص181.

محمد باي مهمة حراسة المحلة، فيما انطلق هو بنفسه بمحلته لمجابهة الجزائريين وجها لوجه ولعل تصرف الباي واضحا لأنه مل من تصرفات عدوه، غير أن الجيش الجزائري قام بعملية التفاف أخرى جعلت مجرى الوادي بينها وبين التونسيين فلم تستطع قوات الحسين مداهمتها، أما محلة ابنه محمد الذي ظل بالمحلة المعسكرة فلقد كان في خطر أكبر حيث وجهت له حملة جزائرية والتي كانت بالقرب منه[1].

الواضح هنا أن حركة الجوسسة كانت نشطة جدا لأن الباي محمد تحرك لمقابلته وكان مجهز نفسه جيد،ا ولحسن حظه وبفضل فرسانه الذين عرفوا كيف يصبوا بإحكام نيران مدفعيتهم على الجزائريين بحيث استطاع هزمهم شر هزيمة وأسر عددا منهم[2]، وفي هذه الأثناء قدمت محلة باي قسنطينة حيث هجموا على محلة تونس من الخلف واستطاع أن يهزموهم بسهولة كما استولوا على مدافعهم وأسلحتهم وكل ما يملكون [3]، وهزم على إثرها الحسين بن علي الذي قام بالفرار، فقام القياد بتنصيب علي باشا على عرش تونس، وبقي بوكمية وجيشه عشرة أيام في تونس ثم عاد إلى الجزائر ومعه 35 حصانا محملة بالنقود والأموال التي تعهد بدفعها[4]، وفي 7سبتمبر1735م عين الباي علي باشا بايا على الإيالة التونسية رسميا[5].

حسب حمدان خوجة فإن المعاهدة التي جمعت علي باشا تونس وداي الجزائر من جملة شروطها ألا يسلح حصن الكاف الذي هو عبارة عن ممر ضيق منيع يقع في الحدود الفاصلة بين الإيالتين، ومن الشروط أيضا أن العلم الوطني التونسي عندما يرفع لا ينبغي أن يكون إلا في وسط الصاري وعندما يصل أحد مراكب الدولة الجزائرية إلى ميناء تونس فإن قائد ذلك المركب هو الذي يتولى قيادة الميناء طوال المدة التي يقيمها فيه، أما وكيل الجزائر أو المكلف بشؤونها ووكيل باي قسنطينة فإنهما يحترمان كما يحترم سفراء البلاطات الأوربية[6].

وهكذا انتهت الحملة وعليه يمكننا رصد نتائجها في مجموعة نقاط:

1. تحقيق عسكر الجزائر انتصارا على جيش تونس الذي كبده خسائر كبيرة.
2. إزاحة الحسين بن علي على عرش تونس وإعتلاء الباي علي مكانه بمساعدة جزائرية .
3. حصول الجزائر على غنائم كبيرة جراء الحملة.

1- الفونص روسو، المرجع السابق، ص178.

2- نفسه، ص178.

3- الحاج أحمد بن المبارك بن العطار، المصدر السابق، ص128.

4- محمد الصالح العنتري، المصدر السابق، ص55.

5- A.Guellouz, & al, op.cit, p217.

6- حمدان خوجة، المصدر السابق، ص125.

ب. 3.4. تداعيات الحملة:

اعتلى علي باشا العرش التونسي وهذا بعد وفاء الجزائر بوعدها له وبعد خضوع كل من داي تونس الحاج علي الذي كان وفيا لعلي باشا منذ أن كان في الجزائر وآغا قصبة تونس وكبار رؤساء العسكر التونسي له، وفي نفس الوقت تم إطلاق سراح محمد باي والد علي باشا الذي كان معتقلا في زنزانات قصر باردو مع حفيديه وتم نقلهما إلى قصر باردو[1]، وبعد تحقيق مراد علي باشا بفضل الجزائر وعسكرها، **هل سيفي علي باشا بوعده للجزائر وينظم كليا لها؟**

ولكن وقبل الإجابة عن السؤال نلاحظ غياب تام للسلطان العثماني فلم يسع لصلح ذات البين بين أفراد الأسرة الحسينية ،كما لم يبدي أي انزعاج من تبعية علي للجزائر، ونرى في أغلب الأحيان تغيب السلطان إتجاه الأزمات الحاصلة في شمال افريقيا واتخاذ موقف حاسم ينهي به الصراع أو على الأقل يقلل من حدته، ولعل بسبب الأوضاع السياسية المتردية داخل البلاط العثماني والإختلالات العلاقاتية بينها وبين الدول الأوربية من جهة أخرى كانت سبب التغييب.

وقبل الخوض في مضمار وسياسة علي باشا مع أتراك الجزائر يجب أن نتحدث عن مصير الحسين بن علي بعد كل هاته المجريات، حيث استقر بالقيروان بعد فراره من الحاضرة تونس وعلى إثرها أصبحت البلاد تعيش في حالة انقسام سياسي تام علي باشا في مدينة تونس ومعه اتباعه والحسين بن علي في القيروان مع أتباعه[2]، حيث كان يترقب الأوضاع إلى أن رحل الجيش الجزائري من منطقة الكاف، حيث حاول مجابهة علي باشا بمساعدة سكان المنطقة، لكنهم رفضوا تخوفا من انتقام علي باشا، فقرر الحسين بن علي الرحيل بجيشه تاركا إبنه علي في القيروان وتوجه هو نحو الجنوب وإلى جانبه قبائل الدريد، والتي سرعان ما ستنقلب عليه وستعلن ولاءها لعلي باي وفيما بعد التحق به ابنه علي لأن وفدا من سكان القيروان راح للحاضرة تونس وأعلن ولاءهم له، ولعل تصرفهم واضح والذي كان نابعا من الخوف من غضب علي باي [3]، وإن كان بمقدور أبناء الحسين مجابهة علي باي لمدة خمس سنوات لاحقة باعتبار بعض المناطق الداخلية كانت لاتزال مخلصة لحسين وأبناءه وعليه ومع مقتل الوالد ستتغير الأحداث كلها وسيصبح لها مجرى آخر[4].

1- الفونص روسو، المرجع السابق، ص179.

2- دلندة الأرقش وآخرون، المرجع السابق، ص 64.

3-حصام صورية، لجوء...، المرجع السابق، ص184.

4- A.Guellouz, & al, op.cit, p217.

صرف الحسين وأبناءه النظر عن القبائل التونسية وراحوا يطلبون العون من القبائل الجزائرية الحدودية ثم من السلطات العليا في الجزائر ومن باي قسنطينة أيضا، وكانت القبيلة الحدودية التي قصدها الباي التونسي السابق هي قبيلة الحنانشة مستغلين بذلك علاقتهم المتوترة مع علي باشا رغم مصاهرة هؤلاء له والعلاقة المتذبذبة بينهما، ما جعل الحسين يتأمل خيرا في طلبه حيث استغل الفرصة مرة أخرى مع سنة 1737م، وراح يستنجد بشيخ الحنانشة الشيخ بوعزيز الذي قبل التعاون معه بل عرض عليه المصاهرة أيضا وزوجه من حفيدته إحكاما للروابط بين الطرفين، ووافق علي بن الحسين على ذلك بكل سرور[1].

علم علي باشا بمساعي ابن عمه في الجزائر وهو يعرف جيدا مدى سهولة التلويح بالمال لديوان الجزائر، فخشي أن يدفع الأمر إلى الاستجابة لتوسلات محمد باي، وتخوف من الدخول في حرب مع الجزائر التي يعرف قوتها وسلطتها[2]، ولما اتصل أبناء الحسين بالقبائل الجزائرية راح يونس باي يطلب المساعدة من باي قسنطينة وأن يمده بمحلة لكي يعينه على أخذ القيروان مقابل مال قدره مائة ألف ريال، فأجابه بايها حسن بالقبول في حال قبض المال الذي عرضه عليه، فاتفق رأيهما على أنه يخرج فإذا وصل تيفاش [3]أخذ خمسة وعشرين ألفا وإذا وصل القيروان أكمل له النصف الثاني[4]، فانطلق حسن بمحلته إلى أن وصل تيفاش وقبض على نصف المبلغ أي 25 ألف ريال لكنه لم يكمل الطريق وقفل راجعا إلى قسنطينة[5]، ونجهل السبب الذي جعل حسن يتصرف مثل هذا التصرف.

حاول الباي حسين الحفاظ على المناطق التابعة له لكنه فشل بسبب إحكام الحصار وتشدده من طرف علي باشا وابنه يونس، ولكن وللأسف الشديد تم القبض عليه من طرف يونس الذي قطع رأسه[6]، ولحسن حظ أولاده استطاعوا الخروج من تونس والالتجاء بالجزائر، حيث سمح لهم بالإستقرار بها إلى غاية 1756م[7]والذي سيكون عاما حاسما في التاريخ السياسي للحسينيين.

---

[1]- عمار بن خروف، العلاقات السياسية...، المرجع السابق، ص ص 109، 110.

[2]- الفونص روسو، المرجع السابق، ص183.

[3]- مدينة تابعة لبايليك قسنطينة، وهي الآن تابعة لولاية سوق أهراس بالشرق الجزائري .ينظر: الحاج أحمد بن المبارك ابن العطار، المصدر السابق، ص130.

[4]- الحاج أحمد بن المبارك ابن العطار، المصدر السابق، ص130.

[5]- A.Dournon, op.cit, p290.

[6]- Armand De Flaux, op.cit , p208 .

[7]- حصام صورية، لجوء...، المرجع السابق، ص 184.

ويذكر برادي أن أبناء الحسين كانوا محظوظين حيث كانوا على متن سفينة فرنسية مغادرة إلى سان تروبيه ثم إلى الجزائر[1]، وكان خروجهم مع البهلواني مع أبناء الحسين نحو الجزائر من أجل الحصول على الدعم منها بالرغم من أن منطقة الكاف الحدودية كانت محاصرة من طرف علي باشا، ومما يجدر به الذكر هنا فإن الجزائر لم تكن بأحسن أحوالها أيضا فلقد كانت هناك ثورة الكراغلة مشتعلة في تلمسان[2].

نعود إلى علي باشا وعلاقته مع أتراك الجزائر ولقد ذكرنا آنفا أن هذا الأخير كان قد وعد الجزائر بالخضوع والالتزام المالي، ولكن علي باشا وبعد توليه العرش التونسي غير نظرته كليا إتجاه الجزائر، لأنه لم يرض أن يكون شبه ملك حيث كان داي الجزائر هو الذي يحكم البلاد والشعب حسب رغبته وكما يحلو له[3]، وبالتالي أضحى باي تونس ألعوبة بيد داي الجزائر، وعليه قرر علي باشا الاستقلال والتخلص من التبعية بداية من توقيف دفع الإلتزام المالي عام 1745م [4]، **فما سيكون رد داي الجزائر على تصرفات علي باي التونسي، وإلى ماذا سيفضي الوضع؟**

ب.5. حملة الداي علي بوصبع على تونس سنة1756م والوساطة العثمانية:

مما سبق ذكره فإن يونس باي كان قد لجأ إلى الجزائر بعد أن تنازع على العرش مع أبيه وإخوته سنة1752م من أجل النظر في قضيته [5]، وكان غرضه دفع داي الجزائر إلى شن حملة عسكرية على تونس من أجل تنصيبه بايا عليها مقابل امتيازات والاعتراف بسيادة الجزائر عليه، ولكن كان قد سبقه أبناء الحسين من أجل هذا الشأن.

مهما يكن من الأسباب فالنتيجة واحدة حيث وقبل سنين خلت أهان باي يونس داي الجزائر أثناء سفارته نحو تونس من أجل القيام بمهمة أوكلت له وهناك التقى مع علي باي تونس وابنه يونس هذا الذي استجار بهم اليوم وهو الذي استخف به وأهانه وحفظ له الداي هذه الإهانة وصعب تقبلها [6]، فاغتنم بحماس فرصة الانتقام والرد من الأمير الهارب ولهذا قرر مساندة أولاد الحسين حيث أرسل جيشا مع سنة 1755م من أجل رد العرش لأبناء الحسين[7].

---

1 - Venture De Paradis, **Tunis et Alger au XVIII siècle**, Sind Bad, Paris ,1983, p30.
2 - A.Guellouz, & al, op.cit, p228.
3- حمدان خوجة، المصدر السابق، ص 126.
4- هنية عبد الحميد، المرجع السابق، ص 174.
5- Armand De Flaux, op.cit , p210.
6- ألفونص روسو، المرجع السابق، ص ص 210، 211.
7 - Thomas Maggill, op.cit ; p9.

كما أن سبب قيام الحملة أيضا وكما ذكر سابقا هو رفض علي باشا دفع الجزية السنوية واجتمعت الأسباب الكفيلة لردع تونس من جديد [1]، وبالرغم من مساعي علي باشا لدى الداي علي بوصبع وباي حسن أزرق عينو باي قسنطينة في كسب ودهما والعيش في سلام ووئام، إلا أنها باءت بالفشل ودقت طبول الحرب وقتها[2]، وجهز الباي جيشا كبيرا وتبعه الحنانشة من أجل مساندة محمد ابن الحسين[3].

أما مصير يونس باي فإن حسن باي قسنطينة زاد في التضييق على يونس وسلبه جميع أمواله من الذهب والسلاح والجواهر والأحجار، ثم نفى عنه جميع ممالكه وخدمه ولم يترك معه إلا كاتبه ورجلين يخدمانه، وبنى عليه باب داره وترك منفذا يدخل إليه ما يحتاج فقط[4].

ب.1.5. مجريات الحملة:

بعد الاستعداد الجزائرية للحملة من عدة وعتاد انطلقت الحملة نحو تونس، إلى أن وصلوا أسوار المدينة التي كان علي باشا قد أحاطها بالمتاريس وتحصينات قوية خلفها هو وقواته، فحاصرت المحلة الجزائرية المدينة ثم لم تلبث أن دخلت في مناوشات ضد التونسيين خارج الأسوار، وخلال تلك الاشتباكات تمت هزيمة الجزائريين، حيث هاجمهم التونسيون المحاصرون بكل بسالة مشتتين صفوف عدوهم بطلقات المدافع والبنادق، مما اضطرهم إلى الفرار، بيد أن حنكة ومهارة علي بن الحسين هدأت من روع أتراك الجزائر الهاربين، فتمكن قائدهم من إقناعهم بالعودة واستطاع عندئذ أن يسترد بهم المواقع التي كانوا قد فقدوها، فتقهقر أتراك تونس أمام الضغط الذي شكله الجزائريون بطرق مباغتة واستلذوا بمدينة تونس بعدما لحقتهم خسائر فادحة، ولم يكن علي باشا وابنه محمد قد اشتركا في تلك المعركة، وعندما بدت لهما هزيمة جيشهما التونسي واضطراره إلى التراجع إلى المدينة أسقط ما في أيديهما وخاب أملهما في إمكانية القدرة على الصمود والمدافعة[5]، وأعقبت تلك المعركة الدامية معارك أخرى عديدة بين الجانبين أسفرت أغلبها عن فوز الجزائر بكل جدارة وآخرها تم السيطرة على تونس يوم 5ذوالحجة1169هـ- 31أوت1756م وقتلوا علي باشا، واعتلى عرش تونس من جديد محمد بن الحسين بن علي [6].

1- محمد الصالح العنتري، المصدر السابق، ص59.

2- عمار بن خروف، العلاقات السياسية...، المرجع السابق، ص152.

3- Charles Feraud, op.cit, p346.

4- الحاج أحمد بن المبارك بن العطار، المصدر السابق، ص ص 134، 135.

5- الفونص روسو، المرجع السابق، ص.211

6- Charles Feraud, op.cit, p348.

كان هذا الإنتصار بمثابة ضربة موجعة لأنصار علي باشا حيث أرجع الحكم للحسينيين في عام 1756م بفضل الجزائريين وحكامهم، وبالمقابل اعترف باي تونس الجديد بسيادة داي الجزائر عليهم، مستأنفين دفع الإتاوة السنوية والبيع القسري لقطعان الأغنام والبقر الكثيرة التي تبعث إلى النواحي الغربية من الإيالة التونسية لكي تباع هناك[1] (**سيكون لنا حديث عن هذه الظاهرة في الفصل الثالث الخاص بالنشاط الإقتصادي الجزائري في تونس ما بين 1628م– 1830م**)، ولقد وعدت تونس بتنفيذ إلتزاماتها اتجاه الجزائريين ولقد تمثلت فيما يلي:

1. تعترف تونس بسيادة الجزائر وتصبح تابعة لها وأن لا تعصي لها أمرا.
2. دفع الضريبة السنوية إلى الحكومة الجزائرية والمحددة بـ150 إلى 200ألف ليرة تتمثل في القمح والشعير والفول والزيت وبعض منتوجاتها المحلية وأي خلل أو تغيير يعرضها للزيادة[2].
3. تعويضات مصاريف الحملة التي شرع الباي محمد في دفعها للجزائر.
4. الإلتزام بعدم إعادة بناء ما هدم من تحصينات في الحدود التونسية[3].
5. عندما يصل أحد مراكب الجزائر إلى ميناء تونس فإن قائد المركب هو الذي يتولى قيادة الميناء طوال المدة التي يقيمها هناك.
6. يحظى كل من وكيل الجزائر ووكيل قسنطينة بالإحترام كسفراء البلاطات الأوربية[4].

هكذا حقق الحسينيون مبتغاهم في استرداد عرشهم المسلوب بفضل العسكر الجزائري الذي أثبت حضوره العسكري في الحملتين الأولى عام 1746م والتي فشلت لظروف خارجة عن النطاق، أما الثانية سنة1756م فلقد حققوا ما أرادوا وأصبحت الإيالة التونسية تابعة لهم من جديد، ضف إلى ذلك إنعاش الخزينة الجزائرية بالضريبة السنوية الآتية من تونس كل سنة، وإن رضي باي تونس بهذه الإلتزامات ولكن تنفيذها لم يكن نابع من رغبة تامة، وإنما تخوفا من الجزائريين ومن غضبهم في حال لم يتم الإلتزام بما وعدوه به لحكام الجزائر، وأي تخلف عن دفعها فمن المؤكد ستتكرر ردة الفعل الغير مستحبة لديهم، حيث ستتخذ الإيالة الجزائرية الإجراءات اللازمة وهي معروفة لديهم.

---

[1]- هنية عبد الحميد، المرجع السابق، ص 174.

[2] - Arvieux chevalier ,op.cit,p 60.

[3]- عمار بن خروف، العلاقات السياسية...، المرجع السابق، ص 215.

[4]- السايح فيلالي، المرجع السابق، ص 61.

ب.2.5. التدخل العثماني وفك النزاع بين تونس والجزائر بعد حملة 1756م:

تدخلت الدولة العثمانية لسببين: أولها لفك هذا النزاع بين إيالاتاها من جهة، وثانيها للحد من التدخل الجزائري في الشؤون السياسية لتونس لأنها كانت تدرك رغبة دايات الجزائر في ذلك من جهة أخرى.

انسحب الجزائريون من تونس بعد تكبيلهم بشروط جعلوها تبدو كمقاطعة للجزائر وأعلنوا فيها محمد بن الحسين ملكا عليهم فأرسل السلطان العثماني إلى هذا الأخير لوازم التنصيب له على مملكة تونس[1]، ولعل هذا الإجراء أو الترسيم للدلالة فقط على أن تونس تابعة للدولة العثمانية وقادرة على تنحيته، لكن ظروفها لم تكن بأحسن حال لأنها كانت منشغلة بتثبيت أوضاعها الداخلية داخل بلاطها وهذا خلال فترة حكم السلطان عثمان خان الثالث [2].

من المرجح ذكره فإن العسكر الجزائري قبل مغادرته لتونس قام بنهب بعض القنصليات الأوربية ومنها الفرنسية فدار القنصل الفرنسي نهبت للدور الذي كان يقوم به القنصل الفرنسي في تونس من خلال مساعدته لعلي باشا وتقديم له كل ما ينقصه من تحصينات ومعدات، حيث أخذوا منها الذهب وقاموا بتمزيق أرشيفات وإحراق أغلبها[3]، ونفس الشيء للقنصلين السويدي والدنماركي اللذان كانا يخبران علي باشا بكل ما يحضره ضد داي الجزائر، أما القنصلين الهولندي والنمساوي فلقد نهبت إقامتهما وقبض عليهما وعلى عائلتهما، وقبض على كل من كان يقوم بخدمتها بإعتبار الجزائر كانت على حرب بين البلدين، أما هولندا فلقد كانت تجلب الذخيرة لعلي باشا، وأسرت الجزائر خلالها حوالي 1200 أسير [4].

من خلال هذه المعطيات نؤكد أن الحملة التونسية التي كانت موجهة للجزائر كانت مدعمة من طرف دول أوروبية، ومن المؤكد أيضا أن هذه الدول كانت تريد الانقضاض على الإيالة الجزائرية وعلى مكانتها وهيبتها في البحر الأبيض المتوسط، بإعتبارها كانت مثل الحجر الذي يعيق التواجد الأوروبي بمنطقة شمال إفريقيا وللتخلص من القرصنة بشكل كلي، وعلى هذا الأساس احتج سفراء الدول على تصرف داي الجزائر في الإيالة التونسية وقدموا شكوى عاجلة للسلطان العثماني، وطالبوا بإطلاق سراح القناصل فورا وإعادة الأموال لهم، وعليه أرسلت إسطنبول عدة فرمانات إلى أمير أمراء الجزائر تأمره بذلك[5]، ووافق داي الجزائر علي بوصبع

1- عمار بن خروف، العلاقات السياسية...، المرجع السابق، ص 194.

2- محمد فريد بك المحامي، المصدر السابق، ص ص 174، 175.

3 - Armand De Flaux, op.cit , p211.

4- عمار بن خروف، المرجع السابق، ص 197.

5- عزيز سامح ألتر، المرجع السابق، ص 516.

على طلب السلطان حفاظا على العلاقات الطيبة بينه وبين السلطان العثماني وأطلق سراحهم امتثالا لرغبته[1].

ولعل أهم نتيجة خرجت بها الإيالة الجزائرية من هذه الحملة هو تغييرها الجذري في البلاط الحسيني، حيث قضت على القيادة القديمة ووضعت قيادة جديدة تتماشى مع رغباتها وطموحاتها قيادة تحت نظرها لا تعصي لها أمرا.

ج. المناوشات العسكرية بين الجزائر وتونس مع مطلع القرن 19م:

إن الاضطرابات السياسية في الجزائر مع نهاية القرن الثامن عشر ميلادية هي التي جعلت حمودة باشا باي تونس يفتح عينه على ضرورة إزالة النفوذ الجزائري في تونس[2]، على عكس تونس التي دخلت مع أواخر القرن الثامن عشر ميلادية مرحلة ذهبية من تاريخها السياسي والعسكري وقد بدأت مع إعتلاء حمودة باشا عرشها الذي رفض الخضوع للجزائر وراح يستعمل أسلوب الهجوم بدل الدفاع، وفي هذه الحالة السؤال الذي يطرح نفسه: **كيف سيواجه الباشا الجديد هذه التدخلات أم أنه سيحاول التماشي مع الوضع حفاظا على التآلف، وكيف سيثبت الجزائريون حضورهم هذه المرة داخل أسوار الإيالة التونسية؟**

ج.1. المعارك البرية بين الإيالتين1807م– 1808م:

ج.1.1. إعتلاء حمودة باشا العرش وإستئنافه الصراع مع الجزائر:

دخلت تونس مع أواخر القرن الثامن عشر ميلادية مرحلة ذهبية من تاريخها العسكري وقد بدأت مع إعتلاء الشاب حمودة باشا عرشها، الذي وصفه برادي بالأمير ذو الشخصية الثقافية الجميلة، ويتحدث أكثر من لغة أجنبية [3]، ولقد ولد هذا الباي في 18ربيع الثاني1173هـ الثامن ديسمبر من عام1759م، أمة جارية من الأعلاج إسمها محبوبة [4]تزوج بها والده في الجزائر، ولما قدم مع أخيه إلى تونس اطمأنت به الدار اعتنى به والده، وقرأ ما تيسر من القرآن حيث ضم إليه إمامه الفقيه أبا محمد حمودة باكير، فأخذ عنه ما يلزم

1- عمار بن خروف، العلاقات السياسية...، المرجع السابق، ص 198.

2 - Thomas Maggill, op.cit ; p p 11,12.

3 - Venture De Paradis,Tunis…, op.cit, p 32.

4- أمه من القرج أو الكرج Kurdj وهي بلاد تقع بين جبال القبج من الشمال وأرمينية وإيران من الجنوب، واسمها مشتق من نهر كبير Cyrus وهي إقليم القوقاز الآن. ينظر: رشاد الإمام، المرجع السابق، ص71.

من الفقه الحنفي وعلم الكلام [1]، مع العلم أن المذهب الحنفي هو مذهب السلاطين العثمانيين والأتراك عامة.

بويع حمودة باشا في حياة والده، ففي صبيحة من يوم 26ماي1782م أي قبل أربعة أيام من وفاته، نرى علي باي وقد أدرك قرب الموت، يجمع فراشه أولاده وأولاد أخيه، حيث قال لهم بصوت لا يسمع وعيناه مغرقتان بالدموع حيث قال: « ... **أنني أشعر بأن الأجل قد دنا، فلقد حانت الساعة التي شاء الله أن يناديني فيها إلى جواره وإنني لمورثنكم، وأنا أقضي نحبي- مملكة مزدهرة، سيزداد رخاؤها بالوفاق الذي أتوسل إليكم أن تحرسوا على اشتباهه فيما بينكم، أما انت يا ابني العزيز حمودة، فإنك ستخلفني على العرش، لكن إياك أن تنسى إخوتك وأبناء عمك هم أيضا أولادي، ولذا فإنني وأنا أوصيك بهم خيرا، قبيل موتي، فإنني أريد منك أن تشملهم بعطف الأبوة وجدبها، فكن لهم أبا قبل أن تكون رئيسا، ثم توجه بوصية إلى أولاده الآخرين وإلى أبناء أخيه قائلا: احرصوا دوما على أن يسود بينكم الوئام الذي عليكم توطيد عراه بالمودة بينكم، وأطيعوا سيدي حمودة، فهو كبيركم**» [2]، ولقد أنصت الأمراء الحسينيون إلى الوصية بكل احترام وبصمت حتى بلغ بهم التأثر مداه حيث انهمرت دموعهم على وجناتهم وأقسموا على تنفيذها[3]، وبعد أن توفي والده في 18 من جمادى الثانية 1169هـ يوم الجمعة 31ماي1782م تجددت له البيعة من وزراء أبيه في الحين، وأول من بايعه ابن عمه أبو الثناء محمود باي، وفي الصباح حضر العلماء وأهل المجلس الشرعي وأكابر الجند وأعيان الحاضرة وجددوا له البيعة، كما سارع وكتب لبلدان المملكة وعربانها بتعيينه، وتوالت الوفود على بيعته [4]، كما حاول أن يسير شؤون الإيالة فيما بعد وفق مبادئ أبيه، وكان أكثر عدلا وإنسانية من الذين قبله[5].

الواضح من هاته المعطيات التاريخية أن ما عزز حكم حمودة باشا هو البيعة من طرف الجميع، فهو لم يغتصب حكما أو ساعده الجيش الجزائري في افتكاكه، فمبايعته تشبه لحد بعيد مؤسس الدولة الحسينية الحسين بن علي، ولقد اهتم الباي الجديد حمودة باشا بالمهام العسكرية بصفة خاصة وأعطاها أولوية، حيث

---

[1] أحمد ابن الضياف، **إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، مر وتع:أحمد الطويلي،الدار التونسية للنشر،تونس،1979، ص ص13- 15.

[2] -ألفونص روسو، المرجع السابق، ص 237.

[3] - نفسه، ص 238.

[4] - أحمد ابن أبي الضياف، المصدر السابق، ج3، ص15.

[5] - Venture De Paradis, Tunis…,op.cit, p32.

عزز القوة العسكرية للإيالة التونسية، كما أولى اهتماما خاصا لقلاع الدفاع والثكنات إدراكا من التحرر من الوصاية الجزائرية كما اهتم بالميادين الأخرى من أجل النهوض بالبلاد [1]، كما قام الباشا الحسيني بترميم أسوار المدينة لجعل مدينته أقل عرضة للخطر، ولقد كانت عمليات الترميم مهمة جدا لكنها لم تغير من النظام الدفاعي السابق تغييرا عميقا، حيث أمر بتنظيم أمور المدينة وأسوارها وبدأ بحصن باب الخضرة وغيرها كما قام بتحصين قناة للقاليوطات من أجل إنزال الأسطول[2].

في هذه الحالة على الباشا الجديد اختيار أقل الضررين إما أن يعمل بوصية والده التي تقول: **«إن موارد تونس تشبه الرغيف من الخبز يقسم على أربعة قطع تؤخذ منها واحدة وتعطي للجزائريين الثلاث الأخرى وذلك حتى يمكن العيش في تآلف مع أولئك الأقوام يقصد الجزائريين المضطربين المريعين»** [3]، حيث كانت تتلقى الجزائر هدايا ترضية من تونس تصل قيمتها إلى 50ألف إيكوس Ecus تتكون مجملها في: 200جرة زيت و50جرة صابون و600جرة سمن وصندوق فيه الشواشي التونسية الرفيعة وبرانيس وحياك ومجوهرات نفيسة[4]، أو يدخل في صراع معها ويخرج بنتيجة غير مرضية.

إن المتأمل في تاريخ البلاد التونسية خلال هذه الفترة يدرك أتم الإدراك أن حكام تونس لن يرضوا بوضع بلدهم المهين، ولم يكن ليطول أكثر مما سبق لأن الغضب والمطالبة بإلغاء الهيمنة أصبح ضرورة لابد منها [5]، وخاصة الباي التونسي الشاب حمودة باشا الثائر، فهو يرى هاته الإلتزامات بمثابة إهانة لبلاده التي تتساوى مع حجم الإيالة الجزائرية، وهنا ستدخل العلاقة بين الإيالتين في مرحلة أكثر خطورة من سابقتها حيث سنرى الجزائر تسعى لفرض نفسها من جديد، أما تونس وباشها الجديد حيث سيرفض الإلتزام الذي كان سابقيه يعهدونه لدايات الجزائر، وهنا سندخل في مرحلة مهمة وهي المواجهات العسكرية بين الجزائر وتونس.

1- Ahmed Saadaoui, "Des wakfs au profit des Fortification et des casernes de Tunis A L'époque Hammouda Bacha", **Archéologie Ottoman**, N°8, Tunis, 2001, p 95.

2- Ahmed Saadaoui, **Les fortification de Tunis Les chantiers de Hammouda Bacha**, Sous La direction du Abdeljalil Temimi Fondation Temimi pour La recherche scientifique et L'information, Tunis, 2004,T1, ,p229.

3- رشاد الإمام، المرجع السابق، ص ص 282، 283.

4- Venture De Paradis, op.cit, p137.

5- Armand De Flaux, op.cit, p217.

ج.2.1. أسباب إعلان تونس الحرب على الجزائر:

قبل الولوج في سرد الوقائع البحرية بين الإيالتين لابد من ذكر هدف حمودة باشا الأسمى منذ توليه عرش تونس هو التخلص من الحضور الجزائري، معبرا بذلك عن رغبته في التحرر من التبعية لها، وهذا مع بداية القرن19م.

أما موقف السلطان العثماني خلال هذه الفترة والذي كان عالما لما يحصل داخل الإيالات فالقوة البحرية التي أنشأها حمودة باشا قد بلغت صداها، أما البحرية الجزائرية فهي غنية عن التعريف،حيث كان مدركا لنوايا الإيالتين، فتونس ترفض التبعية والإلتزام والجزائر ترفض التخلي عنها، ولهذا نراه يرسل فرمانا يقضي بضرورة التعاون بين السفن الجزائرية والتونسية من أجل إرساء الأمن داخل الفضاء المتوسطي ومنع التجوال في المناطق المحضورة، ويذكر أيضا أن هناك من يهاجم السفن في المتوسط، ولعل تصرف السلطان العثماني واضح فهو يريد التخفيف من حدة الصراع بينهما وهذا مع سنة 1789م[1].

إلا أن حمودة باشا كان واضح الأهداف وقد أرسى دايات الجزائر على ذلك، فكانت بداياته الأولى أن يسعى إلى إشعال نار الفتنة بالإيالة الجزائرية مستغلا بذلك المعارضين على الحكم التركي في الجزائر، ولهذا استقدم الباي التونسي الشريف الدرقاوي الحاج محمد بن الأحرش[2]، وحرضه على إشعال نار الثورة في بايلك قسنطينة حيث وسوس له قائلا: « **إن رجلا مثلك شجاع أو كلام بهذا المعنى يجب أن يذهب إلى ملك الترك بالجزائر وينزعه من أيديهم، ونحن نمدك لما يخصك والعرب يتبعونك لكثرة ما ظلمهم الأتراك..**» [3]، على هذا الأساس وعده بالمساعدة، وعليه قام ابن الأحرش بزيارة المشرق لأداء فريضة الحج ثم عاد إلى المغرب الإسلامي وعرج على قسنطينة، وبها دعا النسب الشريف ليحصل على تأييد القبائل لشرفه، ما جعلهم يلتفون حوله ويتحققون معه في محاولة إقامة دولة له تمتد من قسنطينة لتشمل كل القطر الجزائري، وبذلك يكون مشروعه هو إقامة دولة مغتنما أوضاع بايلك الشرق المتدهورة، والتي كانت على عهد عثمان

---

[1]- أ.و.ج. خط همايوني 8761تاريخ 1204هـ. أنظر مضمون الفرمان في الملحق رقم 07، ص 246.

[2]- هو الشيخ الحاج محمد بن عبد الله بن الأحرش المعروف بالبودالي نسبة إلى أبدال الصالحين، وعرف عند البعض بالشريف المغربي وقد ذكر عنه بأن فتى مغربي مالكي المذهب درقاوي الطريقة درعي النسب، هو من عرب المغرب الأقصى رحل من بلاده للحج وأثناء عودته شارك في حرب نابليون في مصر ثم دخل تونس اين التقى بحمودة بشا باي تونس حيث حرضه على التمرد على الحكم التركي في الجزائر. ينظر: زينب جعنيي، " ثورة إبن الأحرش في بايليك الشرق1800- 1807م"، **مجلة عصور الجديدة**، ع18، جامعة وهران، 2015، ص130. وعبد القادر الجزائري، المصدر السابق، ص77.

[3]- عمار بن خروف، العلاقات السياسية...، المرجع السابق، ص271.

بن محمد باي والذي عرف عصره بعصر الإضطرابات لأنه لم يكن في مستوى المسؤولية المنوطة به لأن أخلاقه لم تكن حميدة[1].

وفي نفس الوقت أغرى ابن الأحرش القبائل المتاخمة وأقنعهم بضرورة أخذ قسنطينة عن طريق الحرب وهذا لاحتوائها على حسبه على الكنوز والثروات الموجودة بها[2]، وبعد كل هذه الإغراءات المقدمة من طرف ابن الأحرش وافق على إشعال نار الفتنة بنواحي قسنطينة وكل هذا سنة1803م، حيث هدد مدينة قسنطينة قاعدة بايلك الشرق وكاد يحتلها سنة 1804م وأدت حملته إلى رد فعل قوي من قبل بايات قسنطينة أقصد هنا الباي عثمان[3]، الذي راسل الداي الجزائري وأخبره بما يحدث داخل بايليك قسنطينة ومن تصرفات ابن الأحرش الغير مقبولة، ولقد واجبه في ذلك الداي وأرسل له أربع سفن إلى مرسى الزيتون من أجل القضاء على ابن الأحرش لكنه فشل، واستطاع الشريف الخروج من قسنطينة وتمكن من الحفاظ على كولو، ثم قرر أخذ بون [4]، إلا أن الباي الجديد عبد الله وجيشه استطاعوا أخيرا من إخماد الفتنة بنجاح وأخضعوا كل القبائل التي كانت خاضعة للشريف وقضوا عليهم نهائيا[5].

يغلب على الظن أن حمودة باشا في ذلك الوقت كان قد تحقق من قوته العسكرية وأتم كل تحضيراته للمجابهة، ولهذا نراه هذه الفترة يقوم بعزل وكيل الجزائر، كما قام بشتم الجزائريين ودايهم وأمر الحكام العاديين وقضاة تونس بالحكم علي الجزائريين مثلهم مثل سائر الناس بعد أن كان لهم حكام خاصون بهم، هذا التصرف بحد ذاته تجاوز خطير وإغاضة لداي الجزائر، فما كان رد الجزائر إلا إرسال المزيد من البقر والمواشي لتباع في تونس بأسعار عينها الداي مسبقا وكان ذلك«... **بصيغة صريحة في الإمرة على غير الأسلوب الذي أعتيد منهم**... »[6]، فأنف حمودة باشا من تلك الإهانة وجمع رجال دولته واستشارهم جميعا، وتم

1- مجهول، **تاريخ بايات قسنطينة المرحلة الأخيرة**، تح: مختار حساني، منشورات دحلب، الجزائر، 1999، ص ص24، 25.

2 - A.Dournon, op.cit, p277.

3- عمار بن خروف، العلاقات السياسية...، المرجع السابق، ص 272.

4- Adrien Berbrugger, "Un chérif Kabyle en1804", **R.A**, N°3, Alger, 1858, p 211.

5- Eugéne Vayessette, "Histoire des derniers beys de Constantine depuis 1793 jusqu'à la chute Hadj Ahmed", **R.A**,N°3, Alger, 1858, p264.

6- محمد الصالح العنتري، المصدر السابق، ص 68.

الإتفاق على أمرين: الأمر الأول عدم ارجاع مصطفى انجليز[1]هذا الباي القسنطيني الذي كان قد فر إلى تونس واستقبله حمودة دون أية رد فعل سيئة حيث أكرم نزله [2]، فانضم إلى حمودة باشا وكان سببا في اندلاع الحرب بين الجزائر وتونس فيما بعد [3]، والأمر الثاني هو بيع البقر الجزائري في السوق بشهادة عدلين وأن لا يمنع أحد من بيع بقره خلال هذه المدة ثم كتب لداي الجزائر قائلا له: **«...إن البقر أمرنا بيعه على يد عدلين، وجمع من ثمنه كذا وتولى قبضه رسولكم بأمرنا، وإن أرسلتم بعده شيئا للبيع فليكن خطابكم في ذلك لوكيلكم وحال في ذلك كعامة أهل البلد من غير فرق، وقد كنا نرى أن فعلنا معكم سابقا إنما هو ثمرة محبة، وحيث رأيتموه واجبا فلا نسلم هذا الوجوب...»** [4]، والرد هنا واضح وصريح وعلى داي الجزائر تقبل الأمر.

بناءا على ما تقدم فإن تصرف الباشا حمودة هو بحد ذاته تجاوز غير مسؤول، فهو يريد أن يفصح عن ما بداخله ففي البداية شتم داي الجزائر ثم طرد الوكيل وهومن حرض ابن الأحرش وتحالف مع مصطفى الانجليز إلى غاية التصرف الأخير المتمثل في مشكلة بيع البقر، وكل هذا دلالة على أنه يريد أن يخرج من ظل الجزائر ومن هيمنتها والدخول في إطار تعامل الجيران بدل التابع والمتبوع التي أقرتها معاهدة1756م، وهذا الشيء كان بالغ الوضوح.

من بين النماذج الدالة على هذا أن حتى الدول الأوروبية لاحظت نوعية هذه العلاقة، وكتبت عن هذا الأمر ومنهم قنصل فرنسا حيث قال عندما قام بعض البحارة الجزائريين بالإعتداء على السفن الأجنبية الراسية في ميناء تونس:« **أعمال قوة متفوقة تمارس على البلاد التونسية وهي أعمال مهينة صارت تعتبر موجهة ضد حمودة باشا شخصيا، وهو يخفيها ويتصنع تجاهلها لأنه لم يجمع بعد كل إمكانياته التي تمكنه من قهرها وزعزعة خضوع بلاده للجزائر خضوعا مذلا، هو الآن في عمل متواصل في هذا السبيل لتحقيق هذا الهدف**»[5]، الواضح هنا أن نية حمودة في التحرر كانت واضحة لأنه كان ينزعج من

1- سي حاج مصطفى انجليز من أصل تركي قدم الى الجزائر وسكن في قسنطينة لسنوات عدة قبل أن يتولى ولايتها، وأطلق عليه هذا الإسم أي انجليز لأنه في شبابه أسرته سفينة أنجليزية والتي أمضى بها 12سنة، ثم أطلق سراحه وعاد إلى قسنطينة وبسبب قدرته وكفاءته العالية عين بايا عليها.ينظر: Eugéne Vayessette, op.cit, p.195.

2 - A.Dournon, op.cit,p281.

3- محمد الصالح العنتري، المصدر السابق، ص ص 68، 69.

4- رشاد الإمام، المرجع السابق، ص ص394، 395.

5- نفسه، ص392.

هاته التصرفات لأنها تظهر للعلن تبعية تونس للجزائر ،كما أصبح ينزعج من التصرفات التي يقوم بها دايات الجزائر وهذا التصرف الأخير من طرفهم دلالة على تمتع الجزائر بحريتها في الملاحة التونسية.

فكر حمودة باشا في الأمر مليا، وتأمل النتائج المترتبة عن هذه التصرفات التي سيقوم بها وما سيجنيه من غضب الجزائر، إلا أنه قرر التخلص من التبعية السياسية للجزائر التي كانت تنال كثيرا من هيبته[1]، حيث نراه يأمر برفع العلم التونسي في كل مكان من إيالته، بعدما كان يرفع في المنتصف عند الحدود مع الجزائر باعتبارها ولية عليها، كما يوصي بإعادة تشييد التحصينات على حدوده مع الجزائر وهذا يعتبر نقضا للإلتزامات المشروطة على تونس والتي أقرتها عليها الجزائر عام1756 م بعدم بناء التحصينات العسكرية، وأمر في الوقت ذاته بتشكيل جيش للزحف به في الحال على جيرانه الجزائريين في حالة ما إذ بادر باي قسنطينة إلى أية أعمال عدائية ضده[2].

ج.3.1. بداية الحرب البرية بين الجزائر وتونس عام 1807م:

لكل فعل ردة فعل هذا ما يلخص الصراع القائم بين الجزائر وتونس مع مطلع القرن التاسع عشر ميلادية، فالجزائر ترى تونس منطقة نفوذ سياسي بإعتبارها متحكمة في الهرم السياسي وحتى في الجانب الإقتصادي أحيانا وهو المعتمد الأول في بناء الدول، وهذا ما لم يستسغه الباي الشاب حمودة باشا فالغيرة على بلده المنهوب من طرف دايات الجزائر ومعاهدة1756م التي ربطت تونس بالجزائر، وكل هذا كان دافعا قويا لحمودة باشا لقطع الطريق على الجزائر.

حذر دايات الجزائر بايات تونس عن أي تصرف يصدر منهم وغير مسؤول بإعتباره قد يؤدي إلى حرب، إلا أن عزيمة حمودة باشا كانت أقوى من أي تهديد جزائري فقرار المواجهة أمر محتوم وقرار لا رجعة فيه ولقد قام بكل الإستعدادات اللازمة من أجل دحرها وإنهاء هيمنتها، **فهل سيفلح الباي التونسي من التخلص من التدخل الجزائري على تونس، وهل سيكون في موضع هجوم أم دفاع؟**

ج.1.3.1. الحرب البرية الأولى1807م:

بدأت شعلة الحرب لما هاجم عبد الله باي قسنطينة عرش أولاد بوغانم الكائنين في رأس الحدود التونسية وألحق بهم خسائر كبيرة[3]، حيث وصل إلى أعقاب الكاف ولقد غضب باي تونس من هذا الأمر

1- Eugéne Vayessette, op.cit, p95.

2- ألفونص روسو، المرجع السابق، ص ص 277، 278.

3- أ.و.ت، س.ت.ت، الصندوق223 ملف 384، وثيقة104.

وحتى مصطفى انجليز الفار كان قد أعلن عداءه للجزائر وانضم إلى قوات حمودة باشا، كما أمر وكيل الجزائر والتجار بالذهاب إلى بلادهم لأن ناقوس الخطر قد دق[1]، فما كان على حمودة باشا إلا الخروج بحملته لتأديب باي قسنطينة[2]، وخرج بعدما جهز محلته بسرية تامة[3]، وراح متجها نحو قسنطينة في 25ديسمبر 1805م، حيث هاجمهم واستطاع هزيمتهم بكل سهولة، بسبب عدم سماعهم بهذه الحملة المجهزة رغم وجود وكلاء وأعين بالمنطقة، ضف إلى ذلك دفاع ابن صالح باي الذي لم يكن في المستوى المطلوب ولا الخطة التي وضعها لردعهم، حيث تمركز في سطح المنصورة وعدم ملاقاة الجيش التونسي بعيدا عن المدينة وهذا أكبر خطأ اقترفه باي قسنطينة، كما لم تكن الظرفية الداخلية مواتية من أجل ردع حملة باي تونس، فالثورات الداخلية كانت على أشدها في قسنطينة قبل وبعد الحملة، حيث شهدت تمردات بعض القبائل التخومية منها قبيلة الحنانشة والنمامشة سنة 1804م وثورة ابن الأحرش ما بين سنتي 1804- 1807م، ضف إلى ذلك ثورة درقاوة [4] بالغرب الجزائري والتي وصل أثرها إليهم[5].

ساعدت الظروف الآنفة الذكر الباي التونسي بالتوجه من جديد نحو قسنطينة بقيادة سليمان الكاهية وهذا يوم السبت منتصف ذي القعدة سنة1221 - 24جانفي1807، وخرج معه الآغا أبو العباس أحمد الجزيري، ومعه علي ابن الحاج مصطفي انجليز، والكاتب الفقيه أبو عبد الله محمد المسعودي، واقتصر الباي في هذه المحلة على عسكر الترك والمخازنية من الصبايحية والحوانب، وحتى قبيلة دريد خرجت نساءها على عادة العرب في أسفارها، وانتدب للسفر فرسانا من عروش ونيفة بعد أن ملأ خزائن الكاف بالقمح والشعير والزيت وسائر ما يلزم للمحلة، وعليه سار سليمان الكاهية الأول بجيشه نحو قسنطينة والذي لم يكن شخصه في المستوى، حيث كان مغفلا وبعيدا كل البعد عن الحزم ضعيفا عن حمل ثقل العهدة، يتوقف في أقل الأمور على المشورة، وأضاع بسبب ذلك التوقف فرصا كثيرة، وكانوا قد وصلوا قسنطينة بجيش كبير وعاثوا في نهب عربانها

1- A.Dournon, op.cit, p281.

2- أ.و.ت، س.ت.ت، الصندوق223 ملف 384، وثيقة104.

3- أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص36.

4- تنسب الثورة الدرقاوة التي اندلعت في بايليك الغرب إلى أحد أتباع العربي الدرقاوي وهو عبد القادر بن الشريف الدرقاوي نسبة إلى الطريقة الدرقاوية الفليتي الذي درس بزاوية القيطنة وهو ينتمي إلى أولاد سيدي الليل، واستطاع الداي مصطفى القضاء على ثورته. ينظر: مسلم بن عبد القادر، المصدر السابق، ص49. ومحمد بوشنافي، "الداي مصطفى باشا وعصره 1798- 1805"، __عصور جديدة__، ع8- 7، جامعة وهران، 2012- 2013، ص ص 164، 165.

5- السايح فيلالي، المرجع السابق، ص ص 82، 83.

وأخذوا بمخانق حصرها وألحوا عليها بالمدفع والبونبة حتى أشرفوا على أخذها[1]، ونتيجة لتلك الهزيمة الثقيلة فر باي قسنطينة إلى قصر الطير بنواحي جميلة مما فسح المجال أمام تقدم القوات التونسية وتمركزها في هضبة المنصورة وكدية عاتي، كما أن قسم منه تمركز في منطقة سيدي مبروك [2]، وهكذا استطاعت الإنتصار عليها وفرض حصارها لمدة طويلة قدرت بثلاثين يوما بلياليها[3].

مال وضع الحرب منذ البداية إلى كفة تونس بإعتبار الجزائر كانت منشغلة بالقضاء على سكان فليسة بجبال جرجرة[4]، وعلى إثرها استغل حمودة باشا هذا الوضع وراح يزج أعضاء الوفد الجزائري في قسنطينة في السجن، كما قام بتمزيق رسائل رسمية كانوا يحملونها بدعوى أن داي الجزائر لم يبعثها له خصيصا[5]، ولما سمع داي الجزائر بكل هذا سارع إلى إرسال النجدة على وجه السرعة وأرسل حملتين لنجدتها واحدة برية والأخرى بحرية[6]، ولقد التقى الجيشان الجزائري والتونسي في بوحمرون [7]، حيث تمكنت قواه من إلحاق الهزيمة بالجيش التونسي واستولت على كل ما لديه من مؤن وذخيرة وقتلت الكثير، كما التحق 600 جندي بالجيش الجزائري بأسلحتهم، وكان عدد الجيش التونسي آنذاك خمسين ألف رجل، ويقال بأن هذا أعظم انتصار حققه البايلك على أرض الجزائر ضد التونسيين[8].

ج.2.3.1.الحرب البرية الثانية 1807– 1808م:

لم يستسغ باشا تونس الهزيمة ولا حتى شعبه الذي مازالت أهوال جند الجزائر في أسماعهم من وقائع سابقة، حيث راح يستجمع قوى دولته وقرر الذهاب بنفسه على رأس الجيش في حملة ثانية على مملكة الجزائر، غير أن مستشاره رجب بونمرة عارضه في الأمر وأقنعه بوجوب البقاء في تونس[9]، ومن جملة ما قاله له كاهيته:« ...**أنت لا تملك أمر نفسك والمالك لأمرك مصلحة البلاد والمصلحة أن تكون في مركز**

1- احمد ابن أبي الضياف، المصدر السابق، ج3، ص58.

2- السايح الفيلالي، المرجع السابق، ص84.

3- أ.و.ت، س.ت.ت، الصندوق 223 الملف384 وثيقة104.

4- محمد الصالح العنتري، المصدر السابق، ص75.

5- رشاد الإمام، المرجع السابق، ص 395.

6- أ.و.ت، س.ت.ت، الصندوق 223 الملف384 وثيقة104.

7-Stéphane Gsel," Note chronologique pour L'histoire de Constantine", **R.A**, N°39, Alger, 1895, p 168.

8- محمد الصالح العنتري، المصدر السابق، ص75.

9- رشاد الإمام، المرجع السابق، ص396.

ولايتك ردءا لمن ترسله، فإذا انهزم لا تهزم البلاد بخلاف ما إذا خرجت بنفسك»[1]، الواضح أن الكاهية كان رده ورأيه واضحا فإذا خرج الباي وانهزم فسيعترف بذلك بقوة الجزائر وعليه فإن الأمر سيكون صعبا عليه وعلى البلاد، على عكس إن خرج غيره وانهزم فالأمر لن يعدوا على هزيمة حربية.

على هذا الأساس عين الباي حمودة باشا يوسف صاحب الطابع كاهية مكان سليمان الذي أثبت فشله في الحملة السابقة وقائد للمحلة في نفس الوقت، فجهز الباي ما تبقى له من خيرة الجند والمتطوعين فكانوا أربعة وعشرين ألف مقاتل، جهزهم في الحين بفضل إعانة مالية كبيرة من الوزير يوسف صاحب الطابع وغيره، كما جمع الأسلحة المتبقية وانتقلوا بعد هذا التجهيز تحت إمرة قائدهم الجديد إلى ساحة القتال مرورا بمدينة الكاف[2]، أما الجيش الجزائري وفي وسط الفرحة التي تغمره قرر حكام الجزائر متابعة الجيش التونسي بقيادة حسين بن صالح باي وحسن آغا بناء على أوامر الداي، حيث انطلق الجيش ووصل إلى حدود وادي سراط أمام مدينة الكاف التونسية[3]، وكما ذكرنا آنفا كان قد سبقه يوسف صاحب الطابع إليها وهناك اصطدم الجيشان أي بوادي سراط في 13 جوان 1807 في موقعة تعرف بسلاطة وجرت بينهما معاركة عنيفة وكبيرة[4].

رجحت كفة المعركة في بداية الأمر للجيش الجزائري بالرغم من صمود الجيش التونسي المعتمد على المواقع الحصية، إلا أن الجيش الجزائري تمكن بفضل حنكته من زحزحته من مواقعه ولولا لجوء الجيش التونسي إلى استخدام المدفعية بناء على نصيحة مصطفى إنجليز باي قسنطينة سابقا واللاجئ إلى باي تونس باستخدام المدفعية لكان النصر حليف الجيش الجزائري، وعليه قرر الباي حسين مغادرة الميدان مع جيشه ليلا بعد تخاذل القياد والقوم [5]على خوض المعركة [6]، وحسب ابن العنتري أيضا فإنه سبب هذا الانكسار هو تعاون بعض الجزائريين مع التونسيين وتزويدهم بالأخبار النافعة لهم [7].

---

[1]- أحمد ابن أبي الضياف، المصدر السابق، ص59.

[2]- رشاد الإمام، المرجع السابق، ص397.

[3]- السايح فيلالي، المرجع السابق، ص88.

[4]- محمد الصالح العنتري، المصدر السابق، ص75.

[5]- هم مقاتلون فرسان توفرهم القبائل وخاصة تلك الحليفة للأتراك. ينظر: صالح عباد، المرجع السابق، ص320.

[6] - السايح فيلالي، المرجع السابق، ص89.

[7] - محمد الصالح العنتري، المصدر السابق، ص75.

كانت هذه الواقعة الفاصلة التي انتصر فيها الجيش التونسي على أعداءه حيث أرسل صاحب الطابع بريد مستعجل جدا للباي يعلمه فيها بالانتصار الذي حققوه مبنيا عدد الأسرى والقتلى في صفوف الجزائريين، كما أعلمه بوضع الجند الجزائري وقال أنه مشرد في الجبال وأن الجند التونسي يطارد فلولهم في كل مكان[1]، وإن كان التمزق داخل الجيش الجزائري هو سبب انهزامه أيضا حيث يرجع سبب انسحاب البعض منه أن هذه الحروب هي من صنع الحكام، وهي ليست في صالح الشعب المغلوب على أمره أو لعله تعاطف منهم مع جيرانهم التوانسة وأنهم كانوا يرون فيهم أناسا يحاربون من أجل المحافظة على استقلال بلادهم، وهذا الانشقاق سهل عملية الجيش التونسي[2].

يذكر صاحب الحوليات بأن الإيالة التونسية احتفلت بهذا النصر وسط دوي مدافع وهاته الفرحة الكبيرة لها أسبابها من أهمها إنهاء التبعية للجزائر، كما أعفى هذا الإنتصار الحكومة التونسية من إعطاء الجزائر شحنتين من الزيت التي كانت تزودها تونس للجزائر من أجل إنارة المساجد[3]، كما أفشلوا مخططات الداي الجزائري حيث تم العثور في خيمة قائد الجيش الجزائري" ولقد ذكرنا آنفا أنهم تركوا المحلة وفروا" على تعليمات مكتوبة صادرة إليه من داي الجزائر أحمد خوجة، وكانت التعليمات تأمره بإحتلال مدينة الكاف وضمها هي وأراضيها إلى التراب الجزائري، كما أن التعليمات نفسها كانت تأمره بزحزحة الخط الحدودي الفاصل بين الإيالتين حتى مدينة باجة التونسية شرقا، ولهذا تعامل بحنكة مع هذا الظرف، ونراه يرجع الأسرى الجزائريين إلى بلادهم بعدما خيرهم إما البقاء وإما الرحيل، وإن كانت هذه اللفتة من أجل إنهاء الصراع، لكن داي الجزائر رآها إهانة له وأقسم أن ينتقم للأمر، إلا أنه اضطر في الأخير إلى الإذعان لإدارة الديوان الجزائري الذي طلب منه التعامل بالمثل فأرجع بدوره أسرى تونسيون على نفس المراكب[4].

لم تكن هذه المستجدات لتمر بردا وسلاما على الجزائر، حيث بلغ الباي التونسي سنة1223هـ-1808م أن الجزائريين استجمعوا العودة للحرب وغزو تونس مجددا، ولهذا جهز الباي التونسي حمودة باشا محلة بها مائة جندي من العسكر وجمع الفرسان من المخازنية والمزارقية، وفرسان العروش، وخرج بها الوزير أبو المحاسن يوسف صاحب الطابع، ومعه سليمان كاهية يوم الاثنين19 ربيع الثاني- 13 جوان1808 وقطع

---

1 - رشاد الإمام، المرجع السابق، ص ص397، 398.

2- السايح فيلالي، المرجع السابق، ص90.

3 - Armand De Flaux, op.cit , p219.

4- ألفونص روسو، المرجع السابق، ص ص 285، 286.

وادي سراط، ولما تحقق الجزائريون من كثرة عدد الجيش التونسي تراجعوا وعادوا إلى بلادهم فاستأذن الباي حمودة باشا وقفل هو الآخر راجعا إلى بلاده ولم تحدث الحرب(1).

أما في الجزائر فلقد كان ضحية هاته الحروب كل من باي قسنطينة حسين باي وعلي باي إثر ثورة أحمد شاوش، هذا الأخير الذي تحالف مع باي تونس ضد داي الجزائر لهذا تم اغتياله، أما مصير الداي أحمد فهو لا يختلف عن مصير حسن شاوش حيث قتل على يد الانكشارية بعدما أبرم اتفاقية مع الباي التونسي وهم يرونه ألد أعدائهم(2).

إن الأحداث الخطيرة التي شهدتها قسنطينة التي كانت مسرحا للصراع الجزائري التونسي ولولا لطف الله لفنى من فيها، كانت ستتخذ مجرى آخر لو تطورت الأمور، ولهذا نرى داي الجزائر فجأة يرسل وفدا جزائريا إلى تونس للتفاوض حول الصلح، حيث وصل الوفد في شهر شعبان 1223هـ- الموافق لشهر سبتمبر سنة1808م ولم تتعثر المفاوضات هذه المرة طويلا إذ لم تلبث العلاقات الطيبة أن عادت إلى طبيعتها وتم إبرام الصلح خلال شهر نوفمبر(3)، وعليه فإن الإنتصارات التي حققها حمودة باشا جعلته يتحرر نوعا ما من التبعية للجزائر ويتمتع بالحرية (4)، وخاصة أنه كان يسعى لإنشاء حكومة مثل حكومة الجزائر(5).

ج.2. الحروب البحرية1811– 1813م:

ج.1.2. الحرب البحرية الأولى1811م:

إن الخسارة والهزيمة التي تعرض لها الجيش الجزائري لم تكن بيسيرة النسيان والتي سارعت إلى استرجاع مكانتها بالإيالة التونسية، لكن هذه المرة ستكون المواجهة على غير العادة، لأن حكام الجزائر اختاروا البحر لرد الصاع حيث كانت القوات البحرية تلاحق السفن التونسية في عرض المتوسط، وحتى على الموانئ التونسية مما أثر على التجارة الخارجية لتونس، ولقد بلغت تلك الإعتداءات حدا كبيرا من الأذى على الأسطول التونسي والتجارة التونسية.

1- أحمد ابن أبي الضياف، المصدر السابق، ج3، ص ص66، 67.

2- السايح فيلالي، المرجع السابق، ص92.

3- ألفونص روسو، المرجع السابق، ص ص 287، 288.

4- Thomas Maggill, op.cit , p25.

5 - Armand De Flaux, op.cit , p220.

بدأت تلك الإعتداءات مع الريس حميدو وهذا عندما خرج للبحر من أجل ممارسة نشاطه البحري حيث طلب منه داي الجزائر الحاج علي مضاعفة نشاطه في المتوسط[1]، وفي طريقه لقي بعض المراكب التونسية محملة بالشاشية فأخذها ثم أمر بتجهيز ستة مراكب وأربعة لنجور من أجل الذهاب إلى جربة، ولما تم التجهيز ارتحلوا لها، ومع وصولهم للمرسى طلب منهم المكوث بها، ولما رأوهم سكان جربة هربوا وبقى الريس مع مراكبه أياما بها ثم غادرها[2]، وفي شهر ماي أيضا من عام1811 م هجم الجزائريون جزيرة جربة التونسية بهدف احتلالها، إلا أنه وبسبب جهلهم لطبيعة بحار تلك الجزيرة غاصت سفنهم في السباخ المحيطة وتعذر خروجه بصعوبة كبيرة، ولهذا استغل سكان الجزيرة عجز السفن الجزائرية، وراحوا يصوبون عليهم وابل من الرصاص، ولم يتمكن الغزاة من الإفلات إلا بعد تسع ساعات من العمل المضنى[3].

لم تكن هذه التجاوزات ليتقبلها حمودة باشا وراح يجهز أسطولا به أربعة عشر مركبا حربيا وشحنها بالعسكر، وأمر عليها القبطان محمد رايس المورالي الذي خرج ليلة الثلاثاء 7 ماي1811م- 1226هـ وكان أكثر رؤساء المراكب من الأرناؤوط فأنفوا من تقديم محمد المورالي عليهم، ولما التقى بمراكب الجزائر خذله جنده[4]، ويذكر أن المورالي قد صمد في القتال على متن بارجته لمدة 6 ساعات ولم يستسلم إلا بعد أن تحطمت سفينة تماما، فأسر وسيق إلى الجزائر حيث أعدم على حطام بارجته، أما بقية وحدات القوة التونسية فقد اتجهت بسرعة إلى ميناء مدينة المنستير، ومما يجدر ذكره هنا هو أن هذه المعركة البحرية قد خلفت 41 قتيلا جزائريا و230 تونسيا [5]، وتمكنوا من أخذ فرقاطتين و46بندقية أضيفت إلى الأسطول البحري الجزائري[6].

بالرغم من حالة الحرب التي كانت قائمة بين الإيالتين، لكن لم يندلع قتال آخر بينهما بعد الحرب البحرية الأولى والتي كانت مياه سوسة مسرحا لها في شهر ماي 1811م، حيث ظلت العلاقات بين البلدين مقطوعة، كما ظلت القوات التي خصصتها الإيالتين لمراقبة تحركات الجانب الآخر على طول الحدود في حالة

1- Abdeldjelil Temimi**, Recherche et documents d'Histoire Maghrébine L'Algérie- La Tunisie- et La Tripolitaine 1816- 1871**, Publication de la Revue d'Histoire Maghrébine, Tunis, 1980, V3, p37.

2- أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص106.

3- رشاد الامام، المرجع السابق، ص400.

4- أحمد ابن أبي الضياف، المصدر السابق، ص67.

5 - رشاد الامام، المرجع السابق، ص401.

6- Albert Devoulx , La Marine de la régence D'Alger, **R.A**,N°13, Alger, 1869, p415.

استنفار، في حال البلد الآخر قرر المجابهة، بالرغم من وجود دعاة للصلح في ديواني الإيالتين طول فترة الانقطاع غير أن الكبرياء والأهداف حالت دون وضع حدا للصراع المنشود[1].

تجدد الصراع نتيجة تعصب حكام الجزائر من أجل استرداد مكانتهم بتونس، حيث تجسد الغضب الجزائري في 24 جويلية عام1812م لما جاء إلى مرسى حلق الوادي أسطولا حربيا جزائريا مكونا من تسعة عشر مركبا ولديه أوامر من حكامهم لمحاصرة المرسى التونسي، إلا أن هذه المحاولة كان هدفها جس نبض الباي التونسي حمودة باشا فيما إن كان هناك محاولة للصلح، حيث سلمت رسالة للباي المذكور بخصوص عقد صلح نهائي بين الإيالتين شريطة أن تفي بالتزامها، والمعلوم أن حمودة باشا التونسي كان يرفض بشكل قاطع الالتزام بها ولا يريد في أية حال من الأحوال بأن تبقى تونس تابعة للجزائر، وكان أحد هذه الشروط حمولة زيت الزيتون التونسي لها، ولكن هذا الإلتزام رأى فيه حمودة باشا نذر ديني شخصي ولهذا سيوافق على الإرسال[2]، ولكن الأهم عند الباي التونسي أنه تخلص من الإلتزام المالي، الذي كان يعتبر ثقلا كبيرا على الإيالة التونسية سواء من الناحية الاستقلالية للبلاد أو حتى من الناحية الإقتصادية لها.

وصلت أصداء هذه الحرب البحرية إلى السلطان العثماني حيث أدرك مخاطرها، ولهذا استدعي قابودان البحر آنذاك خسرو باشا والي تونس الموجود بأزمير محمد غرنبو في 7جمادى الأولى سنة1227هـ – 1812م وطلب منه القدوم لمعرفة الأمور الحاصلة في الإيالتين، وعن أسباب الصراع القائم طول هاته المدة ولماذا لم يتم الصلح بينهما، ولقد أبلغه الوالي بكل ما يعلم به وعلى إثرها أرسل السلطان العثماني فرمانا يقضي بفرض الصلح بين الإيالتين والإلتفات إلى الأخطار الأجنبية المترصدة بهما[3]، كما شدد على ضرورة إنهاء الصراع بين الايالتين وأن يعم الوئام بينهما وإلا لن يحصل خيرا حيث هدد السلطان إيالة الجزائر بأن يغلق موانئ المشرق في وجهها ويعتبرها من اليوم من الإيالات المتمردة باعتبارها المتعدي الدائم على تونس[4].

رفض تونس لدفع إلتزاماتها المالية إتجاه الجزائر والتي هي بحاجة إليها لم يستسغه الداي الجزائري، ولهذا لم يأخذ بكلام القابيجي، وعلى هذا الأساس أمر القائد الجزائري جنوده بإطلاق النيران على قلعة ميناء حلق الوادي، والمرجح ذكره هنا أن القلعة كانت محاصرة من طرفهم، وقد تصدى لهم الأسطول التونسي بقيادة يوسف صاحب الطابع على رأس مائة وخمسة وسبعين من الشواني على رأس كل واحدة منها مدفع ومنها ما

1- ألفونص روسو، المرجع السابق، ص299.

2- نفسه، ص ص299، 300.

3- أ.و.ت، س.ت.ت، الصندوق 223،الملف 384، وثيقة105. أنظر محتوى الفرمان الملحق رقم 08،ص 249.

4-Eugéne Vayessette, op.cit, p p 441,442

عليه مدفعان [1]، وكانت النتيجة أن تعطبت سفن الجزائريين وأرجعوا أدراجهم وقبل رحيلهم سطوا على بعض المراكب التابعة لتجار تونسيين[2].

ج.2.2. الحرب البحرية الثانية1813م:

أولى حمودة باشا منذ توليه العرش التونسي بتدعيم القوة العسكرية وخاصة بناء السفن، ولقد بلغت القوة التونسية البحرية آنذاك ستون سفينة مختلفة[3]،حيث أرسل له السلطان العثماني في هذه الفترة أمرا يطلب منه إرسال بعض السفن التونسية من أجل المشاركة في الأسطول الهمايوني[4].

ولعل تخوف الجزائر من هذه القوة البحرية جعلها تدخل في حرب جديدة مع تونس من أجل إضعافها سواء إقليميا أو حتى الإنقاص من مكانتها لدى الباب العالي، ففي 13من شهر رجب سنة1227هـ الموافق لـ23جويلية1813م جهز حكام الجزائر أسطولهم وحاصروا بها حلق الوادي، وهناك كانت المعركة البحرية الكبرى ووقع بين الإيالتين قتال عظيم، حيث أسفرت المعركة عن انتصار الأسطول التونسي، ورد الجزائريين على أعقابهم بعد أن عطبت العديد من سفنهم [5]، كما خسرت الجزائر في هذه المعركة العنيفة حوالي200رجل وأربع مراكب كبيرة[6].

معارك بحرية وأخرى برية سارع بها الطرفان إلى إنهاء أو تواصل الهيمنة سيكون فيهارابح واحد في الأخير، رغم خسارة الطرفان خسائر بشرية ومادية بسبب التعصب التونسي والغضب الجزائري، فالجيوش البرية في هذه الفترة هي الأخرى لها نصيب من الحروب حيث نجد حمودة باشا التونسي يأمر قواته بالتوجه نحو الحدود الجزائرية في 12أكتوبر1813م، أما الجيش الجزائري فقد أخذ مواقعه في مواجهة مدينة الكاف داخل الأراضي التونسية، وما إن وصل يوسف صاحب الطابع حتى بدأت المناوشات بين الجيشين، والتي انتهت بانسحاب الجيش الجزائري ولحقهم الجيش التونسي إلى غاية الحدود حيث توقف، وتابع الجزائريون طريقهم إلى قسنطينة ومنها إلى عاصمة الإيالة الجزائر، وبعد اطمئنانهم برحيلهم أمرهم الباي حمودة باشا بالرجوع إلى

1- السايح فيلالي، المرجع السابق، ص95.

2- رشاد الإمام، المرجع السابق، ص 402.

3- رشاد الإمام، المرجع السابق، ص 403.

4- أ.و.ج، خط همايون 39007تاريخ 1228 – 1813م

5- رشاد الإمام، المرجع السابق، ص403

6- السايح فيلالي، المرجع السابق، ص98.

العاصمة بعد إبقاء حامية قوية في مدينة الكاف تحسبا لأي خطر جزائري[1]، **والسؤال المطروح هنا هل سيكون للجزائر محاولات أخرى لردع تونس، أم أنها ستخضع للظرفية المحتومة عليها؟**

ج.3.2. المحاولات الجزائرية لردع تونس:

لم تيأس الجزائر من محاولات إخضاع تونس لها مجددا حيث راح في شهر جوان من عام 1814م محمد بن نعمان باي قسنطينة لحصار الكاف، لكنه فشل في محاولاته لأن المدينة كانت محصنة من طرف حمودة باشا[2]، ويرجح سبب فشله في إخضاع تونس هو وجود جنود فرنسيين وحتى أسلحة فرنسية في الجيش التونسي مما أفشل مهمته[3]، ولكن مع وفاة حمودة باشا عام 1814م اختلفت سياسة من خلفه في الحكم حيث مال ابنه عثمان باي والذي خلفه في العرش إلى السلم مع الإيالة الجزائرية، حيث وبعد ثلاثة أشهر فقط من تعليه العرش اقترح الصلح على الجزائر، لكنه لم يفلح هو الآخر لأنها اشترطت عليه تخريب حصن الكاف وإحترام معاهدة1756م، والتي يعتبرها الحكام التونسيين المعاهدة المهينة لهم[4].

بقيت العلاقات متوترة بين الطرفين ولأن الظرفية الدولية حتمت عليهما الالتفات لوضعهم الداخلي، وخاصة بعد انعقاد مؤتمر فيينا الذي أفضى إلى ضرورة إنهاء نشاط القرصنة في حوض المتوسط، حيث دخلت الجزائر في حرب مع أغلب الدول الأوربية التي اجتمعت في مؤتمر فينيا فيما بعد، واستغل ممثل بريطانيا هذا الهجوم لإثارة الدول الأوروبية ضدها، وقرر المؤتمر بالفعل وضع حدا نهائيا لتصرفات القراصنة في الحوض الغربي للبحر المتوسط، ولظاهرة استرقاق المسيحيين.

ولهذا سارعت بريطانيا بتجهيز حملتها بقيادة اللورد إكسموث متجهين نحو الجزائر للمطالبة بالأسرى الذين هم من الجزر الأيونية فتكون بذلك إنكلترا قد حسمت حمايتها على تلك الجزر، حيث طلبت بفك أسر أبناءها باعتبارهم رعايا إنكلترا، وتكون قد قامت في نفس الوقت بتصفية حسابها القديم مع الديوان، كما عرضت هولندا على اكسموث المشاركة في حربه ضد الجزائر، وعليه سارت القوات البحرية الانكليزية–الهولندية المشتركة إلى أن وصلت أمام العاصمة مساء 26أوت1816م[5]، وبدأ في التفاوض مع داي الجزائر الداي عمر وطلب منه حسب التقرير الذي بين أيدينا أن يقوم بعقد صلح مع كل الدول الأوربية المعادية له بدون

---

[1]- رشاد الإمام، المرجع السابق، ص435.

[2] -Abdeldjelil Temimi, op.cit, p37.
[3]- Eugéne Vayessette, op.cit, p p 441,442.
[4]- Ibid, p441.

[5]- محمد مبارك الميلي، المرجع السابق، ص 262.

تقييد مادي مع ضرورة إطلاق سراح الأسرى الأوربيين، وليس هذا فقط وإنما طالبهم بعدم التعاطي مع موضوع الأسرى لا بيع ولا شراء نهائيا[1].

وفي نفس الوقت كان داي الجزائر قد وافق على إطلاق سراح الأسرى السردينيين بعدما طلب منه اللورد اكسموث ذلك، لأنهم يعتبرون رعايا انجليز والبالغ عددهم خمسون (50) أسيرا مقابل ألف ريال لكل رأس، ولكن زاد تعجرف اللورد وطلب منه إطلاق سراح الأسرى النابولياتيين البالغ عددهم 1200أسير مع دفع نفس المبلغ على كل رأس، لكن الداي لم يتقبل الأمر باعتبار النابوليتان مملكة مستقلة، ومن المفروض حاكمها هو من يتكلم عنهم لكن اللورد سايسه في الرد وقال له أن المبلغ سيدفع، فما كان على الداي إلا أن يوافقه في الطلب بحكم العلاقة الطيبة التي تجمعهم مع الدولة العثمانية[2].

إلا أن داي الجزائر لم يتقبل ولم يستسغ طلب إنهاء قضية ممارسة الأسر وأنها ظاهرة قديمة وفيها منفعة لهم، وطلب من المفاوض إعطاءه مهلة ستة أشهر على الأقل من أجل التشاور في هذا الموضوع ومشاورة السلطان العثماني أيضا، وإن قبل الطرف الآخر أمر المشورة، ولكن تراجع عنه في اليوم الموالي وشرع في القدوم مع سفنه إلى أطراف مدينة الجزائر حاملين معهم راية الصلح والسلام، ناقضين الإتفاق وطلبوا الرد على موضوع الأسرى في مدة ساعة، ولم ينتظر اللورد جواب داي الجزائر حتى بدأ في إطلاق المدافع[3]، فما كان على الحرب إلا أن تندلع، ولقد نشبت بينهما معركة عنيفة وألحق ضرر كبيرا بالأسطول الجزائري، حيث أضرمت النار فيها، وبكل تأكيد انتهت المعركة لصالح الإنكليز، ما اضطر الداي بقبول شروطها في الأخير والتي كان من بينها:

1. وضع حد لإسترقاق المسيحيين في المتوسط ووضع حدا للقرصنة المغاربية.
2. إطلاق سراح كل الأسرى المسيحيين الذين كان عددهم حوالي 1200 أسير.
3. دفع تعويضات للذين كانوا قد دفعوا مبالغ مالية مقابل افتداء الأسرى المسيحيين[4].

يذكر التنلالي الذي كان شاهدا على الحملة حيث كان زائرا لمدينة الجزائر آنذاك أنه تم حرق جميع السفن الجزائرية المقدرة بأربعة عشر سفينة، إلا سفينة واحدة بقي شيئا منها، وراح يوصف لنا حال المدينة

1- أ.و.ج، خط همايون 22486 تاريخ 1231هـ ورقة رقم 02.

2- أ.و.ج، خط همايون 48979 تاريخ 1231هـ .

3- نفسه.

4- محمد مبارك الميلي، المرجع السابق، ص 264.

وقتها وقال: «...**وهو أعظم نكاية لم يبق فوقها نكاية، وصارت تلك الليلة في الجزائر مع نهارها سواء ولولا شدة المبالغة لقيل ضوء تلك الليلة أشد من ضياء الشمس.** »[1]، وحتى تونس كان لها نصيب من هذه الحملة حيث راسل الجنرال الانجليزي محمود باي تونس وأخبره بأن الإنجليز قد انتصروا على الجزائر وألزموهم بقبول شروطهم، ويطلب منهم تسريح جميع الأسرى النصارى الذين في تونس إكراما لدولة الإنجليز[2]، والواضح أن إنتصارهم على الجزائر قد مهد لهم الطريق لكي يلقوا بظلالهم على الإيالات المغاربية ومن بينهم تونس.

أثرت حملة اللورد اكسموث على الأسطول الجزائري حيث دمرت تقريبا كل السفن ، والتي قام عمر باشا بإصلاحها فيما بعد [3]، تحسبا من استغلال حكام تونس هذا الخراب الذي حل بالأسطول الجزائري إلا أن تونس استغلت الموقف، وراحت وحداتهم الحربية البحرية تتحرش بقطع الأسطول الجزائري، ولكن لم يستطيعوا الوصول إلى أي نتيجة[4]، ويذكر أن الجزائر استطاعت بناء أسطولها في فترة قصيرة سواء من ناحية البناء أو الشراء للسفن الحربية، كما أرسل لها السلطان العثماني بعض السفن مع سلطان المغرب وباشا طرابلس وكلهم ساهموا في إرجاع الأسطول الجزائري من جديد بحيث أصبح قادرا على القيام بكل مهمة توكل إليه[5].

بالرغم من أن الايالتين كانتا في مرحلة صلح والذي انعقد سنة 1817م بمباركة السلطان العثماني وبمبادرة جزائرية لأن الداي علي خوجة أقر ضرورة الصلح مع تونس لأن وضع الإيالة الجزائرية ليس بحال جيد، ولقد وقع الصلح في السنة السالفة الذكر[6]، إلا أنه ومع شهر مارس سنة1820 وقعت حادثة أحدثت الفزع في أروقة قصر باردو حيث عبرت قوة من الفرسان الجزائريين التابعين لبايلك قسنطينة وقامت بالإغارة على الأراضي التونسية، ما أزعج الباي التونسي محمود باي الذي اعتبره تصرف غير لائق وخاصة وأنهما في مرحلة صلح، ولهذا عجل بإرسال حوالي الألف من فرسانه إلى منطقة التوتر وتحت إمرة أحد قواده الكبار، وفي نفس

1- عبد الرحمن بن ادريس التنلالي التواتي، **مخطوط لا يحمل عنوان(مضمونه رحلة عبد الرحمن بن ادريس التنلالي التواتي من توات إلى الجزائر العاصمة سنة 1816م- 1231هـ)**، موجود بخزانة الشيخ سيدي عبد الله البلبالي، كوسام أدرار- توات- الجزائر، ورقة رقم 07.

2- أ.و.ت، س.ت.ت، الصندوق223 الملف384، وثيقة رقم 112.

3- De Reynaud E.Pellissier, **Annales Algériennes**, Libraire Militaire, paris, 1854, p16.

4- السايح فيلالي، المرجع السابق، ص99.

5- ويليام شالر، **قنصل أمريكا في الجزائر1816- 1824م**، تق وتع وتعر: اسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص62.

6- أ.و.ت، س.ت.ت، الصندوق221 الملف354 وثيقة رقم02.

الوقت كان قد أرسل أوامر لإبنه الذي تقدم على رأس محلته بالجريد نحو الحدود التونسية الجزائرية لحمايتها، ولكن كل هاته الإستعدادات لم يكن لها داع بيد أن الفرسان الجزائريين لم يتقدموا داخل التراب التونسي كثيرا وإنما أغاروا وأخذوا معهم بعض الأسرى وقطعانا من ماشية التونسيين، وعلى إثر هذا الخبر تراجعت القوات التي كانت مهيأة لهذا الظرف[1]، ولكن هذا التصرف الذي أحدث من طرف الفرسان الجزائريين جعل الباي التونسي يشك في نوايا الحكام الجزائريين بعد نقضهم لمعاهدة الصلح، ولهذا بادر إلى استعدادات السرية في حال ما قررت الجزائر إعلان حرب عليها، والواضح أن هدفه كان الدفاع عن استقلالية بلاده والتخلص من التبعية التي أثقلت كاهل إيالته وحتى يحقق ما كان يسعى إليه والده حمودة باشا.

في هذه الأثناء تولي الداي حسين حكم إيالة الجزائر والذي أعاد إشعال الحرب مع تونس، حيث تمكنت البحرية الجزائرية من الإستيلاء على بعض السفن التونسية التجارية، مما جعل حكام تونس يركزون استعدادهم أكثر من ذي قبل، وتمكنوا من تحضير أسطول يتكون من عدة سفن ولكل سفينة رئيسها الخاص، إلا أن هذه الاستعدادات لم تحقق أي نتيجة على مستوى الجزائر بل تحطم الأسطول التونسي إثر عاصفة هبت على ساحل تونس العاصمة، وتحطمت على إثرها كافة الوحدات البحرية التونسية وهذا في 7 فيفري1821م[2]، أمام كل هاته المستجدات نطرح تساؤلا آخر لا يقل أهمية عن تلك التي طرحت سابقا، **هل أخذت الدولة العثمانية دور المتفرج كل هذا الوقت، أم تحركت بعد فوات الآوان والصراع قد وصل أشده؟**

ج.3. وساطة الباب العالي وإنهاء الصراع الجزائري التونسي عام 1821م:

لم يكن في وسع الباب العالي العثماني ألا يكترث للعداء الظاهر للعيان بين الإيالتين، حيث كان حريصا عليهما بإعتبارها تابعيين للدولة العثمانية، ولهذا نرى السلطان العثماني محمود خان يبعث رسلا يطلب منهم إرسال كل طرف رجلا من الوجاق لكي يحضر عنده لينظر في أمر الجميع، فذهب من تونس رجل من خيارهم وذهب من الجزائر رجلا من أقل الناس عقلا ورأيا، ولقد علق الشريف الزهار على الشخص المرسل وقال: لو أن الأمير بعث برجل من المرسطان " قصده دار المجانين " لكان أحسن من هذا الداب، ومع وصول الطرفان إلى حضرة السلطان العثماني، أمر هذا الأخير وزيره الأعظم بجمع هذين الرجلين والكلام معهم والاستفسار عن أمرهم، فلما اجتمعوا عند الوزير سألهم عن كيفية هذه العداوة الواقعة بين الأمراء فتكلم

1- ألفونص روسو، المرجع السابق، ص337.

2- السايح فيلالي، المرجع السابق، ص100.

التونسي وأخبره عن القضية وعرف كيف يتكلم مع خضوع وأدب وأظهر أن الحق لهم، وأنهم مظلومون وأن التعدي واقع من أمراء الجزائر[1].

انتهي المرسول التونسي من كلامه وأعطي الإذن بعدها للمرسول الجزائري وكما أسماه صاحب الزهار بالداب فراح يقول:« **هذه تونس كنا أخذناها سابقا وأصبح أهلها رعية لنا، وكنا نأخذ منهم الغرامة كل سنة، ثم أنهم عصونا فصرنا نأخذهم ونأخذ بلادهم، أن التوانسة رعية لنا مثلما الكريك رعية لكم، فنأخذ نحن من التوانسة كما تأخذون من الكريك، وكان كلامه بالعنف والبغض وقلة الأدب فانفعل الوزير من كلامه وقال له: إن البلد من بلاد السلطان ولا يمكن أن تقع عداوة بين المسلمين، وأهل تونس قائمون بأنفسهم مثلكم، أما العطاء الذي كان أوائلهم يعطونكم فقد كان هدية، والآن لا حق لكم عليهم، فازداد الرسول الجزائري غضبا وتلجلج لسانه، ولم يقدر على الجواب**»[2]، ثم افترق الجمعان بعد إخبار الوزير بكلام الرسولين وعليه أمر بالصلح بينهما، وعلى هذا الأساس انطفأت نار الفتنة التي كانت بين الفريقين.

وصلت الفرمانات للإيالتين وعلى إثرها تم الصلح وفرح سكان الإيالتين به واستبشروا بإطفاء هذه الفتنة[3]، وعليه انتهى برعاية ومباركة عثمانية نهائيا عام1821م [4]، وما يعاب على الدولة العثمانية أنها بالرغم من أنها لم تتدخل كثيرا في إخماد نار الفتنة إلا أن التدخل الأخير كان حازما، ومن هذه اللحظة صرفت الجزائر نظرها عن تونس نهائيا، ولم يصبح لها أي دخل في شؤون تونس ولا في هرم سلطتها وأصبح للتونسيين حرية اختيار من يحكمهم، ونراهم يرسلون للسلطان العثماني عريضة من طرف الأهالي من أجل تعيين الحسين على رأس الإمارة لما له من خصال [5]، وهذا دلالة على أن الجزائر لم يعد لها دخل في الهرم السياسي التونسي، ولم يكن بمقدورها فرض سلطانها وإرجاع هيبتها ومكانتها بالإيالة، لأن الوضع قد تغير كليا فالظرفية الحالية للجزائر لم تعد مواتية.

---

[1]– أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص ص146، 147

[2]– نفسه، ص147.

[3]– نفسه.

[4]- Lucien Chaillou, **L'Algérie en 1781 –Mémoire de consul G.Ph Valliere par: Lucien Chaillou** , Imprimerie Nouvelle, Toulon, 1974, p34.

[5]– أ.و.ج، خط همايون 27144تاريخ 1239هـ.

ودليل أن الإيالتين قد رضيا بما قرره السلطان هو تعاونهما فيما بعد في حرب بجانب الدولة العثمانية، وهذا بعدما أصدر بعد فترة قصيرة فرمان يقضي بمشاركة الإيالات التونسية والجزائرية عام 1821م حيث أمرهم بالتعاون من أجل نسيان أخطاء الماضي والتعايش في سلام [1]، وهذا الفرمان كان بمثابة بداية صفحة بيضاء بينهما هذا من جهة، ومن جهة أخرى من أجل النهوض ببلديهما والتعاون من أجل صد أي عدوان أو خطر يتربص بهما خاصة مع ثلاثينات القرن التاسع عشر والذي أصبح النفوذ الفرنسي يتخذ فيه شكلا آخر شيئا فشيئا.

إستنتاج جزئي:

- يستنتج مما سبق أن رسم الحدود أصبح ضرورة حتمية بين البلدين تونس والجزائر، لأن نشاط القبائل الحدودية أصبح يشكل خطرا كبيرا عليهما ولهذا سطرت الحدود رسميا مع سنة 1628م، لأن صيرورة بناء الدول تقتضي هذا الشرط.

- انتهز العسكر الجزائري الصراع القائم في تونس واستغل فرصة استنجاد حكام تونس سواء بايات أو دايات له ليشن حملات عسكرية عليها رغم إختلاف أسبابها ومجرياتها مثلما حصل في عهد الداي شعبان لما استدعاه الداي التونسي ابن شكر سنة 1695م، أو التغيير الجذري الذي حصل بسبب حملة الداي مصطفى سنة 1705م حين اعتلى الحسينيون العرش التونسي بعدما قضوا على إبراهيم الشريف، وإن اختلفت الأسباب والأهداف ولكن النتيجة المرجوة كانت لزيادة حضورها بها وتدخلاتها المباشرة والغير مباشرة عليها دليل ذلك، كم أنها لم تحاول بتاتا ضم التراب التونسي لها وإنما الضريبة والإمتيازات كان كافيا لها .

- سعى حكام تونس مع أواخر القرن الثامن عشر لتحقيق التوازن مع الجزائر خاصة مع عهد حمودة باشا الذي سعى جاهدا للتخلص من الهيمنة الجزائرية ومن الإمتيازات التي تحصلت عليها من خلال المعاهدة المهينة عام 1756م والتي أخضعت تونس كليا للجزائر، ما أجبره للصد عنها ويحاول فرض التكافؤ معها، وتجلى ذلك في الحروب الذي قامت مع البلد المجاور الجزائر مع مطلع القرن19م تمثلت في حروب برية وأخرى بحرية انتهت مع صلح عام 1821م، ولولا السلطان العثماني الذي تدخل وأنهى الصراع بشكل فعلي لفنى من فيها.

[1]- أ.و.ج، خط همايون 38548، تاريخ1237هـ.

– إن انشغال الدولة العثمانية هو الذي جعل الصراع بين البلدين يتأجج أكثر فأكثر، مما سمح للجزائر أن تفرض حضورها في تونس تارة بشكل ايجابي من خلال فرضها للأمان وإنهاء الحروب الأهلية بها وتارة أخرى بشكل سلبي وهي فرض تبعية تونس لها والمتمثلة في إلزامها بدفع الضريبة السنوية، ورغم محاولاتها لإخضاعها مجددا، لكن الظرفية حتمت عليها التراجع والقبول بالأمر الواقع وخاصة بعد إحتلال فرنسا لها سنة1830م .

الفصل الثالث

النشاط الإقتصادي الجزائري في تونس

مابين 1628م- 1830م

أ. المنتوجات الجزائرية المسوقة نحو تونس

أ.1. تجارة الماشية الجزائرية في الأسواق التونسية

أ.1.1. سعر المواشي

أ.2.1. الدين في المعاملات التجارية

أ.2. الأصناف الزراعية والصناعية

أ.1.2. السلع التونسية المصدرة نحو الجزائر

أ.3.2. تحليل ومقارنة بين كمية التسويق للإيالتين

ب. سير القوافل التجارية الجزائرية نحو تونس

ب.1. تعريف القافلة

ب.2. مستلزمات القافلة

ب.3. أهم الطرق التجارية بين الجزائر وتونس

ج. الامتيازات الجزائرية في تونس

ج.1. الهدايـــا والإحسانات

ج.2. الإمتيازات الجزائرية بجزيرة طبرقة

د. نشاطات التجار الجزائريين في تونس

يشكل النشاط الإقتصادي بإختلاف أنواعه محورا مهما في رسم طبيعة العلاقات بين الدول، حيث شكلت القوافل التجارية رابطا مهما في التواصل بين الإيالتين الجزائرية والتونسية وتفعيل الحركية التجارية بينهما بمختلف نشاطاتها حيث مست أغلب مواطنهما، ولذا نرى أغلب الدول تعمل دائبة للإستيلاء على غيرها لتجعل منها أسواقا لبضائعها وعلى إثرها تكون التجارة الخارجية مربحة للطرف المسيطر، وعليه فإن الإنتصارات التي حققتها إيالة الجزائر في تونس على عدة فترات متقطعة خلال العهد العثماني كان رهينة شروط اقتصادية مقابل تقديم دعم سياسي وحتى عسكري وهذا من خلال تقديم تسهيلات تجارية وإمتيازات عينية، حيث أصبح النشاط التجاري مع تونس يضمن لها موردا اقتصاديا هاما، خاصة خلال القرن الثامن عشر للميلاد والذي اتخذناه نموذجا للنشاط الإقتصادي الجزائري مع تونس لما يتوفر فيه من معلومات وهذا وفق مصادر أرشيفية تثبت ذلك أيضا.

أ. المنتوجات الجزائرية المسوقة نحو تونس:

شكلت التجارة إحدى وسائل الاتصال والترابط بين تونس والجزائر خلال العهد العثماني، حيث عرفت حركة تجارية متبادلة ولكن ما يهمنا هو الحركية التجارية الجزائرية في تونس، من خلال طرحنا للتساؤل الآتي: **وماهي أهم السلع الجزائرية التي كان تسوق بإيالة تونس؟**

أ.1.تجارة الماشية الجزائرية في الأسواق التونسية:

كان بايات تونس لا يرفضون ما يتم إرساله لهم من المواشي الجزائرية وخاصة صنف البقر الذي أصبح كمنتوج محتوم عليهم تسويقه في تلك الفترة استجابة لرغبات الداي الجزائري وكبار مساعديه، حيث كان الباي التونسي يقبل ما يرسلونه من أبقار وإبل وغير ذلك من الماشية لتباع في تونس بالسعر الذي يحددونه هم ليباع في أسواقها ثم يبعث بثمنها إليهم خاصة صنف البقر(1)، الواضح هنا أن الجزائر لم تفرض وجودها السياسي والعسكري فقط خلال هذه الفترة، وإنما حتى في الجانب الإقتصادي فالماشية الجزائرية تباع قبل الماشية التونسية وفي الأسواق التونسية، فتشير وثيقة مؤرخة في أوساط شهر محرم 1173هـ أي ما يوافق 1758م تتضمن قدوم على فريكح وكيل الجزائر بتونس محمل برؤوس البقر والتي وزعت حسب الوثيقة على المناطق الآتية:

1- عمار بن خروف، العلاقات السياسية ...، المرجع السابق، ص208.

الجدول رقم02: بيان البقر الذي قدم به الوكيل علي فريكح من الجزائر وتفرق على الأوطان التونسية مثلما ذكر بعد أواسط محرم الحرام سنة 1758م لكي تباع في الأسواق التونسية :[1]

رؤوس البقر	بيعت على يد...
149	**على يد أحمد العلاف في منطقة قليبية**
149	**على يد عبد الله بن عبد الصمد في منطقة المنستير**
149	**على يد منصور بن علي في منطقة سوسة**
149	**على يد محمد الأصرم في منطقة صفاقس**
124	**علي بن ساسي في منطقة تبرسق**
149	**محمد عيسى دفروف في منطقة ماطر**
150	**قائد بنزرت وقائد رأس الجبل**
149	**على يد صالح بن ساسي في منطقة باجة**
149	**الحاج بنور في منطقة رباح**
149	**أمناء جزارات تونس والجلابة**
20	**علي الجزايـرلي**
01	**محمد بن طريف**
01	**الفقيه عبد الستار**
إجمالي1488رأس بقر	**–**

الملاحظ في هذه الوثيقة أن إيالة الجزائر قد أرسلت أعداد كبيرة من البقر لكي تسوق في الإيالة التونسية، حيث قدر عدده حسب هذا التقييد أي سنة1758م والتي قام بجلبها علي فريكح بمجمل 1488 رأس بقر ووزعت على مختلف مناطق إيالة تونس وبطريقة غير متساوية، بحيث أخذت بنزرت العدد الأكبر ومقدر ب150رأس بقر، أما ثمان مدن أخرى فلقد أخذت نفس العدد والمقدر ب149 رأس بقر أما الباقي فمتفرقات، ولقد وزعها وكلاء الجزائر بها وبيعت على يد قياد المدن المذكورة، والناتج أنها بيعت كلها ومن المؤكد سيصل ثمنها إلى داي الجزائر، وفي نفس التقييد أيضا يذكر أنه أرسلت الجزائر مجموعة من رؤوس البقر

[1] أ.و.ت. الدفتر الجبائي رقم 100وثيقة 37. أنظر محتوى التقييد في الملحق رقم09، ص 252.

لإيالة تونس أي سنة 1172هـ- 1758م بعد أواسط شهر محرم حيث بعث 223 رأس بقر وقسم على جزارة تونس والجلابة على يد قاسم عزاز أمين الجزارة وقبض ثمنها من طرف محمد بن الساهل وقدر ثمنها 2676ريال[1]، وذكر في مكان أخر أنه لما توجه الباش كاتب أحمد الأصرم للجزائر مع هدية في أكتوبر1171هـ- 1758م، أنه دفع لعلي فريكح 13500ريال في حق 1500 رأس بقر التي أرسلها باي قسنطينة بسعر 9 ريالات للرأس الواحد، ودفع198ريالا لأحمد بن حمزة خديم الشيخ ابراهيم بوعزيز شيخ الحنانشة في حق البقر الذي بعثه إليه هذا الأخير[2].

كما نجد في السنوات اللاحقة وثائق أخرى تكشف لنا كميات البقر المرسلة لتونس حيث تسويق هذا الصنف أصبح مثل الظاهرة والفضل يعود لنشاط الوكلاء والذي ساهموا في تنشيط حركية التجارة وخاصة فيما يخص المواشي ونذكر بالأخص الوكيل علي فريكح والحاج مسعود بن زكري ومحمد البرادعي، وعليه يتضح لنا أن إيالة الجزائر كانت ترسل أعداد كبيرة من البقر تقدر بالآلاف ما يصعب توزيعها في المجال التونسي، وإن كانت بأسعار مختلفة ولكن معقولة نوعا ما، والجدير بالذكر أن الباي كان يتحمل تعويض ما يموت أو يضيع أو يؤخذ.

رغم كل هذا إلا أن تونس دأبت على إستقبال كميات كبيرة من البقر والأنعام التي كان يرسلها لها من الجزائر ومن بايلك قسنطينة بغرض بيعها [3]، وهذا ما تؤكده وثيقة أخرى مع نهاية القرن الثامن عشر ميلادية والتي تتضمن تقييد البقر الذي أوتي من الغرب واشترى المولى حمودة باشا لزمته مابين سنتي 1211هـ/1212هـ - 1797/1796م، وأمر ببيعه مؤجلا، ومن جملة ما أتى من رؤوس البقر لكي تباع في أسواق تونس 1495 رأس وسعر الرأس قدر بـ 8ريالات، كما نلاحظ في البيانات الموجودة في نفس التقييد قدوم الوكيل الجزائري في تونس محمد البرادعي ومعه 1986 رأس بقر من إيالة الجزائر إلى تونس، وسعر البقر يتحدد من طرف حكامها كالعادة وباتفاق مع حكام تونس كي لا يحدث خلل في البيع والذي تتراوح سعره خلال هاته السنوات 16 ريال إلا ربع [4].

---

[1]- أ.و.ت. الدفتر الجبائي رقم 100 وثيقة 37.

[2] - عمار بن خروف، العلاقات السياسية...، المرجع السابق، ص20

[3]- رزيقة محمدي، " العلاقات التونسية المغاربية في عهد حمودة باشا (1782- 1814م)"، **مجلة الحكمة للدراسات التاريخية**، ع08، جامعة الجزائر، 2018، ص07.

[4]- أ.و.ت . الدفتر الجبائي 291 ، وثيقة 06.

مما يلاحظ فيما وفر لنا من تقييدات حول بيع رؤوس البقر بإيالة تونس أن الكميات تختلف من سنة إلى أخرى أحيانا تصعد وأحيانا تنزل، فمع سنة 1758م قدرت عدد رؤوس البقر التي قدمت من إيالة الجزائر وقسنطينة1488 رأس، ثم انخفض إلى 223رأس بقر، ونراها تتصاعد وتصل إلى 1495 رأس بقر ،كما نجد في سنة1797م يصل عدد رؤوس البقر المبعوثة إلى 1986رأس بقر وهو عدد كبير لا يستهان به يصعب توزيعه وبيعه في الأسواق التونسية، خاصة وأن هذه الأخيرة لها منتوجها، أما فيما يخص السعر فإن يرتفع الضعف أحيانا فبعدما كان مسقرا ما بين في 8ريالات، ولكن مع سنوات متقدمة نراه يصعد لسقف15 ريال وهذا غير عادل، وكما يجدر ذكره هنا أن إيالة الجزائر هي من تضع السعر وتحدده دون الرجوع إلى تونس،.

الواضح أيضا أن عدد الأبقار تزايد خلال عهد حمودة باشا الرافض للهيمنة الجزائرية، ولكن مع أواخر العهد العثماني في الجزائر ووضعها السياسي الغير مطمئن، نلاحظ تناقص في إرسال العينات من البقر و المواشي إلى تونس، كما لعب الصراع الدائم بين الإيالتين دورا مهما في هذا التناقص أيضا، ولم تعد تنتعش الأسواق التونسية بهذه المواشي.

أما ماشية الإبل فهي لا تقل أهمية عن ماشية البقر، ولقد وجد ذكرها في أغلب التقييدات التي تخص هذا الشأن، حيث تكشف لنا وثيقة وهي موجودة ضمن دفتر يشمل على بيان مداخيل الدولة بتاريخ 1191هـ- 1193هـ/ 1777م-1779م وبه بيان الإبل التي أرسلت من طرف باي قسنطينة لأجل بيعها في الإيالة التونسية، وهي تشمل الآتي:

الجدول رقم 03: بيان مداخيل الدولة 1191هـ- 1193هـ /1777م-1779م وبه بيان الإبل التي أرسلت من طرف باي قسنطينة إلى تونس [1]

عدد الإبل	الموزع عليهم
4	عمارة بن الجرو
3	عمر الجزيري
10	أحمد بن الزهافي
170	رجب بن عياد (الوطن القبلي)
15	حسونة بن قبرار
6	محمد بن غانم
2	الأخضر الحلانبة
2	محمد بن الضيف البواب
311	على يد قياد الحرايرة (يحيز منها 3لمحمد بن علي بن مبارك)
523	المجموع

الملاحظ أن العدد المرسل غير كبير مقارنة بماشية البقر ولكن وزعت على تسع قياد، حيث أخذ قياد الحرايرة 311 رأس وأخذ رجب بن عياد 170 رأس، أما الباقي فوزعت بطريقة متفاوتة ومتقاربة، وكان مجملها 523رأس، ولكن لم يذكر مواطن التوزيع، وعليه فإن تونس كانت تستقبل كميات كبيرة من البقر والإبل التي كان يرسل إليها من الجزائر بغرض بيعها، فكان الناتج إنعاش الخزينة الجزائرية من جهة وجعلها سوقا للمواشي الجزائرية من جهة أخرى وتنتعش السوق التونسية بهذه المواشي، ولكن كثرة الكميات المرسلة وخاصة أن تونس هي الأخرى تتوفر عليه سيؤثر ويعود بالسلب عليها.

[1] أ .و.ت . الدفتر الجبائي رقم 206 وثيقة 9. أنظر محتوى التقييد في الملحق رقم10، ص 253.

أ.1.1.سعر المواشي:

أشار ابن أبي الضياف إليه حين قال: «... **أن صاحب الجزائر أو قسنطينة يشتري الأنعام ويبعثها إلى البيع بتونس بثمن يلوح بالإشارة إليه، فتعطل أهل البلاد عن بيع أنعامهم حتى يباع ما يأتي من الجزائر أو قسنطينة، والذي يموت من تلك الأنعام في الطريق والذي في أغلب الأحيان تدعي رعاته أنه سرق منهم في أرض تونس، فيزداد ثمنه على الثمن المطلوب..** » [1] وعليه فإن السعر يتحدد من طرف حاكم الجزائر أو قسنطينة ويكون ثمنه معتدلا في أغلب الأحيان، ففي وثيقة مؤرخة عن ستة أشهر بداية من شهر محرم إلى غاية جمادى الآخر 1171هـ- 1756م وهي بيان مصروف الزمام وبه مدفوع للحاج محمد القسنطيني الوكيل 10161 ريـــــال في حق البقر، كما دفع للشيخ ابراهيم بن بوعزيز في حق البقر الذي ضاع مبلغ 198ريـال[2]، الواضح من السعر المدفوع أن الجزائر أرسلت عدد لابأس به من البقر بيع ما وجد وأرسل ثمنه وحتى الذي ضاع عوضته الإيالة التونسية، كي لا تدخل في مناوشات مع باي قسنطينة أو داي الجزائر، كما تكشف لنا وثيقة أخرى حول بيع رؤوس البقر بإيالة تونس أن الكميات تختلف من سنة إلى أخرى، وفي نفس الوقت يتغير السعر فأحيانا يرتفع وأحيانا ينخفض ومرات يثبت في سعر واحد، فبعدما كان مسقرا ما بين 9ريالو14ريـال نراه يصعد لسقف15 ريال، وهذا غير عادل فأحيانا تصعد وأحيانا تنزل، وفيما يلي تقييد يكشف ثمن البقر الذي قبضته الجزائر من طرف وكلائها سنة 1179هـ- 1765م:

---

[1]- أحمد ابن أبي الضياف، المصدر السابق،ج3، ص 55.

[2]- أ.و.ت الدفتر الجبائي رقم 99 وثيقة 88.

الجدول رقم04: دفتر يشمل على مصروف الدولة وبه بيان مقبوض على يد الحاج مسعود بن زكري وعلي فريكح، ويحوي على ثمن البقر المرسول 1179هـ– 1765م: [1]

الثمن المقبوض	من يد
85500	من المعظم حسين دام علاه– يعادل 19000محبوب[2]
22500	من مصطفى خوجة– يعادل 5000محبوب
6075	الحاج بالنور في حق المواشي
2200	قبض في حق الثور الذي مشى إلى القيروان من أجل الحرث
9550	قبض في حق 1500 رأس بقر
6950	من بيت الخزندار في حق البقر
200	في قبض علي فريكح في حق 4جمال
4	في قبض علي فريكح
133049ريال	الإجمالي

الملاحظ أن أعداد هائلة دخلت الإيالة التونسية من جملة البقر سواء المرسول للحرث في القيروان والذي يبنه الثمن المدفوع لأجله، أو حتى الظاهر والذي بلغ 1500 رأس بقر، بخلاف الموزع والمقبوض ثمنه، ومن المؤكد أيضا قد أخذ الخزندار عددا لا بأس به من البقر، وإن كان العدد غير محدد ولكن الثمن المقبوض دلالة على أنه أخذ كمية كبيرة أيضا، والواضح أن معاهدة 1756م كانت سبب رضوخ تونس للجزائر والتي هيمنت عليها هذه الأخيرة بطريقة غير عادلة خلال هذه الفترة بالذات، فبيع البقر قبل المواشي التونسية وبسعر تحدده الجزائر سيؤثر حتما على المنتوج التونسي وعلى الخزينة التونسية أيضا والتي ستصاب بعجز كبير.

لم يحدد في الدفتر السابق إن كانت بصيغة البيع الطلوق ولكن الثمن المقبوض دلالة على العدد الكبير الذي أرسل، أما صيغة البيع بالطلوق والذي يكون ثمن رأس بقر واحد مضاعف على البيع المباشر، فبعدما كان سعره أقل من15 ريال أصبح مع صيغة البيع المؤجل يصل إلى 30ريال وأكثر، وهذا ما يؤكده التقييد الذي بين أيدينا ولقد اتخذناه نموذجا للتبيان حيث يشتمل على بيان به ثمن البقر ومن باعه والذي قدم

1- أ.و.ت . الدفتر الجبائي رقم139وثيقة 2 . أنظر محتوى التقييد في الملحق رقم11، ص254.

2- محبوب يعادل أربع ريالات. ينظر: خليفة حماش، **كشاف وثائق تاريخ الجزائر في الأرشيف الوطني التونسي**، ط2، منشورات كلية الآداب والحضارة الإسلامية، قسنطينة، 2016، ص358.

من الغرب(يقصد الجزائر وقسنطينة) واشتراه حمودة باشا باي تونس ما بين سنتي 1211هـ-1212هـ/1796م-1797م وبيع مؤجلا، ولقد أخذنا عينة فقط لتبيان سعره وهو كالآتي:

الجدول رقم05: بيان به ثمن البقر قدم من الغرب(يقصد الجزائر وقسنطينة) واشتراه المعظم الأرصم حمودة باشا سيدنا دام عزه وأذن ببيعه بالطلوق أي مؤجلا سنة 1212هـ-1797م[1]:

سعر البقر بصيغة البيع بالطلوق	بيعت على يد الموزع عليهم
35 ريـــــال	محمد السايس ومرزوق الجلاصي
31 ريـــــال	محمد بن دخيل علي يده
37 ريـــــال	محمد بن محمد بن عيسى على يده
36 ريـــــال	محمد بن فرج على يده
37 ريـــــال	محمد بن رجب الوريدي على يده
35 ريـــــال	عبد الرزاق بن عبد الرحمن على يده
36 ريـــــال	حسين بن فرج بن قاسم
30 ريـــــال	محمد بن داوود

نلاحظ أنه من الصعب تصور هذا السعر المرتفع والمبين في الجدول أعلاه حيث أن سعر البقر الذي يباع في الأسواق التونسية لم يثبت في رقم واحد ونراه يرتفع إلى 35ريال ثم ينخفض سعره إلى 31ريال، ثم يصعد بزيادة سبع ريالات أي 37ريال وهو أعلى سعر شهده ثمن البقر خلال هذه السنة، ولقد سجل أقل

[1] أ.و.ت، الدفتر الجبائي رقم 291 وثيقة 40. أنظر محتوى التقييد في الملحق رقم 12، ص 255.

سعر للبيع لدى محمد بن داوود والمقدر ب30ريالا وأعلى سعر لدى محمد بن رجب الوريدي والمقدر ب37ريالا، وإن لم يكن محتما على حمودة باشا شراءه حتى يرتفع سعر هذا الصنف إلى هذا الحد في أسواق إيالته.

كما وجد في التقييد رقم 291 والمكون من ثماني صفحات من 40 إلى 47 يحتوي على عدد البقر المرسل والذي كما ذكرنا آنفا أنه اشتراه حمودة باشا وأمر ببيعه بالطلوق في أسواق إيالته ولقد كان سعر الرأس الواحد يتجاوز30ريال بمقدار رأسين في صيغة البيع العادي، حيث وضع في آخر هذا التقييد ملخصا يجمع كل الجملات ويحصي عدد البقر مع سعره بالإجمال حيث لاحظنا أن السعر بالإجمال والمقدر ب 14604ريال على عدد البقر المقدر ب600رأس بقر وحددنا السعر ب24.34ريال أي بالمجمل 25ريال على كل رأس، حيث وضع في التقييد 599رأس فقط مع إحتساب الرأس الضائع[1].

وعليه نستنتج أن بيع المواشي الجزائرية بسوق تونس بهذا النمط سيؤثر سلبا على الخزينة التونسية فمهما كان فإن صيغة البيع العادي أفضل بكثير من المؤجل بالنسبة للشاري، ولكن بالمقابل كانت هذه تجارة المواشي تشكل موردا هاما للخزينة الجزائرية وحتى لبايلك قسنطينة أيضا.

أ.2.1.الدين في المعاملات التجارية:

تتم عملية البيع والشراء إذا تم الدفع، ولكن أحيانا يتعسر الدفع لأسباب مختلفة، وعليه فإن دايات الجزائر وحتى بايات قسنطينة كانوا لا يتساهلون أثناء المعاملات التجارية.

حيث تكشف لنا وثيقة مؤرخة سنة1821م من أحمد باي لحسين باشا يعلم فيها بأنه وجه مع علي بن عاشور 450جملا و100 ثورا وألحقوا به 1000 كبش إلى تونس من أجل بيعها ولقد كاتبه مرادا ليرسل له ثمن ما ذكر فبعث له جزء فقط وتماطل عن بعث الباقي أو بالأحرى تخلف عنه، وطلب من السيار[2]القدوم إلى قسنطينة كما ورد في الرسالة وأن يعول على الباي التونسي كثيرا في حل هذا المشكل[3]، وهناك وثيقة أخرى تخص هذا الشأن مرسلة من أحمد باي قسنطينة إلى الحسين باي تونس بشأن رد الدين الذي على رعايا تونسيين لرعايا جزائريين تأخروا في رد الدين، ولهذا طلب منهم جمع الدين ثم إعطائه لوكيل الجزائر آنذاك علي

[1]– أ.و.ت، الدفتر الجبائي رقم 291 وثيقة47.

[2]– أطلق عليه اسم السيار لسرعة سيره في توصيل ما كلف به، هو الشخص الذي ينتقل بين قاعدة الحكم في قسنطينة وبين دار السلطان داخل الإيالة الجزائرية، أو بين قسنطينة وتونس حيث يشرف على الترسال ونقل المعلومات ومكلف ببعض المهام كنقل الهدايا وقيادة القوافل التجارية وغيرها من الأدوار. ينظر: حبيبة محيدب، المرجع السابق، ص 72.

[3]– أ.و.ت، س.ت.ت، الصندوق223، الملف384، وثيقة19.

بن عاشور[1]، وكان من الضروري عدم التلاعب مع الجزائر أو حتى باي قسنطينة فيما يخص دفع المستحقات في الوقت المحدد لها عبر وكلائها الموجودين بها، ويعتبر تسويق هذه الماشية في تونس موردا هاما بحيث يجلب لهم أموال كبيرة وبالتالي يستطيع بها تسيير أمور بايلكه وحتى تسديد الضريبة المفروضة عليه لداي الجزائر، وهذا ما رأيناه فيما يخص الباي أحمد باي قسنطينة والتي بعث لباي تونس مراسلتين بهذا الشأن وهذا دلالة على أهمية الربح القادم من تونس.

أ.2. الأصناف الزراعية والصناعية:

لم تكن المواشي هي من طغت على الأسواق التونسية، وإنما حتى الزراعية كانت حاضرة بها سواء من ناحية المنتوجات التي تتوفر عليها تونس بكثرة مثل التمور وغيرها أو حتى المنتوجات موجودة بتونس ورائدة في صناعتها ولكن كانت تصدر لها وهنا نخص بالذكر الشاشية الجزائرية التي كانت تسوق هي أيضا فيها، وفيما يلي سنرصد مجموعة من المنتوجات الزراعية والصناعية الجزائرية المسوقة في تونس:

1_ التمور: المعروف أن إيالة الجزائرية واتساع مجالها الصحراوي جعلها تسيطر على هذا المنتوج الحيوي، حيث كان تجار وادي سوف يحملون المجلوب من الواحات إلى الأسواق التونسية أنواع من التمور الممتازة[2]، وحتى قسنطينة تحمل في قوافلها منتوج التمر[3]، ضف إلى ذلك وادي ريغ كانت من أكبر المنتجين للتمر ويحملها ويسوقها منتجوها والتجار إلى الجنوب التونسي[4].

2– الصوف والجلود: كانت الجزائر تهتم بصناعة الجلود وخاصة المصبوغة بمختلف ألوانها تستعمل لصناعة النعال أي "الأحذية" والجزدان أي "محفظة اليد" وتمتلك مصانع لصناعة هذه المادة [5]، ولهذا كانت قسنطينة توجه شهريا قافلة من حوالي 300بغل إلى مدينة تونس يحمل إليها الصوف والجلود المدبوغة والمفتوحة[6]، ومثال ذلك في شهر أكتوبر 1177هـ- أفريل1764م قاموا ببيع الصوف المرسلة إليهم وإرسال ثمنها البالغ 23999محبوبا إلى الجزائر، مثال ذلك ما حصل في عهد الباي علي باشا الذي كان يقوم بكل ذلك على

1- أ.و.ت، س.ت.ت، الصندوق 223الملف 384 وثيقة17.

2- محمد العربي الزبيري، **التجارة الخارجية للشرق الجزائري**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1972، ص155.

3- نفسه، ص153.

4- نفسه، ص 156.

5- Venture De Paradis, **Alger au XVIII siècle** ,Typographie Adolphe Jourdan, Alger, 1898, p17.

6- رشاد الإمام، المرجع السابق، ص300.

مضض فعاش منغصا من مرارة الولاة في الجزائر وقسنطينة [1]، وفي نفس السنة أيضا تكشف لنا وثيقة مؤرخة في 11شوال 1177هـ- 1764م ويتضمن بيان الدراهم التي رجع بها علي فريكح وبوبعاية السيار للجزائر وقسنطينة وبه حق الصوف وفيه 12000 محبوب، في قبضة باشا الجزائر و فيه 9361 محبوب أيضا في باي قسنطينة[2].

الواضح مما سبق أن هذه المادة كانت تلقى تجاوبا كبيرا في الأسواق التونسية وهذا حسب المبلغ المقبوض، أما فيما يخص الجلود ففي سنة1793م أمر باي بايليك قسنطينة ببناء مدابغ في عنابة لتلبية حاجيات الأهالي من جهة ولتزويد تونس بحوالي 12 ألف جلد سنويا من جهة أخرى[3].

3– الشواشي: معروف عن تونس أنها من المنتجين لما يعرف بالشاشية وكانت ذات جودة عالية، إلا أن الشواشي الجزائرية الأقل جودة كانت مطلوبة كثيرا في تونس للإستعمال اليومي لأنها الأرخص ثمنا[4]، ويذكر برادي في هذا الشأن أن الجزائر كانت تمتلك العديد من مصانع القبعات يقصد هنا الشاشية والتي هي مصنوعة من الصوف المحلية مما يجعلها أقل شأنا من التي تصنع في تونس والتي تصنع من الصوف التي تجلب من إسبانيا ذات الجودة العالية، ولهذا جعل سعر الشاشية الجزائرية أقل سعرا من سعر الشاشية التونسية، وبالتالي نراها في متناول مختلف الفئات الاجتماعية[5]، وهذا دليل على أنها كانت تلقى رواجا كبيرا في السوق التونسية[6].

4– الشمع: كانت مدينة عنابة هي التي تصدر هذا المنتوج إلى تونس بكثرة، ويذكر أن دار الشركة الملكية بعنابة لم تعد تشتري الشمع بسبب أن جميعه يحمل من طرق تجار المدينة الذي يأخذونه ويسوقونه في إيالة تونس[7]، ويعتبر من أهم المنتوجات التي يصدرونها بكثرة لتونس[8]، ومعروف أن مدينة القل هي أكبر منتج لهذه المادة، وكان الفرنسيون يستوردونها من الجزائر ولكن أجودها يصدر إلى الإيالة التونسية [9].

1- عمار بن خروف، العلاقات السياسية ....، المرجع السابق، ص222.

2- أ.و.ت .الدفتر الجبائي 129 الوثيقة رقم 114.

3- محمد العربي الزبيري، المرجع السابق، ص99.

4- نفسه، ص153.

5 - Venture Paradis, Alger au 18…, op.cit,p16.

6- حبيبة محيدب، المرجع السابق، ص15.

7- العربي أسمهان، التجارة الخارجية لمدينة عنابة خلال العهد العثماني (ق18م) من خلال مصادر أولية، **مجلة العلوم الانسانية**، مج1، ع2، جامعة وهران، ديسمبر2012م، ص 85.

8- عميراوي حميدة، المرجع السابق، ص55.

9- محمد العربي الزبيري، المرجع السابق، ص100.

5 – الألبسة: كانت القوافل التي تخرج من قسنطينة إلى تونس، وتحتوي على200و300 بغل تكون محملة بالألبسة المطرزة والأحزمة والأقمشة[1]، ضف إلى ذلك تجار وادي ريغ كانوا ينقلون منتوجاتهم بما فيها الأقمشة الصوفية العادية إلى تونس وحتى تقرت كانت تنقل بعضا من هاته المنتوجات نحو الجنوب التونسي[2]، كما كانت وادي سوف والتي تعتبر الأكثر احتكاكا بالأسواق التونسية تنقل منتوجاتها بما فيها الأقمشة الصوفية والمضلات والفوة[3]، بخلاف هذا كانت الجزائر تصدر بضائع مختلفة نحو تونس مثل التبغ والسمن والجوز والحديد الصلب حيث كان التجار التونسيون يستوردون أيضا القبعات والمظلات الكبيرة المصنوعة من سعاف النخل بواد سوف[4].

6– تبر الذهب: والذي يستخرج من مناجم كثيرة في بلاد السودان، ويصدر إلى تونس عن طريق القوافل التي تأتي من قسنطينة نحو تونس[5]، خاصة خلال القرن السابع عشر حين احتاجت تونس إلى هذه المادة من أجل العملة[6].

7– القرمز: مادة للصباغ الأحمر، وهي أحسن ما يصبغ به الطربوش التونسي أي الشاشية على الطريقة الأندلسية العريقة، وكانت مدينة معسكر تصدر هذه المادة سنويا لها [7].

8– ريش النعام: يوجد النعام في جنوب الجزائر وفي نواحي ورقلة على وجه الخصوص، يصطاده الأهالي للحصول على جثته وشحومه والريش الذي يباع منه أبيض وطويل يقع في أقصى الجناحين، تستعمله القبائل في خيامها للتدليل على شرفها وسمو مكانتها، وكانت قسنطينة أيضا تصدر هذا الريش إلى تونس[8].

1- رزيقة محمدي، المرجع السابق، ص07.

2- محمد العربي الزبيري، المرجع السابق، ص156.

3- هو عبارة عن عروق دقاق طوال لونها أحمر ينتج هذا النبات ويحصد بنواحي تقرت .ينظر: حبيبة محيدب، المرجع السابق، ص 14.

4- حبيبة محيدب، المرجع السابق، ص 19.

5- نفسه، ص17.

6- كوثر العايب، **العلاقات الجزائرية التونسية خلال عهد الدايات1711– 1830م**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير تخصص التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الوادي، 2013– 2014، ص61.

7- أحمد توفيق المدني، محمد عثمان....، المرجع السابق، ص169

8- محمد العربي الزبيري، المرجع السابق، ص167.

9- الدخان: هو من أهم المحصولات التي تنتجها الجزائر فهو أطيب نوع للتدخين، وينتج على مقربة من العاصمة، ويرسل منه بكثرة نحو تونس، وخاصة من دخان عنابة لأنه قوي وسعر الدخان 2موزونات للرطل(16أوقية)من النوع العادي، و3موزونات للنوع الرفيع[1].

جدول توضيحي رقم 06: أهم السلع الجزائرية الحاضرة في الأسواق التونسية:

الأصناف	الصنف	المسوق	السوق
الأصناف الحيوانية	البقر	قسنطينة – الجزائر	الإيالة التونسية بمختلف مواطنها
	الإبل		
	رؤوس الغنم		
الأصناف الزراعية والصناعية	التمر	وادي سوف وادي ريغ	تونس الجنوب التونسي
	الشواشي	الجزائر	تونس
	الجلد والصوف	قسنطينة الجزائر	تونس
	الشمع	عنابة القل	تونس
	الألبسة وبضائع أخرى	قسنطينة وادي ريغ تقرت وادي سوف	تونس الجنوب التونسي
	الذهب	قسنطينة	تونس
	القرمز الدخان	معسكر مدينة الجزائر وعنابة	تونس تونس
	ريش النعام	جنوب الجزائر ورقلة قسنطينة	تونس

1- أحمد توفيق المدني، محمد عثمان...، المرجع السابق، ص175.

أ.**1.2.السلع التونسية المصدرة نحو الجزائر**: مقارنة بالمنتوجات التونسية المسوقة نحو الجزائر فهي قليلة نوعا ما، وها هي أهم المنتوجات التونسية المسوقة نحو الجزائر:

1- الأسلحة والحبوب: كانت الجزائر تستورد كميات كبيرة من تونس[1].

2- الزيوت: وأجودها ما يعصر في بسكرة وجبال الأوراس(بني أحمد، أولاد عمران و وبني بربر) غير أنها لا تنتج كميات كبيرة لتصدره إلى باقي مدن الإيالة، وخاصة من أجل إنارة المساجد، ولذلك كان تجار وادي سوف يستوردون كميات أخرى من بلاد الجريد يحملونها معهم إلى مختلف الأسواق رغم بعد المسافة وما يترتب عن ذلك من مصاريف، والمعلوم أن زيت الزيتون يباع بأثمان لا تطاق [2]، ولكن الإيالة التونسية كانت تعطيه في أغلب الأحيان مجانا للجزائر بحكم المعاهدات المربوطة فمثلا في سنة 1781م فرض داي الجزائر على الباي التونسي دفع750ألف ريالا ولكنه دفع منها 200ألف ريال ، وأوجب عليه بعث كميات كبيرة من الزيت إلى الجزائر(تقدر بحمولتين بحريتين) من أجل إنارة المساجد ومقامات الصالحين[3].

3- المواد الأوروبية: ويذكر أن أبناء سوف يفضلون الذهاب إلى المدن التونسية لأنها الأقرب إليهم، ولأنها تقدم لهم جميع المواد الأوروبية بأسعار لا تنافس مثل: البزازة والمواد العطرية والأقمشة الحريرية والأسلحة والكبريت وغيرها.

4- منتوجات إفريقية: كما كانوا يجلبون من غدامس العبيد، البتر، العاج وريش النعام والبخور والنترون وغيرها مما تستورده غدامس من السودان [4].

أ.**3.2. تحليل ومقارنة بين كمية التسويق للإيالتين**: إذا قارنا بين صيغة التسويق بين الإيالتين نلاحظ أن التجار الجزائريين حاولوا تنشيط الحركية التجارية في تونس من خلال عرض منتوجاتهم ومثال ذلك مدينة نفطة التونسية والتي كان سكان وادي سوف يعتبرونها منطقة نفوذ اقتصادي، كما يوضح لنا ما سبق فإن أغلب المواد الضرورية من مواشي وتمور وغيرها كانت تصدرها نحو تونس، وأن الجزائر لا تجلب من تونس سوى الكماليات والضروريات في بعض الأحيان فقط كالأسلحة والعطور والأقمشة، وليس هذا فقط حيث

1- حميدة عميراوي، المرجع السابق، ص55.

2- محمد العربي الزبيري، المرجع السابق، ص165.

3- عبد الحميد هنية، المرجع السابق، ص185.

4- محمد العربي الزبيري، المرجع السابق، ص 155.

ومع اختلاف المنتوجات المسوقة سواء من قسنطينة وغيرها من المدن الشمالية، فإنها تختلف عن التي تسوق من الواحات كوادي سوف وتقرت اللتان أنعشتا الجنوب التونسي بمنتوجاتهم .

كما لا ننسى منطقة الكاف الحدودية التي كانت هي الأخرى من أبرز الأسواق التونسية التي كان تجار الجزائر يرتادها، وعليه فإن المنتوجات الجزائرية غزت بالتقريب الأسواق التونسية، فمثلا المواشي وخاصة البقر التي كانت تبعثها الإيالة الجزائرية إلى تونس بسعر كما ذكرناه آنفا تحدده الجزائر وكانت تباع قبل المواشي التونسية، ولعل عدم اهتمام التوانسة بالجانب التجاري كان من ضمن الأسباب التي جعلت الجزائر ومنتوجاتها تفرض وجودها في الأسواق التونسية.

يجدر بنا الإشارة هنا أن التجارة مع الجزائر تشجعت في عهد حمودة باشا بالرغم من المشاحنات بين الإيالتين ورغبته في التخلص من هيمنتها، حيث كانت قوافل قسنطينة فقط على غرار القوافل الأخرى تشكل أرباحا هائلة لتونس من حيث توفير السلع وكانوا سكان تونس يلعنون الحرب القائمة بين البلدين [1]، ولقد تفطن حمودة باشا للأمر ورأى أن التجارة الخارجية هي من السبل الوحيدة لإنعاش خزينة الإيالة التونسية، ولهذا حث التجار التونسيين على التجارة الخارجية من أجل تسويق منتوجاتهم من جهة وإنعاش خزينة الإيالة التونسية من جهة أخرى، وكان من أساليب حمودة باشا لتشجيع التجار التونسيين على التجارة الخارجية هو إعطاء الباي رخص تصدير الحبوب والزيت لبعض التونسيين وهؤلاء يبيعونها بدورهم وبالتالي يحصل التجار على ربح مضاعف على بيعه محليا، كما أعفى التجار أيضا من دفع الضريبة المقررة على تصدير الحبوب والزيت من تونس وغيرها من الأساليب التشجيعية[2]، وعليه فإن التطور التجاري على عهده تميز بانتهاجه سياسة إقتصادية تنموية كان من أولوياتها الحد من احتكار الأجانب للنشاط الإقتصادي والدعم الفلاحي والتجار المحليين[3].

بناءا على ما تقدم نستنتج أن التجارة الخارجية تكون رابحة إذا كانت تبيع أكثر مما تشتري، ولذا نرى أغلب الدول تعمل دائبة على الاستيلاء على غيرها لتجعل منها أسواقا لبضائعها[4]، وهذا ما رأيناه في المعاملات التجارية بين الجزائر وتونس خاصة خلال القرن الثامن عشر والتي أثبتت الجزائر فيها حضورا طاغيا

---

1 - Thomas Maggill, op.cit ; p167

2- رشاد الإمام، المرجع السابق، ص ص 294، 295.

3- محمد مقصودة ومحمد دادة، " الأوضاع الاقتصادية لكراغلة إيالات المغارب العثمانية خلال القرنين الثامن والتاسع عشر ميلاديين – دراسة مقارنة- "، **مجلة البشائر الاقتصادية**، مج 5، ع 2، جامعة بشار، أوت 2019، ص337.

4- محمد العربي الزبيري، المرجع السابق، ص 78.

حيث وفرت لها منتوجات كبيرة أنعشت بها السوق التونسية، ولعل السبب أن غالب التونسيين خلال هذه الفترة كانوا لا يهتمون بالإشتغال بالتجارة الخارجية، بل كان همهم منصبا على العمل في حقل الزراعة، ما جعل الأوربيين وحتى الجزائريين يشتغلون في هذا الميدان محاولين تنشيط الحركة التجارية بتونس وجعلها سوقا مهمة لمنتوجاتهم، وإن كانت هذه الصيغة تؤثر سلبا على الخزينة التونسية[1]، بحيث تقدر واردات الجزائر من تونس جراء هذه التبادلات التجارية بـ2مليون و678 ألف فرنك أما صادراتها فتقدر ب8ملايين فرنك[2]وهنا الفرق واضح ولعل الربح الكثير قد حققته في مجال تسويق المواشي.

ب. سير القوافل التجارية الجزائرية نحو تونس:

ب.1. تعريف القافلة:

لغة: قفل – القفول، الرجوع من السفر، وقيل القفول رجوع الجند من الغزو، قفل القوم يقفلون، بالضم قفولا وقفلا ورجل قافل من قوم قفال، والقفل اسم للجمع. تقول: جاهم القفل والقفول، واشتق اسم القافلة من ذلك، لأنهم يقفلون وقد جاء القفل بمعنى القفول، يقول ابن منصور: سميت القافلة قافلة تفاؤلا بقفولها عن سفرها الذي ابتدأته، قال: وظنّ ابن قتيبة أنّ عوام الناس يغلطون في تسميتهم الناهضين في سفر أنشئوه قافلة، وأنها لا تسمى قافلة إلا منصرفة إلى وطنها، وهذا غلط مازالت العرب تسمى الناهضين في ابتداء الأسفار قافلة تفاؤلا بأن ييسر الله لها القفول، وهو شائع في كلام فصحائهم إلى اليوم[3].

اصطلاحا: فالمقصود بها القافلة التجارية وهي تنظيم مسبق تقوم به جماعات أغلبها تجار قد تختلف أصولهم، ولكن هدفها اقتصادي وهو الربح التجاري والمتاجرة بيعا وشراء، وهذه القافلة لها مستلزمات بشرية وحيوانية وتقسم عليهم المهام لضمان سير القافلة[4].

ب.2. مستلزمات القافلة: من الطبيعي أن تشمل القافلة مستلزمات بشرية وحيوانية لتسييرها بشكل منظم، تختلف وظائفهم كل حسب مهامه، وهي مشكلة في الآتي:

---

[1]- رشاد الإمام، المرجع السابق، ص ص 295، 294.

[2] - Rozet et carette, **L'Algerie**, Imprimeurs de L'institut, Paris, 1850, p306

[3]- ابن منظور، المرجع السابق، ص 3706.

[4]- رشيد حفيان، **الطرق والقوافل التجارية بين الحواضر المغاربية وأثرها الحضاري في العهد العثماني خلال القرنين 11- 12هـ- 17- 18م**، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير تخصص التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة قسنطينة، 2013- 2014، ص ص 63، 64.

1- مستلزمات بشرية:

1. **قائد القافلة**: لابد أن يكون لها قائد من أجل ضمان سيرها جيدا، ويكون مسؤولا عنها، ودوره الرئيسي يكمن في توجيه نواة القافلة وتنظيم سيرها الذي يتغير بتغيير التضاريس، وحالة الأمن في الطريق والارتباط بوزن الحمولة وثقلها.
2. **الأدلاء**: جمع دليل ويأتي في المرتبة الثانية من حيث الأهمية بعد قائد القافلة ويطلق عليه أيضا اسم الخبير أو المنير أو المرشد باعتباره سائق القافلة، وحتى النجاح الاقتصادي والربح التجاري مقرون بخبرته على أنه عالما بالطرق والدروب، ودوره أساسا يتمثل في الإرشاد إلى الطريق الصحيح وإلى نقاط الماء وإيصال القافلة إلى غايتها المرجوة[1].
3. **الحراس**: من أجل حماية القافلة من العصابات وقطاع الطرق ومن غارات الأعراش، ويختارون منهم المحاربين المسلحين[2].
4. **الإمام**: الذي يتولى إمامة القافلة.
5. **الطبيب**: المعالج تحسبا لأي طارئ عضوي قد يمس أحد رواد القافلة.
6. **الكاتب المكلف**: والذي يقوم بتسجيل كافة العقود من البيع والشراء وتسجيل الوفيات إن وجدت أثناء سير القافلة.
7. **البــراح**: الذي تسند له مهمة التبليغ بصوت عال عند وقوع أي حدث أثناء الرحلة، إضافة إلى التجار وهم أصحاب السلع[3].

2- المستلزمات الحيوانية:

الإبل والخيل والبغال: يحتل الإبل المرتبة الأولى لما يتميز به من خصائص خاصة في التكوين الجسماني وتحمله لمشاق السفر وخاصة في المناطق الجنوبية، أما الخيل والبغال فهو أيضا من وسائل النقل المطلوبة والمرغوبة[4].

1- رشيد حفيان، المرجع السابق، ص ص 63، 64.

2- يحي بوعزيز، **تاريخ افريقيا الاسلامية من مطلع القرن السادس عشر إلى مطلع القرن التاسع عشر**، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008، ص45.

3-كوثر العايب، المرجع السابق، ص57.

4- رشيد حفيان، المرجع السابق، ص70.

3- مستلزمات مادية: بالإضافة إلى تزودها بموارد مادية من حبال متينة لحزم بضائعهم، ومواد غذائية تغطي كافة حاجيات القافلة طيلة فترة السفر كاللحم المجفف والسكر والشاي والملح وغيرها من الضروريات[1].

ومن المعلوم فإن القافلة دائما ما تواجه مشاكل وصعوبات أثناء سيرها، ونفس الحال بالنسبة للقوافل الجزائرية التي تتوافد على تونس، ولهذا اتخذت الدول المغاربية عدد من الإجراءات لكي تحمي قوافلها من هاته التحرشات، وفيما يلي أبرزها:

1. تزويد القافلة بالأسلحة الكافية لكي تدافع عن نفسها، وترغم المهاجمين على الارتداد ودفع تعويض عن كل خسارة يلحقونها بها.
2. تأليف القافلة من رجال أقوياء أشداء لتنويع انتماءاتهم القبلية وبالتالي حصد العديد من الأنصار.
3. فرض ضرائب متنوعة على العربان مثل ضريبة العشر وضريبة تتكلف بإبلاغ القافلة مسبقا بكل تحركات العصابات البدوية حتى تحتاط منهم[2].

إذا تحدثنا عن الصعوبات التي يلقاها التجار وقوافلهم في الطريق فإن القبائل الحدودية من كانت تسبب القلق الكبير لهم، وخاصة أنها تتمع بشبه استقلال عن السلطة المركزية، حيث استغلت الفرصة وراحت تأخذ الفدية عن التجار المارين والذين يعبرون حدودها ومقدر هذه الفدية 25فرنك عن كل رأس بغل، وتعطي لهم في المقابل وقاية وفي الغالب يكون طفلا يمشي على رأس القافلة حتى يعبروا بسلام، وأحيانا كان التجار يرغبون في تجنب هذه الغرامة فنراهم يتسلحون جيدا من الرأس إلى أخمس القدمين خشية لقائهم ومصممين في نفس الوقت على محاربتهم، في حال إن قابلوهم وعند وصولهم للحدود التي تفرض الغرامة نراهم يتفرقون ويختبئون حتى يحل الظلام ليعبروا الحدود بسلام[3]، ولعل هذه أفضل طريقة لكي يضمنوا مرورهم ويضمنوا سلامتهم وسلامة تجارتهم.

ب.3. أهم الطرق التجارية بين الجزائر وتونس: من الضروري أثناء التبادل التجاري وتنشيط الحركية التجارية أيضا أن يكون بينهما طرق تجارية يسلكها التجار تجمع أغلب مواطن الإيالتين وهذا ما رصدناه في الآتي:

1- كوثر العايب، المرجع السابق، ص58.

2- يحي بوعزيز، "طرق القوافل والأسواق التجارية بالصحراء الكبرى كما وجدها الأوربيون خلال القرن 19م"، **مجلة الثقافة**، ع59، الجزائر، سبتمبر- أكتوبر1980، ص20.

3- Rozet et carette, op.cit, p p306,307.

1–طريق تونس قسنطينة: طريق تونس الذي يبدأ من مدينة قسنطينة، يسير نحو الجنوب قليلا ثم يرتفع نحو الشمال الشرقي ويشق كثيرا من القرى أهمها وادي زناتي ومجاز عمر وسوق أهراس قبل أن يصل إل مدينة الكاف التونسية ومنها إلى عاصمة الايالة، ولقطع هذا الطريق يستغرق السير لمدة خمسة وعشرين يوما عاديا وعلى رغم من أن المدة طويلة، فإن الرحلة إلى تونس ممتعة، لأن القافلة تجد دائما وبدون عناء كبير، كل ما يحتاج إليه من مرافق السير[1]، ولذلك كان ثمن كراء البغال من قسنطينة إلى تونس معتدلا للغاية يتراوح ما بين**15**و**25** فرنكا للبغل الواحد في الذهاب، وما بين **30**و**40** فرنكا في الإياب [2].

تعتبر قسنطينة عاصمة بايليك الشرق وأكبر مدنه ومقر جميع السلطات التنفيذية فيه، ولذلك كانت أكبر أسواق المنطقة في ذلك الحين يؤمها التجار من جميع النواحي ومن الإيالة التونسية أيضا، والذين كانوا يحملون منها مصنوعاتها ويبيعونها في مدنهم مثل ما كانت تفعل تونس، وعلى هذا الأساس كانت قسنطينة توجه شهريا قافلة من حوالي ثلاثمائة بغل إلى مدينة تونس[3]، جالبة معها العديد من المنتوجات الجزائرية لكي تسوق في تونس [4]، ولقد كانت قافلة قسنطينة وللقيام بهذه الرحلات المنتظمة تستعين بجماعة من المحترفين اليهود لتعيير بعض السلع وتحديد أسعارها في البيع وفي الشراء [5]، مع العلم فإن قافلة قسنطينة كانت تحقق أرباحا تزيد عن نصف رأس مالها والذي يقدر شهريا حوالي بخمسمائة ألف فرنك[6]، ولعل القرب الجغرافي ساهم كثيرا في تنشيط العلاقات التجارية بين تونس وبايلك الشرق وخاصة عاصمته قسنطينة.

---

[1]- محمد العربي الزبيري، المرجع السابق، ص 152.

[2]- حصام صورية، <u>**العلاقات بين إيالتي الجزائر وتونس خلال القرن الثامن عشر ميلادي**</u>، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير تخصص التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران، 2012– 2013، ص150.

[3]- محمد العربي الزبيري، المرجع السابق، ص ص 152، 153.

[4] - Thomas Maggill, Op.cit ; p156.

[5]- محمد العربي الزبيري، المرجع السابق، ص ص 151، 153.

[6]-Charles Feraud, Les Corporations Des métiers à Constantine avant la conquête Française, **<u>R.A</u>**,N°16, Alger, 1872, p452.

2-طريق قفصة ونفطة: الذي يخرج من مدينة وادي سوف ثم يسير شمالا نحو محطة قمار[1]، حيث ينقسم فيخرج منه فرع يتجه مباشرة إلى مدينة نفطة ويواصل الأصل نحو الشمال الشرقي إلى قرية فرن، بحيث ينظم تجار الزيبان إلى القافلة، وبعد ذلك يميل أكثر إلى الشرق ليقف في مدينة قفصة، وإذا كانت المسافة ما بين الوادي ونفطة لا تتطلب سير أكثر من ثلاثة أيام عادية، فإن الذهاب إلى قفصة يستلزم أكثر من خمسة أيام، وعلى العموم فإن الطريق سهل فيه كثير من المياه، ولا تتعرض فيه القوافل إلا لبعض الكمائن التي ينصبها من حين لآخر سكان واحه غدامس لنهبها تنكيلا بأبناء وادي سوف الذين كثيرا ما كانوا يغيرون عليهم لنفس الغرض[2]، كما كانت مدينة الوادي تمثل همزة وصل بين الشمال والجنوب في هذه النقطة، فإن اتصالاتها كانت قليلة بل كان تجارها يفضلون الذهاب إلى بسكرة وتقرت، كما كان يسهل عليهم الذهاب إلى المدن التونسية لأنها أقرب إليهم [3].

3-طريق نفطة غدامس: والذي ينطلق من تقرت ثم يتجه نحو الشمال ليمر بمحطة الفيض[4]حيث ينظم تجار بسكرة إلى القافلة، وبعد ذلك يعود نحو الجنوب الشرقي ليصل إلى كوينين، ومنها يأخذ اتجاهين أساسين أحدهما شمالا نحو مدينة نفطة مباشرة وثانيها نحو الجنوب إلى سوق غدامس مرورا بمحلة البئر الجديد، وإذا كان الطريق إلى نفطة يقطع في أقل من خمسة أيام، لا تتعرض فيها القافلة لأخطار الطبيعة لانتشار الآبار والعمران، فإن كثبان الرمل المتنقلة لا تساعد إطلاقا على قيام برحلة من تقرت إلى غدامس لأنها تذهب المعالم وتطمس الابار، وهذا يعرقل السير نحوها، ويذكر أيضا أن القوافل كانت يومية بين تقرت ومدن الجنوب التونسي، وكانت تنشط مع نفطة بالخصوص[5].

1- اختلفت سبب تسميتها وهناك من يرجحها أنها ترجع لرجلا من تاغزوت كان يعلم الطرقات أي يضع عليها علامات لخبرته بها وجهل كثير من الناس لها فلقب القمار، ثم سمي أبناءه بأبناء قمار فقيل له محل أولاد قمار، ثم تداولت الكلمة على الألسن فصار يقال لها قمار وقيل أن جماعة من أهل وادي سوف ذهبوا للحج فاجتمعوا ببعض أهل قمار الهند وكان أحدهم يشبه صاحبهم كثيرا فقالوا له لصاحبهم كأنك قماري، ولما رجعوا من الحج نزل القماري بقمار فسميت عليه، وغيرها من المسميات، حاليا تبعد عن عاصمة الولاية بـ15كم. ينظر: ابراهيم محمد الساسي العوامر، **الصروف في تاريخ الصحراء وسوف**، تع: الجيلاني بن ابراهيم العوامر، ط2، دار ثالة، الجزائر، 2009، ص ص116، 117.

2- محمد العربي الزبيري، المرجع السابق، ص ص 154.

3- حصام صورية، العلاقات...، المرجع السابق، ص151.

4- الفيض مدينة صغيرة وسط سهول خصبة واسعة قريبة من بسكرة. ينظر: نفسه.

5- محمد العربي الزبيري، المرجع السابق، ص ص156، 157.

4- طريق غدامس: الذي يخرج من ورقلة ويتجه مباشرة نحو الشرق عبر الفيافي إلى أن يصل غدامس وهو طريق صعب للغاية، مغطى بكثبان الرمل المتنقلة ويتطلب قطعه عشر أيام طوال من السير السريع تطوي القافلة أثناءها مائة وستين ميلا لا تجد فيها المياه سوى مرة واحدة على بعد ثلاثة أيام من المنطلق، ومع ذلك فإن تجار ورقلة يسافرون باستمرار إلى هذه السوق التي تلتقي فيها قوافل تونس وطرابلس والسودان والجزائر وتتبادل ما عندها من السلع وتعود إلى منطلقاتها[1].

5- أما الطريق البحري والذي خصه الجزائريون في التجارة مع الأجانب، وفيما يخص التجارة البحرية مع تونس فتوجد وثيقة أرشيفية وحيدة حول هذا الموضوع وهي تخص قدوم مراكب جربية تحمل البارود والرصاص والأسلحة الحربية إلى موانئ الجزائر وقد باعتها لقبائل متمردة، واشترت في نفس الوقت الشمع والزيت هذا التصرف لم يعجب داي الجزائر حسين باشا باعتبارهم باعوا الأسلحة للمتمردين، وقد نهى عن هذا التصرف مرة أخرى لكن لم يمانع أن يتقدموا إلى إيالة الجزائر باحتلاف موانئها من أجل التجارة[2]، والمرجح أن الاتساع الحدودي والقرب الجغرافي أصبح في غنى عليها وحتى التجار الجزائريون يفضلون طريق البر لما يخفف عنهم من الرسوم وغيرها.

ومستخلص القول فإن الحركية التي شكلتها القوافل السالفة الذكر قد ساهمت في تنشيط التجارة مع تونس بشكل كبير، حيث ساهمت في ربط مواطن الإيالتين، وحاولت القوافل الجزائرية الوصول إلى أبعد نقطة فيها من أجل اكتساب أسواق تساهم في عرض وتسويق منتوجاتهم.

ج. الامتيازات الجزائرية في تونس:

ج.1. الهدايــا والإحسانات:

شكلت الهدايا أو التي جاءت أيضا بمسمى إحسانات تقليدا دأب عليه بايات تونس في تعاملاتهم مع مختلف الأوطان والقبائل التي تعيش من حولهم[3]، وكانت الجزائر من ضمن الدول التي غدقت عليها إيالة تونس بهذا الإحسان والكرم، ولعل الالتزام الذي بين البلدين هو سبب ذلك، والمعلوم أن الجزائر منذ سنوات قد أثبتت حضورها السياسي والعسكري داخل الإيالة التونسية، وكانت قد ألزمتها بشروط عدة وصل تأثيرها

---

[1]- محمد العربي الزبيري، المرجع السابق، ص 157.

[2]- أ.و.ت، س.ت.ت، الصندوق 223الملف 384وثيقة رقم 10.

[3]- توفيق بن زردة، "إحسانات بايات تونس لجماعة الحنانشة 1170هـ- 1756- 1192هـ- 1779م من خلال الدفترين 2244و2245 بالأرشيف التونسي"، مجلة الآداب والحضارة الإسلامية، ع20، جانفي 2017، ص10.

إلى الميدان الإقتصادي، بإعتبار أن هاته الإحسانات قد شكلت لبعض الأشخاص موردا ماليا هاما، وخاصة مع منتصف القرن الثامن عشر أين الجزائر ألزمت تونس بالإعتراف بسيادتها عليها.

***نماذج من الهدايا المبعوثة للجزائر من طرف بايات تونس:** مازالت السجلات والوثائق التونسية الأرشيفية تحتفظ بتفاصيل دقيقة عن محتويات تلك الهدايا القيمة وتكاليفها، بالإضافة إلى من قام بنقلها إلى الجزائر، وغير ذلك من المعلومات وهذه مجموعة منها:

من جملة الهدايا التي بعثت للجزائر في منتصف القرن الثامن عشر والتي كانت على عهد محمد بن الحسين باي والذي كان يبعث في كل سنة هدايا مادية، زيادة عن مبالغ مالية وهذا راجع لإلتزام1756م، حيث خرج مصروف على شكل هدية إلى الجزائر والذي توجه بها باش كاتب قدرت إجمالا 4399ريال وهذا سنة 1757م / 1171هـ[1]، وفي نفس السنة أيضا خرجت هدية أخرى على يد أبو العباس أحمد الأصرم باش كاتب تحوي على برانس وسفاسر وغيرها من الهدايا القيمة[2].

كما أرسلت هدايا أخرى وهذا على عهد علي باشا والذي كان يبعث هو الآخر في كل سنة هدايا مادية زيادة عن مبالغ مالية ضمت أربع أشخاص من ضمنهم الداي، فبخصوص الهدية الأولى التي أعدها الباي علي أرسلت إلى الجزائر مع الحاج محمد وكيل الحرج في ديسمبر 1172هـ- 1758م، وكانت كلفتها 96451ريالا، صرف منها 1441ريالا على حامل الهدية وحده، والهدية مفرعة إلى أربعة هدايا: هدية الدولاتي (الدّاي) وأما الهدايا الثلاث الأخرى فكانت من نصيب الخزناجي، والأغا، ووكيل الحرج، وهم من أهم أرباب الدولة في الجزائر، وتألفت الهدايا من:

هدية الدّاي تتألف من: ثمانين ألف سلطاني، ونقالة ذهب بالحجارة، وسرج متموم مذهب، وشال وردي وعشر دزينات شاشية، وزوج كوامل صارمة حلقهم ذهب، سبحة عنبر معمرة، وزوج حجك طوابع عنبر، وأربعة حياك حرير، وأربعة برانس جريدي معمرين، ومنطقه بالذهب والحجار، وزوج خلخال ذهب.

أما هدية الآغا فتألفت من: مسكة ذهب، محزمة، وبلاصكة عمايرهم ذهب، زوج شيور بتركيبتهم ذهب، برنوس تونسي حرير معمر بالذهب، زوج برانس جزي، خمس دزينات شاشية، سبحة غير معمرة، كامال صارمة حلقة ذهب.

1- أ.و.ت الدفتر الجبائي رقم 99 وثيقة 88.

2- نفسه، وثيقة 42.

وأما هدية الخزناجي فتألفت من: مقياس ذهب بالحجار، ناصية ذهب بالحجار متمومة، محزمة وبلاصكة ذهب عمارهم ذهب، برنوس حرير معمر بالذهب، زوج برانس، خمس دزينات شاشية، كامال بالصارمة حلقة ذهب.

وأما هدية وكيل الحرج الحاج محمد فتألفت من: حصان وسرج بالصارمة متموم وزوج تيور[هكذا وردت]، وروصي مملوك وزوج كواحل مجبود حلفتهم ذهب، عشر دزينات شاشية، إضافة إلى أربع برانس معمرة، مع زوج برانس معمرين- وزوج برانس حرير [1].

كما كان للوافدين على تونس جزء من الهدايا، فعلى سبيل المثال لما نزلت مركب جزائري وبه عسكر وكان معهم قبطان باشا الجزائر والذين كانوا على متن مركب به أربع وعشرين نفر تركي نزلوا بحلق الوادي، ولقد كانت متوجهة للجزائر وهذا سنة 1764م- 1178هـ، ولما سمع بهم باي تونس أرسل لهم مجموعة من الهدايا ومصروف شمل ما يلي: أربعين قفطان بشماط بزيادة عشرة بعد أيام، زيت وزبدة- زيتون- خبز- وثمانية كباش وغيرها من المواد الضرورية والجمالية[2]، وحتى بايات قسنطينة كان لهم نصيب من هذه الهدايا والتي يعتبرها الباي التونسي بمثابة جلب للمودة وكسب حكام الجزائر، فعلى سبيل المثال أرسل الباي التونسي علي باي هدية قيمة لباي قسنطينة وهو صالح باي الذي تولى حكم بايليك قسنطينة سنة1771م، حيث وفي هذه الفترة توافدت الوفود بكثرة بين تونس وقسنطينة، وهذه العلاقات الطيبة جعلت باي تونس يرسل هدية جوار لصالح باي سنة 1190هـ- 1771م[3].

لم تكتف تونس من إرسال الهدايا للجزائر فحسب مفهوم الجزائر فهي تبعث من أجل كسب رضاها، فمع مطلع القرن التاسع عشر ميلادية أرسلت جملة من الهدايا إلى داي الجزائر وهذا على عهد حمودة باشا أرسلت بدافع الجيرة، حيث أرسلت للداي والخزناجي أيضا وهذا على يد مصطفى بن حمزة سنة 1801م، وهذا ما تكشفه لنا الوثيقة المؤرخة سنة 1216هـ -1801م ، واحتوت الهدايا على ما يلي:

1- عمار بن خروف، العلاقات السياسية ...، المرجع السابق، ص217.

2- أ.و.ت الدفتر الجبائي رقم 1046وثيقة 11، وللمزيد من التفاصيل حول الهدايا والمصروف الذي قد أرسل لأهل الجزائر من مختلف الفئات من موظفين وغيرهم راجع نفس الدفتر والوثائق من 10إلى 14 - سنوات 1170- 1180هـ.

3- أ.و.ت الدفتر الجبائي رقم2144 وثيقة 202. أنظر محتوى التقييد في الملحق رقم13، ص 256.

الجدول رقم07: مقدار الهدايا المبعوثة من باي تونس لداي الجزائر والخزناجي عام 1801م– 1216ه[1]:

هدية باشا الجزائر	هدية الخزناجي
أربع برانس جربية ومثله جريدي	ثلاثة دزينات شواشي
أربع سفاسر جريدي	زوج برانس جربي مثله جريدي
عشر دزينات شواشي	ثلاثة سفاسر جريدي

نلاحظ في الجدول أن الهدايا المبعوثة كلها رمزية سواء لباشا الجزائر أو حتى للخزناجي، وممكن القصد منها مجاملة فقط، ولقد وجد في نفس التقييد هدية أخرى لم يذكر صاحبها وبه 34برنوس جربي و47 دزينات شواشي وأربع محازم وثلاث كبات حرير، الواضح أن حكام الجزائر كانوا محظوظين جدا بجوار تونس لهم، ولكن الأغلب أن الهدايا كانت بمثابة مداراة للحكام الجزائريين كي لا يتدخلوا كثيرا في الأمور الداخلية أو حتى الخارجية لتونس.

***نماذج من الإحسانات التونسية التي خصت الجزائريين:**

مس الإحسان الذي أرسل من تونس والذي وزع في الجزائر مختلف المدن والقبائل الجزائرية خاصة الواقعة في التخوم، أما المدن التي استفادت منها نذكر: قسنطينة، تبسة، عنابة والقل، وبجاية وسكيكدة وتلمسان ومعسكر ومستغانم ومدينة الجزائر، أما المجموعات القبلية فمنها: قبيلة الحنانشة وأولاد سيدي يحي بن طالب وقرفة وأولاد عيسى وأولاد بورنان وغيرهم ممن شملهم الإحسان[2].

من بين من نالهم الإحسان من تونس نذكر الباي والمرابط والدواير[3]والسيار وغيرهم من الشخصيات، ولقد وضعنا بعض النماذج تخص هاته الإحسانات تبين لنا الأشخاص الذين كانوا يستفيدون منه، ففي وثيقة مؤرخة سنة 1188ه/1774م شملت ما يلي:

---

[1]- أ.و.ت الدفتر الجبائي رقم 269وثيقة 66.

[2]- توفيق بن زردة، المرجع السابق، ص11.

[3]- الدواير تنظيم عسكري وإداري أنشأه الأتراك قصد مراقبة السكان والحيلولة دون اندلاع ثورات قد تهدد تواجدهم ونتيجة لذلك وزعت قبائل مخزنية في الأطراف كي يصبح نشاطها أكثر فعالية وملموس في جميع النقاط. ينظر: توفيق بن زردة، المرجع السابق، ص17.

جدول رقم 08: نماذج لجزائريين شملهم الإحسان التونسي عام 1188هـ/1774م: [1]

صاحب الإحسان	قيمة الإحسان
للمرابط محمد بن عبد العظيم الشريف القسنطيني من بني ورثيلان	60 ريال
للمرابط محمد بوقرين من أولاد أبو جملين	40ريالات
لسيار باي الغرب	490ريـال
لتسعة دواير لكل منهم 40ريـال	القيمة الإجمالية لهم 365ريـال
لزوج صبايحية	40ريـال
المجموع	955ريـال

جدول رقم09 :جدول تدعيمي آخر يشمل تقريبا نفس الأشخاص الذين شملم الإحسان التونسي عام 1189هـ/1775م[2]:

صاحب الإحسان	قيمة الإحسان
إحسان سيار باي الغرب وخمس ريالات لخادمه	490 ريال
إحسان لثلاث دواير قدموا مع علي فريكح	100 ريال
إحسان لقايد البقر على يد علي فريكح	50 ريال
إحسان للفقيه محمد بن عبد العظيم القسنطيني	60ريال
إحسان للسيار قدم من الحاج مسعود بن زكري	490 ريـال
المجموع	1190

الملاحظ أن قيمة الإحسان في الوثيقتين والتي بينهما فارق سنة واحدة فقط ليست هينة، وهي جزئية مؤخوذة فقط من صفحتين مختلفتين وأغلبها بعثت لموظفين ومرابطين وشخصيات هامة سواء ببايليك قسنطينة أو حتى بمدينة الجزائر والبالغ مجمله بالآلاف، ولكن تكشف لنا الوثيقة أن السيار يأخذ أكبر قيمة منه، وهذا بسبب وظيفته حيث كان مثل ساعي البريد بينه وبين باي تونس، بالإضافة إلى الدواير أيضا تقريبا في كل مرة

[1] أ.و.ت .الدفتر الجبائي رقم 2144 وثيقة 200.

[2] نفسه، وثيقة 201.

يكون لهم نصيب منه ففي الوثيقة الأولى أخذوا إحسانا شمل تسع دواير وفي الوثيقة الثانية ثلاث فقط وبقيمة إجمالية قدرت بمائة ريال.

حتى بعض المدن الجزائرية كان لها نصيب من الإحسانات على غرار قسنطينة هناك عنابة والقل وجيجل وتبسة سنة 1183هـ/ 1769م [1]، فمدينة تبسة مثلا بعث لها إحسان مس بعض الأشخاص والمعتقد أنهم تجار حيث شمل إحسان لمحمد بن سعيد من أهل تبسة 40 ريال الذي جاب الجوز والعسل، وإحسان لولد حسين بن يوسف التبسي الذي جاب الجوز 30ريال[2].

مما تقدم نستنتج أن الإحسانات باختلاف صيغها قد شكلت موردا هاما لهؤلاء، وإن كان غرض بايات تونس استجلاب المودة منهم، وخاصة القبائل التخومية التي استفادت منه كثيرا ونخص بالذكر قبيلة الحنانشة فأغلب التقاييد نجد فيها عنصر حناشي، والظاهر كان هدفها جلب أنصار في أرض الجزائر وهذا بما تتمتع به هذه القبيلة من نفوذ سياسي وإقتصادي في الشرق الجزائري.

ج.2. الإمتيازات الجزائرية بجزيرة طبرقة:

كانت السواحل التونسية تعرف حضورا لبعض المراكز الأجنبية في أرضها ومن بينها مركز طبرقة الجنوي ومركز تامكرت الفرنسي، وهي مراكز تجارية واستراتيجية تتمتع بتحصينات هامة والتي جعلت منها منطقة قوية وأمنة[3]، وقصة جزيرة طبرقة هذه بدأت سنة1542م حين استحوذت عائلة لوملليني على الجزيرة والتي تم التنازل عليها من قبل باي تونس لشارل الخامس من أجل إطلاق سراح درغوث باشا[4]، والذي ألقى جنتنيان دوريا وهو ابن أخ القائد الجنوي المعروف والشهير أندريا دوريا القبض عليه عند شواطئ جزيرة كورسيكا، وكان إطلاق سراحه صعبا جدا باعتبار خير الدين باشا كان مصرا على ذلك ولهذا دخل في مفاوضات طويلة مع الجنويين، ولكن بفضل عائلة لوميلليني الجنوية التي كوفئت كثمن لوساطتها تلك تمليكها لجزيرة طبرقة[5]، ومنذ ذلك الحين استغل أحفادهم صيد الشعاب المرجانية في مياه هذه الجزيرة مقابل دفع الضريبة[6].

1- راجع أ.و.ت الدفتر الجبائي 2144.

2- نفسه، وثيقة 206.

3- منصف التايب، المرجع السابق، ص17.

4- Eugéne Plantet, op.cit, p 527.

5- ألفونص روسو، المرجع السابق، ص 187.

6- Eugéne Plantet, op.cit, p 527.

المعلوم أن الحدود لم تكن مرسومة من ناحية الشمال ومنها جزيرة طبرقة وهذا مع بدايات القرن السابع عشر ميلادية، حيث كانت من المناطق المتنازع عليها، باعتبار أن الجزائر كانت مسيطرة نوعا ما على الجزيرة وهي من كانت تسير شؤونها[1].

بقيت أمور هذه الجزيرة على هذه الشاكلة إلا أن تقلد الحسين بن علي عرش تونس، وهذا بفضل التدخل العسكري الجزائري عليها، إلا أنه ظل حذرا من جيرانه الجزائريين ومن التعاون معهم سواء ضد القوة الأوروبية المحتلة كالإسبان أو المتاجرة كالفرنسيين والجنويين وغيرهم من الدول، ودليل ذلك أن داي الجزائر محمد بكداش كتب في مارس 1707م إلى باي تونس يعلمه بعزمه على الهجوم على جزيرة طبرقة بكل قواته، وطلب منه الإذن لقواته بالمرور على أراضيه للهجوم عليها فلم يشجعه على ذلك، باعتبار أن المنطقة هي مركز تابع للجنويين يدفع أصحابه للجزائر وتونس الضريبة معا، في المقابل يسمح لهم بصيد المرجان والتجارة مع الأهالي، ويبدوا أنهم لم يوفوا بالتزاماتهم تجاه الجزائر الأمر الذي أغضب الداي محمد بكداش، ودفعه إلى التفكير في الهجوم عليهم، ولكن الباي حسين الذي شك في الغرض الحقيقي لداي الجزائر أجابه بأنه سيتولى بنفسه مهمة فتح طبرقة، وقد خرج الحسين بن علي بمحلته ونازل صاحب طبرقة حتى طلب الأمان والصلح، ولم يحسموا في قضية جزيرة طبرقة البايات من بعده لأنهم قد يثيروا نقمة الجزائريين بإعتبارهم يعدونها لهم وهم حماة عليها أي غدت تحت حمايتهم.[2]

ظلت طبرقة إلى غاية سنة 1742م بحوزة هذه العائلة، والذين استمروا في تسديد الضريبة إما إلى إيالة تونس وإما إلى إيالة الجزائر وإما إلى قبائل الأعراب التي كانت تقطن الساحل التونسي، ولقد كانت تقدر سنويا مبلغ قدره 4545دينار[3].

إذن طبرقة هنا تحت رحمة الجنويين من جهة ومركز طمع بالنسبة للجزائر التي يدفع لها الجنويين لها الضريبة، وتحت نظر وطمع فرنسا من جهة أخرى هاته الأخيرة والتي أسست عام 1561م شركة **"امتيازات إفريقيا الفرنسية "**بإحدى التوابع الفرنسية، ونقلت مقرها فيما بعد إلى قرية القالة البحرية القريبة من مرسى عنابة الجزائري وهي الشركة التي تغيرت تسميتها في سنة 1741م حيث صارت تسمى شركة إفريقيا الملكية

1- Arvieux chevalier, op.cit, p33

2- عمار بن خروف، العلاقات السياسية ...، المرجع السابق، ص ص70- 231.

3- ألفونص روسو، المرجع السابق، ص186.

تنظر بحسد لازدهار مستعمرة طبرقة الجنوية الواقعة بينها وبين فرعها في مرسى تامكرت، وعلى هذا الأساس سعت لكسب امتيازات اقتصادية بها[1].

أمام هذه المستجدات اضطر باي تونس عام 1741م لإخبار حكام الجزائر أن فرنسا تتفاوض مع الجنويين بشأن شراء جزيرة طبرقة لكن داي الجزائر رفض بيعها[2]، وعلى الفور قام الباي التونسي بتسليح لما له من شقوف[3]وأرسلت باتجاه الجزيرة، حيث استطاعوا اجتثاث الإحتلال الجنوي بها نهائيا، كما قاموا بتقويض التواجد الفرنسي بها من خلال نهب وتخريب فرع شركة إفريقيا الملكية الفرنسية [4].

تخلصت طبرقة من تدخلات الجزائر في شؤونها، ولكن الإمتيازات الإقتصادية بقيت كما هي حيث كانت ترسل لها مرارا صناديق من المرجان، ونرى مع سنة 1159هـ/1746م يرسل باي قسنطينة حسن باي مكتوبا لقبطان الباستيون بأربعة عشر صندوقا من المرجان والذي يستفيد منه البايليك منذ سنوات، ولكن هذه المرة لم يبعث لهم، وهددهم في حال التراخي والإهمال بالمجابهة[5]، الواضح هنا أن الجزائر مازالت تمارس نفوذها على المنطقة وتشدد على مزاولة إمتيازاتها بها.

بقي حال المنطقة على ما هو عليه إلى أن عقد علي باي في 24جوان1781م معاهدة مع الشركة الملكية الإفريقية، ولقد جددت في عهد إبنه حمودة باشا الذي تلهف لصنع علاقات طيبة مع الدول الأوربية وهذا في 8أكتوبر1782م في قصر باردو وبحضور الوزير الأول مصطفى خوجة وأهم ما جاء في المعاهدة تجديد الشركة لامتيازات صيد المرجان على طول السواحل التونسية من جزيرة طبرقة غربا إلى طرابلس الغرب شرقا مقابل 13ألف بياستر [6]، وبالتالي قطع الطريق على الجزائر وإن فتحت على نفسها بتجديدها للمعاهدة باب أخطر من الجزائر.

1- ألفونصو روسو، المرجع السابق، ص 188.

2- عمار بن خروف، العلاقات السياسية...، المرجع السابق، ص120.

3- شقوف مفردة شقفة وهي المركب في مصطلح البحرية المغربية، ألفونص روسو، المرجع السابق، ص 189.

4- نفسه، ص 188.

5- مراسلات بايات قسنطينة، م.و.ج، رقم 1641 وثيقة رقم 06. أنظر المراسلة في الملحق رقم14، ص257.

6- كمال مايدي وصالح بوسليم، المرجع السابق، ص 175.

د. نشاطات التجار الجزائريين في تونس:

للأسف لم نعثر على وثائق أرشيفية توثق لنا أو حتى مصادر أو دراسات معمقة تعطينا بالتفصيل أسماء تجار جزائريون نشطوا في تونس سواء كان تاجر أو حرفي، ولكن من المؤكد كان بها تجار جزائريين لأن الحراك الاقتصادي كان نشطا بينهما، وإن كان القرب الجغرافي والعلائق التاريخية كفيلة بوجودهم بها، ومما ساعدهم أيضا وجود وكلاء جزائريين في تونس، والذين مثلوا دورا هاما في تفعيل النشاط الاقتصادي بها، وهذا من حيث توفير السلع الجزائرية في الأسواق التونسية وتوزيعها وقبض مالها، كما كانوا يعتنون بالتجار الجزائريين، بمعنى أدق كان أغلب اهتمامهم بالجانب التجاري.

أما بالنسبة للتجار الجزائريين الذي نشطوا في تونس فقد كان يطلق عليهم تسمية "**الغرابة**" أو المغاربة وهي في الوثائق تطلق على القادمين من الغرب سواء من الجزائر أو المغرب الأقصى وكانت أصول هؤلاء التجار والحرفيون الجزائريون تنحدر أغلبهم من قسنطينة ومستغانم ووهران وزواوة وتلمسان وصنهاجة ومن ميزاب ومدينة الجزائر، وقد استقر هؤلاء الحرفيون على ما يبدوا شأنهم في ذلك شأن أغلب المغاربة في المدينة، ويتواجدون حيث يمتهنون نشاطاتهم الحرفية، ونجد مثلا في سوق الغلة بتونس ذكر لعدد من الميزابية الذي يحترفون تجارة الغلة وبعض أصناف التجارة الأخرى كالخضر والغلال، والفحم وحراسة الأسواق[1]، وخاصة من بني ميزاب ولعل امتهانهم للتجارة أيام قدومهم لتونس واشتهارهم بالأمانة والنزاهة في الأعمال[2]، جعلهم يتبوؤون مكانة خاصة في تونس.

كما كان بعض الجزائريين يمتهنون التجارة بصيغة الباعة المتجولون، حيث ينتقلون بين القرى والأرياف لسد حاجيات السكان من المواد الضرورية، ويوجد عند أهل البادية أناس يطوفون على خيام البوادي وبيوتهم وقبائلهم وعروشهم، يحملون سلعهم على البغال أو الحمير أو الخيل، فيبيعون بالدراهم أو يبادلونها بالدجاج أو البيض أو الصوف من كل ما هو خارج عن العرب ثم يأتي بها للحواضر فيبيعها ويسلع غيرها، وغالب هؤلاء البياعة من أهل زواوة من بلد الجزائر، ولقد توزع التجار الجزائريين على قطاعات حرفية أخرى منها حرف الجلد والإكساء وصناعة الأسلحة النارية وحرف النحاسية، ولقد استقطبت حرف الجلد بمختلف فروعها أكبر نسبة من الحرفيين الغرابة، ويعود ذلك بالأساس إلى عراقة التقاليد التي تمتلكها هذه الجالية في هذا المجال، وحتى

1- حبيبة محيدب، المرجع السابق، ص ص63، 64 .

2- ويليام شالر، المصدر السابق، ص111.

الخياطة كانوا من أصل جزائري وخاصة القادمين من شرق الجزائر أي من عنابة وقسنطينة وعرفوا بإتقانهم لهذه الحرفة[1].

ومعلوم أن التجار كانوا ممن يتعرضون للأذية والسرقة دائما، ونذكر على سبيل المثال الإعتداء الذي تعرضت له قافلة قسنطينة التجارية المتوجهة إلى مدينة تونس بالقرب من تستور، على بعد مرحلتين من الحاضرة التونسية في ربيع الأول من 1173هـ أواخر 1759م على يد عرب ولاد مناع، فاضطر الباي إلى دفع تعويض لتجار قسنطينة تجنبا للنزاع مع الجزائريين، وقد كانت قافلتهم عظيمة، محملة بسلع كثيرة استولى المغيرون عليها وجردوا حتى بعض رجالها مما عندهم، فلما بلغ إلى الباي خبر ما فعلوه بالقافلة، وأعلمه رجالها أن بعض السلع التي أخذت منه هي لأتراك بلادهم، اهتم بالأمر، وطلب منهم أن يقدموا له جردا أمينا بكل ما أخذ لهم ليعوضه لهم، وأرسل فرسانه إلى أولاد مناع يطلب منهم إعادة ما نهبوه من الجزائريين، ومنحهم في مقابل ذلك الأمان، فلم يزل شيخهم صميدة بن سليمان بن أحمد يرغبهم في الإستجابة، ويرهبهم من مغبة الامتناع، إلا أن قبلوا برد ما أخذوه، وبعثوا إلى الباي علي كل ما أمكنهم جمعه من البضائع المنهوبة، فردها إلى أصحابها، وبلغ ما لم يسترد من منهوبات القافلة[2].

كما وجد تجار جزائريون في تونس وجد تجار تونسيون في الجزائر ولكن تمثلوا في عنصر الجرابة، والذين تواجدوا بكثرة في مدينة عنابة ومدينة الجزائر ولقد وجدت زنقة باسمهم "زنقة الجرابة"[3]، ولقد وجدت بها تقريبا ثلاثمائة عائلة جلهم من التجار والباعة المتجولين كما تولى منهم مهام إدارية كالمزوار مثل حمدان الجربي[4].

مستخلص القول فإن الجزائريين الذين تواجدوا بتونس شملوا عدة عناصر، فوجد كما ذكرنا أنفا البسكري والميزابي والزواوي وغيرهم وتوزعوا على عدة مواطن تونسية على عكس التجار التونسيون والذين تمثلوا تقريبا في عنصر الجرابة والذين كانت لهم حركية واسعة بمدينة الجزائر.

1- حبيبة محيدب، المرجع السابق، ص ص63، 64.

2- عمار بن خروف، العلاقات السياسية ...، المرجع السابق، ص ص 228- 230.

3- أمين محرز، **الجزائر في عهد الآغوات(1659- 1671م)**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، 2007 - 2008، جامعة الجزائر، ص107.

4- عائشة غطاس، **الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 1700- 1830م مقاربة اجتماعية اقتصادية**، أطروحة لنيل شهادة دكتواه دولة في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 2000- 2001، ص ص 46، 47.

إستنتاج جزئي:

– يستنتج مما سبق أن النشاط الإقتصادي الجزائري في تونس بمختلف أصنافه قد شكل للجزائر موردا اقتصاديا هاما حيث ساهم في ملء خزينة الإيالة الجزائرية، حيث تميزت التجارة مع تونس بنوعين تجارة خاصة بالحكام والتي تخص بيع المواشي الجزائرية وخاصة صنف البقر والتي لعب فيها الوكلاء الجزائريين في تونس دورا هاما من خلال توزيعها بشكل منتظم ومحكم بتقييدات، والتي وجد بها عدد البقر مع السعر المحدد من طرف حكام الجزائر، وتجارة خاصة بالعامة وتتمثل في التجارة المتنوعة والمتبادلة مع تجار إيالة تونس مثل التمور والذهب وغيره، حيث طغت المنتوجات الجزائرية الأسواق التونسية بحيث كانت لا تجلب هذه الأخيرة من تونس إلا الكماليات.

– لعبت القوافل التجارية بمختلف مسالكها دورا مهما في تفعيل وتنشيط الحركية التجارية بين الإيالتين حيث جمعت أغلب مواطنهما وخاصة مع الشرق الجزائري الذي كان بمثابة همزة وصل مع تونس بسبب القرب الجغرافي والإحتكاك الإجتماعي.

– إن الشروط التي فرضتها الجزائر على تونس كان نتيجة تقديم الدعم السياسي والعسكري لها مقابل تقديم إمتيازات إقتصادية هامة، والتي تمثلت في الهدايا والإحسانات بمختلف أصنافها لداي الجزائر وباي قسنطينة وحتى الموظفون كان لهم نصيب منه، ولقد كان للجزائر أيضا نصيب من مداخيل جزيرة طبرقة والتي كان يعتبرها الفرنسيون منطقة جزائرية لأنها كانت تتحكم في شؤونها، ما استدعى بايات تونس لجعلها منطقة تونسية فيما بعد.

– إستطاع التجار الجزائريين من تفعيل حركية التجارة في تونس وتسويقهم للمنتوجات الجزائرية بكامل المواطن التونسية، ما آثار تخوف حمودة باشا تونس من الحضور الجزائري بتونس والتي رآها تجارة لا تعود على تونس بكثير، ولهذا نرى الباي التونسي يسعى لتقليص حضورهم الإقتصادي من خلال تشجيع التونسيين على ممارسة التجارة لما لها من منافع عليهم وعلى خزينة الإيالة التونسية خاصة بعد عزوفهم عنها لفترات طويلة وإمتهانهم للزراعة.

الفصل الرابع

الحضور الإجتماعي والثقافي الجزائري في إيالة تونس ما بين 1628م- 1830م

أ: التفاعل الاجتماعي الجزائري في إيالة تونس

أ.1. ظاهرة الهجرة الجزائرية نحو تونس

أ.1.1. أساسيات حول موضوع الهجرة الجزائرية نحو تونس

أ.2.1. أهم الهجرات الجزائرية نحو تونس

- هجرات بني ميزاب
- هجرات بني زواوة
- هجرات قبيلة الحنانشة
- بعض الهجرات المتفرقة

أ. 3.1. آثار الهجرات الجزائرية على تونس

أ.2. القبائل الجزائرية في خضم الصراع الجزائري التونسي

أ.1.2. قبيلة الحنانشة

أ.2.2. مساهمات الزواوة في الحروب التونسية

أ.3.2. تجاوزات قبائل النمامشة

أ.4.2. أسرة ابن ناصر حكام خنقة سيدي ناجي ودورهم السياسي

ب. الجزائر والحركية الثقافية في إيالة تونس 1628م- 1830م

ب.1. المراكز العلمية المستقطبة للعلماء الجزائريين

ب.1.1. القيروان

ب.2.1. جامع الزيتونة

ب.3.2. جربة

ب.2. الرحالة الجزائريين في تونس ونشاطاتهم

ب.1.2. مفهوم الرحلة

ب.2.2. دوافع الرحلة

ب.3.2. أهداف الرحلة

ب.4.2.أهم الرحالة الجزائريين الذين زاروا تونس

ب.3. نشاط العلماء الجزائريين في تونس

ب.4. الحضور الصوفي الجزائري في تونس

ب.1.4.ماهية التصوف

ب.2.4. الطريقة القادرية

ب.3.4. الطريقة الحشاشية

ب.4.4. الطريقة الرحمانية

ب.5.4. الطريقة التيجانية

ساهم الإحتكاك الجغرافي والتقارب التاريخي لحد كبير في ربط المجتمعين الجزائري والتونسي خلال الفترة العثمانية، حيث شهدت تونس حركة إنتقال الجزائريين لها فردا وجماعة على شكل هجرات مع اختلاف الأسباب الداعية إلى ذلك وحتى في آثار إنتقالها، ولكن عادة ما يسبب القرب الجغرافي قلق كبير وبالأخص القبائل الحدودية التي عدت مصدر قلق للطرفين الجزائري والتونسي معا، فنفوذهم السياسي كان يعبد لهم الطرقات حتى يتدخلون في أمور السلطات الحاكمة، وفي غالب الأحيان تكون طرف فعال ومؤثر لدرجة أنها تغير في المسار التاريخي.

كما شكلت حركية إنتقال العلماء والمتصوفة الجزائريين إلى إيالة تونس ظاهرة حسنة ساهمت في إنتعاش الجانب الثقافي بها، فالمراكز الثقافية التي تمتلكها هذه الإيالة جعلت علماء الجزائر يفضلون زيارتها والإستفادة والإستزادة من علماءها والإحتكاك بهم، ومنهم من قرر الإستقرار بها لتأثير هذه المراكز عليه، حيث عدت هذه الفترة من أخصب المراحل التاريخية من الناحية الثقافية في الإيالة التونسية وهذا بسبب عناية وإهتمام حكامهم بهذا المجال، وهذا ما شجع علماء الجزائر إلى الهجرة إليها وإبداء مساهمتهم في الحركة العلمية بها.

أ. التفاعل الإجتماعي الجزائري في إيالة تونس

أ.1. ظاهرة الهجرة الجزائرية نحو تونس

أ.1.1. أساسيات حول موضوع الهجرة الجزائرية نحو تونس

لغة: هجر- الهجر: ضد الوصل – هجره، يهجره وهجرانا، صرمه وهما يهتجران ويتهاجران والاسم الهجرة، والهِجرة والهُجرة: الخروج من أرض إلى أرض[1].

تاريخيا: الهجرة ظاهرة اجتماعية انسانية قديمة، بحيث شهدت البشرية عبر مختلف الأزمنة تنقلات وحركات للهجرة من منطقة إلى أخرى ومن قارة إلى أخرى لعدة أسباب اقتصادية وسياسية أو لظروف طبيعية من جفاف ومجاعات[2]، وتختلف الأسباب الداعية للهجرة حسب المنطقة والظرف ونخص بالذكر هنا هجرة الجزائريين نحو تونس خلال الفترة العثمانية، والتي شهدت نوعان من الهجرة: الهجرة الجماعية والهجرة الفردية وأحيانا تكون هجرة مؤقتة وأحيانا هجرة دائمة.

ومن جملة الأسباب التي دعت الجزائريين للهجرة نحو تونس خلال الفترة العثمانية فيما يلي:

1. الضريبة التي كانت تثقل كاهل الجزائريين.
2. لأسباب طبيعية جغرافية مثل الجفاف وقلة المعيشة.

أ.2.1. أهم الهجرات الجزائرية نحو تونس:

- **هجرات بني ميزاب:**

إن طبيعة الصحراء وفقرها المادي والجفاف الذي يستمر أحيانا إلى سنوات عديدة قد تجعل الحياة في الواحات القاسية لا تفي لضروريات السكان، فالقوافل التي تتردد عليها لتصريف منتوجاتها وبيع محاصيل بعض الجهات من تمر وشعير وصوف وزبدة وغنم وغيرها، لا تكفل سكان الصحراء غالبا حياة الاستقرار والتعايش السلمي وكثيرا ما كانت تعوزهم الإمكانيات الضرورية المادية والمعنوية في مجالات التجارة والصناعة والتعليم[3]،

---

[1] - ابن منظور، المرجع السابق، ص 4616.

[2] - محمد بوسلامة، هجرة الجزائريين إلى المشرق العربي في العهد العثماني(1518م- 1830م)، **مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية**، مج2، ع1، يناير2019، جامعة تيارت، ص324.

[3] - حمو محمد عيسى النوري، **دور الميزابيين في تاريخ الجزائر قديما وحديثا**، د.د.ن، د.ب، د.س، مج1، ص 58

ويذكر شالر أن ميزاب يعيشون في منطقة تقع في الصحراء في جنوب الجزائر وعلى مسيرة عشرين يوما منها بالقوافل التي تمشي خمسة أيام على الأقل بعد حدود الإيالة دون أن تصادف الماء في طريقها[1].

كان من الطبيعي أن تساهم هذه الأسباب في الهجرة إما للتل أو الدول المجاورة، ولقد كان بني ميزاب من أكثر المهاجرين نحو تونس النازحون من الجنوب أساسا، والذين يتمثلون في بني ميزاب بمدنها السبع غرداية وبني يزقن ومليكة وبريان والعطف والقرارة وبنورة، وقد تميزت بفقرها وقلة إمكانيات العيش بها مما جعلها من المناطق الطاردة، فكانت الهجرة اضطرارية وضرورية لإرتباط حياة البلد ارتباطا شديدا بها[2]، ولقد استقروا في جربة التونسية وهذا بسبب تلائم الظروف من جميع النواحي وخاصة فيما يخص المذهب الإباضي [3]، كما ساهمت الظروف الإجتماعية المتشابهة بين مزاب وجربة، فجربة جزء منعزل في البحر وميزاب واحة منعزلة في الصحراء الجزائرية وهذه العوامل كفيلة أن تفتح بين المجموعتين أفاقا واسعة من التعاون والروابط الإجتماعية بين الأجيال المتوالية[4].

- **هجرات بني زواوة:**

يطلق عليهم بني زواواة وتعني كلمة "**بني**" أنهم ينحدرون من الأصل "**كذا**" هم من القبائل الجزائرية التي تعيش في الجبال وسكان كل منطقة من هذه المناطق الجبلية يشكلون دولة أو جمهورية مستقلة عن غيرها

1- ويليام شالر، المصدر السابق، ص 110.

2- صورية متاجر وحنيفي هلايلي، بنو ميزاب والأنشطة التجارية في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني في ضوء مخطوط قانون الأسواق، **مجلة أنثربولوجية الأديان**، مج 16، ع1، جامعة تلمسان، جانفي 2020، ص236.

3- الإباضية هي إحدى الفرق التي ظهرت في البصرة على إثر انقسام المحكمة سنة65 هـ أي القرن الأول من الهجرة، سموا بالإباضية نسبة إلى الإمام عبد الله بن إباض التميمي المعروف زعيم ديني وإمام إباضي، بالرغم من أن عبد الله بن إباض كان يصدر في أقواله وأفعاله، عن جابر بن زيد كما كان يفعل أبو بلال مرداس بن أدية وأن التسمية لم يخترعها أتباع هذه الفرقة وإنما مخالفوهم وظل الإباضيون يقاومون هذه التسمية لكنهم مع مرور الزمن وإصرار مخالفيهم على تسميتهم قبلوا به خاصة وأنهم لم يجدوا فيه ما يؤذيهم أو يسئ إلى سمعتهم، انتشروا في المشرق والمغرب العربي أين أسسوا دولتهم بتاهرت المعروفة بالدولة الرستمية. ينظر: محمد عبد الفتاح عليان، **نشأة الحركة الإباضية في البصرة ومناقشة دعوى تأسيس جابر بن زيد لها– وعلاقتها بالخوارج–**، ط1، دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع، د.ب، 1994، ص9. عوض محمد خليفات، **الأصول التاريخية للفرقة الإباضية**، ط3، د.د.ن، الأردن، 1994، ص9. عدون جهلان، **الفكر السياسي عند الإباضية من خلال آراء محمد بن يوسف أطفيش 1236– 1332هـ– 1818– 1914م**، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، سلطنة عمان، د.س، ص ص 19– 25.

4- يوسف بن امحمد الباروني، **جزيرة جربة في موكب التاريخ**، تح: سعيد بن يوسف الباروني، د.د.ن، د.ب، 1998، ص176.

من المناطق، وهذا الشعب يسمى أيضا البربر ومن هذه الكلمة اشقت كلمة برباري الانجليزية التي تطلق على هذه المنطقة من العالم ولكن هذه التسمية ليست حسب شالر سوى مصطلحا تاريخيا قديما[1].

يعتبر زواوة جزء من المجتمع الجزائري فهم من أهم العناصر الوافدة نحو البلاد التونسية منذ العهد الحفصي، ولقد تكاثر عددهم خلال العهد المرادي وبالضبط في عهد حمودة باي المرادي، والذي اعتنى بهم واستخدمهم في الجيش التونسي، كما استعان بهم كحرس خاص لهم، ولقد وتواصل الإعتماد عليهم خلال العهد الحسيني فبالرغم من تشريك العديد من العناصر في الجيش التونسي ولكن الحسينيين لم يتنازلوا عنهم لنجاعتهم وتفوقهم من نواح عديدة [2]، ودليل ذلك اعتماد حمودة باشا الحسيني عليهم أيضا وجعل بعضهم حرسا شخصيا وأعطاهم أجرا وامتيازات مقابل حماية القصر والحصون وازداد عددهم في عهد محمود باي مع أوائل القرن التاسع عشر عندما بدأت فكرة التخلي عن الجيش الإنكشاري، حيث جعل لهم مرتبا واعتنى بهم ومع مرور الأيام ازدادا عدد الوافدين منهم إلى تونس خاصة بعد إحتلال فرنسا للجزائر سنة 1830م بسبب الظروف القاسية التي بدأت تعيشها الجزائر[3]، ومن بين المواطن التي استقر بها الزواويين الحاضرة تونس ووطن المنستير[4].

- **هجرات قبيلة الحنانشة:**

تعتبر قبيلة الحنانشة **[والتي تعود أصولها حسب ميرسي إلى قبيلتي نفزاوة وهوارة]** [5]من القبائل القوية التي شكلت مركزا فعالا في الأحداث السياسية الجارية بالمنطقة الحدودية بين الجزائر وتونس، حيث تمكنت هذه القبيلة خاصة خلال القرن 16 وبداية القرن 17 من فرض سلطتها على حدود البلدين، إذ يمتد نفوذها الاستراتيجي وإن كان يتداخل بين حدود البلدين أي تونس والجزائر، من تبسة إلى سوق أهراس ثم إلى عنابة ومنها إلى قلعة سنان وجبل مسيد إلى جنوب وادي مجردة وإلى جبل قلالة وسلسلة الكاف وسلسلة الزعرورية وجبل تليس هذا من جهة الجزائر أما من ناحية تونس فيشمل نفوذها تقريبا على القبائل التالية: أولاد

---

[1]- ويليام شالر، المصدر السابق، ص- ص 113- 115.

[2]- دلندة الأرقش وآخرون، المرجع السابق، ص153.

[3]- الشيباني بنبلغيث، **الجيش التونسي في عهد محمد الصادق باي1859- 1882م**، تق: عبد الجليل التميمي، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، 1995، ص130.

[4]- جمال بن طاهر وآخرون، **المغيبون في تاريخ تونس الاجتماعي**، تح: الهادي التيمومي، بيت الحكمة، تونس، 1999، ص 162.

5- Ernest Mercier**, Histoire de Constantine**, J.Marle et F.biron. Imprimeurs- Editeurs, constantine, 1908, p156.

شارن، أولاد بوغانم والفراشيش، بالإضافة إلى سيطرتها على أسر موسعة مثل بني معمري وأولاد علي وبني زنداي وتوبسة وأولاد سلام ومنا الله وبني سقوال بجانب القبائل الأخرى الموالية لها والمتوطنة على الحدود التونسية مثل وشتانة وورغة[1].

كان لشيخ الحنانشة مكانة مرموقة تضاهي مكانة الباي باعتباره كانت له امتيازات مثل ارتداء قفطان الباي واستعمال الختم الذهبي، ضف إلى ذلك له حرية جباية الضرائب والتصرف بها دون مراقب، مع حرية الإشراف الإداري وقت السلم ووقت الحرب، وكانت لهذا الشيخ قوة عسكرية منها فرقة خاصة تسمى المزارقية[2].

تزايدت هجرات قبيلة الحنانشة إلى البلاد التونسية مع القرن الثامن عشر ميلادية بسبب بعض التعقيدات السياسية وتجلت أهمها في قضية الضرائب التي أصبحت تثقل كاهلهم، ومثال ذلك ما حصل سنة 1755م عندما فر عدد غفير من قبيلة الحنانشة إلى تونس بسبب الضريبة، الأمر الذي جعل شيخ الحنانشة ابن أبي عزيز بن نصر يشكو إلى باي قسنطينة ضعف الجباية، فقام هذا الأخير بمراسلة الباي علي باشا بشأنهم ولكنه لم يجد التجاوب المرغوب [3]، ويذكر أنه في شهر أوت من عام 1755 توجهت بعثة تونسية إلى قسنطينة محملة بالهدايا إلى باي قسنطينة حسن أزرق عينو، كما حملت معها تحمل مقترحات سلمية إضافة، وكان من المنتظر أن يتوصل الطرفان إلى حل وإتفاق يرضي الطرفين، ولكن عدم التفاهم بشأن قبيلة الحنانشة اللاجئة والسابقة الذكر، حال دون توصل إلى اتفاق حيث نفى وجودهم بتونس، كما طلب منه إرسال أحد رجاله للتعرف عليهم، ولكن المبرر الذي قدمه الباي التونسي لم يكن منطقيا ولا مقنعا لا لإبن بوعزيز شيخ الحنانشة ولا لباي قسنطينة [4] وفك اللقاء دون أية نتيجة تذكر وبقي الحال على ما هو عليه، والواضح أن قضايا الفرار باتت تزعج باي قسنطينة والذي كانوا بالنسبة له مصدر مالي مهم.

- **بعض الهجرات المتفرقة:**

تختلف أشكال الهجرة وأسبابها حسب الظرفية المحتومة من فرد إلى فرد ومن قبيلة إلى قبيلة، فأحيانا تكون الهجرة بسبب الضرائب الثقيلة كما ذكرنا آنفا ومثال ذلك ما حصل في عهد صالح باي حين لجأت

---

[1]– حميدة عميراوي، المرجع السابق، ص ص 26، 27.

[2]- المزارقية هم فرسان محاربون منتدبون من مختلف القبائل المخزنية، وهذه التسمية أصلها المزارق وهو الرمح. ينظر: حميدة عميرواي، المرجع السابق، ص 27.

[3]- عمار بن خروف، العلاقات السياسية...، المرجع السابق، ص 145.

[4]- نفسه، ص 155.

بعض العشائر الجزائرية الخاضعة لحكمه إلى الأراضي التونسية هروبا من المطالب المالية التي فرضها عليهم صالح باي، وعندما تهيأ هذا الأخير لمهاجمة تونس على رأس جيش ناهز ستة آلاف محارب، ورغم استعداد حمودة باشا لصد هذا الهجوم بقوة قدر عددها بألفي تركي وثلاثة آلاف من الكراغلة وكثير من فرسان العرب، إلا أنه فضل المهادنة في الأخير ودفع ما توجب عليه من تعويضات، وأرسل من أراد الرجوع إلى بلاده [1].

شكلت تونس نقطة عبور للجزائريين عبر التاريخ والتي كانوا يمكثون فيها وقتا لا بأس ثم يتأهبون للرحيل عبر المشرق، وفي الغالب تكون الهجرة بسبب الأوضاع السياسية المتأزمة في الجزائر وهذا ما رأيناه سنة 29 سبتمبر1817م عندما قتل داي الجزائر علي خوجة وهذا بعد خنق الجند الإنكشاري له، هاجر أغلب مواليه من بينهم القاضي والمفتي وبعض أرباب الدولة إلى تونس هربا من تلقي نفس المصير الذي آل إليه الداي، ولكنهم منعوا من النزول في تونس وبقوا على متن مراكبهم، وكانوا قد راسلوا الداي الجزائري بشأنهم ولم يتصرفوا في أمرهم حتى يأتي أمر الداي الجزائري [2].

إلا أن الهجرة لم تتوقف بعد احتلال فرنسا للجزائر سنة 1830م، وإنما تزايدت وأصبحت تشمل أغلب الفئات الاجتماعية، والواقع أن الهجرة إلى تونس لم تقتصر على العناصر التركية فقط بل امتثلت لتشمل الجزائريين بمختلف أصنافهم ومن بين هؤلاء نقيب أشراف الجزائر [3]أحمد الشريف الزهار حيث أقام مدة لا بأس بها بتونس وازدادا تبحرا في العلم والفقه على يد الشيخ إبراهيم الرياحي [4]، ومنها أسرة الجزائري أحمد توفيق المدني ذات الأصول التركية وقد عاد بعض أفرادها إلى موطنهم الأصلي تركيا انطلاقا من الموانئ التونسية، والبعض الآخر استقر بتونس حتى استقلال الجزائر[5]، ولكن السؤال المطروح هنا :**ماذا ترتب عن هذه الهجرات بمختلف أصنافها؟**

---

[1]- ناصر الدين سعيدوني، **ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000، ص292.

[2] - أ.و.ت، س.ت.ت، الصندوق 223الملف 384وثيقة رقم 5. أنظر الملحق رقم 15، ص 258.

[3]-جميلة معاشي، الإنكشارية في الجزائر بين الهجرة والتهجير، **أعمال الملتقى العلمي الأول "سوسيولوجية الهجرة الجزائرية في التاريخ الماضي والحاضر"**، ماي 2008، جامعة قسنطينة، ص 93.

[4]-أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص9.

[5]- جميلة معاشي، الإنكشارية...، المرجع السابق، ص93.

أ. 3.1. آثار الهجرات الجزائرية على تونس :

ليس من السهل تقبل تونس هذا الكم الهائل من المهاجرين سواء الراغبين في الإستقرار أو حتى الذين كان خروجهم بدافع الغضب والذي في الغالب يكمن في الضريبة المفروضة عليهم، لأن إيواءها للجزائريين سيحتم عليها دخول حرب مع الجزائر وهي في غنى عنها، ولكن أثار هاته الهجرة كانت تعود بالإيجابية على تونس في أغلب الأحيان، ويمكن رصد آثار هذه الهجرات فيما يلي:

1. استطاع بني ميزاب المهاجرين إلى تونس في ربط علاقات طيبة مع سكان جربة، حيث ساهمت هذه الهجرات في ترسيخ العمق الإجتماعي والديني بين الإيالتين وأثبتوا حضورهم داخل المنطقة في مختلف المجالات .
2. إن إيواء تونس للمهاجرين الجزائريين كان يوقعها دائما في المشاكل مع الجزائر التي كانت ترسل إليها من يرجعهم سواء قسريا أو طوعيا أو الدخول في حرب معها، ولولا مهمة السفارات والمراسلات التي كانت تتم بين البلدين لكانت الحرب عنوان المرحلة وهذا مثلما حصل سنة 1755م.
3. استفادة تونس من خبرة الزواويين العسكرية والذين توافدوا عليها منذ العهد الحفصي، وتزايد عددهم مع الوجود العثماني بالجزائر، والدليل مشاركتهم في أغلب الحروب التونسية وأظهروا شجاعتهم وكفاءتهم، وكان بمقدور المؤسسة العسكرية الجزائرية الإستفادة منهم ولكن غاب العنصر المحلي تقريبا فيه.
4. استفادت تونس جراء إيواءها للمهاجرين الجزائريين وخاصة القادمين من القبائل الحدودية مثل الحنانشة وغيرهم حيث ربطت علاقات إجتماعية معهم وبالتالي كسبت أحلافا داخل الإيالة الجزائرية.

هذه أهم الآثار المستخلصة من الهجرة الجزائرية نحو تونس خلال هذه الفترة، ورأينا أن تونس كانت المستفيد أيضا من تواجدهم بها، وإن كان استقبالهم يوقعها في صراع مع الجزائر.

أ.2. القبائل الجزائرية في خضم الصراع الجزائري التونسي:

كانت القبائل الحدودية مصدر قلق للطرفين الجزائري والتونسي معا، فقوتهم السياسية والعسكرية كانت تعبد لهم الطرقات حتى يتدخلوا في أمور السلطات الحاكمة وهذا ظهر جليا في الفترة العثمانية، حيث شهدنا حضورا مكثفا ونشيطا للقبائل الجزائرية وشيوخها خاصة فيما يخص علاقتها بتونس، وفي غالب الأحيان تكون طرف فعال ومؤثر لدرجة أنها تغير في المسار التاريخي، وهذا ما ستؤكده لنا التأثيرات الآتية:

أ.1.2.قبيلة الحنانشة: كان بايات تونس يستعينون بشيوخ القبائل الجزائرية بسبب نفوذهم الواسع من أجل فك نزاعاتهم السلطوية، وهذا ما لاحظناه مع قبيلة الحنانشة التي أضحت عنصرا فعالا في تحريك الميدان

السياسي، فلقد كان لهم تأثير كبير خلال العهد المرادي حيث استعان بهم مرادي باي مع سنة1628م في قضية تحديد الحدود وحاول استمالتهم [1]، ولكن القبائل الواقعة في الحدود الشرقية الجزائرية لم تكن تبدي الولاء لإيالة واحدة، وإنما عرفت ترددات تارة تعلن الولاء لتونس وتارة للجزائر ولهذا نرى سنة 1644م قيام حمودة باي المرادي بحملة ضد أحد شيوخ الحنانشة وهو خالد بن نصر الحناشي لأنه اعتبره من العصاة[2].

كما كان لقبيلة الحنانشة شأن ودخل في قضية النزاع حول السلطة في تونس بعد وفاة مراد باي سنة 1675م وهذا لما تقاتل على الحكم أبناءه محمد وعلي، حيث كانت السلطة مشتركة بينهما في حياة والدهما ولكن بعد وفاة الباي مراد احتفظ محمد باي بالسلطة ملغيا بذلك أحقية أخيه عليا في الملك، ولهذا لجأ هذا الأخير إلى قسنطينة وهناك طور علاقته مع سلطان بن مناصر شيخ الحنانشة الذي صاهره وشارك معه على إثرها حملة ضد أخيه محمد باي تونس[3]، ونراهم في عهد الداي شعبان داي الجزائر يدخلون في تحالف معهم من أجل حصار تونس سنة 1694م بمشاركة قبائل جزائرية أخرى[4].

وصل نفوذ هذه القبيلة مع أواخر العهد المرادي إلى درجة السيطرة على بعض القبائل التونسية وخاصة في عهد حفيدهم مراد باي التونسي، ولقدكانوا يكنون الكره الشديد إلى إبراهيم الشريف الذي تجرأ على قتله فيما بعد، وعلى هذا الأساس حرضوا داي الجزائر على القيام بحملة ضده، ولما قامت الحملة بالفعل كانوا هم في الصف الأول سنة1705م وهذا من أجل الإنتقام[5].

أما خلال العهد الحسيني فلقد أثرت هذه القبيلة على مسار العلاقات بين البلدين منذ بدايته، لأنهم لم تكن تجمعهم علاقة طيبة مع الباي الحسيني الحسين بن علي، وهذا بعدما طلب الباي التونسي المصاهرة مع بوعزيز بن ناصر شيخ الحنانشة لكن هذا الأخير رفض طلبه، ما أغضب الباي التونسي والذي نراه يحرض باي قسنطينة حسن قليان على عزله من مشيخة القبيلة ووضع أخيه أحمد بن ناصر مكانه [6]، كما لهذه القبيلة دور في الحروب الجزائرية التونسية بفرعيها فرع نصر الذي كان يتزعمه الشيخ بوعزيز بن ناصر وفرع مناصر الذي كان يتزعمه الشيخان أحمد الصغير وأخوه سلطان ابن عمار بن سلطان، فقد شارك بعضهم في تلك

---

[1]– توفيق البشروش، المرجع السابق، ص33.

[2]– محمود مقديش، المصدر السابق، ص101.

[3]- Ernest Mercier, op.cit, p236.

[4]–Albert Devoulx, op.cit, p12.

[5]– عمار بن خروف، العلاقات السياسية...، المرجع السابق، ص 43.

[6]- Ernest Mercier, op.cit, p250.

الحرب مشاركة قوية، فلما قام نزاع بين الباي حسين وابن أخيه علي باشا مال كل فرع من فرعي الحنانشة المذكورين إلى أحد قطبي الصراع والمعروفة في التاريخ السياسي لتونس بالفتنة الباشية الحسينية عام 1728م.

وفي نفس السياق شكلت المصاهرة ظاهرة بارزة خلال الفترة العثمانية في كلا الإيالتين الجزائرية والتونسية، خاصة بين بايات تونس والقبائل الفاعلة في الشرق الجزائري ونخص بالذكر قبيلة الحنانشة والتي اتخذناها " **نموذجا** " للمصاهرة باعتبارها من وثقت مصاهرتهم مع بايات تونس دون غيرهم لأنهم يشكلون أقوى الأسر والقبائل المحلية في الجزائر، وإن كان رابط المصاهرة ذو مصلحة مزدوجة فالبايات التونسيين ضمنوا بمصاهرتهم للحنانشة حليفا عسكريا في أرض غير أرضهم، ضف إلى ذلك القوة العسكرية عدة وعتاد التي يتمتع بها أحرار الحنانشة، والذين كسبوا هم أيضا جراء المصاهرة امتيازات اقتصادية كبيرة منها الإحسانات والهدايا، وفيما يلي جدول يوضح عناصر المصاهرة وتأثيراتها السياسية:

جدول توضيحي رقم 10: بعض معالم المصاهرة بين الحنانشة وبايات تونس وتأثيراتها السياسية: [1]

الجانب التونسي	الجانب الجزائري	العهد	التأثير السياسي
علي باي المرادي (العهد المرادي)	ابنة سلطان بن محمد بن منصر الحناشي	العهد المرادي	شارك الحنانشة في الحرب السلالية المرادية والتي شنها علي ضد أخيه محمد الذي استولى على عرش تونس ملغيا بذلك أخيه عليا، وبفضل الحنانشة استطاع هذا الأخير الانتصار على أخيه محمد. كما ساهم هذا التحالف الأسري في ما بعد لما بقي حفيدهم مراد باي في اتصال دائم مع أخواله الحناشيين، حيث استند على أخواله من أجل الإنتقام لمقتل والده عليا سنة1700م.(**للمزيد من التفاصيل راجع الفصلين الأولين**)
علي باي الحسيني (العهد الحسيني)	ابنة سلطان بن منصر الحناشي	العهد الحسيني	مساندة الحنانشة لعلي باي في حربه ضد عمه الحسين بن علي واستطاع في الأخير بالإطاحة به وتعليه عرش تونس. (**للمزيد من التفاصيل راجع الفصلين الأولين**)

[1]- جميلة معاشي، المرجع السابق، ص ص 224- 229.

يونس باي ابن علي باي) العهد الحسيني)	بوعزيز بن نصر الحناشي	العهد الحسيني	ساهم الحنانشة وصهريهما علي وابنه يونس من استرداد حكمهم في تونس. .(**للمزيد من التفاصيل راجع الفصلين الأولين)**

الملاحظ أن هذه القبيلة بقيت بين مد وجز وحسب ضبط مصالحها ترسي سفينتها، ولهذا نراهم يصاهرون البايات التونسيين من أجل فرض سلطتهم وتوسيع دائرة نفوذهم داخل الإيالة التونسية، وعلى هذا الأساس صاهروا الباي علي باي المرادي وعلي باي الحسيني وغيرهم، مما أهلتهم للمشاركة في الحروب التونسية إلى جانبهم والتي زادتهم بذلك قوة وسلطة.

أ.**2.2. مساهمات الزواوة في الحروب التونسية:** اشتغل الزواوة عدة وظائف عسكرية في الجيش التونسي بالإضافة إلى أنهم اشتغلوا كحرس شخصي لبايات تونس سواء بايات مراديين أو بايات حسينيين كما ذكرنا آنفا، فإنهم شاركوا أيضا في عدة معارك حاسمة وفاصلة إلى جانب التونسيين مستغلين بذلك خبرتهم العسكرية، ولقد اعتمد عليهم حمودة باي المرادي ابن مراد باي (1631م- 1659م) في حربه ضد القبائل الحدودية المتمردة، ولهذا أنشأ جيشا لأجل ذلك وكانت فرقة الزواوة من بينهم[1] .

أما خلال العهد الحسيني فلقد شارك الزواوة في عدة حروب إلى جانب التونسيين، حيث سجلت أقوى مشاركة لهم في معركة سمنجة في 4سبتمبر1735- 16ربيع الثاني1148ه حيث كانوا ضمن الجند العسكري التونسي ممن يحمون الأبراج ومدينة الكاف لما شنت الجزائر حملة على مدينة الكاف التونسية حيث لما وصلت هذه الحملة إلى البلدة في 8رمضان 1169ه- 6جوان1756 وجدوا قاعدة منيعة بها حامية قوية من الزواويين والأتراك وغيرهم، كما شاركوا في معركة الزياتين في 24جويلية1756 والتي أبرزوا فيها شجاعتهم أيضا، وغيرها من المعارك والوقائع العسكرية[2].(**للمزيد من التفاصيل راجع الفصل الثاني)**

أ.**3.2. تجاوزات قبائل النمامشة:**

تحدث عنهم العدواني وقال : «**هم النمامشة والدهم جالوت تفرق الحال حتى نفذ ما سبق في علم الله، أخرهم من نفزاوة إلى جبل الملاح، ولا زالت القدرة حتى كثرت رجالهم وكانوا أربعون قبيلة، ولا يزالون**

---

[1]- محمد الهادي شريف، المرجع السابق، ص78.

[2]- عمار بن خروف، العلاقات السياسية...، المرجع السابق، ص 98 -177.

يختارون البقاع حتى إلى موضع قسنطينة، فنزلوا بها أمراء واختلف رأيهم.»[1]، وهذا ما أكده أيضا ميرسي (Mercier) حيث أرجع أصولهم لقبيلتي نفزاوة والهوارة التي قطنت قسنطينة وتشكلت منها عدة تكتلات ومنها قبيلة النمامشة[2]، وتسكن هاته القبيلة القوية السهول، أما قائد النمامشة فيعين من طرف الباي بحيث لا يدفع بالمرة رسوم التولية (حق التولية) ولا تدفع من الضريبة سوى 3000 خروف في السنة وبإعتبار قيمة الخروف 2بوجو فإن قسيمة ما تدفعه إجمالا 6000 بوجو[3]، وعليه فهم من سكان بايلك قسنطينة وحسب عدد قبائلهم وعدم دفعهم لضريبة التولية فمن المؤكد أنهم كانوا أصحاب شأن عظيم ويستطيعون التأثير في الحياة السياسية.

مع بداية القرن السابع عشر ميلادي عرفت منطقة الجنوب الشرقي لبايليك قسنطينة نزاعات داخلية بين القوى المحلية ونذكر منها النمامشة والحراكتة والحنانشة[4]، وعليه فإن قبيلة النمامشة من القبائل القوية بالشرق الجزائري بحيث امتد نفوذها إلى نقرين الواقعة في تونس[5]، وليس هذا فقط وإنما كانوا يقومون ببعض التجاوزات داخل الإيالة التونسية ما أقلق بايات تونس كثيرا، ونذكر على سبيل المثال لا الحصر أنها لم تكن تؤد الإتاوة لتونس لقاء السماح لها بالتسوق في أسواق تونس الجنوبية، كما رفضت هذه القبيلة إعادة ما نهبته من ركب الحج المغربي لما كان في طريقه إلى المشرق، ولقد وعدهم الباي التونسي باسترداد ما غصبه النمامشة منهم، ما اضطر الباي علي باشا سنة 1751م بإنذارها وبشن حملة ضدها في حال امتنعت عن دفع واسترداد ما أخذته من الركب المذكور [6].

ولقد أرسل الباي التونسي وفدا إلى هذه القبيلة ومنهم الشيخ محمد بن الحاج أحمد، أحد شيوخ الخنقة والشيخ أحمد التليلي صاحب فريانة وشنوف الصولي ليقنعوا الناهبين برد ما نهبوه، ولكنهم إمتنعوا بل وأقدموا على حبس الموفدين إليهم، فشن حينئذ علي باشا حملة على من كان منهم بالقرب من زريبة حامد من الزاب فأخذهم واستاق أنعامهم ومواشيهم، وتوزعت أيدي النهب أمتعتهم، فأحفلوا أمامه ولاحقتهم قواته إلى

1– محمد بن محمد بن عمر العدواني، **تاريخ العدواني**، تق تح تع : أبو القاسم سعد الله، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2005، ص303.

2 - Ernest Mercier, op.cit, p156.

3– سعيدوني ناصر الدين، الشرق الجزائري...، المرجع السابق، ص 285.

4 - Ernest Mercier, op.cit, p221.

5– حميدة عميراوي، المرجع السابق، ص 28.

6- عمار بن خروف، العلاقات السياسية...، المرجع السابق، ص 146.

الخنقة، وتوغل ابنه سليمان حتى بلغ وادي سوف ونزل على قمارا، وألحق أضرارا بممتلكات أهلها، ولا سيما من كان منهم مواليا لأبناء الحسين بن علي كعزوز بن عمارة بن دالية الرزقي حيث أمر بقطع نخيله وكل هذه الأمور وهذه الحملة بالذات قد ثارت استياء كبير لدى الداي محمد بن بكير[1]داي الجزائر ولكن لم تذكر المصادر أية رد فعل حازمة.

كما كان لهذه القبيلة نفوذ واسع في مدن تونسية عدة أهمها نفطة وتمغزة وسندس وأم العرايس التونسية وكلهم تقريبا تابعين لقبيلة النمامشة وهذا قبل القرن التاسع ميلادية، ولكن مع الإستعمار الفرنسي تم التوقيع على صفقة تم من خلالها طرد النمامشة من طرف الباي التركي آنذاك[2].

أ.4.2. أسرة ابن ناصر حكام خنقة سيدي ناجي ودورهم السياسي:

يختلف الباحثين حول أصول هذه العائلة ولكن يرجح أصولها إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه وقد أخذت اسمها من الأمير عبد الرحمن الداخل حاكم قرطبة الملقب بالناصر، وتقول المصادر أن أسلاف هذه الأسرة فروا من الأندلس بعد سقوط غرناطة سنة 797هـ- 1492م ودخلوا المغرب ليستقروا في تسالة وجبال تلمسان قبل أن يتوغلوا في المغرب الأوسط ليستقر جدهم في تونس سيدي قاسم ووالده سيدي ناجي، ولقد إلتف حول الرجلين العديد من الأتباع والمريدين في تونس لشهرتهما العلمية، وبعد وفاتهما رحل خليفتهما سيدي مبارك إلى ورقلة ومنها إنتقل إلى الزاب الشرقي وذلك حوالي سنة 1011هـ- 1602م وهناك أسس زاويته والتي استقطبت العديد من طلاب العلم في مكان يدعى خنقة سيدي ناجي[3]، وفي عهد ابنه أحمد والذي تقرب بشدة من بايات قسنطينة والذين منحوه لقب شيخ الخنقة وبالتالي أصبحت الأسرة تابعة ولو اسميا لبايليك قسنطينة[4]، ولقد كان لهم دور سياسي مهم حيث تدخلوا في خضم الصراع الجزائري التونسي فكثيرا ما قاموا بدور الوسيط لفك النزاع وتجنب الحروب، ومثال ذلك أحمد بن ناصر الذي تولى مشيخة الخنقة سنة 1732م والذي لعب دور الوسيط على غرار أسلافه في تسوية النزاعات بين بايات تونس وبايات

1- عمار بن خروف، العلاقات السياسية...، المرجع السابق، ص 146.

2- حصام صورية، العلاقات...، المرجع السابق، ص168.

3- تقع بالجنوب الشرقي الجزائري، ويذكر أن تسميتها أخذت من اسم جدهم سيدي ناجي تبركا به. ينظر: عبد الحليم عساسي ومروان سمير قدوح، خنقة سيدي ناجي أو تونس الصغيرة حاضرة علم وفن وجمال، **مجلة جماليات**، مج05، ع1، جامعة مستغانم، 2019، ص 123.

4- جميلة معاشي، المرجع السابق، ص ص 94، 95.

قسنطينة، حيث كان ضمن السفارة التي كانت بين الجزائر وتونس من أجل فك النزاع بينهما، كما حاول هذا الشيخ توطيد علاقته ببايات تونس ما أثار بعض الشكوك لدى باي قسنطينة أحمد القلي والذي أثار غضب هذا الأخير هو بناء شيخ الخنقة لحصن يحمي مشارف الخنقة، ما اضطر باي قسنطينة إلى مهاجمته وتحطيم الحصن، وأمام الخسائر التي تعرض لها الشيخ قام باي تونس بمنحه أراضي زراعية واسعة بتونس تعويضا لما جرى في كل من منطقة ماطر وبنزرت وهذا كرد جميل له قدمه له شيخ الخنقة أثناء فراره من تونس، وحتى إبنه حسين الذي خلفه في الحكم حافظ على العلاقات الطيبة مع بايات تونس[1].

المستخلص أن أغلب القبائل الجزائرية كانت إما سببا لإندلاع حرب دامية بين الإيالتين الجزائرية والتونسية وإما وسيط صلح بينهما [2]، منذ تبلور المسألة الحدودية مع بداية القرن السابع عشر ميلادية إلى غاية الإحتلال الفرنسي للجزائر، حيث كان لها دور كبير في التأثير على دواليب السلطة في تونس، والمعطيات السابقة الذكر ماهي إلا دليل على حضورها المكثف والنشيط، وإن كانت طبيعة الحضور أحيانا تختلف في آثارها سواء سلبا أو إيجابا.

ب. الجزائر والحركية الثقافية في إيالة تونس 1628م– 1830م:

ب.1. المراكز العلمية المستقطبة للعلماء الجزائريين:

تعتبر الإيالة التونسية أول قبلة للعلماء الجزائريين وذلك منذ أن أسس عقبة بن نافع مدينة القيروان التي كانت مثل الشمعة المنيرة التي أنارت المغرب الإسلامي منذ العصر الوسيط، ووصلت تأثيراتها إلى الفترة العثمانية بتونس، ولكن حال الجزائر الثقافي خلال تلك الفترة كان أقل وأضعف في العلم مقارنة بتونس التي كانت أفضل منها بكثير في هذا الميدان[3].

عرف توافد العلماء الجزائريين إلى تونس ارتفاعا محسوسا خلال العهد الحفصي، والذين جعلوا من مدينة تونس مركز ثقافيا مهما بما فيها القيروان وجامع الزيتونة الذي أضحى منارة علم يؤمها العلماء والطلبة من كل أنحاء العالم العربي الإسلامي، ولا سيما علماء الجزائر باعتباره أقرب مركز علمي من بلادهم وكان

---

[1]– جميلة معاشي، المرجع السابق، ص ص 97، 98.

[2] - Armand De Flaux, op.cit , p.218

[3]– محمد الطاهر ابن عاشور، **أليس الصبح بقريب –التعليم العربي الإسلامي دراسة تاريخية وآراء إسلامية–**، ط1، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، 2006، ص88.

لهؤلاء دور بارز في تنشيط الحياة الثقافية والفكرية في تونس، وقد سمحت لهم ثقافتهم الواسعة وغزارة علمهم بتقليد عدة مناصب في الحواضر التونسية مثل الفقه والخطابة والتدريس[1].

كما استطاع مراد باي وذريته منذ أن تولوا عرش الإيالة التونسية سنة 1631م من توفير الأمن والأمان في كل مواطنها، حيث قاموا ببناء الجوامع الحنفية والمالكية أيضا، في كل من القيروان وقابس وباجة وجربة وغيرها من المدن التونسية، وهذه العناية التي أبداها البايات من بني مراد قد أعادت الإزدهار إلى عدة مدن فأصبحت من جديد مركز للإشعاع الثقافي، وقد أثر بناء المساجد والمدارس أو ترميمها بصورة خاصة في إنعاش التعليم[2].

لعبت القيروان وجامعها الأعظم دورا ثقافيا بالإضافة إلى جزيرة جربة، فحولت المدينة مع مرور الوقت إلى مركز إشعاع ثقافي يؤمه الطلبة والعلماء من كل أقطار المغرب من بينها علماء الجزائر، وفيما يلي تعريف لأهم المراكز التي توافدوا عليها ما بين سنتي 1628م و1830م:

ب.1.1. القيروان: وهي مدينة كبيرة بناها عقبة بن نافع لأسباب استراتيجية، حيث اتخذت كقاعدة عسكرية تنطلق منها عملياتهم الحربية [3]، فهي تعد من أبرز المراكز الحضارية والثقافية بتونس، حيث كانت همزة وصل تجمع بين المدن العلمية الثلاث مصر والمغرب وتمبكتو[4]، ولهذا كانت محل حسد لما اشتهرت به من رخاء مادي وازدهار فني وثقافي [5]، وكان أول ما بني فيها من معالم المسجد الجامع ودار الإمارة ثم توالت المساكن بعد ذلك وأخذ الناس يقصدونها من كل حدب وصوب، وبذلك انتشر فيها العمران وتعددت فيها المظاهر الحضارية التي إسترعت إنتباه الرحالة الذين مروا بها في فترات زمنية مختلفة[6].

---

[1]– ارزقي شويتام، العلاقات الثقافية الجزائرية المغاربية خلال الفترة العثمانية، **مجلة الدراسات التاريخية**، ع13، جامعة الجزائر، 2011، ص ص93- 94.

[2]– أحمد عبد السلام، المرجع السابق، ص ص 44- 46.

[3]- مرمول كربخال، **إفريقيا**، تر: محمد حجي وآخرون، دار النشر المعرفية، الرباط، 1989، ج3، ص97.

[4]- Henry Dunant, **Notice sur la régence de Tunis**, Imprimerie de Julis – G me Fick, Genève,1858, p117.

[5]- روبار برنشفيك، **تاريخ افريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى القرن 15م**، تر: حمادي الساحلي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988، ج1، ص390.

[6]– محمة عائشة وصالح بوسليم، من مظاهر التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس خلال العهد العثماني 1519- 1830م هجرة العلماء والطلبة الجزائريين إلى تونس أنموذجا، **مجلة الباحث في العلوم الإنسانية**، مج 6، ع2، جامعة الوادي، 2018، ص214.

اهتم البايات المراديين بهذه المدينة وبمعالمها وأولوها عناية كبيرة من خلال بناء المدارس والجوامع، إلا في عهد مراد باي الثالث حين تعرضت معالمها للهدم من طرفه وهذا مع أواخر القرن السابع عشر ميلادية، ولكن مع تولي الأسرة الحسينية العرش سنة 1705م قام مؤسسها الحسين بن علي بتجديد معالمها وأنشأ بها زاوية وحتى من تولى الحكم من بعده أبناءا وأحفادا اهتموا بالقيروان وبالجانب الثقافي ككل [1] إلا في عهد علي باشا (1735- 1756م) والذي عرفت فيه انتكاسة أخرى بسبب تأييد أهل القيروان لعمه الحسين، ولكن الأوضاع تغيرت فيما لحقه من بايات حيث أعادوا بناء كل ما تهدم فيها[2].

ب.**2.1**. **جامع الزيتونة**: هو ثاني الجوامع التي رفعت بإفريقية أي مدينة تونس لإعلاء كلمة الله بعد جامع عقبة بن نافع بالقيروان، ولكن هناك اختلاف في تاريخ تأسيسه فمنهم من ينسبه إلى عبيد الله بن الحبحاب الذي ولاه هشام بن عبد الملك واليا على افريقية في سنة 110هـ (728م - 729م) وقيل سنة 734م، وهناك من ينسبه إلى حسان بن النعمان الغساني فاتح تونس سنة 698م- 699م، أما فيما يخص تسميته فالروايات تختلف أيضا منها أن الجامع بني في موضع كان مشجرا بالزياتين قطعت كلها ولم تبق إلا شجرة زيتون واحدة في وسط ساحة الجامع فسمي بها، ومنها أن المسلمين عند فتحهم لقرطاجنة وجدوا زيتونة منفردة في موضع المسجد فقالوا هذه تونس وسمي المسجد بجامع الزيتونة، وهناك رواية مسيحية تخص هذا الشأن هي أن الجامع شيد بالقرب من كنيسة قديمة تضم رفات القديسة " **أوليف يعني الزيتونة**" ومنها جاءت تسمية الجامع الأعظم بجامع الزيتونة [3].

تحدث العديد من الرحالة الجزائريون عن هذا المعلم أثناء زيارتهم لتونس ومنهم أبوراس الناصري والورتلاني، حيث اتفق الرجلان على أنه أهم مركز علمي بتونس، وهذا المعلم على مر العصور يلعب دورا كبيرا في تقوية العلاقات الثقافية بين أهل المغرب الاسلامي كافة، ويقدم كلاهما شهادته حول النموذج العام للمجلس الزيتوني وألياته ويقول الورتلاني:«... **وكذا المجتمعون في جامع الزيتونة للإفتاء والتدريس فتقصر**

1- أحمد عبد السلام، المرجع السابق، ص ص 46- 66.

2- محمة عائشة وصالح بوسليم، المرجع السابق، ص 215.

3- محمد العزيز ابن عاشور، **جامع الزيتونة المعلم ورجاله**، دار سراس للنشر، تونس، 1991، ص ص 10- 12.

العبارة عنهم عن عدهم...»، أما أبوراس الناصري فقال: «... **واجتمعت مع العلماء بجامعها الأعظم فتذاكرنا وتناظرنا وترافعنا وتشاجرنا وتقابضنا وفي جميع الفنون الدقيقة والمسائل المخيفة...»**[1].

اجتهد حكام تونس ومنهم البايات المراديين في النهوض بالتعليم، فعاد النشاط الثقافي في تونس إلى الظهور والبروز في النصف الثاني من القرن الحادي عشر للهجرة(11هـ)- السابع عشر ميلادي(17م)، ورغم سعي حكامها لإشاعة المذهب الحنفي، والمرجح ذكره هنا أن الدولة العلية كانت تتبع المذهب الحنفي ولهذا كانت كل إيالاتها تتبع هذا المذهب موازاة مع المذهب المالكي فيما يخص الإيالات المغاربية ولهذا لم يهملوا المذهب المالكي فجددوا المدارس المالكية القديمة كالمدرسة الشماعية والمدرسة الوفقية والعصفورية والعنقية والمنتصرية وغيرها، كما بنى مراد باي الثاني المدرسة المرادية ونصب عل رأسها شيخا مالكيا[2]، ولقد سار البايات الحسينيون على نهجهم أيضا واهتموا بهذا المعلم الديني والتعليمي، ومنهم الحسين بن علي الذي اهتم بجامع الزيتونة وبطلبته حيث رتب جراية قارة للطلبة الذين كانوا يتلون القرآن بالجامع بين الصلوات، ووفر لهم جزءا من الأوقاف وحتى أنه خصص لهم قسما من غنائم سفنه[3]، وكان حكام تونس سواء مراديين أو حسينيين أفضل من الحكام الجزائريين آنذاك في هذا المجال لأنهم اهتموا بالجانب الثقافي وأوله عناية كبيرة باعتباره مجال حساس ومهم يخفي في طياته تراث وتاريخ.

ب.3.2. جربة: إهتم بها المؤرخين والرحالة وتفننوا في وصفها وبما تكسبه فقالوا عنها: « **من أعظم الجزائر خطرا وأشهرها في سالف الزمن عمارة** »[4]، كما أنها من بين المدن التونسية المنطوية على ذاتها وهذا لأنها تبعد عنها قليلا، كما عاشت جربة في ظل عهد الدولة الرستمية قرابة 140 سنة تنعم بالاستقرار والأمن والعدل والحرية السياسية والدينية، وإختار سكان الجزيرة المذهب الإباضي عن اقتناع لما رأوا في مبادئه السليمة

1- ليلي غويني، التواصل الثقافي للرحالة الجزائريين مع العلماء المغاربة في العصر الحديث، **مجلة الدراسات التاريخية**، ع14، جامعة الجزائر، 2012، ص220.

2- فوزية لزغم، **الإجازات العلمية لعلماء الجزائر العثمانية 1518م- 1830م**، دار سنجاق الدين للكتاب، د.ب، 2009، ص 172.

3- أحمد عبد السلام، المرجع السابق، ص67.

4- أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد التجاني، **رحلة التجاني**، تق: حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، تونس، 1981، ص ص 121، 122.

التي تتماشى وروح الدين الإسلامي، لأن دعاتهم كانوا يمثلون الإسلام عقيدة وسلوكا، وكان شيوخ العلم في جربة يتولون شؤونها الداخلية والخارجية[1].

تضررت هذه الجزيرة كثيرا فقلد كانت دائما في الواجهة، فمع بداية القرن السادس عشر ميلادية أصبحت واجهة لمسرح الصراع العثماني الإسباني ثم ألحقت بتونس العثمانية نهائيا فيما بعد، ورغم إنعزال أهل الجزيرة على أنفسهم فإن هذا لم ينف توجه علماء الجزائر وخاصة الميزابيين خلال هذا العهد العثماني إلى جربة وبكثرة أيضا[2].

ب.2. الرحالة الجزائريين في تونس ونشاطاتهم:

ب.1.2. مفهوم الرحلة:

لغويا: رحل يرحله رحلا، فهو مرحول ورحيل، وقيل معنى ترحلهم أي تنزلهم المراحل، وقيل فيه أيضا: رحل الرجل إذا سار وأرحلته أنا، ورجل رحول وقوم رحل أي يرتحلون كثيرا[3].

اصطلاحا: تعتبر الرحلات بمثابة مصادر شاملة سجلت فيها جوانب متعددة فيما يخص الجوانب الحضارية على امتداد الأزمنة المتتالية، فالرحلة تتطلب اتساع المعارف وتنوعها لأنها تستخدم الجغرافيا وتستند إلى التاريخ عند التعرض لوصف المسالك والمدن والمعالم، وحتى الحوادث والظواهر بمختلف أصنافها[4].

– تختلف أسباب الرحلة من شخص لآخر باختلاف الأغراض البشرية التي تستدعي القيام بها، فبعضها يغلب عليها الجانب العلمي والتاريخي والجغرافي والبعض الآخر يغلب عليه الجانب الأدبي والوجداني والبعض الآخر بهدف أداء فريضة الحج، كما يمكن أن يجمع بين أكثر من غرض حيث كان معظم العلماء يستغلون رحلتهم للحج ويلتقون بالعلماء والمشايخ ويأخذون عنهم في مختلف البلاد الإسلامية التي يمرون بها أثناء ذهابهم وإيابهم[5].

1– يوسف بن امحمد الباروني، المرجع السابق، ص23.

2– محمة عائشة وصالح صالح بوسليم، المرجع السابق، ص 216.

3– ابن منظور، المرجع السابق، ص 1609.

4– عواطف بنت محمد يوسف نواب، **كتب الرحلات في المغرب الأقصى مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين – دراسة تحليلية ونقدية ومقارنة–**، دارة الملك عبد العزيز، الرياض، 2008، ص20.

5– العمري بلاعدة، الرحلات الجزائرية الحجازية الرحلة الورتلانية أنموذجا، **دفاتر مخبر الشعرية الجزائرية**، ع12، جامعة المسيلة، مارس 2016، ص ص 121، 122.

يغلب على الإنسان الفضول وحب التعلم، لهذا نراه يرتحل مشرقا ومغربا لكي يفيد ويستفيد، كما أنها من صفات أهل العلم، وأصدق مثال لما ارتحل سيدنا موسى عليه السلام لسيدنا خضر عليه السلام من أجل التعلم منه وهذا ما ذكره الله في محكم كتابه العزيز ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَن مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [1]، وهذا ما شهدناه في الرحالة الجزائريين الذين دأبوا على حب التعلم، وأحيانا يكون دافع الرحلة تأدية لفريضة الحج وهي من أعظم بواعث الرحلات ولكن يتخللها الدافع العلمي سواء بقصد أو بدون قصد وفي الآتي رصد لهاته الدوافع :

ب.2.2. دوافع الرحلة:

1. الرحلة العلمية:

وهي من يذهب أصحابها بغرض العلم والزيارة والاطلاع على البلدان عموما والأخذ عن علماءها[2]، ولم تخلو كتاباتهم من إدراج الحياة الفكرية والثقافية لتلك البلدان[3]، وقد تميز العلماء الجزائريين بكثرة رحلاتهم إلى منابع الفكر والثقافة لإثراء معارفهم وتحصيل العلم [4]ونيل الإجازات[5].

تعتبر تونس من بين المدن التي قصدها العلماء الجزائريون وتواتروا عليها، باعتبارها مدينة الإشعاع الثقافي والفكري في تلك الفترة لما تحتويه من مراكز دينية وعلمية أهلتها لأن تكون قبلة العلماء، بالإضافة إلى احتوائها على عدد لا يستهان به من العلماء الأجلاء سعى علماء الجزائر للاتصال بهم والاستزادة منهم، فكانت هناك محاورات ونقاشات وتبادل علمي بين علماء الايالتين إضافة إلى منح الإجازات.

2. الرحلة الحجازية:

قصدها جمع من العلماء والأدباء من كل البقاع الإسلامية وبرعوا في وصف رحلاتهم لها، وحتى المناطق

---

[1]- سورة الكهف، الآية رقم 66.

[2]- أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي 1500- 1830م**، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ج2، ص383

[3]- مولاي بلحميسي، **الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص 10.

[4]- محمة عائشة وصالح بوسليم، المرجع السابق، ص109.

[5]- تعتبر الإجازة شهادة كفاءة او تأهيل يستحق بها المجاز لقب الشيخ أو الأستاذ في العلوم المجاز بها. ينظر أبو القاسم سعد الله، تاريخ...، المرجع السابق، ص39.

التي سلكوها أثناء عبورهم إليها[1]، وكانت الإيالة التونسية من ضمن المسالك التي يسلكها العلماء من أجل العبور إلى المشرق العربي من أجل أداء فريضة الحج، فكانوا أثناء ذهابهم أو إيابهم يقيمون مدة لابأس بها من أجل الراحة، وبها يلتقون بالعلماء التونسيين بمختلف معارفهم ويتناقشون معه من أجل الاستزادة المعرفية، حيث تعقد بينهم مجالس مناظرات ومحاورات.

ب.3.2. أهداف الرحلة: يمكن رصدها في النقاط التالية:

1. أخذ العلم مباشرة عن الشيخ والجلوس إليه أهمية كبيرة في التعليم، فالطالب لا يكتفي بقراءة مصنفات الأستاذ.
2. التعرف على مناهج التعلم والمستجدات الطارئة على التخصصات العلمية المختلفة والتحكم فيها.
3. التعرف على البلدان والشعوب وثقافتهم وتقاليدهم وامكانية التبادل الثقافي بين العلماء.
4. أخذ الإجازات من العلماء[2].

إن عملية وحركة انتقال العلماء والطلاب إلى تونس خلال الفترة الحديثة، كان لها دور كبير في تنشيط الحركية الثقافية، كما كان للرحالة دور بارز في توطيد هذه الصلات وتوثيقها، وهذا من خلال الإحتكاك بين أهل العلم وتلقائيته إلى الإنتاج الفكري الذي تبلور في كتب الرحلات[3]، وما تحتويه مخطوطاتهم من معلومات وروايات بإختلاف أوجهها فهم شهود عيان وبالتالي ودون شك هي أحد الوثائق المصدرية الهامة، ومن أهم الرحالة الجزائريين الذين قصدوا تونس نذكر منهم:

ب.4.2.أهم الرحالة الجزائريين الذين زاروا تونس:

1- الرحالة أبو راس الناصري: (1150هـ- 1737م- 1238هـ- 1823م)

هو الحافظ أبو راس محمد بن أحمد بن عبد القادر بن محمد بن أحمد بن الناصر بن علي بن عبد العظيم بن معروف بن الجليل الراشدي، المولود سنة 1150هـ- 1737م[4]والمتوفي سنة 1238هـ-

---

1- مولاي بلحميسي، المرجع السابق، ص 12.

2- عبد القادر ربوح، الرحلة ودورها في التواصل الثقافي بين الجزائر والمشرق العربي خلال القرن 11هـ- 17م رحلة يحي الشاوي الملياني تـ1096هـ- 1685م أنموذجا، **مجلة البحوث والدراسات**، مج 15، ع1، جامعة الوادي، 2018، ص 300.

3- ليلي غويني، المرجع السابق، ص213.

4- محمد أبو راس الجزائري، **فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته (حياة أبي راس الذاتية والعلمية)**، تح وتع: محمد بن عبد الكريم، المؤسسة الوطنية والكتاب، ص ص 11، 12.

1823م دفين مدينة معسكر، قيل أنه اشتهر باسم (**أبو راس**) إما لضخامة رأسه أو لكثرة وسعة علمه وسرعة حفظه[1]، مدحه الحفناوي حيث قال عنه: «**كان رحمه الله ورضي عنه إماما المعقول والمنقول وإليه يرجع في الفروع والأصول ورحل في طلب العلم واكتساب المعارف**»[2].

ولد أبو راس في بيئة فقيرة جدا في نواحي جبل كرسوط بالغرب الجزائري ورغم أن الحظ قد ابتسم له عدة مرات على يد بعض البايات، إلا أنه ظل حليف الفقر طول سنواته التسعين، ورحل به والده إلى نواحي متيجة[3]، وهناك فقد والدته التي يقول عنها في كتاباته أنها كانت كرابعة العدوية علما وورعا، ثم انتقل به والده إلى نواحي مجاجة حيث كان الوالد يعلم القرآن للصبيان، حيث تزوج أيضا، فرأى محمد أبو راس الصغير إمرأة أخرى في البيت غير والدته، ولعله قد نفر ذلك وتعلم من والده القسوة، ولكن هذا الوالد سرعان ما توفي أيضا فأصاب أبو راس اليتم والفقر معا[4]، والواضح أن هذه الظروف لم تمنع أبو راس من أن يتعلم بل كانت إحدى الدوافع التي حفزته لأن يكمل مشواره التعليمي، وطلب الاستزادة المعرفية هي التي جعلته يتقلد عدة مناصب.

تقلد أبو راس مناصب عدة مناصب كالقضاة والفتوى والخطابة، ولكن التدريس هو الذي ألهمه وظل يزاول هذه المهنة لمدة تزيد عن ست وثلاثين سنة بلا إنقطاع، ولكن في نفس الوقت لم ينس التأليف، ولقد شجعه شيوخه واعتنوا به بل وتنافسوا عليه للتدريس خاصة الشيخ عبد القادر المشرفي الذي قال للباي آنذاك: « **إنما اخترته على من هو أكبر منه من تلامذتي لأنه فيه النفع والقريحة**»[5]، ومن أهم ما كتب الناصري ما يلي:

1. لب أفياحي في عدة أشياخي.
2. تخريج أحاديث دلائل الخيرات.

---

[1]- بكاري عبد القادر، كتب الرحلات مصدر من مصادر التاريخ الجزائري في القرن 12هـ- 18م، **آفاق فكرية**، مج4، عدد خاص، أعمال الملتقى الدولي تاريخ الجزائر الديني في العهد العثماني من خلال الكتابات المحلية والأجنبية6- 7مارس 2018، ص126.

[2]- أبي القاسم محمد الحفناوي، **تعريف الخلف برجال السلف**، مطبعة بيير فونتانة الشرقية، الجزائر، 1906، ص 332.

[3]- متيجة قرب مدينة الجزائر

[4]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ...، المرجع السابق، ص ص 377، 378.

[5]- بكاري عبد القادر، الإسهامات الثقافية والكتابات التاريخية لعلماء الجزائر العثمانية –أبو راس الناصري نموذجا–، **المجلة الخلدونية**، مج 6، ع1، جامعة تيارت، 2013، ص119.

3. شرح المقامات الحريرية.

4. السيف المنتضي فيما رويته بأسانيد الشيخ مرتضي.

5. ذيل القرطاس في ملوك بني وطاس.

6. در السحابة فيمن دخل المغرب الأقصى من الصحابة.

7. الزمرة الوردية في الملوك السعدية وشرح الحلل السندسية فتح الإله ومنته، وغيرها من مؤلفات الشيخ والعلامة أبو راس الناصري[1].

عاصر أبو راس الناصري أحداثا هامة حدثت في الإيالة الجزائرية وفي الإيالات العثمانية الأخرى أهمها حملة أوريلي وحملة للورد إكسموث وفتح وهران الثاني وثورة درقاوة ضد العثمانيين، أما بنسبة للإيالات الأخرى فنذكر منها: ظهور الحركة الوهابية والحملة الفرنسية على مصر وتولي محمد علي حكمها، وبداية الإصلاح في الدولة العثمانية وقد أثرت هذه الأحداث وغيرها على مزاجه وأحكامه[2].

كان أبو راس الناصري كثير الترحال وأثناء رحلاته يلتقي بالعلماء والصلحاء المشهورين فيتلقى منهم الاستقبال والترحاب الكبير، وكانوا يلقبونه بالحافظ تارة وتارة بشيخ الإسلام، لأن الناصري كان محبا للعلم والتعلم واضعا أمام عينيه قولا حكيما: « **لا يكون الرجل عالما حتى يسمع ممن هو أسن منه وممن هو مثله وممن هو دونه**»[3].

دخل أبو راس الناصري مدينة تونس عازما على التقاء علماءها وصلحائها وحضور مجالسهم، حيث قال: « **واجتمعت بعلمائها وأجلة فقهائها، ونزلت على شيخها ومفتيها الذي لا شيء عليه من نصوص الفتاوى بمحجوب الشيخ السيد محمد بن المحجوب ذي العلم الغزير والرأي الأثير والعزم والحزم والجد الساعي إلى مساعي الأب والجد سمعت أهل تونس يقولون في أبيه: إنه مالك الأصغر**»[4].

من بين المجالس التي حضرها الناصري بتونس حسب ما ذكر في كتابه فتح الإله ومنته، يذكر أنه حضر مجلسا مع السيد محمد بن المحجوب من أجل الفصل في قضية حضانة بين خصمين فقال لمن أراد نزعها

1- عادل نويض، **معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر**، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، 1980، ص ص 306، 307.

2- أبو القاسم سعد الله، تاريخ...، المرجع السابق، ص 377.

3- عبد القادر بكاري، الرحلة ودورها في التدوين التاريخي الجزائري – رحلة أبو راس الناصري نموذجا–، **عصور جديدة**، ع19، جامعة وهران، أكتوبر 2015، ص214.

4- محمد أبو راس الجزائري، المصدر السابق، ص109.

من الحضانة: « **أثبت عليها أنها غير مأمونة. فقلت إن الحاضنة إذ نوزعت في سلب شرط وادعت أنها متصفة به هي تثبته لقول الشيخ خليل: " واثبتها"، فرجع إلي قولي فلله درّه! ما أنصفه! وصار يشاورني في نوازل ترفع إليه، وبث شكري في تونس يفوق ما أستحقه**» [1]، وهذا دلالة على تواضع السيد محمد بن المحجوب وحكمة وفطنة أبو راس، وغيرها من المجالس التي حضرها والتي أعطى فيها أحكاما لقيت استحسانا كبيرا.

اجتمع أبو راس في تونس بالعالم الكبير والأديب إبراهيم الرياحي وهذا من حسن حظه حيث مدحه وأثنى على علمه بقصيدة تحتوي تسعة وخمسين بيتا[2]، حيث قال فيه :

هَـــذَا الإمَــامُ «أَبُــو رَأْس مُحَمَّـــدُ» مَـــنْ * سَــارَتْ بتَبْريــزه فــي الخَلْــق رُكْبَــانُ**

هَـــذَا الـــذي أَقْلَعَــتْ أَنْبَــاؤُهُ صَـــمَمًا * وَأَبْصَــرَتْ نُــورَهُ المُلْتَــاحَ عُمْيَــانُ**

أَجْلَـــى الجَهَالَـــةَ فَانْجَابَـــتْ غَيَاهبُــــهَا * وَاشْــتَدَ منْــهُ لــدَينَ اللَــه بُنْيَــانُ**

فَكَــمْ أَفَــادَ بتَحْريــر وَقَــرَرَ مــــنْ * قَــوْل وَحَــرَّرَ مَــنْ بَحْــث لَــهُ شَــانُ**

وَكَــمْ أَجَــادَ وَكَــمْ أَهْــدَى وَكَــمْ أَرقَـــتْ * لَــهُ ابْتَغَــاءَ رضَــى مَــوْلَاهُ أَجْفَــانُ**[3]

وغيرها من الأبيات الشعرية التي كتبها الرياحي مادحا فيها أبو راس الناصري وكتاباته.

اكتسب الناصري من رحلته علما واسعا وخبرة كبيرة جراء التقاءه ومحاورته لعلماء كبار ومنهم من اجتمع بهم في الجامع الأعظم حيث قال: «**واجتمعت مع العلماء بجامعها الأعظم، فتذاكرنا، وتناظرنا، وترافعنا، وتشاجرنا، وتقابضنا في جميع الفنون الدقيقة، والمسائل المخفية، وقد أظهرني الله عليهم في ذلك كله، ثم سألوني عن أشياء صعاب فقهية، فأجبتهم عليها بما عندي من الأنقال الرائعة عليها، من غير توقف**»[4]، فسمع به العام والخاص، ولأن أبو راس عاصر فترة تواجده بتونس حكم حمودة باشا الحسيني الذي سمع عنه أيضا ودعاه إلى مجلسه الخاص وأكرمه به وطلب منه تفسيرات عن أصل تسمية قسنطينة ومدينة القيروان[5]، ومسائل أخرى أيضا تشجع فيها أبوراس وجاوبه بكل ما يعلم .

---

[1]- محمد أبو راس الجزائري، المصدر السابق، ص109.

[2]- عبد الرحمن الجيلالي، **تاريخ الجزائر العام**، ط2، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1965، ج2، ص 573.

[3]- محمد أبو راس الجزائري، المصدر السابق، ص112.

[4]- نفسه، ص115.

[5]- نفسه.

الواضح أن أبو راس الناصري قد ساهم بشكل كبير في تفعيل الحراك الثقافي بتونس خلال إقامته بها، حيث أبلى البلاء الحسن في جميع مجالسه ومناظراته وأبرز براعته وتفوقه، ودليل هذا المدح الذي لقيه منهم سواء علماء أو حتى حكام.

2- الرحالة الحسين الورتيلاني 1125هـ- 1713م- 1193هـ- 1779م:

هو العالم الحسين بن محمد السعيد بن الحسين بن محمد بن عبد القادر بن أحمد الشريف نجل الشيخ الولي سيدي على البكاي البجائي الذي أصله من مدينة تافيلالت بالمغرب الأقصى، ولد عام 1125هـ- 1713م بقرية أنو بجوار قرية بني ورتيلان وحفظ القرآن الكريم في زاوية جده ووالده بنفس القرية على الشيخ يوسف بن بشرات ثم تفرغ لدراسة علوم الفقه والحديث والنحو والصرف والعروض على والده وشيوخ القرية[1].

يذكر أن الورتيلاني قد تزوج عدة مرات وأنجب أولادا، حيث ذكر في رحلته أنه أثناء حجه الأخير أخذ معه زوجتيه عائشة بنت الفاضل سيدي السعيد وعيشوشة التي كانت من عائلة أخواله من أسرة المسعود بن عبد الرحمن من بني عيدل، وقد توفيت زوجته عيشوشة في تونس أثناء رجوعه من الحج، وقال عنها أنها كانت تحفظ ربع القرآن وجزء من رسالة ابن أبي زيد القيرواني الفقهية، وأما أولاده الذين رافقوه في حجه فقد أخذ معه ابنه محمد وزوجته فاطمة أخت عيشوشة[2].

نشأ الورتيلاني في أسرة مشهورة بالفضل والعلم حيث أخذ مبادئ العلم وحفظ القرآن وهو صغيرا بالمدرسة القرآنية التي كان أبوه قيما عليها، ثم بعد ذلك خرج من بلدته قاصدا مختلف الزوايا ودور العلم المتواجدة بالإيالة الجزائرية والتي التقى بها بكبار العلماء والذي تعلم منهم كثيرا خاصة وهو في سن الفتوة والاكتمال البدني،فأخذ الفقه والنحو عن المشايخ وكذا التصوف ونال حظا وافرا من اللغة والأدب والتاريخ[3].

أصبح الورتيلاني من أبرز العلماء في تلك الفترة من أهم المدرسين وشيخ الزاوية والأسرة أيضا، وكان يذهب للتدريس في بجاية وغيرها، حيث تخرج على يديه عدد كبير من التلاميذ الذين تولوا بدورهم وظائف دينية سامية، وليكن في العلم أيضا أن الورتيلاني كان يكره أهل الحضر والحكام العثمانيين، ولقد ألف

---

[1]- يحي بوعزيز، **أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة**، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1995م، ج1، ص ص 44، 45.

[2]- العمري بلاعدة، المرجع السابق، ص ص124.

[3]- نفسه، ص125.

الورتيلاني في عدة كتب معظمها في الفقه والتصوف والتوحيد، ومن أهم مؤلفاته نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار[1]والتي تحدث فيها عن رحلته إلى الحج، وبالتالي مروره على تونس، وهي التي سنعتمد عليها للتحدث عن المواطن التي زارها وعن الحياة الثقافية بها وعن تأثيراته على هذا الجانب.

من أهم مؤلفات الورتيلاني الرحلة الورتيلانية التي انتهى من إملاءها سنة 1182هـ- 1768م واستوحى عنوانه من مضمون كتابه نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار[2]، وهو وصف لرحلته إلى الديار المقدسة سنة 1179هـ/1765م وما شاهده من الأمكنة والأثار ومن لقيهم من العلماء والأعيان وغيرهم وشرح القدسية للأخضري في التصوف وحاشية على كتاب المراديين وغيرها من مؤلفاته[3].

تدرج رحلة الورتيلاني من الرحلات الحجازية الغنية بما تتضمنه من معلومات وحقائق تاريخية هامة، ومن المدن التي قصدها الورتيلاني في الإيالة التونسية والتي تحدث عن مواطنها التي مر عبرها منذ دخوله لها إلى غاية خروجه منها، بداية من توزر ونفطة، حيث زار الولي الصالح سيدي عبد الحق، وراح مادحا لمدينة توزر وقال أنها بلدة جميلة كثيرة النخل والماء وهي قاعدة بلاد الجريد، حيث قارنها بمدينة بسكرة الجزائرية وقال أن توزر أفضل منها بكثير من ناحية البناء[4]، لأن المدينتين تتشابهان في البيئة الطبيعية.

تابع الورتيلاني رحلته في تونس ووصل فيها لمدينة قابس، والتي التقى بعلمائها وصلحائها وأعطى لها وصفا جميلا حيث قال: « **فإننا أقمنا يومين في قابس وزرنا أبا لبابة وزرنا جميع من فيها من الأحياء والأموات واجتمعنا مع بعض فضلائها من طلبة العلم وصلحاء البلد**»[5]، ولقد عارضتهم في هذه الأثناء مشكلة في تونس حيث تعرض أصحاب الورتيلاني للسرقة ولقد ساعدهم في هذا الشأن فضلاء الحمارية[الحمارنة] الذين سعوا لرد ما سرق منهم من جمال، كما طلب منهم الورتيلاني وأوصاهم برد ما سرق منهم أيضا من بغال لجماعته التي كانت معه في الرحلة[6].

1- أبو القاسم سعد الله، تاريخ...، المرجع السابق، ص394- 395.

2- ناصر الدين سعيدوني، **من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي تراجم مؤرخين ورحالة جغرافيين**، البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، الجزائر، د.س، ص 453.

3- عادل نويض، المرجع السابق، ص 340.

4- الحسين بن محمد الورتلاني، **نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار المشهورة بالرحلة الورتلانية**، مطبعة بيير فونتانا الشرقية، الجزائر، 1908، ص120

5- نفسه، ص 129

6- نفسه.

أدى الورتيلاني فريضة الحج ثم قفل راجعا لبلاده وأثناء عودته استقر بتونس فترة لابأس بها، وهذا دلالة على إعجابه الكبير بالمدينة العلمية، والتي لقي فيها ترحيبا كبيرا وتعظيما من طرف علماء وصلحاء المدينة على غرار أهلها الذين اهتموا بالورتيلاني وبجماعته، حيث التقى في هذه الأثناء بالعالم الفقيه السيد ابن محجوبة والعلامة الفاضل ولده سيدي محمد وحمودة ابن عبد العزيز[1]، كما اجتمع مع صالح الكواش[2]وغيرهم من علماء تونس الذين استفاد منهم واستفادوا منه، وكثرة التقاءه بعلماء المدينة بمختلف مواطنها ساهم بشكل كبير في تنشيط الحركية الثقافية بها خلال تلك الفترة.

اشتغل الورتيلاني بالتدريس بتونس لفترة لا بأس بها، وأخذ عنه عدد من الطلبة في صفاقس وقابس، وتحاور مع العلماء والفقهاء والطلبة[3]، وأثناء زيارته لمدينة تونس زار جامع الزيتونة حيث راح يمدح فيه قائلا:« **كاد أن يكون جامعا للفنون ومحتويا للعلوم فما أحسنه من جامع أكرم به الطلبة والباحثين فشمس أنوار الفهوم فيه مشرقة وفوائده وعوائده محققة ومدققة فهو جنة العارفين وخلوة للمتعبدين الناسكين ومزارة للراغبين المشتاقين**»[4]، ومما أعجب به الرحالة في تونس هو اهتمام سلاطين تونس بالعلم والذين أقاموا منائر عزة فبنوا المدارس وأوقفوا الأحباس وأعزوا العلماء[5]، على عكس اهتمامات الحكام العثمانيين بالجزائر الذين لم يولوا لهذا المجال اهتماما كبيرا عدا البعض منهم.

3- الشيخ عبد الرزاق محمد بن حمادوش1107هـ- 1696م- 1200هـ- 1783م:

ولد في مدينة الجزائر حوالي سنة 1107هـ- 1696م وتوفي حوالي 1200هـ- 1783م بعد أن تجاوز التسعين عاما، نشأ بمدينة الجزائر وتعلم بها علوم عصره، وكان من عائلة متوسطة الحال [6]، عرفت عائلته

1- الحسين بن محمد الورتلاني، المصدر السابق، ص660.

2- صالح بن محمد الكواش الكافي (1725م- ت 1803) ينتهي نسبه إلى الشيخ عبد السلام بن مشيش الحسني، وارتحلوا من المغرب إلى الكاف وبها نشأ ولده الحسين الذي امتهن الفلاحة وكان كواشا بكوشة سيدي المشرف، تعلم بجامع الزيتونة فقرأ علم الكلام والمنطق وقرأ على يد كثير من العلماء والمشايخ وارتحل إلى المغرب وطرابلس لطلب العلم ثم عاد إلى تونس ووبها تولى مشيخة المدرسة المستنصرية. ينظر: محمد محفوظ، **تراجم المؤلفين التونسيين**، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985، ج1، ص 181.

3- يحي بوعزيز، أعلام ...، المرجع السابق، ص 46.

4- الحسين بن محمد الورتلاني، المصدر السابق، ص662.

5- نفسه.

6- عمار عمورة، **الجزائر بوابة التاريخ من ماقبل التاريخ الى 1962م**، دار المعرفة، الجزائر، 2009، ج1، ص 149.

بحرفة الدباغة لذا كان والده يعرف بالحاج محمد الدباغ أما ابن حمادوش فقد تحدث عن حرفة أخرى كان يمارسها وهي تجليد الكتب ونسخها[1].

اشتغل ابن حمادوش بالعلم والتجارة معا، لكنه لم يفلح في التجارة كثيرا بسبب ولعه بالعلوم، وعلى خلاف علماء عصره، فقد كان بارعا في تحضير الأدوية النباتية، ولقد تتلمذ بالدرس والإجازة على يد العديد من مشايخ عصره من بينهم الشيخ أحمد بن عمار صاحب رحلة (نحلة اللبيب) والقاضي والأديب محمد بن ميمون صاحب التحفة المرضية والمفتي محمد بن نيكرو والشاعر محمد بن علي والقاضي مصطفى بن رمضان العنابي وغيرهم من علماء الدين والأدب[2].

انفرد ابن حمادوش عن من عاصره من العلماء في التخصص فقلد تخصص في الجانب العلمي، ومال أكثر إلى العلوم العقلية وخاصة الطبية منها، فقد ألف في الطب والحساب والفلك والرياضيات والمنطق، كما لم ينقطع عن الاهتمام بالفقه والتصوف والأدب والتاريخ [3].

قام ابن حمادوش بعدة أسفار تعرف فيها على بعض بلاد المغرب والمشرق، فقد أدى فريضة الحج مرتين سنة (1130هـ- 1161هـ/1718م-1748م) وانتقل إلى المغرب الأقصى أيضا [4]، ولقد ترك ابن حمادوش مصنفا في علم النبات والتداوي بالأعشاب عُرف بكشف الرموز، والذي رجع فيه إلى مصنفات ابن بيطار والأنطاكي وابن سينا وهو الجزء المتبقي من كتاب شامل في الطب ينسب إليه ويعرف بالجوهر المكنون في بحر القانون، كما تنسب لابن حمادوش رسالة صغيرة في وظائف واضطرابات الجهاز التناسلي بعنوان تعديل المزاج بسبب قوانين العلاج، ألفها ببلد رشيد بمصر عام 1161هـ- 1748م [5].

كان لابن حمادوش زيارة إلى مدينة تونس والتي أخذ العلم عن مفتيها الشاعر أبي عبد الله محمد زيتونة، والشيخ محمد الشافعي[6]هذا الأخير الذي اجتمع به في الجزائر أثناء زيارته لها، والذي أوجد حلا للغز

---

[1]- فريدة مقلاتي، صورة الآخر المغربي في رحلة ابن حمادوش الجزائري (المسماة: لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال)، **مجلة إشكالات في اللغة والأدب**، مج8، ع4، المركز الجامعي تمنراست، 2019، ص444.

[2]- عمار عمورة، المرجع السابق، ص 149.

[3]- عبد القادر بكاري، الرحلة ...، المرجع السابق، ص ص 119، 120.

[4]- ناصر الدين سعيدوني، من التراث...، المرجع السابق، ص466.

[5]- نفسه، ص467

[6]- فريدة مقلاتي، المرجع السابق، ص445.

سيدي أحمد البوني وأعطى جوابا نثريا مطولا وجوابا شعريا ضم ثمانية أبيات، ولقد علق ابن حمادوش على جاوبه وعارضه فيه، حيث قال أنه وجد تناقض في الحل بين ما قيل في النثر وما قيل في الشعر[1].

4- رحلة الحاج إبن الدين الأغواطي :

من أبرز الرحلات التي يجب أن ننوه بها، ولكن تعثر علينا وجود ترجمة كاملة له، وحسب سعد الله وأثناء تحقيقه لرحلته فقد قال أنه من الواضح لم يكن معروفا على مستوى الجزائر رغم أن هذا الإسم أي ابن الدين كان موجود في المناطق التلية بالجزائر، ومن المرجح ذكره أيضا أن إبن الدين كان قليل التعلم كثير الإطلاع، كما أنه قد كتب رحلته بطلب من قنصل أمريكا عندئذ بالجزائر السيد ويليام هودسون الذي قدم إلى الجزائر سنة 1825م كقنصل عام لبلاده في الجزائر، وعليه فإن هودسون قد تعرف على الحاج إبن الدين بين سنوات 1825م و1829م [2].

تحتوي الكراسة التي كتبها الأغواطي على أربعة عشر صفحة، وكان القنصل قد طلب منه التفصيل حول المناطق التي زارها ولكن هذا الأخير اكتفى بذلك القدر، والواضح أن ابن الدين قد كتب الكثير ولكن لنفسه ولخص للقنصل ما رآه كافيا، وأهم المناطق التي زارها ابن الدين في رحلته: الأغواط، تاقدمت، عين ماضي، جبل عمور، متليلي، وادي مزاب والمنيعة، وجزيرة جربة وقابس التونسيتين، لأن ابن الدين والمعلومات التي كتبها عن قراها وعادات أهلها ومسالكها مهمة للغاية لتاريخ المنطقتين في تلك الفترة[3].

زار الأغواطي قابس وجربة وأبدع في وصفهما حيث قال أن قابس قرية على ساحل البحر، ثم تحدث عن بعض العادات الخاصة بهم ومنها الزواج، ثم ارتحل إلى جربة وعن القبائل المجاورة لها، وقال أنها مناطق زراعية بإمتياز حيث تنتج أغلب الفواكه، أما جربة فهي منطقة تابعة للإيالة التونسية، وقال أن مذهبهم شبه مذهب بني ميزاب، والذين يتمركزون بهذه المنطقة بشكل كبير[4]، وعليه إختتم الرحالة حديثه ورحلته، والهدف

---

[1]- للمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع. ينظر: عبد الرزاق ابن حمادوش الجزائري، **رحلة ابن حمادوش الجزائري" المسماة لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال"**، تق وتح وتع: أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص ص 134- 136.

[2]- الحاج ابن الدين الأغواطي، **رحلة الأغواطي الحاج ابن الدين في شمال إفريقيا والسودان والدرعية**، تر وتح: أبو القاسم سعد الله، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص 81، 82.

[3]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ...، المرجع السابق، ص386.

[4]- الحاج ابن الدين الأغواطي، المصدر السابق، ص ص101- 103.

من ذكرنا لهذه المعطيات التي أوردها الأغواطي في رحلته هو إبراز أهميتها من الناحية الجغرافية وحتى التعريفية بالمناطق التونسية التي زارها وأبرع في وصفها.

الواضح أن الرحلات الجزائرية قد ساهمت بشكل كبير في تفعيل وتنشيط الحركية الثقافية بتونس، وهذا أثناء إقامتهم بها، حيث أبلوا البلاء الحسن في مجالسهم ومناظراتهم، وكونوا علاقات مع علماء المنطقة وكسبوا إحترام العالم والحاكم، إضافة لتوثيقهم لرحلاتهم والتي تشكل مصدرا هاما لدراسة تاريخ تونس.

ب.3. نشاط العلماء الجزائريين في تونس :

شكلت تونس خلال العهد العثماني مركز إشعاع ثقافي مهم وهذا لما تحويه من مراكز علمية، وذلك بسبب اهتمام حكام تونس بالعلم والعلماء، ما جعلها تكون قبلة العلماء بمختلف مواطنهم وخاصة الجزائريين الذين رأوا فيها الشمعة العلمية المنيرة، حيث اختلفت أصول العلماء الجزائريين الذي ترددوا على تونس، والذي لم يكن مقصورا على جهة معينة من البلاد، بل هناك المستغانمي والتلمساني والقسنطيني وغيرهم، ومن أهم العلماء الذين أثروا في الحركية الثقافية ووثقت نشاطاتهم ما يلي:

1- عاشور بن عيسى القسنطيني (984هـ- 1576م- 1074هـ- 1664م):

عالم من فقهاء المالكية من أهل قسنطينة، جال في بعض الأقطار الإفريقية ومنها الإيالة التونسية التي استقر بها والتي أخذ بها من علماءها، لقيه أبو سالم العياشي، وذكره في رحلته وأثنى عليه [1]، وبعد استقراره في تونس مدة لا يستهان بها انتصب للتدريس بالزيتونة[2]، وقد كان يحكي لتلاميذه غرائب ما رأى من غريب البلاد وأهلها ويذكر جميع عجائب المسموعات من زي أهلها لباسا وحكما وقوتا ويصف أنواع القوت، ويذكر أيضا أن عاشور القسنطيني كان يكثر من الحكايات واستحضار قطع الشعر أثناء تدريسه ومن تونس توجه بأهله إلى الحجاز لأداء فريضة الحج فأدركه الموت سنة 1074هـ[3].

2- أحمد بن القاسم البوني(1139هـ- 1726م1063هـ- 1653م):

هو أبو العباس أحمد بن قاسم بن محمد ساسي التميمي البوني ولد ببونة سنة 1063هـ- 1653م وتوفي فيها سنة 1139هـ- 1726م ترعرع في أسرة ميسورة الحال، وفي بلاده بدأ تعليمه على يد والده قاسم

---

[1]- عادل نويض، المرجع السابق، ص 262.

[2]- فتيحة عبد النور، **الروابط الثقافية بين الجزائر وتونس ما بين 1860م- 1954م**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، المدرسة العليا للأساتذة الجزائر، 2013- 2014، ص9.

[3]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ...، المرجع السابق، ص383.

وجده محمد ساسي والإمام الشيخ ابراهيم بن التومي (سيدي ابراهيم) وغيرهم ثم واصل دراسته متنقلا بين المغرب الأقصى وتونس [1]، ومن مؤلفاته ما يلي:

1. الدرة المصونة في علماء وصلحاء بونة
2. فتح الباري في شرح غريب البخاري
3. نظم الخصائص النبوية
4. الالهام والانتباه في رفع الابهام والاشتباه
5. الثمار المختصرة في المناقب العشرة وغيرها من المصنفات[2].

3- أبو مهدي عيسى الثعالبي 1020هـ- 1611م- 1080هـ- 1669م:

عيسى بن محمد بن محمد بن أحمد بن عامر الجعفري نسبة إلى جعفر بن أبي طالب الهاشمي الثعالبي الجزائري ولد سنة 1020هـ- 1611م، من أكابر فقهاء المالكية في عصره، أصله من ناحية واد سير (وطن الثعالبة) الواقعة في الجنوب الشرقي لمدينة الجزائر، ولد ونشأ في زواوة، ثم انتقل إلى العاصمة للأخذ من علماءها الأجلاء أبرزهم سعيد قدورة وغيرهم، ولقد كان أول من شد الرحال نحو تونس ثم إلى مكة إلى أن وافاه الأجل في 1080هـ- 1669م [3]، وخلف الثعالبي مجموعة من المؤلفات:

1. كنز الرواة في درر الحجاز
2. تحفة الأكياس في حسن الظن بالناس
3. يواقيت المسموع
4. رسالة في مضاعفة ثواب هذه الأمة
5. مشارق الأنوار في بيان فضل الورع من السنة وكلام الأخيار وغيرها من المؤلفات[4].

نذكر من بين العلماء الجزائريين الذين أثروا في الحياة الفكرية والثقافية بتونس ساسي المقري المتوفي سنة 1689م إمام وفقيه بجامع الزيتونة، وهو من نواحي البربر، وهناك أيضا محمد الشريف الحمني وأصله من بلد تاكذات قدم إلى تونس عام 1682م وتولى القضاء بماطر، والشيخ محمد العنابي الضرير ولد ببلد العناب سنة

---

[1]- أحمد بن القاسم البوني، **الذرة المصونة في علماء وصلحاء بونة**، تق- تح: سعد بوفلاقة، منشورات بونة للبحوث والدراسات، الجزائر، 2007، ص ص 12، 13.

[2]- محمة عائشة وصالح بوسليم، المرجع السابق، ص212، 213.

[3]- عادل نويض، المرجع السابق، ص 91.

[4]- محمة عائشة وصالح بوسليم، المرجع السابق، ص 212.

1684م وقرأ بالجزائر على الشيخ تريح ثم انتقل إلى مدينة تونس[1]، ومنهم أيضا أبو القاسم محمد البجائي من النحاة التقليديين في القرن 11هـ- 17م، عاش جزءا من حياته في تونس وأخذ العلم على علمائها وعلى الوافدين عليها من العثمانيين وغيرهم، تولى الخطابة في جامع الخطبة خارج باب الجزيرة بتونس وكان أيضا فقيها ورعا[2].

– تواصل توافد العلماء الجزائريين على البلاد التونسية لطلب العلم بنفس النسق تقريبا خلال القرنين 18و19م نذكر منهم:

4- مصطفى بن عبد الله الرّماصي(تـ1136هـ- 1724م):

غير معلوم سنة ولادته أما وفاته فكانت سنة 1136هـ- 1724م، مصطفى بن عبد الله بن محمد مؤمن الرماصي، عالم ومن فقهاء المالكيين من أهل رماصة إحدى قرى مستغانم، تعلم بمازونة معسكر حيث أخذ من علمائها، ولقد وصفه عبد الرحمن الجامعي القاسي بحامل راية الفقه المالكي في عصره، وكان قد زار جامع الزيتونة واستفاد من علماءه[3] .

5- أحمد بن عبد الله بن عمار الجزائري (تـ 1205هـ- 1790م):

المعروف بأحمد بن عمار من أعلام زمانه في العلوم النقلية والعقلية، له اشتغال بالحديث والتاريخ، مجهول تاريخ ميلاد"، ومتوفي نحو 1205هـ- 1790م، هو من أهل مدينة الجزائر حج في أوائل سنة 1166هـ- 1741م، ولقد تولى الإفتاء سنة 1180هـ- 1754مـ، معروف بكتابه نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب[4]، ولقد ولى التدريس والإفتاء بتونس ومن تلاميذه إبراهيم سيالة وأحمد الغزال الجزائري، وقد جاء في مقدمة محقق كتاب الباشي أن صاحب التأليف الوزير الحاج حمودة بن محمد بن عبد العزيز المتوفي سنة 1788م حرر رسائل من علم الكلام سأل عنها علماء قسنطينة فأجاب عنها [5].

مع العلم أن ابن عمار ذهب إلى تونس بقصد الاستقرار بها سنة 1195هـ- 1781م وكان عندئذ كبير السن ومع ذلك نجده يناظر علماء تونس، ويؤلف عملين فيها الأول رسالة في التفسير والأدب والثاني تاريخ في سيرة وآثار باي تونس عندئذ، ولكن ابن عمار لم يبق في تونس بالرغم من أنه جاء لتونس بهدف

---

[1]- دلندة الأرقش وآخرون، المرجع السابق، ص 303.

[2]- فتيحة عبد النور، المرجع السابق، ص ص 8، 9.

[3]- عادل نويض، المرجع السابق، ص 152.

[4]- نفسه، ص 97.

[5]- أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص 98.

الإستقرار ولكن الغالب منافسة العلماء له، وموت علي باي ووفاة صديقه حمودة بن عبد العزيز صاحب الكتاب الباشي سنة 1202هـ- 1787م قد حمله على الخروج نحو المشرق [1].

كما يعد من علماء السند في عصره وكان أديبا فقيها بالدرجة الأولى، حيث أخذ عن المنور التلمساني الطريقة الشاذلية والحديث ولا سيما صحيح البخاري عن خاله محمد بن سيدي هدى الجزائري [2]، ولقد ربط ابن عمار علاقات متينة مع أقرانه بها، وتبادل معهم الإجازات والتقاريظ ومن أشهر تلامذته بها الشيخ إبراهيم السيالة الذي جمع ثبتا في أسانيد شيخه سماه بمنتخب الأسانيد في وصل المصنفات والأجزاء والمسانيد، فأجازه به سنة 1204هـ- 1789م[3].

6- محمد صالح الرحموني العيسوي الزواوي(1152- 1242هـ- 1739- 1826م:

أديب نحوي ولد سنة 1152هـ- 1739م، نسبة إلى أولاد رحمون من شرفاء مشدالة، [4]، ولقد درس في تونس ثم عاد إلى مسقط رأسه ببلاد القبائل حيث مارس التدريس[5]، من مؤلفاته: شرح على الأزهرية والدليل على الأجرومية وميزان اللباب في قواعد الميزان والإعراب، وافته المنية سنة 1242هـ/1826م[6].

7- الشيخ حمودة بن محمد بن حمودة بن عيسى الشريف الجزائري تـ1245هـ1829م:

غير معلوم سنة ميلاده، من كبار فقهاء مدينة الجزائر وعلمائها، أصولي مشارك في كثير من العلوم، تعلم بالجزائر ومصر [7] المعروف بالمقاييسي[8]درس بالأزهر، وأثناء عودته لبلاده توقف بتونس، وكانوا قد طلبوا منه التدريس والبقاء معهم وهم بدورهم يقومون بكل ما يحتاجه إليه، ولكنه رفض وقرر العودة إلى بلاده، ولعل السبب أنه وجد بها علماء فلم يشأ البقاء[9] ولقد وافته المنية سنة 1245هـ1829م بالجزائر [10].

1- أبو القاسم سعد الله، تاريخ...، المرجع السابق، ص 226 .

2- فتيحة عبد النور، المرجع السابق، ص 10.

3- فوزية لزغم، المرجع السابق، ص253.

4- عادل نويهض، المرجع السابق، ص 146.

5- أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص 97.

6- محمة عائشة وصالح بوسليم، المرجع السابق، ص ص 213، 214.

7- عادل نويض، المرجع السابق، ص 309.

8- أبي القاسم محمد الحفناوي، المصدر السابق، ص 140.

9- نور الدين عبد القادر، المرجع السابق، ص ص 209، 210.

10- أبي القاسم محمد الحفناوي، المصدر السابق، ص 146.

8- محمد بن محمود العنابي (1189هـ- 1775م- 1267هـ- 1850م):

المفتي محمد بن محمود العنابي من أوائل المجددين ودعاة الإصلاح الاجتماعي والسياسي في العالم الإسلامي، قاض وباحث من فقهاء الحنفية، ولد بمدينة الجزائر سنة 1189هـ- 1775م، حيث كان كثير التنقل إلى المشرق وكان يمر عبر تونس، هذه الأخيرة التي استقر بها مدة سنة تقريبا عام 1244هـ/1828م ثم عاد إلى الجزائر [1]، وعليه أنشأ علاقات ودية مع بعض علمائها، ومنح إجازات لبعضهم ممن التجأوا إليه وطلبوا منه نثرا أو شعرا ومنهم علماء أسرة بيرم والذي جمعتهم به مودة كبيرة[2]، ومن أهم آثاره السعي المحمود والعزيز في علم التجويد وغيرها[3].

كما وجد بتونس علماء جزائريين آخرين ومنهم الشيخ الولي محمد البشير أصله من زواوة تولى التدريس بتونس وقرأ عليه المؤرخ التونسي ابن الضياف[4]، وهناك أيضا الشيخ القاضي أحمد العوادي الذي ينحدر من قبيلة عوادي بقسنطينة، وقد تولى التدريس بالجامع الأعظم وتولى القضاء بماطر سنة 1828م[5].

ومن علماء ميزاب في جربة بالذات والتي ربطت بين الموطنين أي جربة وميزاب علاقة قديمة يرجع تاريخها إلى القرن 5هـ في عهد أبي عبد الله محمد بن بكر الفرسطائي النفوسي مؤسس نظام العزابة، وقد استمرت الصلة بين الشعبين إلى عصرنا هذا رغم بعد المسافة، فعلاقة جربة بالمناطق الأخرى التي انتشر فيها المذهب الإباضي في الجزائر مازالت تحافظ على علاقتهم بها، وإن التعاون والتآزر والأخذ والعطاء لا يأتي بين مجتمعين إلا إذا توفرت لهما الأسباب وتهيأت الظروف المشجعة الحافزة على ذلك وميزاب وجربة قد توفرت لهما شيء كثير:

1- يسود بين المجتمعين مذهب إسلامي واحد فغالب سكان المنطقتين إباضي المذهب، فلا بد أن ينشأ عن المذهب الواحد رابطة ثقافية واجتماعية وروح من التفاهم والتعاون.

---

[1]- عادل نويهض، المرجع السابق، ص245.

[2]- أبو القاسم سعد الله، **رائد التجديد الإسلامي محمد بن العنابي المتوفى 1850م صاحب كتاب السعي المحمود في نظام الجنود**، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000، ص 43.

[3]- عادل نويهض، المرجع السابق، ص245.

[4]-خير الدين شترة، الهجرة الطلابية الجزائرية في جامع الزيتونة بتونس وأثرها على الحياة التعليمية بالجزائر خلال الفترة 1900م- 1962م، **المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطية**، مج5، ع10، جامعة سيدي بلعباس، ديسمبر2019م، ص 59.

[5]- نفسه، ص 60.

2- الظروف الاجتماعية المتشابهة بين مزاب وجربة، وصور التعاون بين جربة وميزاب تتجسم في انتقال الطلبة من ميزاب إلى جربة، إما رغبة في الاستزادة من المعرفة وإما لأن أوطانهم لا يتوفر فيها العلماء غالبا ما يكون ذلك بعد أن يؤم الطالب حواضر العلم في تونس والقيروان أو غيرها، فيجد الطالب من الإمكانيات ما يعنيه ويشجعه على قضاء فترة الأخذ والاستفادة من مدارسها[1]. ومن علماء ميزاب في جربة نذكر:

1- أبو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد المصعبي المليكي الجربي(1079هـ-1669م- 1207هـ- 1792م):

هو محمد بن يوسف المصعبي المليكي أصلا الجربي مولدا ونشأة ووفاة، وهو من مشايخ المذهب الإباضي الذين لم يكتفوا بأخذ العلم في بلادهم بل فضلوا السفر للإستزادة المعرفية، ولد سنة 1079هـ-1669م بقصر مليكة بمنطقة ميزاب جنوب الجزائر، وسافر بعدها إلى جربة بصحبة والده سنة 1692م أين أخذ العلم عن مجموعة من المشايخ منهم: الشيخ سعيد الجادوي والشيخ سليمان بن محمد الباروني والشيخ عمر بن علي السدويكشي ومنها خرج إلى مدينة تونس ليستزيد من العلم ثم راح إلى مصر وحضر دروسا بالأزهر، وعند عودته لجربة أصبح مفتيا ومدرسا في مساجدها، وحتى في الجامع الكبير كان يحضر مجالسه [2].

2- يحي بن صالح الأفضلي أبو زكرياء (1126هـ- 1788م - 1202هـ- 1788م):

عالم إباضي من مواليد 1126هـ- 1714م من بني يسجن، وهو من علماء الأعلام وكبار المشايخ في وادي ميزاب، سليل بيت العلم من حفاد الشيخ موسى بن الفضل، تلقى مبادئ العلوم في مسقط رأسه بني يسجن ثم قصد جربة في آخر النصف الأول من القرن الثامن عشر ميلادي، فأخذ عن شيوخها ومنهم الشيخ أبي يعقوب يوسف بن محمد المصعبي المليكي نزيل جربة، ويذكر أنه بدأ غير مجتهد في تحصيله فشجعه على الاجتهاد، ولقد مكث في جربة اثني عشر سنة متصلة، تفرغ فيها كليا للعلم لا يلتفت لشيء غيره، ولما أتم دراسته استعد للرحيل وعاد إلى ميزاب سنة 1744م بعد إلمامه بعلوم كثيرة، وله من الإنجازات ما يلي:

1. ترك ما لا يقال عن عشرين نصا بين رسالة وحاشية.

---

[1]- يوسف بن امحمد الباروني، المرجع السابق، ص 175.

[2]- محمة عائشة وصالح بوسليم، المرجع السابق، ص217.

2. شرح على قصائد الصوم والحج والزكاة وكفارة الأيمان من دعائم ابن النظر العماني (مخطوط) وغيرها من المؤلفات [1].

3- العلامة الشيخ يوسف المصعبي(1079هـ- 1669م- 1187هـ- 1773م) :

هو العلامة أبو يعقوب يوسف بن محمد المصعبي المليكي نسبة إلى مليكة إحدى قرى بني ميزاب سنة 1079هـ /1669م، انتقل مع والده إلى جزيرة جربة سنة 1103هـ 1691 أو 1692م، واستقر بها للعمل والدراسة وهناك أخذ العلم عن الشيخ سعيد بن يحي الجادوي وعن الشيخ سليمان بن محمد الباروني وعن الشيخ عمر بن ويران السدوكشي، حيث درس علم الأصول والفروع والفرائض والحساب في مدرسة جامع ليمس بآجيم على الشيخ سعيد الجادوي ثم انتقل إلى مدرسة جامع الشيخ بحومة القشعيين (جامع الشيخ بالقشعيين بناه عبد الرحمن بن موسى بن سعيد بن عمر بن جلود سنة 1034هـ قرب منزلهم) [2]، وحضر دروس الشيخ سليمان الباروني في علوم اللغة والفقه والسنة والتفسير بعد ذلك انتقل إلى مدرسة الشيخ عمر الويراني بقرية سدويكش ولما استكمل دراسته وظهر نبوغه وتفوق على أقرانه عينته أسرة أبي مسور مدرسا بمدرسة الجامع الكبير، فاجتمع عليه الطلبة من أطراف الجزيرة يأخذون عنه العلوم، وكان يتعلم عليه عدد كبير من تلامذة إخواننا المالكية ولم ينحصر نشاطه على الجامع الكبير فكان يتنقل في عديد المساجد يلقى دروس الوعظ والإرشاد لومة لائم وله في نفوسهم مكانة رفيعة ومنزلة سامية يتحاشون جانبه إجلالا لعلمه وصلاحه وفضله، كما كان الأمراء يزورون مدرسة الجامع الكبير ويحضرون دروسه، ويقول إبن تعاريت في رسالته نقلا عن يوسف بن امحمد الباروني : «... **كان مفتي الجزيرة ورئيس مجلس الحكم يقول كان الشيخ يوسف آية في العلم له عناية ومعرفة جيدة بعلم المنطق وعلم الفلك وعلم الكيمياء وكان يحول المعادن إلى ذهب ويقول جميع العلماء يقرون له بالعلم والفضل والورع والشجاعة والكرم** » [3]، ومن نشاطات الشيخ يوسف المصعبي في جربة ما يلي:

---

[1]- محمد بن موسى بابا عمي وآخرون، **معجم أعلام الإباضية من القرن الأول الهجري إلى العصر الحاضر**، مر: محمد صالح ناصر، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000، ج2، ص ص 460، 461.

[2]- يوسف بن امحمد الباروني، المرجع السابق، ص 102.

[3]- نفسه، ص103.

1- ترأسه لمجلس العزابة وإفتاؤه بإهدار دم أحد العصاة المسمى عبد الرحمن اليونسي في حومة القشعيين الذي كان يطعن في الدين ويتجسس على المسلمين وينقل الأخبار الكاذبة لإثارة الفتنة في الجزيرة، حيث اجتمع مجلس العزابة ونظر في القضية ونتائج بقاء هذا المفسد في الأرض، فأصدر الحكم بإهدار دمه وطبق عليه حكم الشرع وكان أعضاء المجلس يملكون من الشيخ سعيد الجادوي والمصعبي وغيرهم.

2- يتمثل في الدفاع عن شهادة الجربيين لما طعن في ثبوتها بعض فقهاء طرابلس، وكتب المصعبي رسالة في هذا الشأن وأرسلها إلى مجلس القضاء بطرابلس سنة 1755م- 1756م وبيّن فيها عقيدة الإباضية، ومن بين مؤلفات الشيخ ما يلي:

1. حاشية على كتاب الأحكام للشيخ أبي زكرياء يحي الجناوني فرغ منه في 15 رجب 1176هـ/1762م.
2. رسالة أرسلها إلى حسين باي.
3. نظم الذرائع وشرحه.
4. رسالة لبعض حكام الجلوديين بجربة لما رد حكم العزابة.
5. حاشية فخمة في جزأين كبيرين على تفسير الجلالين (مخطوط) [1].

وفي نفس الوقت وجد علماء تونسيون في الجزائر نذكر منهم ابراهيم بن عبد الله بن ابراهيم الجمني(1037هـ- 1134هـ- 1628م- 1722م) والذي ينتهي نسبه إلى الصحابي الجليل المقداد بن الأسود الكندي، رحل إلى الجزائر وأخذ عن الشيخ عبد الله بن أبي القاسم الجلالي، ثم دخل زواوة فأقام بها ست سنين وقرأ بها على جماعة من العلماء منهم محمد السعدي ومحمد المغربي [2]، ومنهم أيضا العالم أحمد بن برناز[3](1074هـ- 1138هـ- 1664م- 1726م) والذي ينتمي إلى أسرة تركية حيث كان جده الأول مصطفى ممن قدم مع جيش سنان باشا واستقر بتونس على إثر الفتح التركي لتونس، ولقد نشأ برناز في بيت علم وبعد أن أدى فريضة الحج رجع إلى بلاده تونس، ثم خرج منها مغاضبا نحو الجزائر وبالضبط إلى عنابة أين التقى بالشيخ أحمد بن ساسي ومفتيها الشيخ الصديقي، وبعدها راح إلى قسنطينة وأخذ عن مفتيها الشيخ

[1]- يوسف بن امحمد الباروني، المرجع السابق، ص 104.

[2]- محمود محفوظ، المرجع السابق، ج2، ص 56.

[3]- لفظ تركي معناه كبير الأنف. ينظر: أحمد عبد السلام، المرجع السابق، ص 191.

بركات بن باديس والشيخ علي الكماد، ثم انتقل إلى مدينة الجزائر وتعرف وتعلم من مشايخها، وختم طوافه ببلاد القبائل زواوة وقرأ على الشيخ محمد الفاسي وغيره من علماء المنطقة ثم رجع إلى بلاده[1].

كما زار الشيخ أبو عبد الله محمد تاج العارفين إيالة الجزائر وهو من السادات البكريين من ذرية الخليفة الثالث سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه، إمام بجامع الزيتونة والخطابة في بيته[2]، وهو من بين الوفد الذي قدم للجزائر لعقد الصلح سنة1628م، ولقد تلقى تعليمه على عديد من علماء الجزائر ومن بينهم عيسى الثعالبي الجزائري، وهناك أعلام أخرى زارت الجزائر وتولت مناصب هامة مثل الفقيه محمد زيتونة المنستيري (1081هـ- 1138هـ- 1670م- 1726م) والذي تولى القضاء الحنفي في الجزائر على عهد الداي شعبان خوجة، كما تولى أبو حفص بن محمد قضاء العسكر [3]، ومنهم من جال في الجزائر واستزاد من علماءها نذكر منهم: محمد البشير بن محمد الطاهر بن محمد السعيد الشريف التواتي وابراهيم الغرياني ومحمد الباجي الشافعي والمؤرخ حمودة بن عبد العزيز وابراهيم الرياحي[4]، ولقد سجلت أسماءهم من بين العلماء الزائرين ولكن لم نشهد لهم نشاط كبير في الإيالة الجزائرية.

جدول توضيحي رقم11: إحصاء لبعض علماء الجزائر ونشاطهم في تونس خلال الفترة الممتدة من 1628–1830م:

اسم العالم	الميلاد والوفاة	النشاط	الموطن
عاشور بن عيسى القسنطيني	984هـ- 1576م- 1074هـ- 1664م	التدريس	تونس
أحمد بن القاسم البوني	1139هـ- 1726م 1063هـ- 1653م	الإستزادة العلمية	تونس
أبو مهدي عيسى الثعالبي	1020هـ- 1611م- 1080هـ- 1669م	الإستزادة العلمية	تونس

1- محمد محفوظ، المرجع السابق، ج1، ص 93.

2- محمد بن محمد مخلوف، **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، مطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، 1349هـ، د.ب، ج1، ص49.

3- حصام صورية، العلاقات...، المرجع السابق، ص ص 120، 121.

4- كوثر العايب، المرجع السابق، ص ص 97، 98.

ساسي المقري	قدم إليها سنة 1689م	إمام وفقيه	جامع الزيتونة – تونس-
محمد الشريف الحمني	قدم إليها سنة 1682م	القضاء	ماطر
محمد العنابي	قدم إليها سنة1684م	الإستزادة العلمية	تونس
أبو القاسم محمد البجائي	القرن 17م	الخطابة والفقه	جامع الخطبة – تونس-
مصطفى بن عبد الله الرّماصي	تـ1136هـ- 1724م	الإستزادة العلمية	جامع الزيتونة – تونس-
أحمد بن عبد الله بن عمار الجزائري	تـ 1205هـ- 1790م)	التدريس والإفتاء	تونس
محمد صالح الرحموني العيسوي الزواوي	1152- 1242هـ- 1739- 1826م	الإستزادة العلمية	تونس
الشيخ حمودة بن محمد بن حمودة بن عيسى الشريف الجزائري	تـ1245هـ1829م:	الإستزادة العلمية	تونس
محمد بن محمود العنابي	(1189هـ- 1775م- 1267هـ- 1850م):	الإستزادة العلمية	توننس
محمد البشير	/	التدريس	تونس
أحمد العوادي	القرن19م	التدريس بالجامع الأعظم وتولى القضاء سنة 1828م	ماطر
أبو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد المصعبي المليكي الجربي	1079هـ- 1669م- 1207هـ- 1792م	مفتي ومدرس	جربة
يحي بن صالح الأفضلي أبو زكرياء	1126هـ- 1788م - 1202هـ- 1788م	الإستزادة العلمية	جربة
العلامة الشيخ يوسف المصعبي	1079هـ- 1669م- 1187هـ- 1773م	التدريس والإفتاء	جربة

الملاحظ من المعطيات السابقة أن الجزائر لم تستقطب علماء تونسيين كثيرا مقارنة بالعلماء الجزائريين الذي توافدوا على إيالة تونس من أجل زيارة مراكزها الثقافية والإستزادة من علماءها، فمنهم من تولى مناصب كالإفتاء والتدريس وغيرها، وأثبتوا حضورهم بالمنطقة وكسبوا في نفس الوقت الإحترام والتقدير، إلا أن علماء تونس في الجزائر لم نشهد لهم تأثيرا جليا ويذكر أبو القاسم سعد الله في هذا الشأن:« أن العلاقة بين علماء الجزائر وتونس كما تصورها الإجازات فقد كانت أيضا وطيدة ولكننا لا نحفظ منها إلا القليل، ورغم رحيل الجزائريين إلى تونس لطلب العلم، والإقامة والتجارة فإن القليل من علماء تونس قد زاروا الجزائر نسبيا خلال العهد العثماني» [1]، وهذا لأن الجزائر لم تكن تقدم لعلماء تونس أكثر مما في بلادهم لازدهار حلقات الدروس من المستوى العالي الموجود بتونس نتيجة لجهود حكامها الذين شيدوا المدارس والمساجد والزوايا العلمية، وأوقفوا عليها أوقاف كثيرة وشجعوا العلماء خاصة بجامع الزيتونة، والذي نصب فيه الحكام عدد كبير من المدرسين وأجروا لهم رواتب ثابتة [2]، ولهذا نرى علماء الجزائر يتواترون على تونس ساعين لطلب المعرفة بسبب الجو المهيأ لذلك ولكفاءتهم أحيانا يتقلدون فيها مناصب سواء علمية أو حتى قضائية.

ب.4. الحضور الصوفي الجزائري في تونس:

إلى جانب العلماء والفقهاء فلقد لعب المتصوفة الجزائريين دورا هاما في تنشيط الحركية الدينية والثقافية بتونس، حيث نقل متصوفة الجزائر إلى تونس بمختلف مواطنها طرقا صوفيا منها القديمة ومنهم من أدخل فروع جديدة إليها، وفيما يلي أهم الطرق الصوفية التي نقلها الجزائريون إلى تونس خلال الفترة العثمانية، قبل ذلك سنعرج باختصار على مصطلح التصوف:

ب.1.4.ماهية التصوف: لم يتفق على مصطلح معين فربطها البعض بلبس الصوف عند المتصوفة وآخرون بالصفاء وغيرها من التعريفات، إلا أن التصوف قديم النشأة حتى أن هناك من يرى بأنه من صميم الإسلام، أما اصطلاحا فإن التصوف هو مجموعة من المبادئ المتكاملة التي تحكم تصرفات أصحابه في مختلف أوجه حياته وفي مختلف مجلاته الحياتية وتطبعه بطابع خلقي خاص، ولقد اهتم التصوف كثيرا بالتربية الروحية والتربية الأخلاقية لارتباطهما ارتباطا وثيقا مع بعض[3]،وفيما يلي رصد لأهم الطرق الصوفية المنقولة من الجزائر إلى تونس:

1- أبو القاسم سعد الله، رائد...، المرجع السابق، ص 46.

2- فوزية لزغم، المرجع السابق، ص259.

3- سعيد بن دويفع، المدرسة الصوفية في الجزائر نشأتها أعلامها ودورها في بناء المجتمع، **مجلة العلوم الإجتماعية**، مج9، ع1، جامعة تيارت، مارس 2020،ص 221.

ب.2.4. الطريقة القادرية:

تنسب الطريقة إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني [1] أقدم الطرق الصوفية على الإطلاق تأسيسا، وأولهما ظهورا على مستوى العالم الإسلامي، وأقدمها وجودا في الجزائر حيث وجدت أرضا خصبة استطاعت أن تنمو فيها وتزدهر خاصة خلال الحكم العثماني [2]، ولقد انتشرت في الجزائر انتشارا واسعا من خلال كثرة أتباعها ومرديها، كما أنشأت الزوايا الخاصة بها شملت تقريبا كل ربوع المنطقة، ضف إلى ذلك كان لها تأثير ديني وسياسي قوي.

يعتبر العالم الفاضل إبراهيم بن أحمد الشريف(1207- 1285هـ- 1792- 1868)، وهو جزائري الأصل هاجر إلى مدينة نفطة، وهناك تزوج من إحدى شريفات سلالة سيدي بوزيد الذين لجأوا بدورهم إلى الجريد التونسي، وبالضبط إلى مدينة نفطة، اتصف بالعلم والزهد والصلاح، ولقد كان يتبع الطريقة القادرية والتي أخذها عن الشيخ أبي بكر بن أحمد الشريف عن شيخه محمد الإمام المنزلي، حيث أذن له هذا الأخير بتأسيس الزاوية القادرية في مدينة نفطة التونسية سنة 1234هـ- 1819م، قدمت زاويته خدمات اجتماعية جليلة لأبناء المغرب الإسلامي من خلال مساعدة المحتاجين وإعانة الفقراء والمساكين وكان يزاول العلم بها أكثر من 500 طالب داخلي يعرفون بإسم الجوالية [3].

ب.3.4. الطريقة الحشاشية: طريقة جزائرية خاصة بأهل تقرت الجزائريين القاطنين بتونس خلال الفترة العثمانية [4].

---

[1]- هو عبد القادر أبي صالح موسى جنكي دوست بن أبي عبد الله بن يحي الزاهدي بن محمد بن داود محي الدين أبو محمد الجيلاني البغدادي، والعارف بالله الصوفي الحنبلي ولد سنة 470هـ، دخل بغداد فسمع الحديث والفقه، وبعد أن بني أبي سعيد المخرمي الحنبلي مدرسة فوضها لعبد القادر الجيلاني لما يكسبه من صفات حسنة وكم علمي كبير، وهو من تنسب له الطريقة القادرية، وافته المنية عن عمر يناهز التسعين سنة في8ربيع الثاني 562هـ، عبد القادر الجيلاني الحسيني، **السفينة القادرية**، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002، ص 5.

[2]- صلاح مؤيد العقبي، **الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها**، دار البراق، بيروت، 2002، ص 143.

[3]- عبد المنعم القاسمي الحسني، **أعلام التصوف في الجزائر منذ البدايات إلى غاية الحرب العالمية الأولى**، ط1، دار الخليل القاسمي للنشر والتوزيع، الجزائر، 2005، ص 43، 44.

[4]- حصام صورية، العلاقات...، المرجع السابق، ص131.

ب.4.4. الطريقة الرحمانية:

أسس هذه الطريقة محمد بن عبد الرحمن القشتولي الجرجري وهو من قبيلة آيت اسماعيل الواقعة في منطقة القبائل الجزائرية، بدأ دراسته في الزاوية الواقعة في منطقته، ولقد غادر مع سنة 1740م للحج وعند عودته توقف في مصر لفترة طويلة أين جامع علماء الأزهر وتابع الدروس [1]، وهناك التقى بالشيخ محمد سالم الحفناوي (المتوفي سنة 1767م) وبعد إتمام دراسته عاد إلى الجزائر حوالي سنة 1770م لنشر الطريقة التي دخلت الإيالة التونسية من منفذين:

- الكاف:

حيث أسس فيها يوسف بوحجر أحد أتباع سيدي محمد بن عبد الرحمن زاوية رحمانية والتي لم تلبث أن صارت الزاوية الأم في تونس فيما بين سنتي 1821م و1843م، تشع وتمارس نفوذها على أغلب جهات الشمال الغربي، حيث وصل عدد أتباع هذه الطريقة مع سنة 1896م إلى3000 مريد [2].

- نفطة:

والتي أسس فيها عزوز بن محمد بن عزوز الحسني الإدريسي زاوية رحمانية فهو أحد الزهاد الصلحاء من بيت علم وصلاح، رحماني الطريقة من أهل طولقة، دخل تونس وبث الطريقة الرحمانية الخلوتية في العروش بنفطة التونسية وصار له أتباع كثيرون، وافته المنية سنة 1786م، قال عنه مخلوف: «**وكان المشير أحمد باشا يعتده ويعظم شأنه وللشيخ ابراهيم الرياحي فيه مدائح شعرية ونثرية**»، من آثاره بهجة العاشقين وروضة الأنوار العارفين، ورسالة في السلوك إلى الخلوتية ورسالة في مناقب علي بن عمر الطولقي [3].

ب.5.4. الطريقة التيجانية:

قبل الحديث عن انتقال هاته الطريقة إلى تونس لابد أن نعرج عنها ونعطي معطيات أساسية حولها، وإن كان الغموض يكتنف هذه الطريقة، ولقد ظهرت مع أواخر القرن 18م وبداية القرن 19م.

[1]- Louis Rinn **Marabouts et Khouans « Etude sur L'islam en Algerie»**,Adolphe Jourdan libraire éditeur, Alger, 1884,; p452.

[2]- التليلي العجيلي، المرجع السابق، ص 51.

[3]- عادل نويهض، المرجع السابق، ص232.

أسس هذه الطريقة أبو العباس أحمد بن المختار بن أحمد التيجاني، والتيجاني نسبة إلى قبيلة بني توجين التي استقرت قديما بعين ماضي [1]ولد في عين ماضي سنة 1150هـ- 1737م، ولقد تفطن والده سيدي محمد بن المختار التيجاني لذكاء ابنه سيدي أحمد ومع سنة 1757م غادر عين ماضي متجها نحو فاس من أجل طلب العلم [2]، ودخلها سنة 1171هـ- 1755م وسمع بها شيئا من الحديث، ثم دخل تلمسان ودرس بها، وكان قد حج سنة 1186هـ- 1772م فمر بتونس وأقام بها مدة ثم قفل راجعا بعدها إلى فاس، ثم رجع إلى منطقة توات، لكنه أخرج منها فاستقر بفاس سنة 1213هـ /1798م إلى أن توفي سنة 1230هـ / 1815م[3]، أما تونس فلقد بقي بها مدة سنة كاملة حيث إلتقى بالشيخ عبد الصمد الرحوي[4].

بدأ مؤسس الطريقة بنشر طريقته في بلده الجزائر مع سنة 1782م وكان يغدق على أنصاره الهدايا بشكل مدهش، وغدا كثير من المسؤولين يترددون إليه، وبهذه الوسيلة بدأ نفوذ الشيخ يزداد ويعلو في كل مكان وقد لاحظ عثمان الكبير باي وهران أن أصحاب الطريقة يسعون لإقامة حكومة خاصة بهم، فجهز لهم حملة تأديبية وحضر جيشا لهم، واتجه نحو منطقة عين ماضي وهي حملة معروفة في التاريخ الجزائري العثماني خاصة فيما يخص علاقة الحكام بمنطقة الجنوب الجزائري، لكن الشيخ تمكن من الهروب، وعلى إثرها فرض الباي عثمان الكبير على الأهالي غرامات مالية كبيره وثقيلة، ورجع قافلا إلى البايلك دون أن يتمكن من القضاء على الطريقة بشكل نهائي، ولكن الطريقة تابعت ممارسة نشاطها كالمعتاد [5].

وصل إشعاع الطريقة التيجانية إلى تونس في عهد الشيخ سيد أحمد التيجاني بعد أن حل بمدينة فاس وكان بها عدد غير قليل من التونسيين، فأخذوا أوراد الطريقة والتقديم فيها من شيخها مباشرة وأبرز هؤلاء التونسيون العلامة إبراهيم الرياحي [6] والشيخ المناعي التونسي الذي اجتمع بالشيخ التيجاني بفاس وأخذ عنه

---

[1]- تقع على ضفاف جبل العمور على بعد 70كم من الأغواط من المدن المشهورة في الصحراء الكبرى، بامتلاكها العديد من العلماء وحتى العلماء الذين توافدوا عليها من مختلف مناطق شمال افريقيا. ينظر:

Louis Rinn, op.cit , p p 416,417.

[2]- Ibid

[3]- عادل نويهض، المرجع السابق، ص 62.

[4]– أبي القاسم محمد الحفناوي، المصدر السابق، ص 35.

[5]- عزيز سامح ألتر، المرجع السابق، ص 570.

[6]- ولد ابراهيم الرياحي بتستور سنة 1756م، التحق بالحاضرة تونس للتعلم، وتولى بعدها عدة مناصب هامة، أرسل في عدة مهام دبلوماسية، وله العديد من المصنفات، وافته المنية سنة 1850م. ينظر: التليلي العجيلي، المرجع السابق، 43.

إجازة لإعطاء أوراد الطريقة بتونس، كما أخبر أن سيدي محمد التونسي كان ميسورا من الناحية المادية ولما سمع بسيدي أحمد التيجاني في بعض البلدان التي كان فيها نازلا شد الرحال إليه واجتمع به وأخذ عنه الطريقة [1].

غير أن من لعب دورا بارزا في نشر تعاليم الطريقة التيجانية بتونس، هو الفقيه إبراهيم الرياحي الذي التقى بالشيخ علي حرازم برادة بتونس وأخذ عنه الطريقة، لأن الرياحي كان قد انتقل إلى فاس برغبة من حمودة باشا بعدما وقعت المجاعة بتونس عام 1803م فأرسله الباشا التونسي من أجل طلب التزود بالميرة (أي المؤونة)، وكان قد أرسل معه وفدا وكل هذا سنة 1218هـ- 1804م ، وبفضل هاته السفارة التي قام بها الرياحي استطاع فتح الخيوط الروحية بعد انخراطه في الطريقة التجانية ونقلها إلى بلاده حيث لم يزدها الزمان إلا قوة ومتانة، باعتبار أن الشيخ الرياحي هو أول من تلقى هذه الطريقة بحاضرة تونس وتعلق بها ونشرها وأقام أورادها ووظائفها وأسس لها زاوية الشهيرة قرب حوانيت عاشور[2].

ومما يدل على استمرار التواصل وعلى المكانة التي أصبحت للعلامة الرياحي عند الشيخ سيد أحمد التيجاني، الرسالة التي بعثها إليه هذا الأخير إليه، بعد عودته إلى تونس والتي ورد فيها على الخصوص: «... **إلى يد حبيبنا ورفيع المكانة في قلوبنا سفير وجوال بحار العلوم وغواص ميادين الفهوم ...سيدي إبراهيم الرياحي التونسي، من كاتبه العبد الفقير إلى الله أحمد بن محمد التيجاني، وبعد فالسؤال منا عن أحوالك، كيف أنت وكيف هي أحوالك، أجراها الله على طبق رضاه، ونسأل الله عز وجل لك أيها السيد الكريم والماجد العليم أن يرزقك بين يديه وقفة كاملة صافية خالصة منه وإليه...** » [3]، ولم يكتف الشيخ الرياحي بالدعوة للتيجانية في القطر التونسي، بل دعا إلى الإنخراط فيها عند حج بيت الله الحرام 1241هـ- 1826م، وعلى الخصوص عندما اختير سفير لدار الخلافة العثمانية على عهد السلطان محمود خان [4].

مستخلص القول فإن المتصوفة الجزائريون قد ساهموا في نقل ونشر طرق صوفية جزائرية باختلافها بتونس، وأدلوا بدلوهم فيها وأثبت أصحابها بها حضورهم من خلال كسب مريدين لطريقتهم وحتى أنهم كسبوا تعاطف حكامها لهم، والدليل على هذا بناء عدة زوايا تتبع طرقهم في مختلف مواطن الإيالة التونسية، حيث

---

[1]- عبد الرحيم بنحادة، عبد الرحمن المودن ومحمد الأزهر الغربي، **شبكات التواصل في المغارب والعالم المتوسطي**، مطبعة النجاح الجديدة 2008، د.ب، ص121.

[2]- نفسه، ص ص 122،126.

[3]- نفسه،126.

[4]– نفسه.

أدخل متصوفة الجزائر إليها عدة طرق جديدة فمنها الرحمانية الطريقة الجديدة عليهم، والطريقة الحشاشية التي نقلها أهل تقرت، وحتى التيجانية أيضا والتي عرفت انتشار واسع في تونس مثلها مثل الجزائر، ولقد كانت الطرق الجزائرية ذات انتشار وتأثير بها أكثر من انتشار الطرق الصوفية التونسية بالجزائر.

استنتاج جزئي:

- نستنتج أن الاحتكاك الجغرافي والعلاقات التاريخية بين البلدين هي من فتحت باب الهجرة الجزائرية نحو تونس على شكل هجرات جماعية وفردية مع اختلاف أسبابها، فأحيانا كانت مؤقتة وأحيانا كانت بدافع الإستقرار، مثل قبائل زواوة الذين توافدوا على الإيالة التونسية بشكل مكثف مع بدايات القرن السابع عشر ميلادي وتأقلموا مع المجتمع التونسي، وحتى بني ميزاب الذين رأوا في تونس مقرا حسنا لهم وفرارا من الطبيعة القاسية والأوضاع التي كانوا يعيشونها في الجنوب الجزائري، وأحيانا تكون مؤقتة مثل هجرات الحنانشة فلقد فضلوا الهجرة أو الفرار بمصطلح أصدق للهروب من الضريبة المفروضة عليهم، ولقد تزايدت الهجرة نحو تونس مع القرن 18م بسبب الأوضاع العامة للجزائر.

- ساهمت القبائل الجزائرية الحدودية بشكل كبير في التأثير على الحياة السياسية للإيالتين والتي شكلت هاجسا كبيرا للحكام وهذا بسبب نفوذهم السياسي والعسكري القوي وخاصة قبيلة الحنانشة، والتي بسبب مصاهرتها مع حكام تونس جعلتها تتدخل في الشؤون السياسية الداخلية لتونس، حيث استطاعت بمواقفها أن تغير في المسار التاريخي للإيالتين، حيث سجلت أيضا مشاركة القبائل الجزائرية الأخرى فأحيانا كواسطة للصلح بين الإيالتين الجزائرية والتونسية وأحيانا يعتمد عليها في الحرب ضد تونس.

- إن احتواء تونس على عدة مراكز علمية هامة مثل جامع الزيتونة وغيره استقطبت الجزائريين خاصة الرحالة الجزائريين الذي قصدوا تونس سواء للعلم، أو من استقر فيها مدة بعد أداء فريضة الحج في تنشيط الحركية الثقافية بتونس، حيث إجتمعوا بعلماء المنطقة وناظروهم وجادلوهم وأجازوهم، ولقد دلت رحلاتهم على إعجابهم بالمنطقة وبمراكزها حيث أسهبوا في الحديث عنها وصوروا لنا الحياة الثقافية بها.

- إنتقال عدد كبير من علماء الجزائر إلى تونس خلال هذه الفترة قد ساهم في تنشيط الحركية الثقافية بها، حيث أثبتوا حضورهم من خلال تقليدهم لعدة مناصب علمية هامة مثل الإفتاء والتدريس وغيره، غير أننا لم نلحظ تأثير علماء تونس على الجزائر إلا قليلا، ويمكن هذا راجع إلى عدم إهتمام الحكام العثمانيين بالجزائر كثيرا بهذا المجال المهم مقارنة بباقي المجالات.

– حظى العديد من العلماء والمتصوفة الجزائريين بالإحترام والتقدير في تونس فمنهم من جالس كبار العلماء ومنهم من حظي بلقاء حكام تونس، حيث كان لهم دور كبير في نقل عدة طرق صوفية جزائرية مثل التيجانية والرحمانية إلى تونس وحرصوا على تأسيس زوايا بها لكي يكثر أتباعهم ومريديهم خاصة في المناطق الجنوبية مثل نفطة حيث كانوا يرون فيها أرضا خصبة لنشر أفكارهم ومبادئهم.

– نستخلص في الأخير في هذا الجانب أنه وبغض النظر عن التوترات العسكرية التي عرفتها الجزائر وتونس خلال هذه الفترة، إلا أن الترابط الإجتماعي والثقافي بين سكان الإيالتين لم يتأثر بهذه الصراعات، ولم يقض على تواصلهم النشط.

خاتمة

أسفرت دراستنا لموضوع الحضور الجزائري في إيالة تونس خلال العهد العثماني 1628م-1830م على جملة من الاستنتاجات ومنها:

1. كانت الحالة العامة للمغرب الأدنى مع أواخر القرن 15 وبداية 16 سيئة للغاية وتعيش حالة من الضعف والتأخر نتيجة الصراع السلطوي داخل البيت الحفصي، وهذه الظروف كانت الدعامة الأساسية التي مهدت للقوتين العثمانية الإسلامية والإسبانية المسيحية للتدخل في شؤونها الداخلية وهذا بعد تحالف الحفصيين لهم تارة للعثمانيين وتارة للإسبانيين وهذا بعد فتح باب التحالفات وهو الذي عجل في سقوط دولتهم.
2. إن الوجود العثماني في الجزائر هو الذي ساعد المنطقة على التخلص من الإحتلال الإسباني ولقد ساعدهم في ذلك القرب الجغرافي رغم صعوبة المهمة، حيث تولت الجزائر العثمانية مهمة الدفاع عنها من أجل تأمين حدودها الشرقية من جهة ولضمها للعثمانيين من جهة أخرى، ولهذا كثفت جهودها العسكرية ونشطت مراسلاتها مع السلاطين العثمانيين من أجل تعجيل فتح المنطقة والذي تم نهائيا عام 1574م ويعود الفضل لها في ذلك، وعلى هذا الأساس أصبحت تونس تابعة للإيالة الجزائرية.
3. لم يستسغ حكام الجزائر قرار فصل الإيالات عن بعضها سنة 1587م لأنهم كانوا يعتبرون تونس جزء لا يتجزأ من الإيالة الجزائرية بإعتبارهم لهم الفضل في تحريرها من الإسبان، وفضلوا متابعة ممارسة نفوذهم على المنطقة، ولكن القرار استحسنه حكام تونس لأنهم رأوا موازاة الإيالتين وليس من الضرورة أن تكون العلاقة مبنية على أساس التابع والمتبوع وأصبحت بعد ذلك تتبع الدولة العثمانية مباشرة.
4. فتح الصراع السلطوي في تونس مع أواخر القرن 17م باب التدخل الجزائري في شؤون تونس السياسية الداخلية من جديد، وهذا من خلال تدخلها في فك النزاع بين الأطراف المتصارعة بعد إستنجاد حكامها بهم نتيجة تأزم الأوضاع داخل البيت المرادي وتقاتل ورثته على العرش حيث حتم عليهم الاستنجاد بالجزائر لفك النزاع، كما استنجد بهم الدايات فيما بعد صراعهم مع البايات من أجل إسترداد عرشهم المسلوب منهم، وبذلك استطاعت أن تثبت حضورها بالمنطقة مجددا بها.
5. كان تدخل الجزائر لصالح من يستنجد بها أولا مع إلزامية دفع أموال لإنعاش خزينتها، حيث لعب حكام الجزائر دورا كبيرا في تسيير الشؤون السياسية للإيالة التونسية، ولقد بلغت سيطرتها لدرجة التنصيب والعزل للحكام شريطة أن يتماشوا وفق سياستها، كما استطاعت أن تفرض عليهم قراراتها في أغلب الأحيان دون إعتراض.

6. استغلال الجزائر لظاهرة إلتجاء حكام تونس بها، لكي تفرض شروطها عليهم مقابل المساعدة في تعلي العرش وهذا ما تجلى خلال العهد الحسيني، وكانت معاهدة 1756م المهينة والمعترفة بتبعيتها للجزائر باب الحضور بها، وهذا من خلال فرض شروطها من بينها الضريبة السنوية والعديد من الإمتيازات بإختلاف أشكالها.

7. نستنتج أن التدخل الجزائري في خضم الصراع التونسي لم يكن مدبر له وإنما كان بعد استنجاد حكام تونس بهم من أجل بلوغ غاياتهم ومقاصدهم وما كانت هي إلا وسيلة لذلك، وبالتالي يكون لها مقابل جراء المساعدة العسكرية، كما أنها لم تحاول في أغلب انتصاراتها ضم تونس لها نهائيا، وإنما دفعها للضريبة السنوية كان كافيا والتي تشكل موردا ماليا هاما علاوة على الهدايا والامتيازات وكل هذا كان يضمن تبعية تونس لها.

8. سياسة التحالفات التي تبنتها تونس أحيانا مع المغرب وأحيانا مع طرابلس الغرب وحتى مع فرنسا فقط من أجل كسرة قوة العسكر الجزائري، لأنها كانت ترى فيه الشوكة في الحلق التي تعيقها في تسيير شؤون دولتها بشكل منفرد دون تدخل أحد فيها.

9. غياب شبه كلي للسلطة العثمانية في فك النزاع سواء داخل البلاط التونسي أو حتى في صراعهم مع الجزائر إلا في فترات متقطعة، وعليه فإن أكبر خطأ اقترفه حكام تونس هو استدعائهم لحكام الجزائر في فك نزاعاتهم السلطوية، حيث أصبح أي تغيير في هرم السلطة التونسية دون الرجوع إلى حكام الجزائر سينذر بغضب جزائري لأن التدخل بالنسبة لها فيما بعد أصبح ضرورة حتمية.

10. سعت الجزائر إلى تثمين حضورها في تونس من خلال تكثيف نشاطها الدبلوماسي بها، ولهذا وضعت وكيلا لها داخل الإيالة التونسية لكي يتابع أمورها نيابة عن الداي الجزائري وباي قسنطينة، وفي نفس الوقت لم يكن لتونس وكيلا بالجزائر، كما قامت بتكثيف نشاطها الدبلوماسي بالمنطقة من خلال توسطها المقام بين تونس والدول الأجنبية، وبرزت مساعيها في عقد الصلح بين تونس واسبانيا سنة 1786م/1787م ومع الولايات المتحدة الأمريكية سنة 1799م.

11. عقد الصلح بين الإيالتين عام1821م والذي قرره السلطان العثماني من أجل إنهاء الصراع القائم بينهما والذي طال أمده، وكان هدفه منع التدخل الجزائري في الشؤون السياسية للإيالة التونسية، إلا أن تونس فيما بعد سعت لتأجيج الوضع مع الجزائر وظهرت عدة قضايا تخص شأن الجزائر وحاولت تشديدها وعرقلة حلها، ما استفز الجزائر والتي ساقتها أكثر من مرة لتجديد الصراع بينهما خاصة قضية فرار الجنود الانكشاريين الجزائريين إلى تونس، وما زاد الطين بلة موقفها السلبي من الحملة الفرنسية على الجزائر سنة 1827م وبعدها الإحتلال الفرنسي لها والذي ثمنه باي تونس ورآه شأنا جزائريا ولم يحرك فيه ساكنا تفاديا للمصير ذاته.

12.التغييرات الحاصلة في الإيالتين تونس والجزائر مع مطلع القرن السابع عشر ميلادي حتمت عليهما ضبط مجالهما الجغرافي، خاصة بعد تزايد نشاط القبائل الحدودية واتساع نفوذها ما أصبح يشكل خطرا كبيرا عليهما ولهذا سطرت الحدود رسميا مع سنة 1628م.

13.شن العسكر الجزائري عدة حملات عسكرية على تونس مع اختلاف الأسباب الداعية لذلك والأهداف، وهذا بعد استنجاد حكام تونس بهم وإعلان التبعية المتمثلة في الإلتزام المالي مع الحصول على الغنائم، ولقد أثبتت القبائل الحدودية مقدرتها في تغيير مسار تلك الحروب القائمة بين البلدين بسبب التحالف أحيانا والتضاد أحيانا أخرى، ولقد تحمل سكان تونس وقسنطينة وزر تلك الحملات المفاجئة وخسارة الأرواح وضياع الأمور.

14.سعى حكام تونس مع أواخر القرن الثامن عشر لتحقيق التوازن مع الجزائر خاصة مع عهد الشاب الثائر حمودة باشا الذي سعى جاهدا للتخلص من الهيمنة الجزائرية على بلده التي فرضتها معاهدة 1756م المهينة، والتي أخضعت تونس للجزائر، وما زاد الطين بلة هو انشغال الدولة العثمانية عنهما هو الذي جعل الصراع بين البلدين يتأجج أكثر فأكثر، مما سمح للجزائر أن تفرض حضورها في تونس تارة بشكل إيجابي وتارة أخرى بشكل سلبي.

15.حروب برية وبحرية مع مطلع القرن19م سعى بها الطرفان لإثبات الذات، والتي انتهت مع تدخل السلطان العثماني عام 1821م وفرض الصلح وضرورة التعاون ومجابهة العدو الخارجي، ورغم محاولة الجزائر استرداد ما ضاع لها في تونس، إلا أن الظرفية الخارجية حتمت عليها التراجع والإلتفات لمصيرها الذي أصبح بعد معركة نافارين في خطر كبير، والذي انتهى بإحتلالها عام 1830م.

16.نستنتج أن الحضور الاقتصادي الجزائري برز في تونس مع القرن الثامن عشر ميلادي أكثر من السنوات الأخرى، وهذا لا يعني أنه لم يكن متواجدا من قبل وإنما من المؤكد السنين الفارطة ساهمت في حضوره بشكل مكثف في السنوات اللاحقة وبالضبط في القرنين 18و19م.

17.تميز التجارة الجزائرية مع تونس بنوعين تجارة خاصة بالحكام والبايات والتي تخص بيع المواشي وخاصة صنف البقر، وتجارة خاصة بالعامة وتمثل في التجارة المتنوعة والمتبادلة مع تجار إيالة تونس مثل التمور والذهب وغيرها من الكماليات.

18.عملت مهمة الوكيل والسيار دورا هاما في تفعيل الحركية التجارية بتونس من خلال سعيهم في تسويق الماشية الجزائرية الخاصة بالداي والباي بتونس والتي سعوا إلى إيصالها إلى أغلب أسواق مواطن الإيالة التونسية وهذا من

خلال توزيعها بشكل منتظم، ومحكم بتقييدات والتي وجد بها عدد البقر مع السعر المحدد من طرف حكام الجزائر.

19. كان سعر الماشية الجزائرية التي تباع في الأسواق التونسية تحدده إيالة الجزائر، مع إختلاف السعر بصيغة البيع والذي وجد منه نوعان البيع العادي والطلوق وكان حاكم الجزائر لا يتساهل في المعاملات التجارية وخاصة قضية الدين.

20. لم يتغير مسار القوافل على مكان متعارفا عليه من قبل فبالرغم من تغير الخاصية السياسية إلا أن الخاصية الجغرافية والإجتماعية كانتا المتحكمتان تقريبا في هذا الميدان، فلم تتغير رغم التحديثات التي حصلت إلا في فترات حرجة جدا، ولهذا رأينا رغم الإختلافات السياسية إلا أن التجارة أصبحت نشطة أكثر فأكثر، كما نرى سكان القطرين يلعنون الحرب القائمة لأنها تضيع عليهم تجارتهم.

21. عانت القافلة الجزائرية من عدة صعوبات أبرزها اللصوصية ولهذا اتخذت إجراءات إحترازية حيث كانت تتسلح في أغلب أوقاتها لتكون في مأمن ولتحمي قافلتها بما فيها.

22. لعب التجار دورا هاما في تنشيط التجارة بتونس حيث ساهموا في عرض منتوجاتهم في أغلب الأسواق التونسية، حتى أنه وجد باعة متجولين جزائريين في الجنوب التونسي لكي يعرضوا منتوجاتهم بها، ولقد كان لتجار ميزاب الحضور الطاغي بها وهذا لإمتهانهم التجارة من قبل.

23. كان للجزائر النصيب الأكبر من الهدايا والإحسانات بإختلاف أشكالها على غرار باقي الإيالات والدول الأوربية لما تكنه هذه الأخيرة من إعتبار كبير لها، فشمل الداي والباي وبعض الموظفين والذين نالهم هذا الإمتياز أيضا، وحتى القبائل الحدودية الجزائرية ذات النفوذ الواسع داخل الإيالة التونسية كان لها نصيب منها.

24. الإمتيازات التي تحصلت عليها الجزائر في جزيرة طبرقة لم تكن وليدة اللحظة وإنما لها خلفيات تاريخية سابقة، ولهذا تمسكت الجزائر بها إلى آخر رمق وكانت تتمتع بإمتيازات واسعة بما منها الضريبة التي تدفع سنويا لها إضافة إلى صناديق المرجان التي كانت ترسل لباي قسنطينة مثلا، ومع تكاثر الطماعين حولها سعت تونس لجعلها في آخر المطاف منطقة تونسية خلال القرن الثامن عشر ميلادية.

25. إستطاع التجار الجزائريين من تفعيل حركية التجارة في تونس وأضحى لهم دور فاعل فيها، ما آثار تخوف حمودة باشا الحسيني باي تونس والتي رآها تجارة لا تعود على تونس بكثير، ولهذا نرى الباي التونسي يسعى لتقليص حضورهم الإقتصادي وخاصة في الجانب التجاري من خلال تشجيع التونسيين على ممارسة التجارة الخارجية لما لها من منافع عليهم وعلى خزينة الإيالة التونسية.

26. ساهم القرب الجغرافي والإحتكاك الإجتماعي في تسهيل مهمة الهجرة الجزائرية نحو تونس، حيث حتمت عليهم الظرفية الفرار إلى الإيالات المجاورة ومن بينها تونس، ولقد إتخذت الهجرة نوعان: هجرة جماعية وهجرة فردية مع إختلاف الأسباب والأهداف والنتائج.

27. لم تقتصر الهجرة على العامة فقط وإنما حتى الأسر العريقة فضلت الهجرة إلى تونس لما ساءت أحوال الجزائر مع بداية الإحتلال الفرنسي لها، كما فضل الانكشارية الفرار إليها وإتخاذها مركزا للعبور نحو الإيالات المشرقية.

28. توافد عدد كبير من المهاجرين الجزائريين نحو تونس بسبب الأوضاع العامة للجزائر، والذي إتخذوا تونس مقرا لهم مثلا الزواوة والذين توافدوا عليها بشكل مكثف مع بدايات القرن17م وتأقلموا مع المجتمع التونسي بسرعة وأصبحوا جزءا منهم، كما إتخذها الحنانشة مقرا لهم أيضا خاصة بعد نزاعهم مع دايات الجزائر والذي تزايد مع القرن 18م.

29. شكلت الهجرة الميزابية نحو مدينة جربة ظاهرة خاصة، فتشابه المذهب بينهما ساهم بشكل كبير في إندماجهم، ولقد عرف تواجدهم بها حضورا مميزا.

30. أثرت القبائل الحدودية بشكل كبير على الحياة السياسية للإيالتين، والتي لطالما شكلت هاجسا كبيرا للحكام بداية من إثارتهم لمسألة الحدود سنة 1628م.

31. ساهمت القبائل الجزائرية الحدودية في تغيير مسار العلاقات بين الجزائر وتونس في أغلب الأوقات وهذا بسبب نفوذهم السياسي والعسكري، وخاصة قبيلة الحنانشة وبسبب مصاهرتها مع حكام تونس جعلتها تتدخل في الشؤون السياسية الداخلية لإيالة تونس والجزائر، وإستطاعت بمواقفها وحضورها المكثف أن تغير في المسار التاريخي لأكثر من مرة.

32. كان يعتمد كثيرا على القبائل الجزائرية كواسطة للصلح مع تونس أحيانا، ويعتمد عليها في الحرب ضد تونس أحيانا أخرى.

33. كان لبعض القبائل الجزائرية نفوذ واسع داخل الأراضي التونسية مثل قبيلة الحنانشة والنمامشة وهذه الأخيرة التي أنهى الإستعمار الفرنسي تواجدها بالمنطقة التونسية من خلال تقويض نفوذها.

34. إحتواء تونس على عدة مراكز علمية هامة مثل جامع الزيتونة والقيروان ومدينة جربة العلمية ساهم لحد كبير في جذب العلماء الجزائريين لهم.

35.ساهم الرحالة الجزائريين الذي قصدوا تونس سواء للعلم أو لهدف غيره في تنشيط الحركية العلمية بتونس، حيث صوروا لنا ملامح تونس الثقافية وأعطوا لها صورة متكاملة، وهذا بعد اجتماعهم بعلماء المنطقة وحاولوا التفاعل معهم من خلال مجالستهم ومناظرتهم، كما أجازوا بعضهم وأجازوهم هم أيضا.

36.إنتقال عدد كبير من علماء وطلاب العلم الجزائريين إلى تونس قد ساهم في تنشيط الحركية الثقافية بها، وأثبتوا حضورهم من خلال تقليدهم لعدة مناصب علمية هامة، كما فضل علماء ميزاب وطلاب العلم الميزابين مدينة جربة التونسية لتكون ضالتهم العلمية لإرتباطهم التاريخي والمذهبي بها، على عكس علماء تونس بالجزائر فإننا لم نشهد لهم حضورا إلا نزرا قليلا.

37.حظي العلماء والرحالة الجزائريين بالإحترام والتقدير في تونس سواء من الحكام أو حتى العلماء الذين سارعوا لمجالستهم والإستزادة منهم، ولقد أضفوا مزيجا خاصا بهم على هذه الحاضرة.

38.حاول المتصوفة الجزائريين نشر الطرق الصوفية الجزائرية بالحاضرة تونس، ومنها التيجانية والتي عرفت انتشارا واسعا بربوع الإيالة التونسية لدرجة منحهم تأسيس زوايا خاصة بها، وحتى الرحمانية وجدوا في تونس الأرض الخصبة لنشر طريقتهم بها وإنشاء زوايا ولقد كسبت طريقتهم العديد من الأتباع والمريدين.

39.وعليه وبإختصار فإن الحضور الجزائري في تونس ثبت آثاره في مختلف المواقف وردود الأفعال وحتى في التواجد الملموس في جميع المجالات، وإن كان الحضور تواتر بين الإيجابية والسلبية، ففي الجانبين السياسي والعسكري والذي تجلى بالدرجة الأولى من وراء تدخلاتهم المباشرة والغير مباشرة بعد استنجاد حكام تونس بهم من أجل فرض الأمن والأمان بها وفك نزاعاتهم السلطوية، ولهذا سعي بعض دايات الجزائر إلى توجيه عدة حملات عسكرية عليها من أجل تقديم المساعدة العسكرية مع ضرورة الإلتزام المالي، والذي رأت فيه المورد المالي المهم والذي يصعب الإستغناء عنه دون محاولة ضمها لها نهائيا هذا من جهة، ومن جهة أخرى سعت لحماية حدودها من الناحية الشرقية ومنها بايلك الشرق الذي هو في إحتكاك مباشر مع إيالة تونس، ولهذا نراها تثبت حضورها في إيالة تونس في أكثر من مناسبة سواء بطريقة مباشرة أو بطريقة غير مباشرة ، ولقد برز الحضور في الجانبين السياسي والعسكري أكثر من الجوانب الأخرى.

40.أما الحضور الاقتصادي الجزائري في تونس فلقد كان بدرجة أقل لكن وقعه كان بارزا مع القرن 18م وهذا ما أكدته لنا التقييدات التجارية، ولقد تمثل من حيث أن أسواق تونس كانت سوقا لبيع المواشي الجزائرية والمنتوجات الأخرى بإختلاف أصنافها، كما كان للجزائر النصيب الأكبر من الإمتيازات التي تمنحها إيالة تونس للدول.

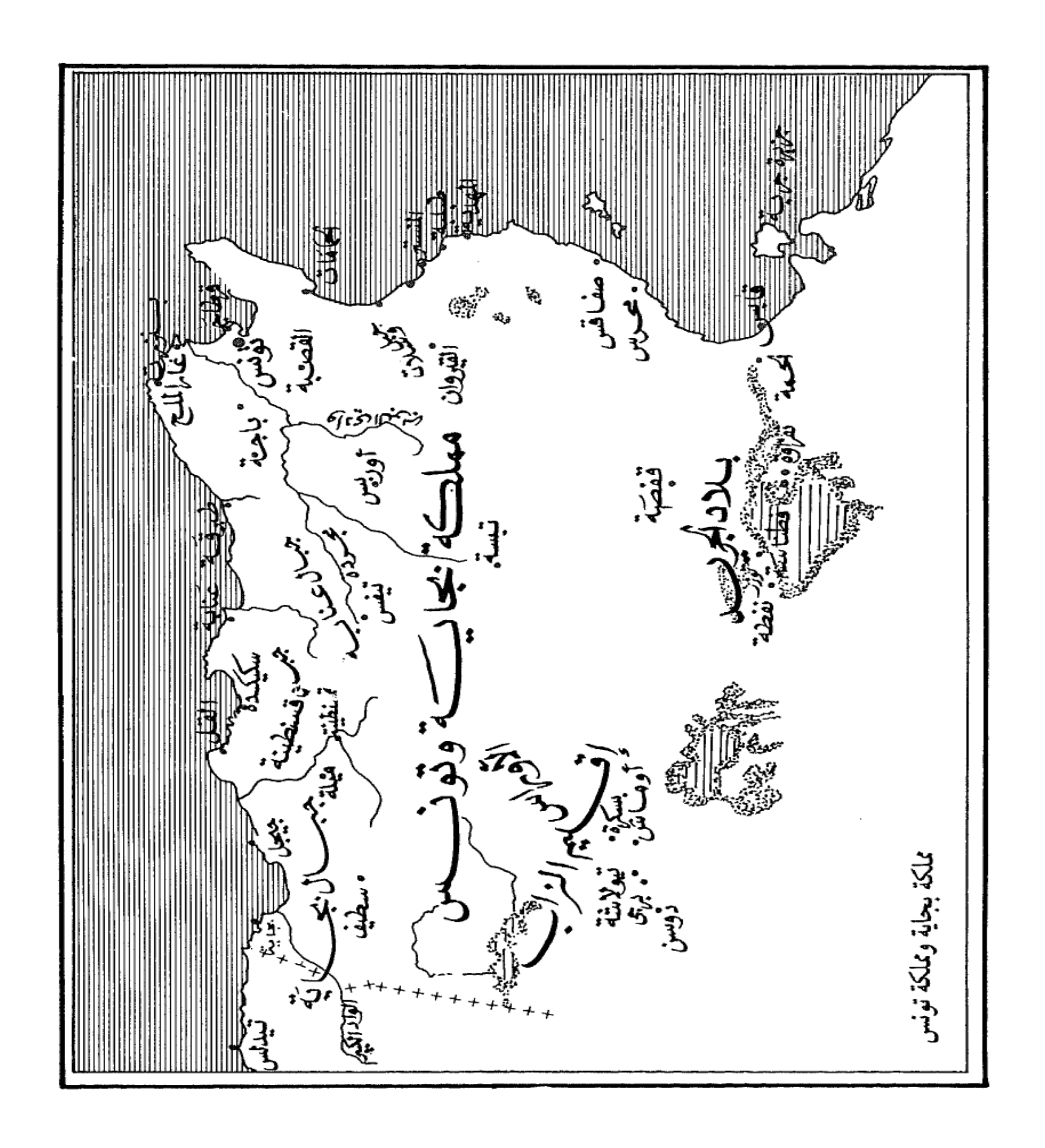
41.أما الحضور الاجتماعي فلقد أثبت الجزائريون حضورهم بشكل كبير، وهذا من خلال هجراتهم نحو تونس سواء الجماعية أو الفردية، ومحاولة تأثيرتهم على المنطقة بها سواء من خلال تأثيرهم السياسي والعسكري أو حتى الإجتماعي من خلال مصاهرتهم لهم، كما ساهمت هذه القبائل في فك النزاع بين الطرفين أي الجزائر وتونس في أغلب الأحيان، وإن كان لبعض القبائل نفوذ سياسي داخل الإيالة التونسية، أما الحضور الثقافي فلقد كان بارزا تقريبا مثل الجانبين السياسي والعسكري حيث كان للعلماء وطلاب العلم دور كبير في تفعيل الحركية الثقافية بتونس، وأثبتوا تواجدهم بالمنطقة من خلال تقليدهم لعدة مناصب علمية وسياسية هامة جعلتهم يحظون بالإحترام والتقدير، كما أثبت المتصوفة الجزائريين حضورهم بالمنطقة من خلال زرع طرقهم الجزائرية في أغلب مواطن الإيالة التونسية.

42.ومن هذا المنطلق آن الأوان لدراسة تاريخنا المغاربي بشكل مختلف وبصيغ مغايرة تختلف كليا عما درس سابقا، لأن ما تكشفه لنا الوثائق والدراسات الحديثة سينفض حتما الغبار عن العديد من المواضيع الفرعية الهامة، ونتمنى أن يكون هذا العمل منطلقا جديدا ومفتاحا آخرا لأعمال أخرى وننتظر من الباحثين في هذا التخصص التفعيل فيه.

43.وهذه جملة من الإستنتاجات التي تمكنا من الوصول إليها من وراء هذا الطرح، والذي نأمل أن نكون قد وفقنا فيه ولو في جزء يسير منه، فإن وفقنا فمن الله سبحانه وإن لم نوفق فمن أنفسنا.

الملاحق

الملحق رقم01: مملكة بجاية وتونس[1] :



---

[1] –حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص60.

الملحق رقم 02: مراسلة من السلطان العثماني إلى القائد رمضان قائم مقام ووكيل أمير الأمراء بالجزائر علي باشا يعيد تعيينه على إيالة تونس عام 1571م[1]:



الجمهورية الجزائرية
الديمقراطية الشعبية

رئاسة الجمهورية

الأمانة العامة

الجزائر في :

مهمة دفتري رقم 12 صحيفة 541 – 543 حكم رقم 1037

بتاريخ 25/ 10/ 979

ارسل الى صاحب السعادة في 28 شوال 979

حكم الى القائد رمضان قائم مقام ووكيل امير امراء الجزائر (جزر البحر الابيض) على ـ دام اقباله ـ في عموصه (سوسة) والقروان (القيروان) ومنا متر (منستير) وبلد حريت (كذا) وبكزرت (بنزرت) من نواحي تونس.

بعث ابو الطيب وسائر اعيان ولاية تونس بخطابات يشيدون فيها بحسن استقامتك ومعاشرتك لاهالي الولاية من كل الوجوه، ويشهدون بكفائتك وبذل قدراتك وسعيك المشكور في سبيل كافة الامور المهمة يونيـ ـ وصيانة عرض وناموس الدين والدولة.

وبما ان تلك الولاية مع نواحيها المذكورة قد الحقت بامره المشـ اليه، وبناء على التماسه باحتفاظك بمنصبك كقائم مقام له فيها فقد تم تعيينك في المنصب المذكور عن جانب المشار اليه والسعي كما كنت عليه سابقا وامر نال بضبط تلك النواحي على الوجه المناسب وامرت:

حال وصول الحكم، عليك بموجب امري القيام بضبط تلك النواحي عن جانب المشار اليه والسعي لحفظها وحراستها وضبطها وصيانتها وعليك بالجد والحزم في سبيل ذلك لما فيه رفاهية واطمئنان الرعايا والبرايا وامن وامان البلاد والولاية وعياذا بالله تعالى، فيما اذا حاول لاعداء اللئام الحاق الضرر والخسارة باي مكان فعليك انت ومن معك من عساكر المسلمين والجنود الموحدين واعيان الولاية واهل الراي باعداد العدة والعتاد و الوقوف على اهبة الاستعداد فلتكن مع اولئك على اتفاق واتحاد، ولتكن كلمتكم ووجهتكم واحدة وعليك بانواع السعي الاهتمام لدفع ورفع ضرر الاعداء وعدم اضاعة دقيقة واحدة في سبيل المحافظة على البلاد وعليك ايضا ببذل المقدور بحسب الامكان في سبيل كافة الامور المتعلقة بالدين المبين والدولة الابديـ ـ المقرونة بسعادتي ـ وحاذر ان يلحق ضرر باي مكان على حين غفلة وابعث لنا بما يجب عرضه عن احوال واطوار تلك الديار.

لقد ارسلت لك احكام شريفة موجهة الى اعيان الولاية المزبورة بخصوص تسليمها لهم فعليك بتسليمهم اياها، والعمل على استمالتهم عن جنا ـ جلالتنا وكذلك العمل على غيبهم بالمحافظة على الولاية كما ينبغي ان

الجمهورية الجزائرية
الديمقراطية الشعبية



رئاسة الجمهورية

الأمانة العامة

الجزائر في :

تابع

انه فيما اذا عرض قيوداني المنار اليه عن اثار حميتك وخصالك الحميدة وتمكنك من جلب رضاء وشكران اهالي الولاية ، فانشاء الله الاغر ستكون محط انواع عنايتنا ومن المؤكد انك ستكافىء وتجزى بذلك تماما و بناء عليه ، فلتظهر غيرتك وحميتك بكل ما اوتيت من قوة .

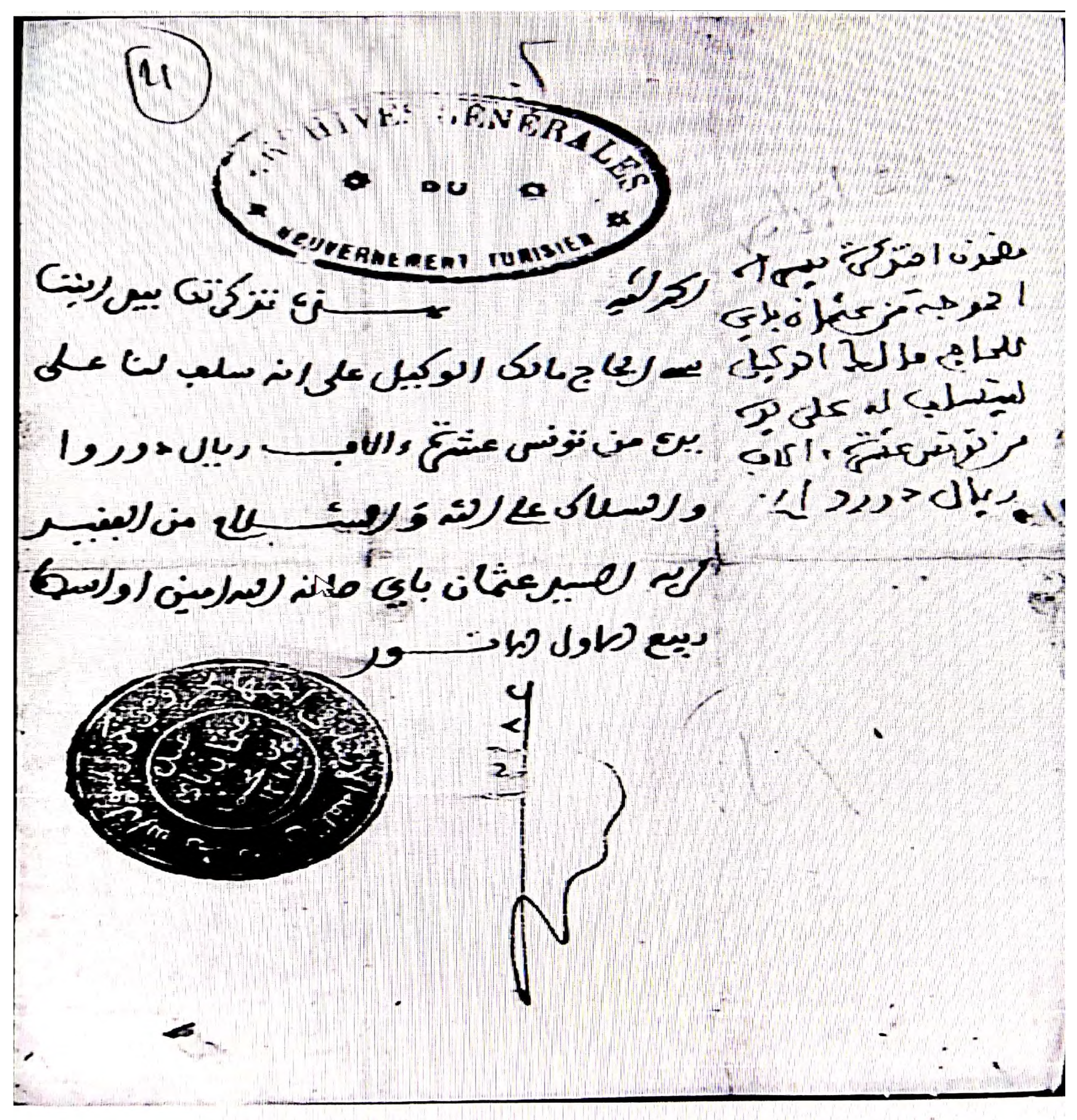
ولتتصرف بما سبق تعيين لك من محاصيل لقاء امرة اللواء كما كان عليه ، وان ذلك مخصص لمدار معيشتك وعليك بالسعي الاقدام وعدم اضاعة دقيقة في امور الوكالة الموكلة اليك عن جانب قيوداني المشار اليه

تعريب محمد داود التميمي .

Tasnifin cinsi	Mühimme	12
Numarası	541	

[1] – أ.و.ج مهمة دفتري 12 حكم1037 صحيفة 541– 543 تاريخ 25– 10– 1571م الموافق ل 28 شوال979هـ.

الملحق رقم 03: مراسلة من عثمان داي الجزائر إلى وكيلها بتونس سي الحاج يطلب منه اقتراض مبلغ مالي من باي تونس [1]:



ARCHIVES GÉNÉRALES DU GOUVERNEMENT TUNISIEN

مضمون اشتركة بيمنه احموجه من عثمان باي للحاج مالك الوكيل ليتسلف له على باي من تونس عشرة الاف ريال دورو

الحمد لله تذكرتنا بيد ربنا

بيد الحاج مالك الوكيل على انه يتسلف لنا على

باي من تونس عشرة الالاف ريال دورو

والسلام على الله والسلام من الفقير

الى الله السيد عثمان باي حامي الجزائر اواسط

ربيع الاول

سلسلة التاريخية الصندوق : 223 الملف : 4

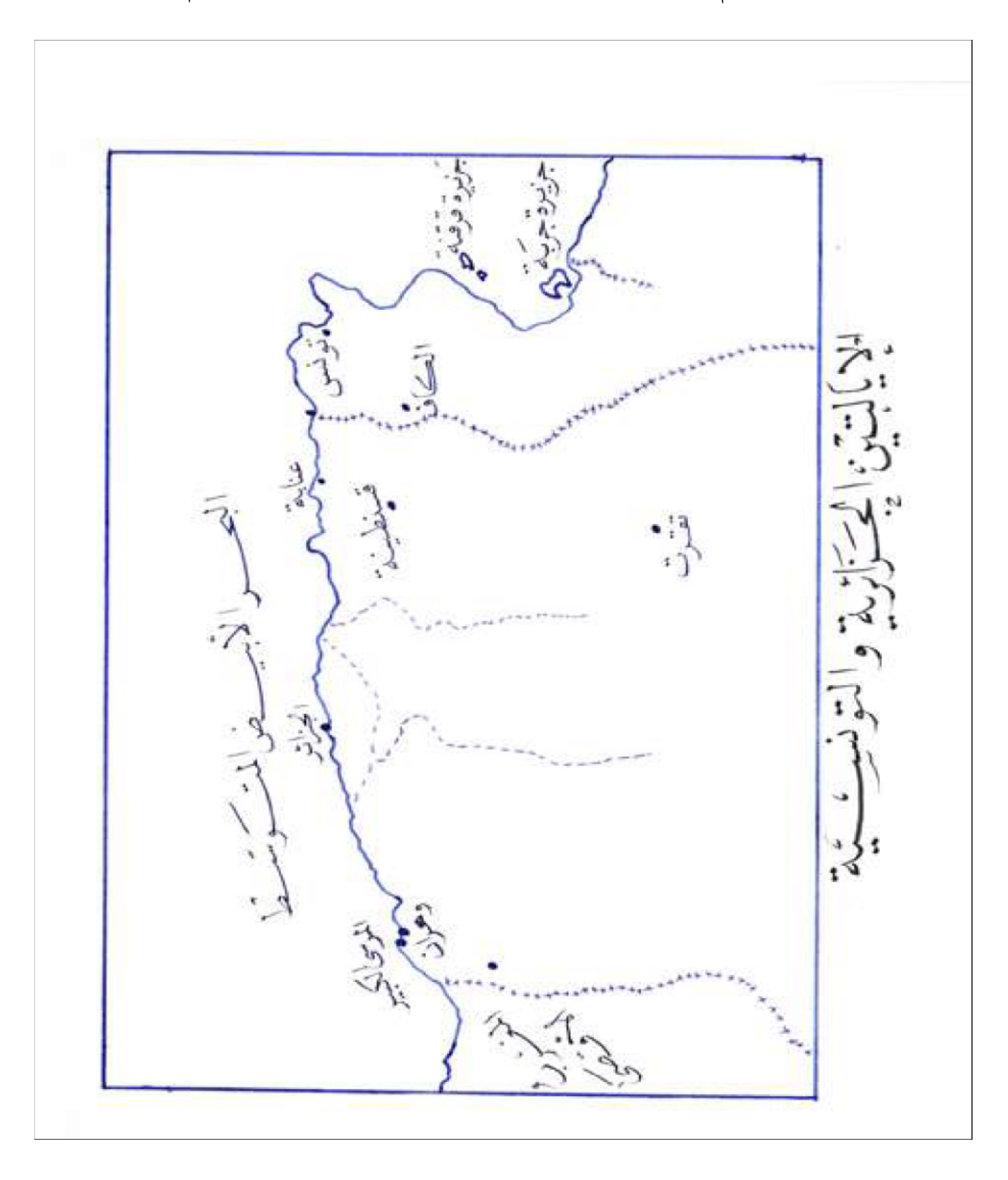
---

[1] – أ.و.ت، س.ت.ت، الصندوق 223الملف384وثيقة رقم03.

الملحق رقم 04: **رسالة من الداي حسين داي الجزائر إلى باي تونس بشأن فرار جنود انكشاريين من إيالة الجزائر إلى تونس عام 1827م**[1]:

[1]– أ.و.ت، س.ت.ت، الصندوق223 الملف384، وثيقة رقم 55.

الملحق رقم 05: خريطة الإيالتين الجزائرية والتونسية خلال القرن17م[1]:



---

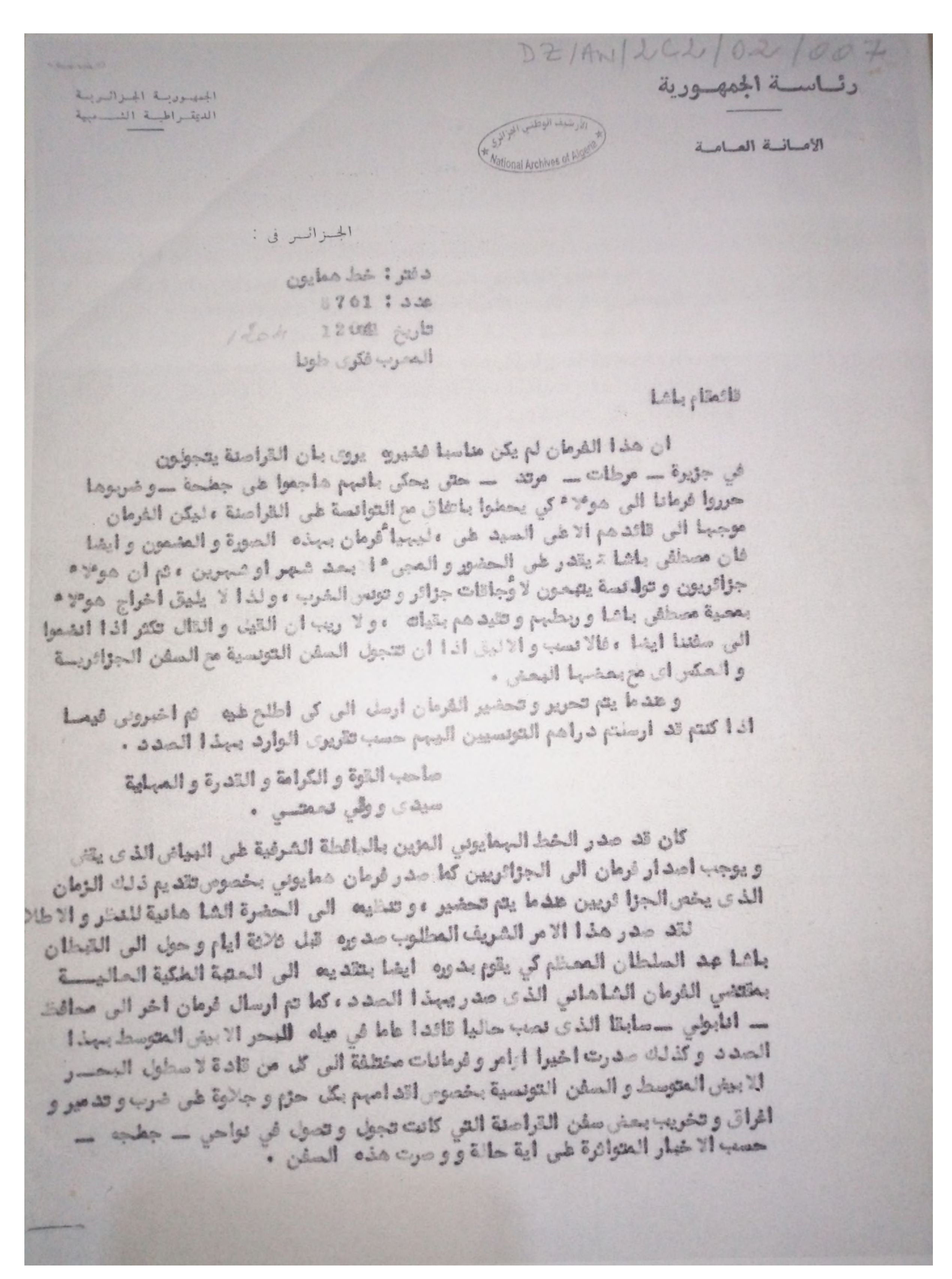
[1]- محمد عطية، **الصراع بين الإيالتين الجزائرية والتونسية من خلال المصادر المحلية الجزائرية والتونسية1587-1830م**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير تخصص التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة سيدي بلعباس، 2014-2015،ص150.

الملحق رقم 06: وثيقة تحوي على مضمون الصلح بين الإيالتين الجزائرية والتونسية سنة 1628م [1]:

---

1 – أ.و.ت دفتر رقم 2847 وثيقة 02.

الملحق رقم 07: فرمان عثماني يقضي بضرورة التعاون بين السفن الجزائرية والتونسية من أجل القضاء على القراصنة المتجولين في المتوسط عام 1204هـ-1789م[1]:



DZ/AN/2C2/02/007

رئاسة الجمهورية

الأمانة العامة

الجمهورية الجزائرية
الديمقراطية الشعبية

الأرشيف الوطني الجزائري
National Archives of Algeria

الجزائر في :

دفتر : خط همايون
عدد : 8761
تاريخ 1204
المضروب فكوى طونا

قائمقام باشا

ان هذا الفرمان لم يكن مناسبا فخبرو يروى بأن القراصنة يتجولون في جزيرة — مرطات — مرتد — حتى يحكى بأنهم هاجموا على جطجة — وضربوها حرروا فرمانا الى هؤلاء كي يعملوا باتفاق مع التوانسة على القراصنة ، ليكن الفرمان موجها الى قائدهم الاعلى السيد على ، ليهيأ فرمان بهذه الصورة والمضمون وايضا فان مصطفى باشا يقدر على الحضور والمجيء الا بعد شهر او شهرين ، ثم ان هؤلاء جزائريون وتوانسة يعودون لاوجاقات جزائر وتونس الغرب ، ولذا لا يليق اخراج هؤلاء بمعية مصطفى باشا وربطهم وتقيدهم بتيابه ، ولا ريب ان القيل والقال تكثر اذا انضموا الى سفننا ايضا ، فالانسب والاليق اذا ان تتجول السفن التونسية مع السفن الجزائرية والعكس اي مع بعضها البعض .

وعندما يتم تحرير وتحضير الفرمان ارسل الى كي اطلع عليه ثم اخبروني فيما اذا كنتم قد ارسلتم دراهم التونسيين اليهم حسب تقريري الوارد بهذا الصدد .

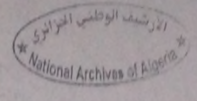
صاحب القوة والكرامة والقدرة والمهابة
سيدي وولي نعمتي .

كان قد صدر الخط الهمايوني المزين بالبالطة الشريفة على الهامش الذي يقضي ويوجب اصدار فرمان الى الجزائريين كما صدر فرمان همايوني بخصوص تقديم ذلك الزمان الذي يخص الجزائريين عندما يتم تحضير ، وتقديمه الى الحضرة الشاهانية للنظر والاطلاع لقد صدر هذا الامر الشريف المطلوب صدوره قبل ثلاثة ايام وحول الى القبطان باشا عبد السلطان المعظم كي يقوم بدوره ايضا بتقديمه الى العتبة الملكية العالية بمقتضى الفرمان الشاهاني الذي صدر بهذا الصدد ، كما تم ارسال فرمان اخر الى محافظ — انابولي — سابقا الذي نصب حاليا قائدا عاما في مياه البحر الابيض المتوسط بهذا الصدد وكذلك صدرت اخيرا اوامر وفرمانات مختلفة الى كل من قادة لاسطول البحر الابيض المتوسط والسفن التونسية بخصوص اقدامهم بكل حزم وجلادة على ضرب وتدمير واغراق وتخريب بعض سفن القراصنة التي كانت تجول وتصول في نواحي — جطجه — حسب الاخبار المتواترة على اية حالة ووصرت هذه السفن .

الجمهورية الجزائرية
الديمقراطية الشعبية

رئاسة الجمهورية

الأمانة العامة



— 2 —

الجزائر فى :

وكان الخط الهمايوني الذى صدر مؤخرا من الباب العالي يتطرق الى بيان ان السفن التي كانت تتجول في البحر الابيض المتوسط لم تكن من سفن الاعداء بل هي من سفن الرعايا او البعض منها من سفن الرعايا ، وفي الوقت نفسه كان بيان الخط الهمايوني يحض على ضرب و اخذ و اغراق هذه السفن ايضا اينما وجدت و خاصة بعد ان ظهرت اضرارها بتقديمها و عصيانها دون ان ينظر الى كونها للرعايا اولا و تكتب فرامين مختلفة بهذا الشأن الى القادة البحرية .

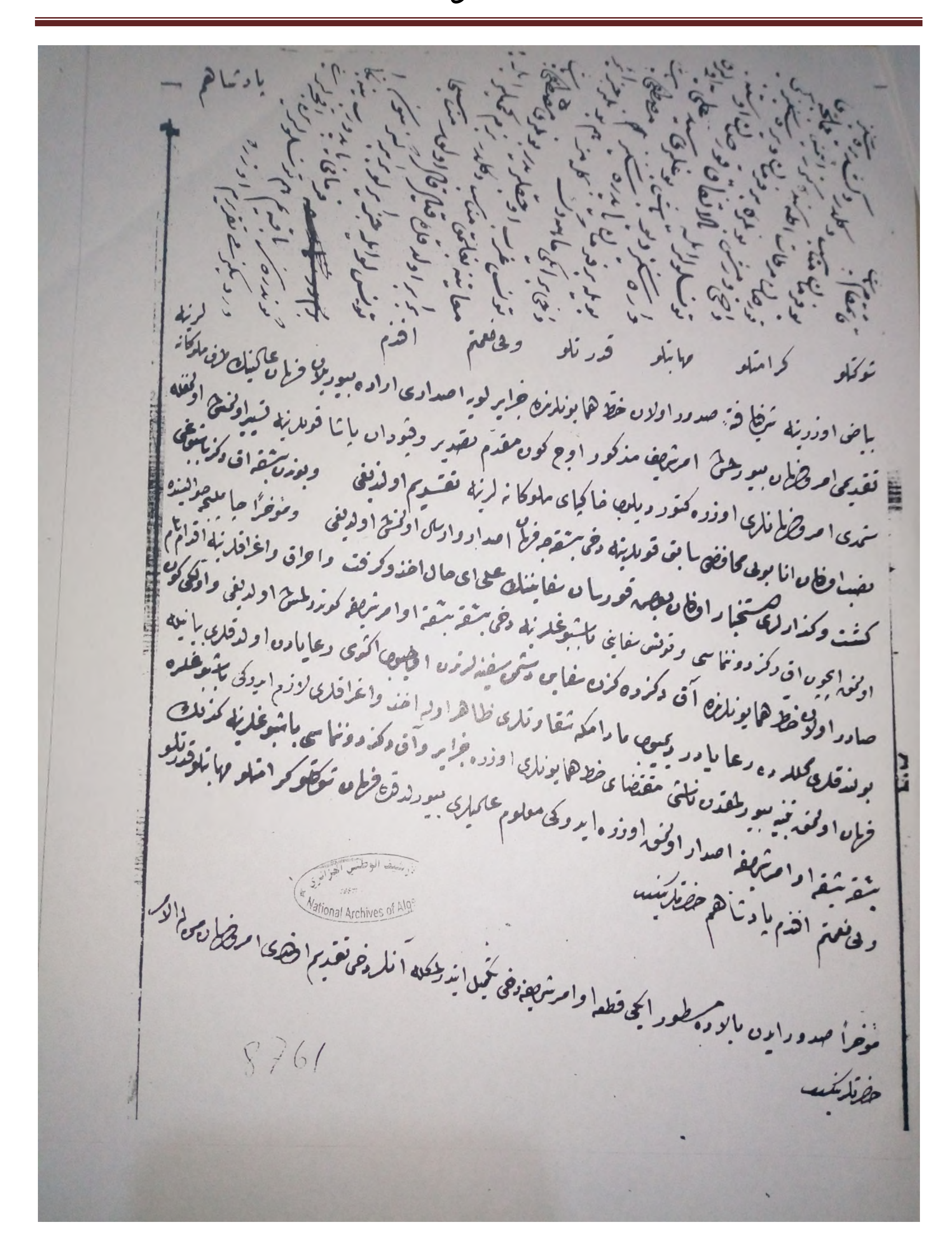
وبمقتضى هذا الخط الهمايوني الذى تقدم ذكره تم ارسال اوامر و فرامين مختلفة الى القيادة العليا للسفن الجزائرية و اسطول البحر الابيض المتوسط .

حرر للعلم الهمايوني

و الامر و الفرمان لصاحب القوة و الكرامة و القدرة و الصولجة

سيدى وولي نعمتى حضرة البادشاه

ان الامرين الصادرين اخيرا بهذا الصدد و اللذاين سطرا في الاعلى قد تم تقديمها ايضا بعد اكمالهما و الفرمان لحضرته الامر و النهى

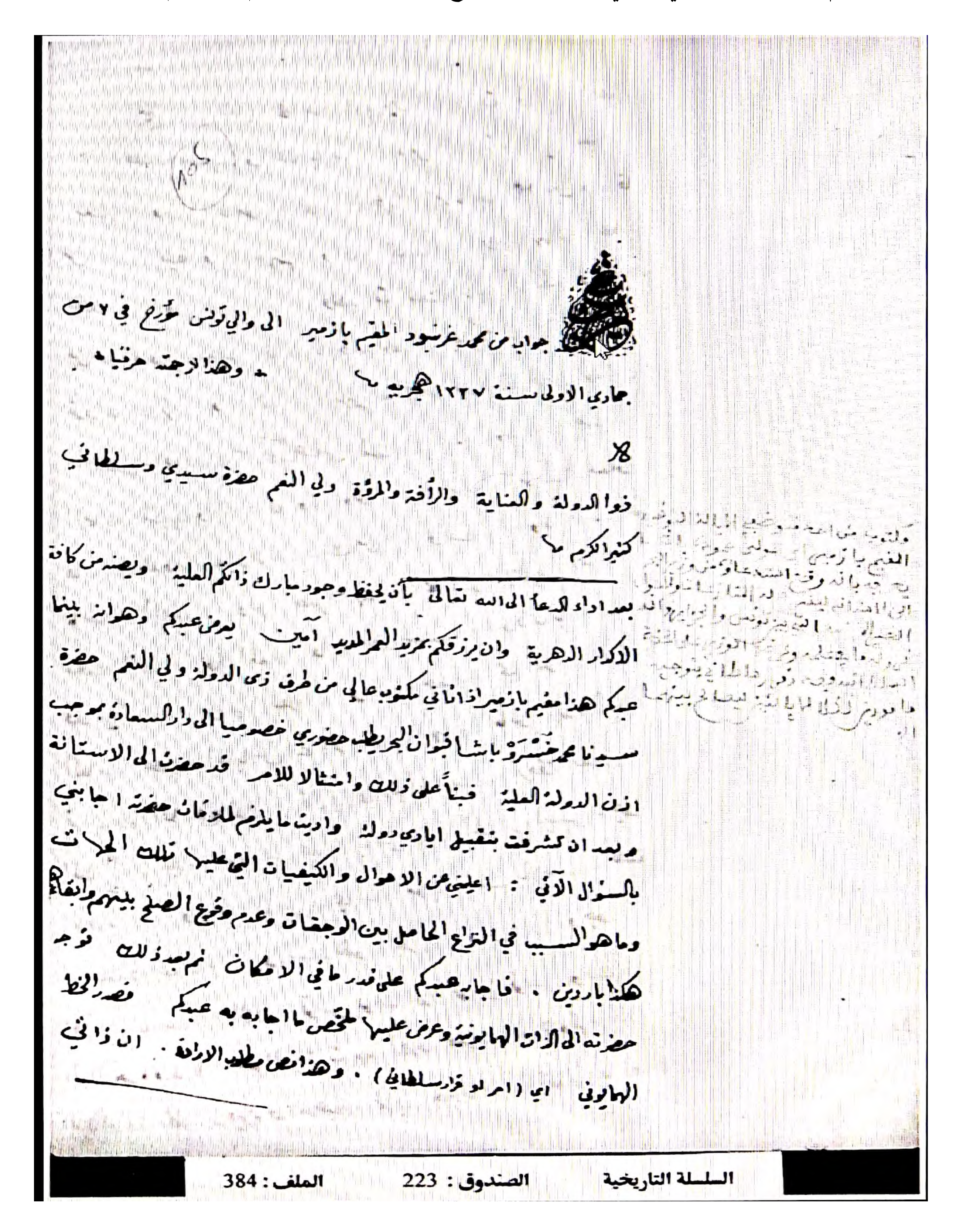


بادشاهم

شوكتلو كرامتلو مهابتلو قدرتلو ولی نعمتم افندم

1- أ.و.ج. خط همايوني 8761تاريخ 1204هـ.

الملحق رقم 08:فرمان عثماني يقضي بضرورة عقد صلح بين الجزائر وتونس عام **1812**م[1]:



جواب من محمد غرنيود المقيم بازمير الى والي تونس مؤرخ في ٢ من جمادي الاولى سنة ١٢٢٧ هجرية وهذا ترجمته حرفيا .

ذوا الدولة والعناية والرأفة والمروة ولي النعم حضرة سيدي وسلطاني كثير الكرم

بعد اداء الدعا الى الله تعالى بأن يحفظ وجود مبارك ذاتكم العلية ويصنه من كافة الاكدار الدهرية وان يرزقكم بمزيد العمر المديد آمين يعرض عبدكم وهوانه بينما عبدكم هذا مقيم بازمير اذ اتاني مكتوب عالي من طرف ذي الدولة ولي النعم حضرة سيدنا محمد خسرو باشا قبوان البحر يطلب حضوري خصوصيا الى دار السعادة بموجب اذن الدولة العلية فبناءا على ذلك وامتثالا للامر قد حضرت الى الاستانة وبعد ان تشرفت بتقبيل ايادي دولته واديت ما يلزم للاوامات حضرته اجابني بالسؤال الآتي : اعلمني عن الاحوال والكيفيات التي عليها تلك الجهات وما هو السبب في النزاع الحاصل بين الوجهات وعدم وقوع الصلح بينهم وانقطاعه هكذا بادرين . فاجابه عبدكم على قدر ما في الامكان ثم بعد ذلك توجه حضرته الى الذات الهمايونية وعرض عليها ملخص ما اجابه به عبدكم فصدر الخط الهمايوني اي (امر او قرار سلطاني) . وهذا نص مطلب الارادة . ان ذاتي

الشاهانية مهتمة للغاية في اجراء الصلح بين الوجقات ولاجل انفاذ
ذلك فلتهيأ سفينة وتصحب باحد الفصحاء من رجال ترسانتي العامرة
المعتبرين ويرسل بالمأمورية الى تلك الجهة ليمحو ما هو حائل بين وجاقاتي
من النفسانية ويصالحهم وان من يخالف منهم خطي الهمايوني الصادر
هذه المرة فان ضابات وتجار وهديات تلك الايالة لا تقبل ولا تعتبر
من طرف دولتي العلية كما انه اذا كانت لهم سفن جائية بتلك النواحي
ترد الى محلاتها وأكد ايضا انهم اذا لم يطيعوا هذه المرة خطي الهمايوني
فليتحققوا ان ذلك سيجلب عليهم غضبي الشاهاني . وبذلك قد صدر الخط
الهمايوني الشريف والحق يقال ولان وقوع البرودة بين هذه الوجقات معلوم
فان ذات الدولة العلية لا تعد ذلك من اليمن والسعادة ولما ان شاهدت
ما هو عكس المطلوب وقع الاجتهاد بهذا الطرف بما يحتوى التأكيد ثم على
مقتضى الخط الهمايوني المذكور فان حضرة سيدنا القبوذان باشا
قد هيأ سفينة من نوع القرويت ونصب احد معتبري الترسانة
العامرة حضرة عمر اغا باش اغا الاسطول الهمايوني مأمورا لهذه الغاية
ثم ان حضرة الباشا الموصى اليه قال لي اني اريد ان ارسلك برفقة القرويت
المذكور المصحوب بالاغا الموصى اليه غير ان باش ضابي الجزاير ليس موجود
الآن بازمير ولو كان الباش ضابي المذكور موجود معك بالاستانة لكنت
ارسلتك انت الى تونس وارسلته هو الى الجزاير ولكن فلعدم وجود
الآخر الا ارسالك الآن الى تونس يوجب الذل لوجق تونس والشأن
الى الآخر . ولما كانت جميع الوجقات بهذا الطرف بمنزلة واحدة ولم يريدوا
الذل او الحقر لكلا الطرفين قد اخر عبدكم ثم اني اخبرت عمر اغا المذكور بانه

قد شاع ان الجزائريين خرجوا باثني عشر سفينة • خمسة عشر لانجوني

وهم الآن يجولون حول تونس وورد انهم هجموا على جزيرة جربه و ضربوها

وكذلك ان حضرة سيدنا الباشا قدام عمر اغا المذكور بانه يأتي الى القبودانات

ويقول لهم امهلوا الى ان الحلع (?) باشا وانكم على الخط الهمايوني الذي بيدي

[illegible] وبعد ذلك افعلوا ما تريدونه من ايقاع حرب او اجراء

صلح ثم ان حضرة الباشا المومى اليه قد بذل السعي الجميل في حقنا وحق تونس

وجعفنا (?) وقال لي اني قد بينت الى روح الهم (?) حضرة سيدنا السلطان المعظم ما

لكم ولتونس من كمال الطاعة للدولة العلية ثم يا سيدي ان وكيلكم حضرة سليم ثابت

افندي سيكون موجودا مع المأمور المذكور في كل محل وكل مسئلة وزيادة على

ما هو عليه من زيادة المعاونة والسعي والغيرة المعلومة قد صدر له الامر من

طرف الدولة العلية بان يحرر من طرفه مكاتيبا لكل من الوجاقات يحثهم

على الخضوع والطاعة الى الخط الهمايوني الصادر هذه المرة ويوصيهم ايضا

بان يجرون الحركة والعمل بها بموجب ما ذكر ولبيان ذلك قد تجاسر

عبدكم بتقديم هذه العريضة ان شاء الله تعالى عندما تعلم دولتكم

الكيفية ان لا تنسوا عبدكم من مبارك خاطركم والامر في ذلك

الى لطف وعناية وكرم ومروءة ذي الدولة والرأفة كثير الكرم حضرتكم سيدي

ولي النعم ٧ ح ١٢٤٧ عبدكم محمد غرسود (?)

السلسلة التاريخية الصندوق : 223 الملف : 384

1- أ.و.ت، س.ت.ت، الصندوق 223، الملف 384، وثيقة105.

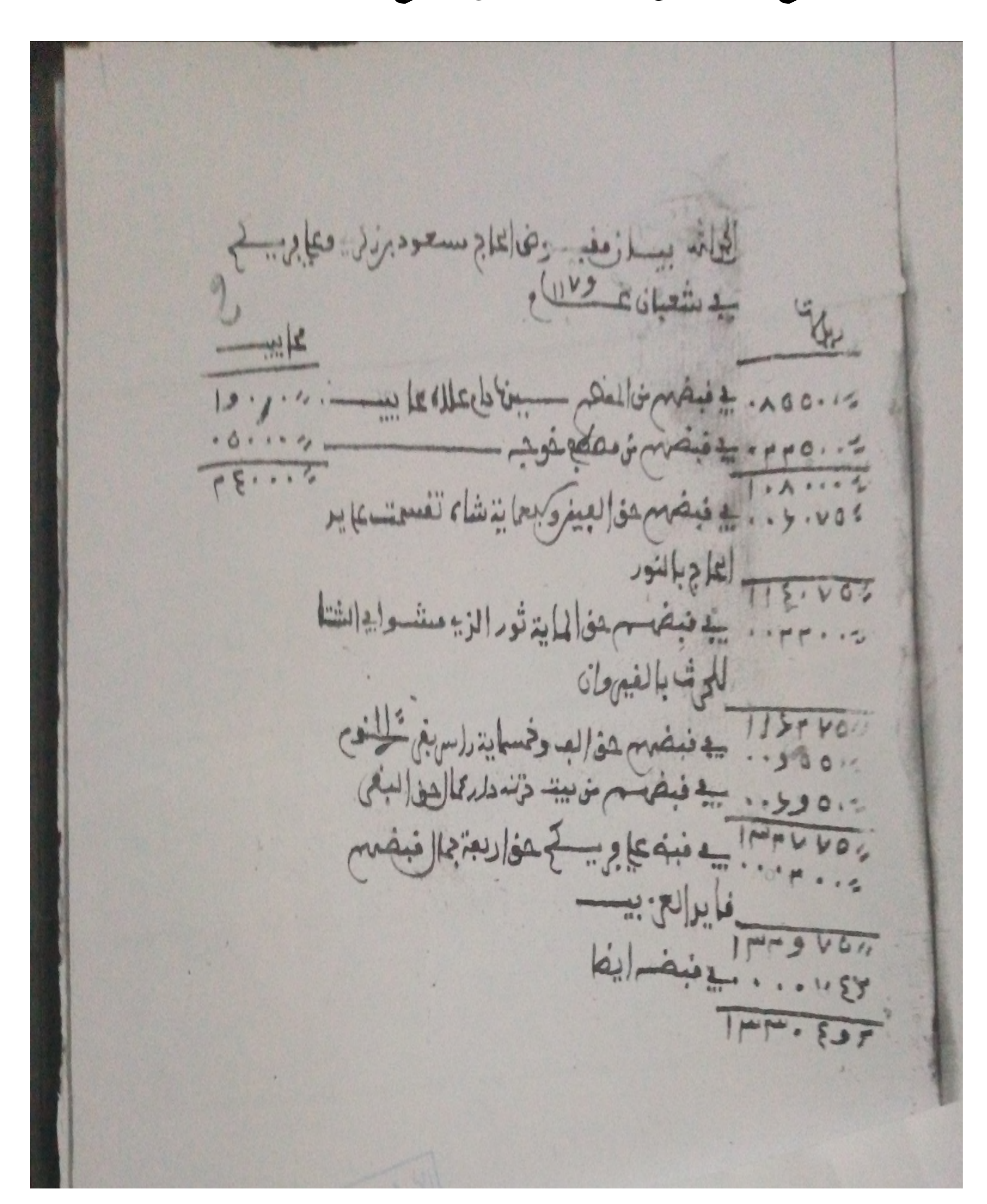
الملحق رقم09: تقييد به بيان عدد البقر الذي قدم به الوكيل علي فريكح من الجزائر وتفرق على الأوطان التونسية وقام ببيعها بعد أواسط محرم الحرام عام 1758م[1]:

[1]- أ.و.ت. الدفتر الجبائي رقم 100وثيقة 37.

الملحق رقم10:تقييد به بيان الإبل التي أرسلت من الجزائر من طرف باي قسنطينة إلى تونس عام 1191هـ-1193هـ/1777م-1779م[1]:

[1]- أ .و.ت . الدفتر الجبائي رقم 206 وثيقة 9.

الملحق رقم 11:دفتر يشمل على مصروف الدولة وبه بيان مقبوض على يد الحاج مسعود بن زكري وعلي فريكح ويحوي على ثمن البقر المرسل (نموذج عن السعر) [1]:



الحمد لله بيان مقبوض الحاج مسعود بن زكري وعلي فريكح

في شعبان عام ١١٧٦

في قبضهم من المعظم حسين [illegible] ٨٥٥٠٠

في قبضهم من مصطفى خوجة ٢٢٥٠٠

١٠٨٠٠٠

في قبضهم حق البقر [illegible] شاة تقسمت على [illegible] الحاج بالثور ٦٠٧٥

١١٤٠٧٥

في قبضهم حق المائة ثور الذي مشوا في الشتا للحرث بالقيروان ٢٢٠٠

[illegible]

في قبضهم حق الف وخمسماية راس بقر [illegible] [illegible]

في قبضهم من [illegible] [illegible]

[illegible]

في قبضه علي فريكح حق اربعة جمال قبضهم [illegible] ٣٠٠

١٣٣٢٧٥

في قبض ايضا ١٤٣

١٣٣٤١٨

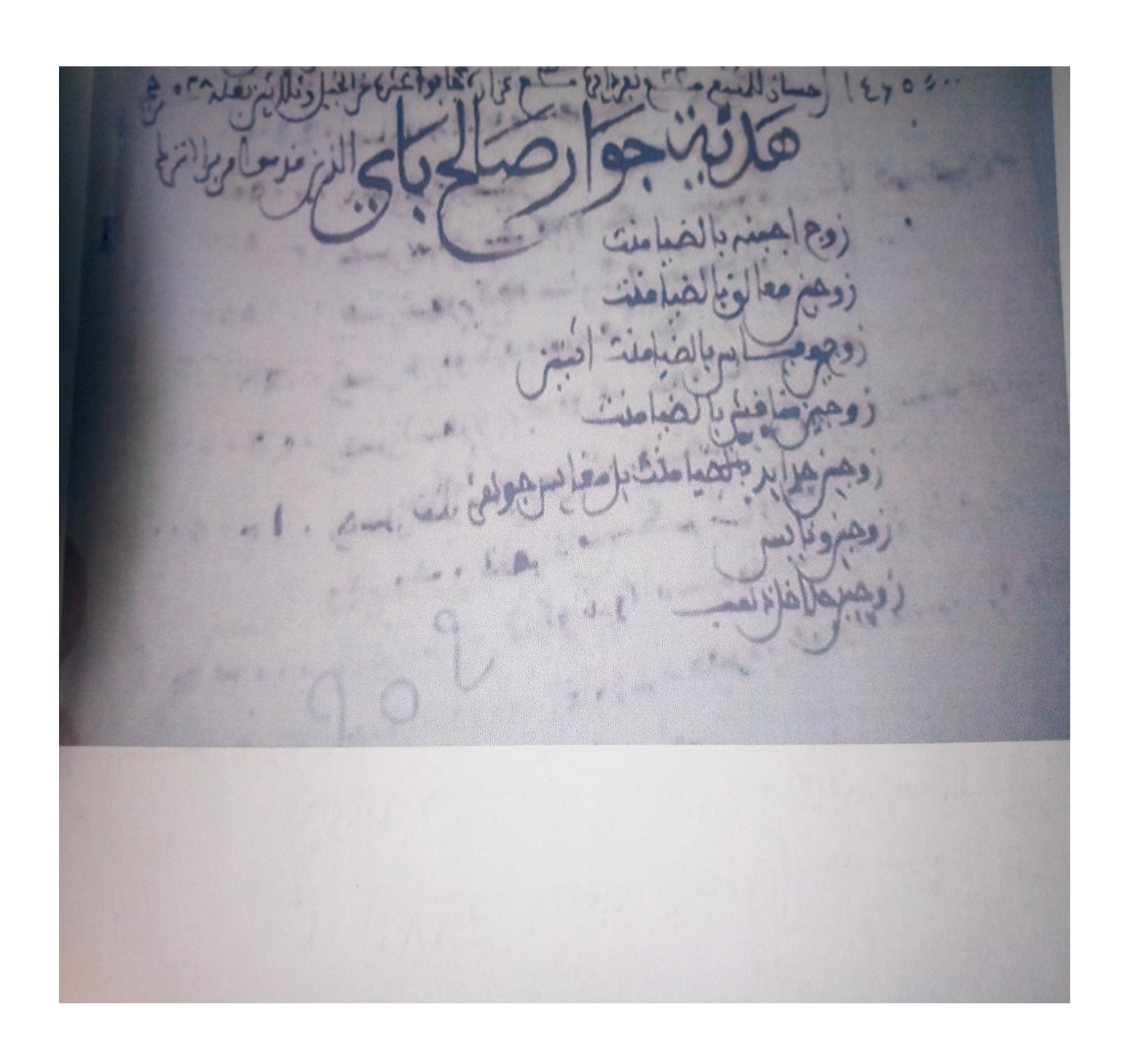
---

[1] - أ.و.ت . الدفتر الجبائي رقم139وثيقة 2 .

الملحق رقم 12: بيان سعر البقر الذي قدم من الغرب(إيالة الجزائر) واشتراه المعظم الأرصم حمودة باشا سيدنا دام عزه وأذن ببيعه بالطلوق سنة 1212هـ [1]:

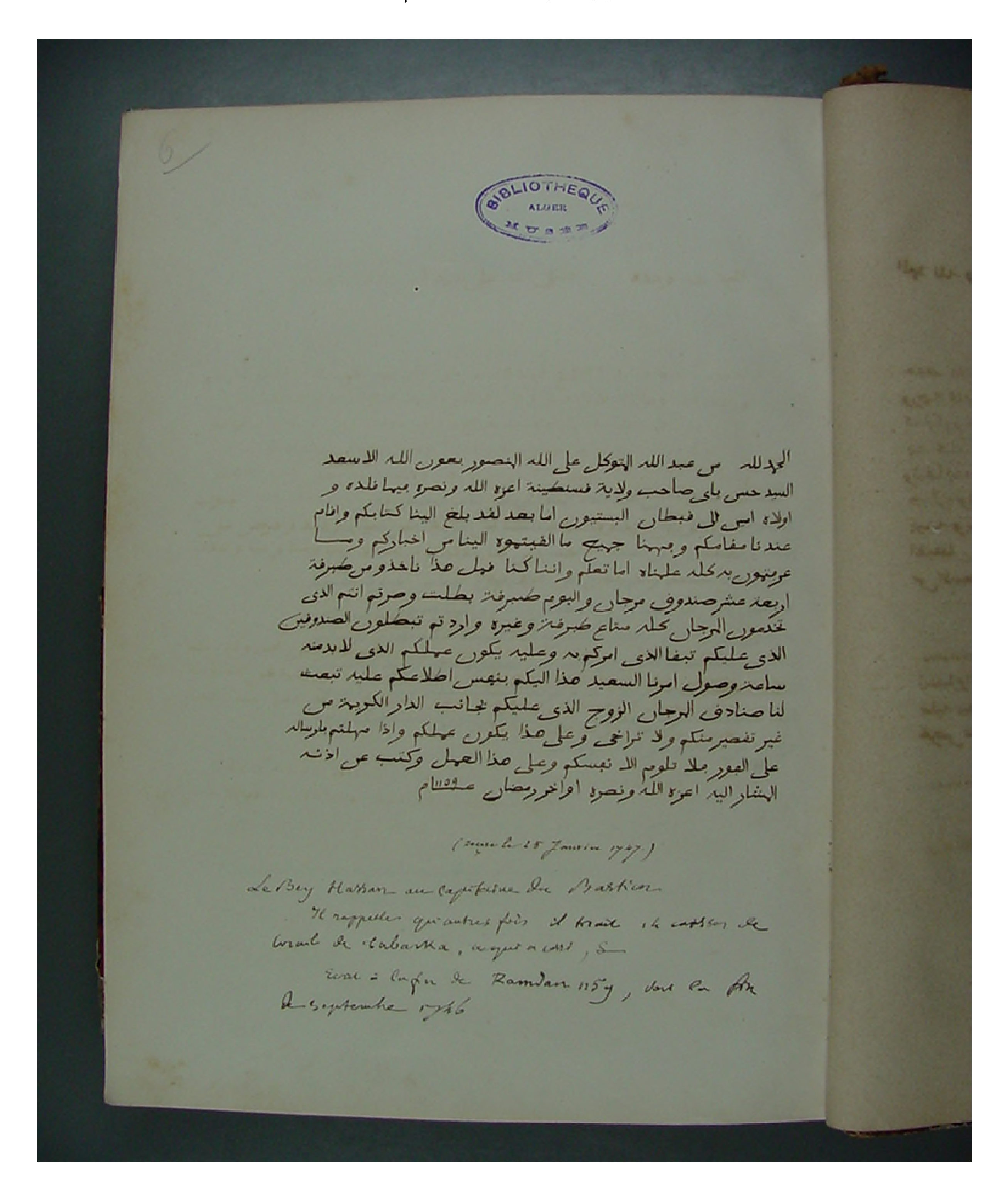
1- أ.و.ت. الدفتر الجبائي رقم 291 وثيقة 40.

الملحق رقم 13:هدية جوار مقدمة من باي تونس إلى صالح باي قسنطينة[1]:


هدية جوار صالح باي

[1]- أ.و.ت الدفتر الجبائي رقم2144 وثيقة 202.

الملحق رقم 14: مراسلة من باي قسنطينة إلى باي تونس يطالب فيه بامتيازاتهم الاقتصادية(المرجان) بجزيرة طبرقة سنة 1746م[1]:



الحمد لله من عبد الله المتوكل على الله المنصور بعون الله الاسعد
السيد حسن باي صاحب ولاية قسنطينة اعزه الله ونصره بمنه [illegible] و
اولاده امين الى قبطان البستيون اما بعد لقد بلغ الينا كتابكم و[illegible]
عندنا مفاهمكم وفهمنا جميع ما القيتموه الينا من اخباركم وما
عرفتمونا به كله علمناه اما تعلم واننا كنا قبل هذا ناخذو من طبرقة
اربعة عشر صندوق مرجان واليوم طبرقة بطلت وصرتم انتم الذي
تخدمون المرجان كله متاع طبرقة وغيره وارد ثم تبعثون الصندوقين
الذي عليكم تبعا الذي امركم به وعليه يكون عملكم الذي لابد منه
ساعة وصول امرنا السعيد هذا اليكم بنفس اطلاعكم عليه تبعثه
لنا صنادق المرجان الزوج الذي عليكم لجانب الدار الكريمة من
غير تقصير منكم ولا تراخي وعلى هذا يكون عملكم واذا مهلتم بلا رسالة
على الفور فلا تلوم الا نفسكم وعلى هذا العمل وكتب عن اذنه
المشار اليه اعزه الله ونصره اواخر رمضان عام 1159

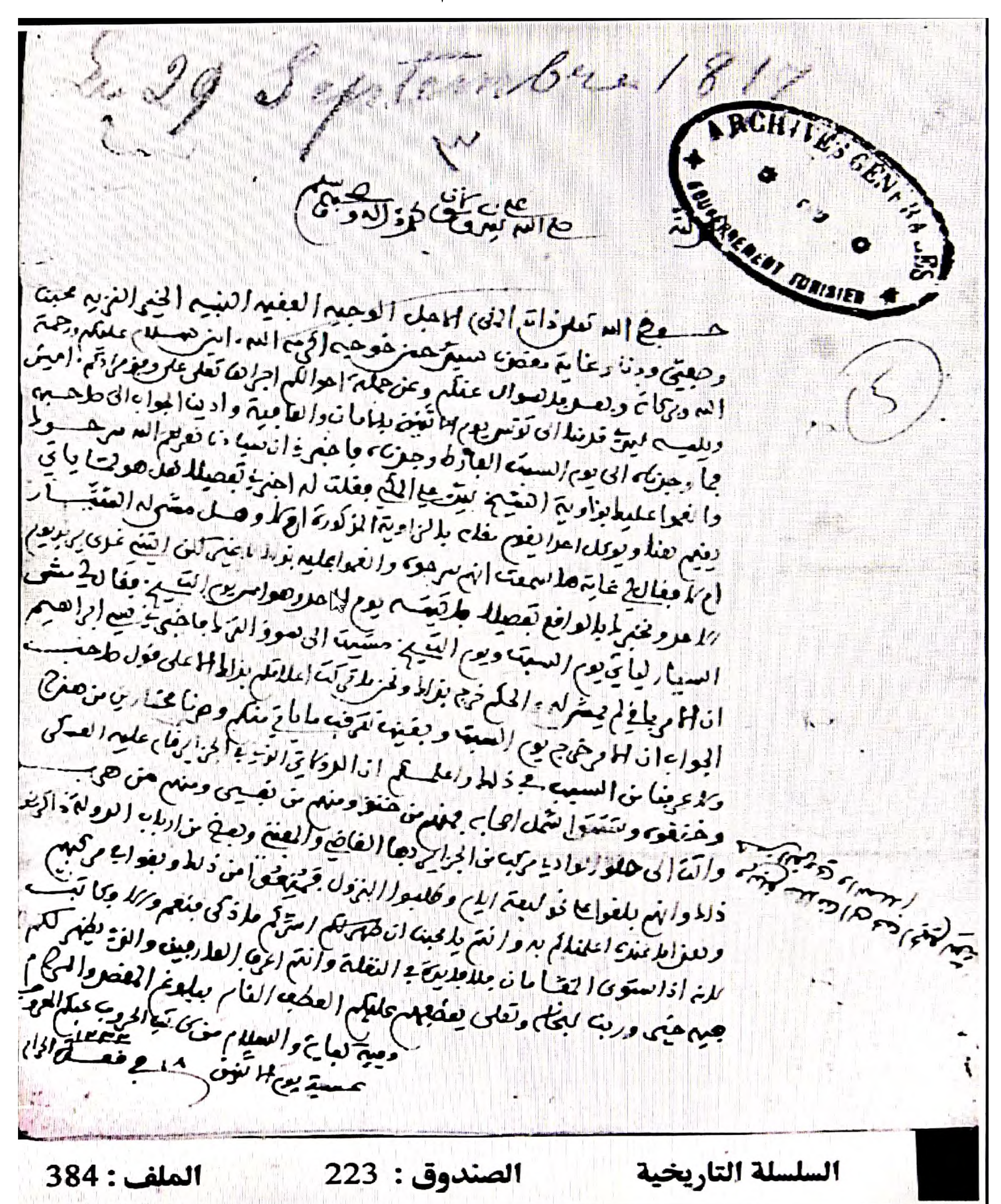
(reçu le 25 Janvier 1747.)

Le Bey Hassan au capitaine du Bastion
Il rappelle qu'autrefois il tirait 14 caisses de corail de Tabarka, [illegible]
Ecrit à la fin de Ramdan 1159, vers la fin de septembre 1746

---

[1]- مراسلات بايات قسنطينة، م. و.ج، رقم 1641 وثيقة رقم06.

الملحق رقم15: نموذج من الهجرات الجزائرية نحو تونس – هجرة أرباب الدولة الجزائرية بعد خنق حاكمها سنة 1817م – [1]:



29 Septembre 1817

ARCHIVES GENERALES GOUVERNEMENT TUNISIEN

السلسلة التاريخية الصندوق : 223 الملف : 384

---

[1] أ.و.ت، س.ت.ت، الصندوق 223الملف 384وثيقة رقم 5

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم رواية ورش

- قائمة المصادر والمراجع:

1- الوثائق الأرشيفية باللغة العربية:

1.1- الأرشيف الوطني التونسي:

- الدفاتر الجبائية

1. أ.و.ت. الدفتر رقم 2847 وثيقة 02.
2. أ.و.ت. الدفتر الجبائي رقم 291 وثيقة رقم 04. وثيقة 40 وثيقة47 وثيقة06.
3. أ.و.ت. الدفتر الجبائي رقم 100وثيقة 37.
4. أ.و.ت. الدفتر الجبائي رقم139وثيقة 2.
5. أ.و.ت. الدفتر الجبائي رقم 206 وثيقة 9.
6. أ.و.ت. الدفتر الجبائي رقم 99 وثيقة 88 وثيقة 42.
7. أ.و.ت. دفتر جبائي رقم 129 الوثيقة رقم 114.
8. أ.و.ت. الدفتر الجبائي رقم 1046وثيقة 11
9. أ.و.ت. الدفتر الجبائي رقم2144 وثيقة 202 . وثيقة200. وثيقة201. وثيقة206
10. أ.و.ت. الدفتر الجبائي رقم 269وثيقة 66.

- السلاسل التاريخية:

11. أ.و.ت. س.ت.ت، الملف354 صندوق 221رقم02.
12. أ.و.ت.س.ت.ت، الملف384، الصندوق223، وثيقة رقم 112وثيقة64 وثيقة50وثيقة55 وثيقة04وثيقة19وثيقة 17 وثيقة 104 وثيقة 105 وثيقة57.

2.1- الأرشيف الوطني الجزائري:

- خط همايون

13. العلبة 11، خط همايوني 28077 تاريخ 1241هـ.
14. العلبة 07، خط همايون 39007تاريخ 1228 - 1813م.
15. العلبة 02، خط همايوني 8761تاريخ 1204هـ.
16. العلبة 10، خط همايون 27144تاريخ 1239هـ.

17. العلبة 10، خط همايون 38548 ، تاريخ1237هـ.

18. العلبة 24، خط همايون 48979 تاريخ 1231هـ.

19. خط همايون 22486 تاريخ 1231هـ .

– مهمة دفتري:

20. العلبة 03، مهمة دفتري 12حكم518صحيفة249 تاريخ979هـ.

21. العلبة 05، مهمة دفتري 10 حكم10صحيفة1 تاريخ 02- 01- 979هـ.

22. العلبة 05، مهمة دفتري14 حكم 1597صحيفة 1087 تاريخ 18- 01- .979هـ.

23. العلبة03، مهمة دفتري12حكم1037 صحيفة 541-543 تاريخ25-10-979هـ الموافق28 شوال979هـ.

24. العلبة 02، مهمة دفتري10حكم 14صحيفة 12- 13تاريخ 2- 1- 979هـ- 1571م.

25. العلبة 06، مهمة دفتري 21حكم540 صحيفة 226 تاريخ 21- 02- 980هـ.

26. العلبة 03، مهمة دفتري12حكم 1037صحيفة541تاريخ1572.

27. العلبة 05، مهمة دفتري 14 حكم 49 صحيفة 41 تاريخ 979هـ.

28. العلبة05، مهمة دفتري 16حكم40صحيفة24تاريخ جمادى الأولى 979هـ- 12نوفمبر 1571م.

29. العلبة 06، مهمة دفتري 21 حكم 779صحيفة 331 تاريخ 981هـ.

30. العلبة06، مهمة دفتري 24حكم166صحيفة59 تاريخ 5ذي الحجة 981هـ- 28مارس 1574م.

31. العلبة 06، مهمة دفتري 23 حكم 783صحيفة 349 تاريخ 18- 12- 981هـ.

2- المخطوطات:

1. التنلالي التواتي عبد الرحمن بن ادريس، **مخطوط لا يحمل عنوان(مضمونه رحلة عبد الرحمن بن ادريس التنلالي التواتي من توات إلى الجزائر العاصمة سنة 1816م- 1231هـ)**، موجود بخزانة الشيخ سيدي عبد الله البلبالي، كوسام أدرار- توات- الجزائر، ورقة رقم 07

2.مجهول، **الخبر عن قدوم عروج رايس الى الجزائر و قدوم أخيه خير الدين** ،م.و.ج، مصلحة المخطوطات رقمه 1623.

3.مراسلات بايات قسنطينة، م.و.ج، رقم 1641.

2– قائمة المصادر والمراجع باللغة العربية:

1.2– المصادر باللغة العربية:

1.ابن أبي الدينار الرعيني القيرواني، **المؤنس في أخبار إفريقية وتونس**، ط1، مطبعة الدولة التونسية، تونس، 1286هـ

2.ابن أبي الضياف أحمد، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، الدولة للشؤون الثقافية والأخبار، تونس، 1963، ج 2 .

3.   ، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، مر وتع:أحمد الطويلي،الدار التونسية للنشر،تونس،1979،ج3

4.ابن حمادوش الجزائري عبد الرزاق، رحلة ابن حمادوش الجزائري" المسماة لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال"، تق وتح وتع: أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983.

5.ابن يوسف الصغير، المشرع الملكي في سلطنة أولاد علي تركي، تق وتح: أحمد الطويلي، د. د. ن، د. ب، د. س، مج 2 .

6.أبوراس الناصري الجزائري محمد، فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته (حياة أبي راس الذاتية والعلمية)، تح وتع: محمد بن عبد الكريم، المؤسسة الوطنية والكتاب.

7.الأغواطي الحاج ابن الدين، رحلة الأغواطي الحاج ابن الدين في شمال إفريقيا والسودان والدرعية، تر وتح: أبو القاسم سعد الله، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011.

8.بن خوجة محمد، صفحات من تاريخ تونس، تق وتح: حمادي الساحلي ،الجيلالي بن الحاج يحي، ط1،دار الغرب الإسلامي ،بيروت، 1986 .

9.بن عبد القادر مسلم، أنيس الغريب والمسافر، تح وتق :رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974.

10.بن ميمون الجزائري محمد، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تق وتح: محمد بن عبد الكريم، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

11.البوني أحمد بن القاسم، الذرة المصونة في علماء وصلحاء بونة، تق- تح: سعد بوفلاقة، منشورات بونة للبحوث والدراسات، الجزائر، 2007.

12.التجاني أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد، رحلة التجاني، تق: حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، تونس، 1981.

13.الجزائري عبد القادر، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، المطبعة التجارية، القاهرة، 1903.

14.الجيلاني الحسيني عبد القادر، السفينة القادرية، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002.

15.حسين خوجة، ذيل البشائر أهل الإيمان بفتوحات آل عثمان، تح وتق: الطاهر المعموري، الدار العربية للكتاب، 1900.

16.الحفناوي أبي القاسم محمد ، تعريف الخلف برجال السلف، مطبعة بيير فونتانة الشرقية، الجزائر، 1906.

17.حمودة بن محمد ابن عبد العزيز ،الكتاب الباشي، تح: ماضور محمد، الدار التونسية للنشر، تونس، 1970، ج1.

18.خوجة حمدان، المرآة ،تق وتع وتح: محمد العربي الزبيري ،منشورات ANEP ،الجزائر ،د.س.

19.الزهار أحمد الشريف، مذكرات أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر ،تح: أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر ،1980.

20.شالر ويليام، قنصل أمريكا في الجزائر1816- 1824م، تق وتع وتعر: اسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.

21.شاوش ابن المفتي حسين بن رجب، تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشاوات الجزائر وعلماءها، تح: فارس كعوان، ط1، بيت الحكمة، الجزائر، 2009.

22.العدواني محمد بن محمد بن عمر، تاريخ العدواني، تق تح تع : أبو القاسم سعد الله،ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2005.

23.العنتري محمد الصالح، فريدة المنسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة و استيلائهم على أوطانها أو تاريخ قسنطينة، مر وتق وتع :يحي بوعزيز، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.س.

24.العوامر ابراهيم محمد الساسي، الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، تع: الجيلاني بن ابراهيم العوامر، ط2،دار ثالة، الجزائر، 2009.

25.فيرو شارل، الحوليات الليبية منذ الفتح العثماني حتى الغزو الإيطالي، تر وتح وتق :محمد عبد الكريم الوافي ،ط3 ،مشورات جامعة قايونس ،ليبيا ،1994 .

26.كاثكارت، مذكرات أسير الداي كاثكارت قنصل أمريكا في المغرب، تر: اسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982.

27.كربخال مرمول، إفريقيا، تر: محمد حجي وآخرون، دار النشر المعرفية، الرباط،1989، ج3.

28.المبارك بن العطار الحاج أحمد، تاريخ بلد قسنطينة، تح وتع وتق: عبد الله حمادي، دار الفائز للطباعة والنشر والتوزيع، قسنطينة- الجزائر، 2011.

29.مجهول، تاريخ بايات قسنطينة المرحلة الأخيرة، تح: مختار حساني، منشورات دحلب، الجزائر،1999.

30.المحامي محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية، تح: إحسان حقي، ط:1، دار النفائس، بيروت، 1981 .

31.مخلوف محمد بن محمد، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، مطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، 1349هـ، د.ب، ج1.

32.المسعودي الباجي، الخلاصة النقية في أمراء إفريقية، تق وتح وتع: محمد زينهم محمد عزب، ط1، دار الآفاق العربية، القاهرة،2013.

33.مسلم بن عبد القادر، أنيس الغريب والمسافر، تح وتق: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974.

34.مقديش محمود، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار ،تح: علي الزواوي ،محمد محفوظ ،ط1 ،دار الغرب الإسلامي ،بيروت ،1988 ،مج 2 .

35.الورتلاني الحسين بن محمد، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار المشهورة بالرحلة الورتلانية، مطبعة بيير فونتانا الشرقية، الجزائر، 1908 .

36.الوزان الحسن بن محمد، وصف إفريقيا، تر :محمد حجي و محمد الأخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983،ج2 ،ص 142 .

2.2- المراجع باللغة العربية:

1. ابن عاشور محمد الطاهر، **أليس الصبح بقريب –التعليم العربي الإسلامي دراسة تاريخية وآراء إسلامية-**، ط1، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، 2006.

2. ابن عاشور محمد العزيز، جامع الزيتونة المعلم ورجاله، دار سراس للنشر، تونس، 1991.

3. إتوري روسي، ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911، تر وتق: خليفة محمد التليسي،ط2، الدار العربية للكتاب، القاهرة،1991.

4. الإمام رشاد، سياسة حمودة باشا في تونس1782م- 1814م، منشورات الجامعة التونسية، تونس، 1980.

5. أميلي حسن، النظام العسكري في الولايات المغاربية العثمانية من خلال المؤرخين الفرنسيين نيكولا دي نيكولاي والراهب بيير دان" العثمانيون في المغارب من خلال الأرشيفات المحلية والمتوسطية"، ط1، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 2005.

6. بابا عمي محمد بن موسى وآخرون، معجم أعلام الإباضية من القرن الأول الهجري إلى العصر الحاضر، مر: محمد صالح ناصر، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000، ج2.

7. الباروني يوسف بن امحمد، جزيرة جربة في موكب التاريخ، تح: سعيد بن يوسف الباروني، د.د.ن، د.ب، 1998.

8. برنشفيك روبار، تاريخ افريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى القرن 15م، تر: حمادي الساحلي،ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988، ج1.

9. بروشين نيكولاي إيليتش، تاريخ ليبيا من منتصف القرن السادس عشر حتى مطلع القرن العشرين، تر وتق: عماد حاتم، ط2، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان، 2001.

10.البشروش التوفيق، جمهورية الدايات في تونس 1591- 1675م،شركة أوريس للطباعة، تونس، 1992.

11.بلحميسي مولاي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

12.بن خروف عمار، العلاقات السياسية بين حكام الجزائر وتونس في القرن18م- 12هـ، دار الأمل للنشر والتوزيع، الجزائر،2017.

13.بن طاهر جمال وآخرون، المغيبون في تاريخ تونس الاجتماعي، تح: الهادي التيمومي، بيت الحكمة، تونس، 1999.

14.بنبلغيث الشيباني، الجيش التونسي في عهد محمد الصادق باي1859- 1882م، تق: عبد الجليل التميمي، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس،1995.

15.بنحادة عبد الرحيم وآخرون، شبكات التواصل في المغارب والعالم المتوسطي، مطبعة النجاح الجديدة 2008، د.ب.126.

16.بوعزيز يحي، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1995م، ج1.

17. ، المراسلات الجزائرية الإسبانية في أرشيف التاريخ الوطني لمدريد 1780- 1798، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.

18. ، الموجز في تاريخ الجزائر، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر ،2002، ج2 .

19. ، تاريخ افريقيا الاسلامية من مطلع القرن السادس عشر إلى مطلع القرن التاسع عشر، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008.

20. ، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ج1.

21.التر عزيز سامح، الأتراك العثمانيون في افريقيا الشمالية، تر: محمود علي عامر ،دار النهضة المغربية للطباعة و النشر ببيروت ،ط1 ،1989.

22.التميمي عبد الجليل، دراسات في التاريخ العثماني المغاربي خلال القرن السادس عشر، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، 2009.

23.الجمل شوقي عطا الله، المغرب العربي الكبير(ليبيا- تونس- الجزائر- المغرب)،ط1،مكتبة الانجلومصرية،القاهرة،1977.

24.جهلان عدون، الفكر السياسي عند الإباضية من خلال آراء محمد بن يوسف أطفيش 1236-1332هـ- 1818- 1914م، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، سلطنة عمان، د.س.

25.الجيلالي عبد الرحمن، تاريخ الجزائر العام، ط2، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت،1965، ج2.

26.حركات ابراهيم، المغرب عبر التاريخ من نشأة الدولة العلوية إلى إقرار الحماية، ط2، دار الرشاد الحديثة، المغرب، 1994، ج3.

27.حسني عبد الوهاب حسن، خلاصة تاريخ تونس، ط3، دار الكتب العربية الشرقية، تونس، 1332هـ.

28.خليفات عوض محمد، الأصول التاريخية للفرقة الإباضية، ط3، د.د.ن، الأردن، 1994، .

29.روسو ألفونص، الحوليات التونسية من الفتح العربي حتى احتلال فرنسا للجزائر ،تر وتق :الوافي عبد الكريم ،ط1 ،منشورات جامعة قاريونس، ليبيا، 1992 .

30.الزاوي الطاهر أحمد، ولاة طرابلس من بداية الفتح العربي إلى نهاية العهد التركي، ط1، دار الفتح للطباعة والنشر، بيروت، 1970م، ص112.

31.الزبيري محمد العربي، التجارة الخارجية للشرق الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر،1972.

32.سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي 1500- 1830م، ط1،دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998،ج2.

33. ، رائد التجديد الإسلامي محمد بن العنابي، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000.

34.سعيدوني ناصر الدين، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي تراجم مؤرخين ورحالة جغرافيين، البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، الجزائر، د.س.

35. ، ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت،2000 .

36.شريف محمد الهادي، تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ الى الاستقلال، تع محمد الشاوش ومحمد عجينة، ط3، دار سراس للنشر، تونس، 1993.

37.شوقي عبد الكريم، الإستخبارات في العصر الحديث897هـ- 1246هـ- 1492م- 1830، ط1، دار هومة للنشر والتوزيع، الجزائر ،2017 .

38.الطويل أحمد سعيد، البحرية الطرابلسية في عهد يوسف باشا القرامانلي، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت،2002.

39.عباد صالح، الجزائر خلال الحكم التركي 1514م - 1830م، ط2، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر.

40.عبد الحميد هنية، تونس العثمانية بناء الدولة والمجال ،منشورات أوتار تبر زمان، تونس، 2016.

41.عبد السلام أحمد والحليوي عبد الرزاق، المؤرخون التونسيون في القرون 17و18و19م،المجتمع التونسي للعلوم والآداب والفنون ببيت الحكمة،تونس،1993.

42.العجيلي التليلي، الطرق الصوفية و الاستعمار الفرنسي بالبلاد التونسية 1881- 1939،منشورات كلية الآداب ،تونس ،1992.

43.العداوين أحمد، تونس عبر التاريخ من العهد العربي الإسلامي إلى حركات الإصلاح،د.ب، د.د.ن، د. س ،ج2.

44.العقبي صلاح مؤيد، الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها، دار البراق، بيروت، 2002.

45.عليان محمد عبد الفتاح، نشأة الحركة الإباضية في البصرة ومناقشة دعوى تأسيس جابر بن زيد لها- وعلاقتها بالخوارج-، ط1، دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع، د.ب، 1994.

46.عمورة عمار، الجزائر بوابة التاريخ من ماقبل التاريخ الى 1962م، دار المعرفة، الجزائر، 2009، ج1.

47.عميراوي حميدة ،علاقات بايلك الشرق الجزائري بتونس أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي، دار البعث، قسنطينة، 2012

48.غلاب عبد الكريم، قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي عصر الامبراطورية العهد التركي في تونس والجزائر،ط1، دار الغرب الاسلامي ،بيروت، 2005، ج2.

49.فارس محمد خير، تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الإحتلال الفرنسي ،ط1، د. د. ن ،دمشق، 1969.

50.قاسم أحمد، إيالة تونس العثمانية على ضوء فتاوى إبن عظوم (1574- 1600)،تق: عبد الجليل التميمي، منشورات التميمي للبحث العلمي والمطبوعات، تونس، 2004.

51.القاسمي الحسني عبد المنعم، أعلام التصوف في الجزائر منذ البدايات إلى غاية الحرب العالمية الأولى، ط1، دار الخليل القاسمي للنشر والتوزيع، الجزائر، 2005.

52.لزغم فوزية، الإجازات العلمية لعلماء الجزائر العثمانية 1518م- 1830م، دار سنجاق الدين للكتاب، د.ب، 2009.

53.محفوظ محمد، تراجم المؤلفين التونسيين، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985،ج1.

54.المدني أحمد توفيق، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر و اسبانيا 1492م- 1792م، دار البعث، د.س.

55. ، محمد عثمان باشا داي الجزائر1766- 1791م)سيرته، حروبه، أعماله نظام الدولة والحياة العامة في عهده، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.

56.معاشي جميلة، الأسر المحلية في بايليك الشرق الجزائري، (من القرن 10هـ(16م) إلى 13هـ(19م)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2015.

57.الميلي محمد بن مبارك، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، 1964، ج3.

58.نواب عواطف بنت محمد يوسف، كتب الرحلات في المغرب الأقصى مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين – دراسة تحليلية ونقدية ومقارنة–، دارة الملك عبد العزيز، الرياض، 2008

59.نور الدين عبد القادر، صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها الى نهاية العهد التركي، دار الحضارة، الجزائر، 2006.

60.النوري حمو محمد عيسى، دور الميزابيين في تاريخ الجزائر قديما وحديثا، د.د.ن، د.ب، د.س، مج1.

61.نويض عادل، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، 1980.

62.هلايلي حنيفي، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط1، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2008.

3.2– الدوريات باللغة العربية:

1. بكاري عبد القادر، الرحلة ودورها في التدوين التاريخي الجزائري – رحلة أبو راس الناصري نموذجا–، **عصور جديدة**، ع19، جامعة وهران، أكتوبر 2015، ص ص 212- 229.

2. ، الإسهامات الثقافية والكتابات التاريخية لعلماء الجزائر العثمانية –أبو راس الناصري نموذجا–، **المجلة الخلدونية**، مج 6، ع1، جامعة تيارت، 2013، ص ص 117–130.

3. ، كتب الرحلات مصدر من مصادر التاريخ الجزائري في القرن 12هـ- 18م، **آفاق فكرية**، مج4، عدد خاص، أعمال الملتقى الدولي تاريخ الجزائر الديني في العهد العثماني من خلال الكتابات المحلية والأجنبية6- 7مارس 2018، ص ص 113- 134.

4. بلاعدة العمري، الرحلات الجزائرية الحجازية الرحلة الورتلانية أنموذجا، **دفاتر مخبر الشعرية الجزائرية**، ع12، جامعة المسيلة، مارس 2016، ص ص 122- 135.

5. بن دويفع سعيد ، المدرسة الصوفية في الجزائر نشأتها أعلامها ودورها في بناء المجتمع، **مجلة العلوم الإجتماعية**، مج9، ع1، جامعة تيارت، مارس 2020،ص ص 219-234.

6. بن زردة توفيق، "إحسانات بايات تونس لجماعة الحنانشة 1170هـ- 1756- 1192هـ- 1779م من خلال الدفترين 2144و2145 بالأرشيف التونسي"، **مجلة الآداب والحضارة الإسلامية**، ع20، جانفي 2017، ص ص 1- 24.

7. بن نعماني سيدي أحمد، "وظيفة وكيل الجزائر لدى الدولة العثمانية وبعض إيالاتها من خلال بعض وثائق الرصيدين العثمانيين الموجودين في الجزائر"، **مجلة الحكمة للدراسات التاريخية**، مج1، ع1، الجزائر، جانفي 2010، ص ص 198- 207.

8. بوسلامة محمد، هجرة الجزائريين إلى المشرق العربي في العهد العثماني(1518م- 1830م)،**مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية**، مج2، ع1، جامعة تيارت، يناير2019، ص ص 324--335.

9. بوشنافي محمد، "الداي مصطفى باشا وعصره 1798- 1805"، **عصور جديدة**، ع8- 7، جامعة وهران، 2012- 2013، ص ص 159- 173.

10. ، "الداي حسين وسقوط الإيالة الجزائرية1818- 1830م"، **مجلة عصور**، ع6- 7، جامعة وهران، جوان — ديسمبر2005، ص ص 97- 108.

11.بوعزيز يحي، "إسبانيا تتوسط الجزائر لإبرام صلح مع تونس"، **مجلة الدراسات التاريخية** ،ع 4، جامعة الجزائر، 1988، ص ص 53- 62.

12. ، "طرق القوافل والأسواق التجارية بالصحراء الكبرى كما وجدها الأوربيون خلال القرن 19م"، **مجلة الثقافة**، ع59،سبتمبر- أكتوبر1980، الجزائر، ص ص 13- 30.

13.جعنيي زينب، "ثورة إبن الأحرش في بايليك الشرق1800- 1807م"، **مجلة عصور الجديدة**،ع18، جامعة وهران، 2015، ص ص 130- 142.

14.حصام صورية، "لجوء بايات إيالة تونس إلى الجزائر خلال القرن الثامن عشر من خلال وثائق أرشيفية"، **المجلة الجزائرية للمخطوطات**، ع12، جامعة الجزائر، جانفي2015، ص ص 170-194.

15.حقي محمد صلاح، أي دور للعثمانيين والجغرافيا والقبائل في رسم الحدود بين ايالتي تونس والجزائر عبر اتفاقيتي 1614- 1628م، **المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية**، ع53- 54، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات تونس، أكتوبر 2016، ص ص 43- 63.

16.دبش نرجس، " سكان الحدود الغربية التونسية قبيل الاستعمار من الإغارة الى التعاون مع المقاومة الجزائرية"، **المجلة التاريخية المغاربية** ،ع137، فيفري 2010، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، ص ص27- 43.

17.درعي فاطمة، "أعضاء البعثات الدبلوماسية الأوربية في الجزائر خلال العهد العثماني وحصاناتهم"، **المجلة الناصرية للدراسات الإجتماعية والتاريخية**، مج9، ع1، جامعة معسكر، جوان2016، ص ص 439- 467.

18.درويش شافعي، "الحملة الاسبانية على تونس سنة 1535م"، **مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية**، ع30،سبتمبر2017، ص ص1- 12.

19.ربوح عبد القادر، الرحلة ودورها في التواصل الثقافي بين الجزائر والمشرق العربي خلال القرن 11هـ-17م رحلة يحي الشاوي الملياني تـ1096هـ- 1685م أنموذجا، **مجلة البحوث والدراسات**، مج 15، ع1، جامعة الوادي، 2018، ص ص 297- 324.

20.سعيود ابراهيم، القرصنة المتوسطية خلال الفترة الحديثة "القرصنة الايطالية نموذجا"، **مجلة الواحات للبحوث والدراسات**، ع 11، جامعة غرداية، رجب 1432هـ- جوان2011م.

21.شاشية حسام الدين، "مراجعة كتاب تونس 1535م أصوات من حملة أوربية"، **الكراسات التونسية**، ع 219،218،تونس، 2014، ص ص 91- 98.

22.شترة خير الدين، الهجرة الطلابية الجزائرية في جامع الزيتونة بتونس وأثرها على الحياة التعليمية بالجزائر خلال الفترة 1900م- 1962م، **المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطية**، مج5، ع10، ديسمبر2019م، ص ص 46- 88.

23.شويتام ارزقي، العلاقات الثقافية الجزائرية المغاربية خلال الفترة العثمانية، **مجلة الدراسات التاريخية**، ع13، جامعة الجزائر، 2011، ص ص 79-108.

24.صحراوي عبد القادر وعطية محمد، "مشروع توحيد الإيالات المغاربية في عهد الداي شعبان 1688-1695م"، **الحوار المتوسطي**، ع15- 16، جامعة سيدي بلعباس، مارس2017، ص ص 547-563.

25.عامر محمود، "المصطلحات المتداولة في الدولة العثمانية"، **مجلة دراسات تاريخية**، ع:117- 118، دمشق، 2012، ص ص 357-381.

26.العربي أسمهان، التجارة الخارجية لمدينة عنابة خلال العهد العثماني (ق18م) من خلال مصادر أولية، **مجلة العلوم الانسانية**، مج1، ع2، جامعة وهران، ديسمبر2012م، ص ص 73-95.

27.عساسي عبد الحليم وقدوح مروان سمير، خنقة سيدي ناجي أو تونس الصغيرة حاضرة علم وفن وجمال، **مجلة جماليات**، مج05، ع1، جامعة مستغانم، 2019، ص ص 114-143.

28.عطية محمد، "محن الجزائر في عهد الداي عمر 1815- 1817م ومواقفه منها"، **مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية**، ع13، جامعة الوادي، 2017، ص ص 299- 318.

29.غويني ليلي، التواصل الثقافي للرحالة الجزائريين مع العلماء المغاربة في العصر الحديث، **مجلة الدراسات التاريخية**، ع14، جامعة الجزائر، 2012، ص ص 213-232.

30.فكاير عبد القادر، "معاهدتا الجزائر مع اسبانيا 1786- 1791م ظروفهما وانعكاساتهما على العلاقات بين البلدين"، **مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية**، ع10، جامعة الوادي،2018، ص ص 397- 427.

31.قرباش بلقاسم، "الهجوم الجزائري على المغرب1688م من خلال وثيقة أصلية انجليزية"، **المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية**، مج 09، ع 1، جامعة سيدي بلعباس، جوان 2018، ص ص 29- 39.

32.قشوان عبد الرزاق، "تأصيل العلاقات الجزائرية الأمريكية مطلع القرن 19م"، **مجلة الحكمة للدراسات التاريخية**، مج2، ع4، جانفي 2014، ص ص127- 138.

33.مايدي كمال وبوسليم صالح،" جوانب من العلاقات الخارجية لإيالة تونس مع فرنسا والدويلات الإيطالية في عهد حمودة باشا الحسيني (1782- 1814م)"، **مجلة عصور**، مج17، ع2، جامعة وهران، ديسمبر2018، ص ص 167- 204.

34.متاجر صورية وهلايلي حنيفي، بنو ميزاب والأنشطة التجارية في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني في ضوء مخطوط قانون الأسواق، **مجلة أنثربولوجية الأديان**، مج 16، ع1، جامعة تلمسان، جانفي 2020، ص ص 228- 251.

35.محمة عائشة وبوسليم صالح، من مظاهر التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس خلال العهد العثماني 1519- 1830م هجرة العلماء والطلبة الجزائريين إلى تونس أنموذجا، **مجلة الباحث في العلوم الانسانية**، مج 6، ع2، جامعة الوادي، 2018، ص ص 207- 221.

36.محمدي رزيقة،" العلاقات التونسية المغاربية في عهد حمودة باشا"، **مجلة الحكمة للدراسات التاريخية**، مج 4، ع08، الجزائر، 2018، ص ص 205-221.

37.معاشي جميلة، الإنكشارية في الجزائر بين الهجرة والتهجير، **أعمال الملتقى العلمي الأول "سوسيولوجية الهجرة الجزائرية في التاريخ الماضي والحاضر**"، جامعة قسنطينة، ماي 2008، ص ص 75-94.

38.مقصودة محمد ودادة محمد ،" الأوضاع الاقتصادية لكراغلة إيالات المغارب العثمانية خلال القرنين الثامن والتاسع عشر ميلاديين – دراسة مقارنة- "، **مجلة البشائر الاقتصادية**، مج 5، ع 2، جامعة بشار، أوت 2019، ص ص 321- 345.

39.مقلاتي فريدة، صورة الآخر المغربي في رحلة ابن حمادوش الجزائري (المسماة: لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال)، **مجلة إشكالات في اللغة والأدب**، مج8، ع4، المركز الجامعي تمنراست، 2019، ص ص 443- 462.

40.المنصف التايب، "المجال والسلطة في البلاد التونسية خلال العهد العثماني" ،**مجلة روافد**، ع4، جامعة تونس، 2018، ص ص 7- 45.

4.2- الرسائل والأطروحات الجامعية:

1. بن خروف عمار، **العلاقات بين الجزائر والمغرب 923هـ- 1069هـ - 1518م- 1659م**، رسالة ماجستير في التاريخ، قسم التاريخ، جامعة دمشق، 1983.

2. السايح فيلالي،**العلاقات السياسية الجزائرية التونسية1800- 1830**،بحث دراسات معمقة في التاريخ الحديث، جامعة قسنطينة، 1982- 1983.

3. العايب كوثر، **العلاقات الجزائرية التونسية خلال عهد الدايات1711- 1830م**،مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير تخصص التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الوادي،2013- 2014.

4. العباسي محمد، **أعمال خير الدين بربروس العسكرية في الجزائر من خلال مخطوط خبر قدوم عروج رايس الى الجزائر واخيه خير الدين لمؤلف مجهول من سنة 918هـ- 1512م- 953هـ- 1546م**،مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2005- 2006.

5. حصام صورية، **العلاقات بين إيالتي الجزائر وتونس خلال القرن الثامن عشر ميلادي**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير تخصص التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران،2012- 2013.

6. حفيان رشيد، **الطرق والقوافل التجارية بين الحواضر المغاربية وأثرها الحضاري في العهد العثماني خلال القرنين 11- 12هـ- 17- 18م**، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير تخصص التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة قسنطينة،2013- 2014.

7. عبد النور فتيحة، **الروابط الثقافية بين الجزائر وتونس ما بين 1860م- 1954م**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، المدرسة العليا للأساتذة الجزائر، 2013- 2014.

8. عطية محمد، **الصراع بين الإيالتين الجزائرية والتونسية من خلال المصادر المحلية الجزائرية والتونسية1587-1830م**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير تخصص التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة سيدي بلعباس، 2014- 2015.

9. غطاس عائشة، **الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 1700- 1830م مقاربة اجتماعية اقتصادية**، أطروحة لنيل شهادة دكتواه دولة في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 2000- 2001.

10.محرز أمين، **الجزائر في عهد الآغوات(1659- 1671م)**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 2007 – 2008.

11.محيدب حبيبة، **العلاقات التجارية بين إيالتي الجزائر وتونس خلال القرن الثامن عشر**، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ الجزائر الحديث، جامعة قسنطينة، 2015- 2016.

5.2- الكشافات:

1. حماش خليفة، **كشاف وثائق تاريخ الجزائر في الأرشيف الوطني التونسي**،ط2، منشورات كلية الآداب والحضارة الإسلامية، قسنطينة،2016.

6.2- المعاجم والموسوعات

1. ابن منظور، **لسان العرب**، دار المعارف، القاهرة، د.س.

2. صابان سهيل، **المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية**، مطبوعات الملك الفهد الوطنية، الرياض، د.س.

3. عمارة محمد، **قاموس المصطلحات الإقتصادية في الحضارة الإسلامية**، ط1، دار الشروق، بيروت، 1993.

3- قائمة المصادر والمراجع باللغة الأجنبية:

1.3- الوثائق المنشورة باللغة الأجنبية:

1. De Grammont H.D, **Correspondance des consuls d'Alger (1690- 1742)**, Adolph Jourdan Libraire Editeur, Alger, 1890.
2. Plantet Eugéne, **Correspondance Deys d'Alger avec la cour de la France 1579- 1833**, Paris, 1889, T2.

2.3- المصادر باللغة الأجنبية:

1. Berbrugger Adrien, **Geronimo le martyr du fort des Vingt Quatre Heures**, Bastide Libraire Editeur, Paris, 1859.
2. Chaillou Lucien, **L'Algérie en 1781 –Mémoire de consul G.Ph Valliere par: Lucien Chaillou** , Imprimerie Nouvelle, Toulon, 1974
3. Chevalier Arvieux, **Mémoires du chevalier d'arvieux**, Jean Baptiste Delphine, Paris, s.d.
4. De Flaux Armand, **Régence de Tunis au 19éme**, Libraire Badiste, Alger, 1865.
5. De Grammont .H.D, **Histoire D'Alger sous la domination Turque (1515- 1830)**, Ernest Leroux, Paris, 1887.
6. De Paradis Venture**, Alger au XVIII siècle** ,Typographie Adolphe Jourdan, Alger, 1898
7. , **Tunis et Alger au XVIII siècle**, Sind Bad, Paris ,1983.
8. De Tassy Lougier , **Histoire du royaume d'Alger**, Edition loysel , Paris,1992.
9. Devoulx Albert, **Tachrifat recueil de notes historiques sur l'administration de l'ancienne régence d'Alger**, bibliothèque national Alger, Alger, 1852.
10. Fray Diego de Haedo, **Histoire des rois d'Alger**, trad. : h- d . de Grammont, Libraire Editeur, Alger, 1881.
11. Maggill Thomas**, Nouveau voyage à Tunis Publie en 1811**, Editeur du Dictionnaire Des Science Médicales, Paris, 1815, p3.
12. Mercier Ernest**, Histoire de Constantine**, J.Marle et F.biron. Imprimeurs-Editeurs, constantine, 1908.
13. Piesse Louis , **Itinéraire de L'Algérie de la Tunisie et de Tanger**, Librairie Hachette, Paris, 1882.

14. Shaw Thomas, **Voyage dans la régence d'Alger**, Marlin Editeur, Paris, 1830 .

3.3–المراجع باللغة الأجنبية:

1. A.Guellouz, & al, **Histoire général de la Tunisie** , Sud Edition, Tunis, 2010,T3.

2. Berteuil Arsène, **L'Algérie Française(Histoire Mœurs, coutumes Industrie, Agriculture)**, Dentu Libraire, Paris, 1856, T1.

3. Dunant Henry, **Notice sur la régence de Tunis**, Imprimerie de Julis – G me Fick, Genève,1858

4. Mager Henri, **Atlas D'Algérie et Tunisie**, Ernest Flammarion Editeur, 1901.

5. Maxange Defontin, **Alger avant la conquête - Eulg Ali-** , A.Pedone Editeur, Paris, 1930

6. Nettement M. Alfred, **Histoire de la conquête d'Alger**, Libraire Jacques le coffre.

7. Pellissier E Reynaud, **Annales Algériennes**, Libraire Militaire, Paris, 1854.

8. Rinn Louis, **Marabouts et Khouans « Etude sur l'Islam en Algerie»**,Adolphe Jourdan Libraire Editeur, Alger, 1884.

9. Rozet et Carette, **L'Algerie**, Imprimeurs de L'institut, Paris, 1850.

10. Saadaoui Ahmed, **Les fortification de Tunis les chantiers de Hammouda Bacha**, Sous la direction du Abdeljalil Temimi Fondation Temimi pour la recherche scientifique et l'information, Tunis, 2004,T1.

11. Sebag Paul,**Tunis au XVII^ème^ siècle une cité au temps de la course**, Edition le Harmattan, Paris,1989.

12. Temimi Abdeldjelil**, Recherche et documents d'histoire Maghrébine L'Algérie- La Tunisie- et La Tripolitaine 1816- 1871**, Publication de la Revue d'Histoire Maghrébine, Tunis, 1980, V3.

4.3–الدوريات باللغة بالأجنبية :

1. Berbrugger Adrien, "Un chérif Kabyle en1804", **R.A**, N°3, Alger, 1858.pp209-214.

2. De LA Primoudaie Elie, Documents inédits sur l'histoire De l'occupation Espagnole en Afrique (1506- 1574), **R.A**, N° 19, Alger, 1875.pp337-360.

3. Devoulx Albert, La Marine de la régence D’Alger, **R.A**,N°13, Alger, 1869.pp384-430.

4. Dournon. A., Kitab Tarikh Qosantina El Hadj Ahmed El Moubarak, **R.A**, N° 57, Alger, 1913.pp265-305.

5. Feraud Charles, Les Corporations Des métiers à Constantine avant la conquête Française**, R.A**,N°16, Alger, 1872.pp451-455.

6. , Les Harar Seigneurs des Hanancha études historiques sur la province de Constantine, **R.A**, N°18, Alger, 1874.pp191-236.

7. Gsel Stéphane," Note chronologique pour l’histoire de Constantine", **R.A**, N°39, Alger, 1895.pp164-172.

8. Monchicourt Charles, La frontière Algéro- Tunisienne dans le Tell et dans la steppe, **R.A**, N°82, Alger, 1938. pp31-58.

9. Saadaoui Ahmed, "Des wakfs au profit des Fortification et des casernes de Tunis A L’époque Hammouda Bacha", **Archéologie Ottoman**, N°8, Tunis, 2001. Pp95-137.

10. , Une Architecture Turque en Tunisie la mosquée Mohammad Bey (1676- 1696), **Ibla**,N°185, 2000. pp3-31.

11. , Urbanisme et Architecture des Morisque de Tunisie, les Morisque et la Tunis, **Abril**, Tunis, 2009.pp177-187.

12. Vayessette Eugéne, "Histoire des derniers Beys de Constantine depuis 1793 jusqu'à la chute Hadj Ahmed", **R.A**,N°3, Alger, 1858.pp193-198.

الفهارس

***فهرس الأعلام**

***فهرس الأماكن**

***فهرس القبائل**

***ملاحظة** : قد رتبت هذه الفهارس هجائيا،مع العلم من أنني لم آخذ "ال"بعين الإعتبار.*

فهرس الأعلام

.أ.

.ب.

.خ.

.س.

.ش.

ف.

.ق.

.ك.

.م.

فهرس الأماكن

.أ.

.ب.

.ت.

.ج.

.ح.

.ر.

.س.

.ش.

فهرس القبائل

.أ.

.ب.

.ز.

ق.

فهرس الموضوعات

الفصل التمهيدي

بوادر الحضور الجزائري في تونس قبل 1628م

الفصل الأول:

التدخل الجزائري في الشؤون السياسة الداخلية لتونس ما بين 1628م– 1830م

الفصل الثاني

الصراع العسكري الجزائري التونسي ما بين 1628م– 1830م

الفصل الثالث

النشاط الإقتصادي الجزائري في تونس ما بين 1628م- 1830م

الفصل الرابع

الحضور الإجتماعي والثقافي الجزائري في إيالة تونس مابين 1628م- 1830م

ملخص الأطروحة: تتناول هذه الدراسة موضوع" الحضور الجزائري في إيالة تونس خلال العهد العثماني 1628–1830م "حيث حتمت الظرفية مع مطلع القرن17م إعطاء طابع مغاير للعلاقات بين الإيالات المغاربية وهذا بسبب تشكل الدول وبروزها كقوة سياسية فعالة في الفضاء المتوسطي أثر فيما بعد على جميع المجالات المتبقية ومنها إيالة الجزائر وإيالة تونس، فالجزائر التي ساهمت بعد انضمامها للعثمانيين عام 1519م في تحرير تونس التي كانت تتخبط بين الحكم الحفصي والاسباني وانتزعوها بكل شجاعة منهم وضموها للعثمانيين وكامتياز عثماني للجزائر شرع لها بأن تتولى إدارتها نيابة عنها، لكن مع المتغيرات الحاصلة والمحركات الفاعلة استطاعت تونس أن تثبت نفسها كإيالة مستقلة، وهذا بعد أن فصلت الدولة العثمانية بين إيالاتها المغاربية عام 1587م، إلا أن الجزائر لم تستسغ فصلها عن تونس حيث سعت لإثبات وجودها بها بكل الأشكال باعتبار أن المنطقة كانت تابعة لها يوما ما، فبعد أن تحدد المجال بينهما عام 1628م استطاعت الجزائر في أكثر من مناسبة أن تثبت وجودها بالإيالة التونسية سياسيا وعسكريا بمختلف الأشكال سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة حيث كانت السباقة لحل الأزمات السياسية بها، كما شنت الجزائر عدة حملات عسكرية سعت من ضمنها لفرض وجودها بشكل رسمي، وليس هذا فقط فلقد تعدى الحضور ليشمل المجالات الأخر، فلقد كانت تونس سوقا للمنتوجات الجزائرية خاصة الماشية، إضافة للإمتيازات الكبيرة التي كانت يتحصل عليها حكام الجزائر وبايات قسنطينة وغيرها من مظاهر الحضور، كما كان للجانبين الإجتماعي والثقافي نصيب منه حيث ساهم الجزائريون بمختلف أصنافهم فردا وجماعة في إبراز وجودهم داخل الإيالة التونسية من خلال نسج علاقات اجتماعية مع سكان المنطقة اختلفت آثارها، أما الجانب الثقافي فلقد ساهم علماء ومتصوفة الجزائر في تفعيل الحركية الثقافية بتونس وهذا بعد أن كثفوا نشاطهم بمختلف مواطن تونس وتولوا مناصب علمية هامة أثبتوا بها قدراتهم وكفاءتهم.

الكلمات المفتاحية: الجزائر؛ تونس؛ الحضور؛ العهد العثماني؛ الفضاء المغاربي.

Résumé : Cette étude traite du sujet de " la présence algérienne à Tunis pendant la période ottomane 1628-1830"où les circonstances nécessitaient au tournant du 17[eme] siècle pour donner un caractère diffèrent aux relations entre le Maghreb ottoman et cela en raison de leur formation et de leur émergence en tant que force politique efficace dans l’espace méditerranéen, il a ensuite touché les domaines restants, y compris Ayala Algérie et Ayala Tunisie, l’Algérie après avoir rejoint les ottomans en 1519, a contribuée à la libération de la Tunisie, qui pataugeait entre la domination hafside et espagnole, et l'a extraite avec courage d'eux etl'a incluse aux Ottomans et le privilège ottoman de l'Algérie a commencé àprendre en charge sa gestion en son nom, mais avec les variables qui se produisent et les moteurs actifs. LaTunisie a pu s'établir comme un bon, et cela après que l'Empire ottoman a séparé ses États du Maghreb en 1587 ou, cependant, l'Algérie n'a pas aimé sa séparation de la Tunisie, car elle a cherché à y établir sa présence sous toutes les formes, étant donné que la région y était autrefois subordonnée**,** après avoir déterminé le champ entre eux en 1628 ,L'Algérie a pu à plusieurs reprises établir sa présence, par des soutiens politiques et militaires, sous diverses formes **,**directement ou indirectement , car elle a été la première à résoudre des crises, L'Algérie a également lancé plusieurs campagnes militaires qui visaient, dans le cadre de l'imposition formelle de sa présence, et pas seulement cela. Elle est allée au-delà du champ d'application pour inclure d'autres domaines .La Tunisie était un marché pour les produits algériens, en particulier le bétail, en plus des grands privilèges que les dirigeants de l'Algérie et des provinces de Constantine et d'autres manifestations ont obtenus comme lesaspects sociaux et culturels en avaient une part, car ils ont contribué aux Algériens de toutes sortes, individuellement et collectivement, à mettre en évidence leur présence au sein de la hiérarchie tunisienne à travers le tissage de relations sociales avec les habitants de la région, dont les effets différaient. Quant à l'aspect culturel, les savants et les soufis d'Algérie ont contribué à dynamiser le mouvement culturel en Tunisie, et ce après avoir intensifié leurs activités auprès de divers citoyens deTunisie et a occupé des postes scientifiques importants dans lesquels il ont prouvé leurs capacités et leurs compétences.

Mots-Clés : Algérie ;Tunis;la présence;la période ottomane; L’espace maghrébin.